

د. خالد أبو العمرين

حماس

حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين



حماس

حركة المقاومة الإسلامية

جذورها - نشأتها - فكرها السياسي



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة في استنهاض وتأكيد الانتماء والوعي القومي العربي، في إطار المشروع الحضاري العربي المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافي والعلمي مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسمى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات بيتها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

جمهورية مصر العربية

ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، فاكس : ٣١٤٨٠٤٢

خالد نمر أبو العمرين

حماس

حركة المقاومة الإسلامية

بذورها - نشأتها - فكرها السياسي

الهيئة العامة للأشغال	
رقم التصنيف
رقم التسجيل	٥٠٤٦٩

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية



الكتاب : حركة المقاومة الإسلامية
«حماس»

الكاتب : خالد نمر أبو العمرين

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة الأولى :

٢٠٠٠

رقم الإيداع : ١٤٧٧٦ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-232-5

الغلاف : محمود الهندى

جرافيك : آرت سـمـارت

الجمع والصف الإلكتروني :

وحدة الكمبيوتر بالمركز

سيد مكيان

شريف على

مراجعة وتصحيح : زكريا منتصر

كمال عبد الرسول

الإهداء

- إلى روح والدي الذي توفى وهو يحلم بالرجوع إلى قريتنا «حماة» التي احتلت عام ١٩٤٨ .
- إلى أبناء شعبى فى الوطن وفى الشتات بمختلف تياراتهم يحلمون بالدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس .
- إلى أبناء أمتنا العربية والإسلامية الذين يعملون كى تخرج الأمة من مازقها ونجد مكانها اللائق بها بين الأمم .
- إلى أرواح شهداء فلسطين جميعاً من الأمة العربية وعلى رأسهم عز الدين القسام السورى وأحمد عبد العزيز المصرى وعبد القادر الحسينى الفلسطينى.
- إلى أرواح خليل الوزير وكمال عدوان ويحيى عياش وعماد عقل وكل الشهداء .

مقدمة

برزت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ، بعد اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية ، ولم تمض سنة واحدة من عمرها وعمر الانتفاضة حتى ازدادت قوتها وظهر تأثيرها واكتسبت شعبية واسعة بين الفلسطينيين في الأرض المحتلة وفي المنافي والمهاجر ، وكذلك بين العرب والمسلمين . وكان لتضالها الإسلامي ضد الاحتلال الصهيوني ودفاعاً عن الأرض والمقدسات أثره البالغ في إعطاء صورة متميزة للعمل الإسلامي الذي يحظى بالقبول والإجماع ، بخلاف العمل الإسلامي المنتشر في كثير من البلاد العربية الإسلامية ، كما أبرزت هذه المواجهة للعدوان الصهيوني قادة ورموزاً يحظون بالاحترام والتقدير حتى عند من يختلف معهم في الرأي ، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين الذي يتمتع بصفات قلما يجتمع بعضها لكثير من القادة الإسلاميين أو غيرهم ، فهو إلى جانب وعيه العميق وحنكته السياسية يتصف بالإصرار والتجرد وبالحس الوطني الذي يعلو على كل انتماء ، شديد على الأعداء ، رحيم بأبناء شعبه وأمته ، وأبرزت هذه المواجهة أيضاً الشهيد يحيى عياش الذي خرجت فلسطين كلها في جنازته .

وكان لإبعاد المثات من قادة حماس وعناصرها إلى جنوب لبنان ، وصمودهم وإصرارهم على البقاء والعودة ، أثر كبير في وصول حماس إلى كل بيت في المشرق والمغرب ، وفي التدليل على قوة الحركة واستمرارها وعدم إمكانية اقتلاعها من الجذور ، كما أظهرت تجربة الإبعاد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي قائداً قوياً استطاع بصموده وعناده وقدرته على القيادة أن ينتصر على الفطرية الصهيونية ويحقق ومن معه حلم العودة ، مما جعل الحكومة الإسرائيلية تلتقي له محاكمة عسكرية لتعجبه خلف أسوار السجن إلى جانب الشيخ ياسين ، لتحرم الحركة من قياداتها الناضجة والقوية في مرحلة حساسة ومفترق طرق خطير لتفسيح المجال أمام محاولات شق الحركة ، وتضخيم الاختلاف بين تياراتها ، ومن ثم إضعافها في غياب قياداتها و مرجعيتها المتفق عليها .

وكان للعمليات العسكرية التي نفذتها «كتائب عز الدين القسام» الجناح العسكري

لحماس من خطف للجنود أو تفجيرات في القدس وتل أبيب ، أثرها الحاسم في ازدياد أهمية الحركة وتأثيرها حتى على الانتخابات الإسرائيلية ، وتوتير علاقتها بالسلطة الوطنية الفلسطينية ، وتأثيرها على تطبيق الاتفاقات بين السلطة وإسرائيل .

وإذا كانت دراسة الصحوة الإسلامية السياسية في العقدين الماضيين قد ازدادت أهميتها في كل مكان ، فإن دراسة حركة حماس تأخذ أهميتها القصوى من حيث إنها تعالج الظاهرة في أكثر مواقعها سخونة ، ففي فلسطين يبدو الصراع صريحاً بين الشرق كله والغرب كله ، صراعاً حضارياً وثقافياً واقتصادياً وعسكرياً شاملاً .

ولعل هذا الدور المتعاظم لحركة حماس على جميع الأصعدة الفكرية والسياسية والشعبية والعسكرية ، يصبح مفهوماً ومنطقياً إذا عرفنا أن هذه الحركة التي تأسست في ديسمبر ١٩٨٧ ما هي إلا امتداد حقيقي وطبيعي لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين بتاريخها وتطورها وبرامجها ورجالها وهياكلها ، تلك الحركة التي وجدت على أرض فلسطين قبل أن توجد الدولة اليهودية بعدة سنوات ، كما شاركت في قتال هذه الدولة عند تأسيسها عام ١٩٤٨ ، وقدمت الشهداء من الفلسطينيين والمصريين والسوريين والعراقيين والأردنيين والسودانيين واليمنيين والمغاربة وغيرهم .

وتأتي أهمية هذا الكتاب لكونه أول دراسة شاملة للإخوان الفلسطينيين في مختلف المراحل التاريخية والأماكن الجغرافية التي تولجد فيها الفلسطينيون ، كما يسلط الضوء على جوانب كثيرة ظلت خافية وغير منشورة ، معتمداً على التوثيق العلمي وعلى مقابلات مع صناع الحدث ، كما يبرز الكتاب ولأول مرة نشاط الإخوان في الخارج وتأسيس «الجهاز العام لفلسطين» الذي أصبح يعرف باسم قيادات حماس في الخارج ، عموماً فإن الكتاب يُوخِر بالمعلومات الجديدة والموثقة .

لقد قام المؤلف بالاطلاع على كل ما يمكن الوصول إليه من مؤلفات أو دراسات تناولت أجند الجوانب المتعلقة بالموضوع ، كما أتيح له الإطلاع على الكثير من أوراق ومحاضر التحقيق مع قيادات حماس بالإضافة إلى كثير من الوثائق الداخلية السرية ، كما أنه ومنذ أوائل الثمانينيات بدأ يسجل المقابلات الشخصية مع قيادات الإخوان وحماس التي شاركت في العمل التنظيمي خلال الفترة (١٩٤٧ - ١٩٩٤) ، وقد سجلت أكثر من خمسين مقابلة في كل من الكويت والأردن والسودان واليمن والولايات المتحدة وبريطانيا ، وكانت أهم هذه المقابلات تلك التي أجريت في مخيم المبعدين في جنوب لبنان عام ١٩٩٣ مع معظم قيادات

الضفة الغربية وقطاع غزة وعلى رأسهم أربعة قادة من المؤسسين السبعة لحركة حماس .
وكان أكثر ما ساعد المؤلف على إعطاء الصورة الشاملة والمتكاملة والموضوعية هو تجربته الشخصية في صفوف الإخوان المسلمين ابتداء من عام ١٩٨٠ ، وتدرجه في مختلف المستويات التنظيمية إلى عضوية المكتب التنفيذي - القيادة العليا المنتخبة - لأكثر التنظيمات الإخوانية أهمية وهو التنظيم في الكويت ، الذي أعطى لتشكيلات حماس في الخارج أكثر من ثلثي أعضائها ، كما شارك المؤلف في عمل الجهاز العام لفلسطين وقسم فلسطين (قيادة حماس في الخارج) منذ بدايته الفعلية في مطلع ١٩٨٦ وحتى مطلع ١٩٩٥ .

وأتيحت للمؤلف أيضاً ظروف استثنائية جعلته على اطلاع على كثير من المساحات الإخوانية في الخارج ، حيث كان يتلقى الدعوات كمحاضر وشاعر وخطيب من كثير من المؤسسات الإسلامية في كل من الولايات المتحدة وأوروبا إلى تركيا والهند وجنوب أفريقيا .

وربما ساعد المؤلف أيضاً على توخي النظرة الموضوعية والتحرر من وجهة النظر الأحادية المتعصبة أنه قضى سنوات شبابه الأولى في المعسكر الوطني حيث تعرف على تجارب اليساريين والقوميين ، يضاف إلى ذلك تجربة اعتقالية غنية في بداية الاحتلال حيث أكمل المؤلف حكماً بالسجن عاماً ونصف العام في السجون الإسرائيلية بتهمة الانتماء لحركة فتح .
(١٩٦٨ - ١٩٧٠) .

انقسم البحث إلى تمهيد وثلاثة أبواب ، وقد عالج التمهيد موضوعات أساسية في دراسة الظاهرة الإسلامية وتعريفها وأسبابها وأهمية فلسطين في نظر الإسلاميين .
أما الباب الأول فقد تتبع جذور الإخوان المسلمين في فلسطين منذ الثلاثينيات وحتى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وعالج الباب الثاني تجربة الإخوان الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها في العشرين سنة التي أعقبت الحرب .
أما الباب الثالث فإنه يتناول مرحلة الانتفاضة وانطلاقة حماس وعلاقتها بالأطراف الأخرى .

بقي أن أقول إن هذا الكتاب في الأصل رسالة علمية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة الخرطوم ، والمؤلف هنا يعبر عن شكره وتقديره للدكتور التيجاني عبد القادر الذي أشرف على البحث بعقلية الباحث المتمكن ، والذي أظهر

من التعاون والتعاطف والود كل ما يتميز به السودان الشقيق ، كما يقدم الشكر الجزيل إلى
البروفيسور محمود حسن خليل والبروفيسور حسن سيد سليمان اللذين ناقشا هذا البحث
وعبرا عن تقديرهما المتميز .

كما أقدم شكرى وامتنانى لكل من تعاون وساعد فى إنجاز هذا البحث وخصوصاً لمن رحبوا
بالمقابلات الشخصية، والشكر كله لأفراد أسرتى السبعة الذين كانوا دائماً نعم التشجيع
والمعين.

خالد نمر أبو العمرين

ضنعاء - ديسمبر ١٩٩٧

قهيء مراجعة نقءية لأءب الصءوة الإءلامية

- المبعء الأول : مءءل لءراسة الظاهرة .
- المبعء الثاني : المء الإءلامى والعمل السياسى .
- المبعء الثالث : الإءلاميون وفلسطين .

حينما يضطلع الباحث بمهمة دراسة «حركة المقاومة الإسلامية» على أرض فلسطين - تلك الحركة التي تنخرط بقوة في النضال السياسى والعسكرى - فإنه يجد ضرورة أساسية لدراسة ظاهرة المد الإسلامى المعاصرة ، ومراجعة الأدبيات التي تناولت هذه الظاهرة ، بالإضافة إلى التعرف على موقف الإسلاميين من القضايا الفكرية والسياسية الراهنة . ويفيد فى موضوع بحثنا محاولة تعريف هذه الظاهرة والتعرف على الأسباب التي أدت إلى انبثاقها بهذه القوة والتساعد والانتشار .

وحتى تكتمل الصورة يحسن بنا دراسة وجهة النظر الإسلامية فى قضايا مهمة أثرت ولا تزال على الواقعين الفكرى والسياسى فى منطقتنا العربية ، وعلى الأخص قضايا الحداثة والعلمانية والديمقراطية . ولا شك أن النظر فى أقوال خصوم الصحو الإسلامية أو المتحفظين عليها ، وفحص هذه الأقوال يساعد فى إثراء هذه المراجعة النقدية كمدخل ضرورى للدراسة ، وكذلك فإن متابعة موقف السلطات الحاكمة من هذه الظاهرة وطريقة تعاملها معها تخدم هذا المدخل .

ويهمنا هنا التعرف على موقف «الإخوان المسلمين» من القضايا موضوع البحث ، وذلك لاعتبارين مهمين : الأول أن جماعة الإخوان المسلمين هى أقدم الحركات الإسلامية المعاصرة وأكبرها وأكثرها انتشاراً ، والاعتبار الثانى أن حركة «حماس» تنتمى إلى حركة الإخوان المسلمين ، ولذلك فإن التعرف على موقف الإخوان من العمل السياسى ورؤيتهم لمعنى الوطنية ، والدولة والجهاد ، يفيد كثيراً فى موضوع البحث . ويكاد يجمع الباحثون المختصون فى شئون محور نواكشوط - جاكركتا ، أن كل حديث عن المستقبل السياسى والاجتماعى لهذه الرقعة الجغرافية السياسية يخلو من الأخذ بالاعتبار دور الحركات الإسلامية ، هو حديث غير علمى ولا يعتمد^(١)

(١) صلاح الدين الجورشى ، «الحركة الإسلامية مستقبلها ومن التغيرات الجوهرية» فى (الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية) ، تحرير عبد الله النفيسى : مكتبة مدبولى ، ١٩٨٩ م . ص ١١٩ .

المبحث الأول مدخل لدراسة الظاهرة

موضوعية البحث :

لقد حظيت «الصحة الإسلامية المعاصرة» باهتمام بالغ لدى مختلف الأوساط الإعلامية والسياسية والأكاديمية في منطقتنا وفي العالم أجمع ، وخصوصاً في الولايات المتحدة وأوروبا وقد ساهمت الأحداث الكبرى في كل من إيران وأفغانستان في توجيه النظر إلى هذه الظاهرة ، بالإضافة إلى الصراع المرير الذي وقع بين السلطة والإخوان في سوريا ، ولجّاح الحركة الإسلامية في السودان ، وملاحقتها وضربها في تونس ، ومكاسبها البرلمانية في الأردن ، وذلك الصراع الدموي المحتدم على أرض مصر وأرض الجزائر ، ومشاركة الحركة الإسلامية في السلطة في اليمن ، ودورها الكبير في الانتفاضة الفلسطينية ، وبروز حركة «حماس» كعامل مهم ومؤثر في أحداث القضية الفلسطينية ، بالإضافة إلى ما يموج هنا وهناك تحت السطح أو فوقه من عمل إسلامي في دول الخليج والجزيرة ، وجنوب شرقي آسيا ، ومساحات أخرى في القارة الأفريقية ، ناهيك عن النشاط البارز للجاليات الإسلامية ومؤسساتها في قارتي أوروبا وأمريكا .

اتسم تناول الإعلام للظاهرة الإسلامية بالسرعة والإثارة والسطحية وبدأت الآلة الإعلامية الضخمة التي تملكها السلطات والنخب السياسية في منطقتنا تشن حملة شعواء على هذه الظاهرة في لهجة عدائية تفتقر إلى المنطق والموضوعية . أما تلك الأدبيات التي أنتجها الإسلاميون ، فإنها اتسمت بالعاطفية والإنشائية .

وكانت أكثر الكتب والدراسات في المنطقة العربية تشبه إلى حد بعيد المنشورات الحزبية المتعصبة ، والتي تعاملت مع المد الإسلامي وكأنه لا يمتلك إيجابية واحدة^(١) ، وهناك الدراسات الأكاديمية القليلة والتي أعطت الحركة الإسلامية بعضاً مما لها^(٢) ، أما من جانب

(١) كمال انظر: فؤاد زكريا، (الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة)، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٦م. وعبدالقادر ياسين، (حماس - حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين)، القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٠م.

(٢) كمال انظر: زياد أبو عمرو، (أصول الحركات السياسية في قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٧)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٧، (والحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩، وعلى الجرباوي، (الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة - بحث في النخبة السياسية) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.

الحركة الإسلامية فإن الدراسات القليلة التي ظهرت من رموزها أو المؤيدين لها قد كانت في معظمها تحمل نفس الميكروب من الدعاية ، وعدم الاكتراث بالمراجعة أو النقد الذاتي ، اللهم إذا استثنينا كتابات الشيخ راشد الغنوشي .

وتبرز هذه الملاحظة بجللاء في الساحة الفلسطينية حيث أخرجت المطابع بعض الكتب المتسرعة والتي في غمرة حماسها ودفاعها الذاتي تجاهلت دور الأطراف الأخرى وحتى الإسلامية منها ، كأنه لا يوجد في ساحة العمل أحد سوى المنظمة التي يدافع عنها الكتاب ، ففي الكتب والنشرات التي صدرت عن حركة حماس أو مؤيديها لا تجد ذكراً للدور المؤكد الذي لعبته المنظمات الوطنية ، ويزداد الاستغراب عند ملاحظة إهمال هذه الكتب والنشرات لدور «حركة الجهاد الإسلامي» ، ولعملياتها المهمة في الفترة التي سبقت الانتفاضة .

كما أن المتابع لكتابات ملتزمي جماعات الجهاد الإسلامي في فلسطين ، يظن أن حركة «حماس» لا وجود لها ولا أثر ، مع أنها شقت طريقها ، واحتلت مكانها المهم في الخريطة السياسية للمنطقة ، شهد بذلك العالم كله . أما كتابات العلمانيين الفلسطينيين والعرب ، ودوريات وأدبيات (م . ت . ف .) فقد تجاهلت تماماً وجود الحركة الإسلامية وفعاليتها وتضحياتها ، إلى أن فرضت الحركة الإسلامية نفسها .

وظهرت في الغرب دراسات وأبحاث ومتابعات صحفية أو تليفزيونية تناولت الظاهرة الإسلامية عموماً ، أو اقتصت بتجربة معينة في بلد ما . إلا أنها تميزت في غالبها بنظرتها إلى الظاهرة بالمنظار الغربي ، محاولة أن تقيس هذه الظاهرة بمعايير مستمدة من الفكر الغربي نفسه ، «فظاهرة الحركة الإسلامية كعنصر هام في سياسات الشرق الأوسط كانت تعالج دوماً في الغرب بإحدى طريقتين : أولهما طريقة عاطفية تتسم بالإثارة ، وثانيهما طريقة أكاديمية تعالج المشاكل في سياق نظريات التحديث» .^(١)

ولما كان البحث في الأساس يتناول حركة الإخوان المسلمين ، بتجربتها الطويلة وانتشارها في معظم الساحات العربية وكثرة مناصريها وأعدائها ، ويركز على حركة «حماس» الإخوانية النشأة والفكر والقيادة في أكثر الساحات حساسية وخطراً ، حيث مواجهة الدولة اليهودية ، فإن الكتابة هنا ، لن تخلو من التحيز مع الحركة وتمجيدها أو ضدها وتشويه دورها . فهل يمكن للباحث أن يكون موضوعياً ؟ أقول نعم من حيث إن الموضوعية تعني إعطاء كل

(١) أمين حسن عمر ، (الصراع بين العلمانية والإسلام في الشرق الأوسط) ، ترجمة أسامة حسن عمر ، أم درمان : بيت المعرفة ١٩٩٠ ، ص ١٥٢ .

ذى حق حقه ، إقراراً بالإيجابيات والإنجازات والاعتراف بالسلبيات والأخطاء ، وذلك باعتماد الأسلوب العلمى فى الرجوع إلى المصادر وتحليل المعلومات . وينطلق الباحث من مبادئ أساسية ، من منطلق شمول الإسلام لكل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والجهادية ، فهو بإطاره الحضارى الواسع الذى يشمل غير المسلمين فى المنطقة يكون قادراً على مواجهة الهجمة الغربية والصهيونية كما كان قادراً على ذلك فى مختلف الأدوار التاريخية .

وعلى ذلك تكون حركة المقاومة الإسلامية «حماس» - كفكرة وغايات - محاولة للتعبير عن آمال الأمة الإسلامية فى معركتها المصيرية الشاملة مع الغرب وعدوانه الثقافى والاقتصادى ، عندما تواجه أهم قاعدة له فى المنطقة «إسرائيل» . أما خلاف ذلك وبعده ، فإن كل شىء قابل للدراسة والأخذ والرد والنقد واحتمال الصواب والخطأ والتجاوزات ، فطريقة تنزيل الفكرة الإسلامية فى عالم السياسة والقتال والعلاقات مع الأطراف الأخرى قابل للدراسة الموضوعية المتأنية ، فحركة «حماس» - كأسلوب عمل وهياكل تنظيمية وقيادات وبرامج وسياسات وأعمال ومواقف - قابلة للنقد ومعرضة للخطأ ، والأمة كلها باباحثيها ومفكريها مطالبة بمراقبة ذلك والمشاركة فى نقد التجربة وتقويمها وتصويبها والتأثير عليها .

دراسة المصطلح :

يقع هذا البحث تحت عنوان كبير شغل الصحافة ومراكز البحث ، وجاء تحت مصطلحات متعددة ، لعل أبرزها : الأصولية ، الصحوة الإسلامية ، المد الإسلامى ، الإحياء الإسلامى ، الانبعاث الإسلامى ، التجديد الإسلامى ، وحتى التطرف الإسلامى ، ولعل أكثر هذه المصطلحات شيوعاً : الأصولية والصحوة ، و«الأصولية» وغالباً ما يستخدمها المعادون لهذه الظاهرة سواء كانوا فى الغرب أو فى الوطن الإسلامى ، وقد كررها البعض دون إدراك لما تحمله من ظلال التشكيك والرفض والازدراء ، ويعطينا الفكر الفرنسى «روجيه جارودى» المكونات الأساسية للأصولية كما استخلصها من قاموس «لاروس» ومعجم «روبير» الكبير والموسوعة العالمية ، وتتلخص فى ثلاثة مكونات هى :

١ - الجمود ، أى «رفض التكيف» جمود معارض لكل نمو أو تطور .

٢ - العودة إلى الماضى .

٣ - عدم التسامح ، الانغلاق ، التحجر المذهبي ، التصلب والكفاح والعناد^(١).

وهكذا فإن الإعلام الغربي عند استخدامه لمصطلح «الأصولية الإسلامية» فإنه يكون قد حدد موقفه من الصحوة الإسلامية ، كما قام بتوجيه الرأي العام الغربي لمعاداة هذه الظاهرة والتوجس منها.

وقد قامت وسائل الإعلام في منطقتنا بنقل هذا المصطلح الغريب عن تراث المنطقة بإدراك من البعض أو بدون إدراك من البعض الآخر. أما الكتاب العلمانيون العرب ، فقد استخدموا هذا المصطلح مدركين لمغازيه مجردين من الصفة الإسلامية ، لما لكلمة الإسلام من مفعول وأثر طيب في نفوس الجماهير فقد كرروا دائماً لفظة الدينية بدلاً من الإسلامية ، فهم يقولون «الدولة الدينية» ، في استثارة الرفض مثل كلمات «المتطرفة» و«الظلامية» وغيرها.

أما المصطلح الثاني «الصحوة الإسلامية» فقد استخدم غالباً من المؤيدين للظاهرة ، فقد كتب تحت هذا العنوان وعلى سبيل المثال د. يوسف القرضاوي ، وهو واحد من أبرز رموز هذه الصحوة المعاصرة^(٢). وقد انتشر المصطلح حتى أصبح اسماً للعديد من الشركات الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية ودور النشر وغير ذلك. ويعزز هذا الرأي أحد الكتاب العلمانيين حينما يقول : «الصحوة الإسلامية مصطلح حديث أطلقته الجماعات الدينية على ما تقوم به من عمل في سبيل تحقيق الدولة الإسلامية»^(٣) ، واعتبر الكاتب أن في هذا المصطلح تعمية وتغطية ، وأن المصطلح المعبر عن الحالة هو «الثورة الإسلامية»^(٤) ، في محاولة منه لتأليب الحكومات والاتجاهات السياسية الأخرى على هذه الظاهرة .

ومع ذلك فإن بعض رموز التيار الإسلامي عبروا عن عدم ارتياحهم لهذا المصطلح ، فالشيخ محمد الغزالي يقول : «إن كلمة الصحوة الإسلامية جديدة على مسامعنا نحن المشتغلين بالعمل الإسلامي من عشرات السنين»^(٥) ، ومن الكتاب من رأى في هذا المصطلح دسياسة أجنبية واردة من خارج المجال الثقافي الإسلامي ، وأنها أطلقت للتقليل من شأن هذا التحول الجذري في عمق المجتمع العربي^(٦).

(١) روجيه جارودي ، (الأصوليات المعاصرة : أسبابها ومظاهرها) ، تعريب د. خليل أحمد خليل ، باريس : دار عام ألفين ، ١٩٩٢ ، ص ١٣ .

(٢) يوسف القرضاوي (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) ، الدوحة : كتاب الأمة ، بدون تاريخ .
(٣) محمد أحمد خلف الله ، (الصحوة الإسلامية في مصر) في الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٧ ، ص ٣٣ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) محمد الغزالي ، (تعقيب) في المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٦) مصطفى الفيلالي ، (الصحوة الدينية الإسلامية : خصائصها - أطوارها - مستقبلها) في المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

أما المصطلح الثالث والذي وضعه أحد الكتاب الإسلاميين عنواناً لأحد كتبه فهو : «المد الإسلامي»^(١)، ويرى الباحث أن هذا المصطلح هو أقرب المصطلحات لوصف الظاهرة ، حيث تقلب تاريخ العمل الإسلامي بين مد وجزر ، وقوة وضعف ، وانتشار وانحسار ، كما أن هذا المصطلح يحمل معنى الحديث النبوي الشريف : «يبعث الله لهذه الأمة كل مائة عام من يجدد لها دينها»^(٢)

على أية حال ، فقد يرد أى مصطلح من تلك المصطلحات منسوباً لقائله ليدل على ذات الظاهرة ، مع أن الباحث سيركز على استخدام مصطلح «المد الإسلامي» ، كما سيستخدم مصطلح «الحركة الإسلامية» حيث تدل في كثير من المواضع على توصيف ما نذهب إليه .

تعريف الظاهرة :

تعددت وتنوعت محاولات تعريف ظاهرة المد الإسلامي ، فهي عند البعض تعبير عن الأصالة والتعرف على الهوية مقابل الواقع الإسلامي المتفسخ إزاء الهجمة الثقافية الغربية التي تهدد شخصية الأمة وهويتها ، فهي «تعبير عن أصالة ثقافية» ، والتي هي ظاهرة إثبات الذات^(٣) ، ويرى البعض أنها «حركة أصولية تعتصم بالكتاب والسنة .. تجديدية تقدر الفجوة الهائلة التي وقعت نتيجة الخمول المتطاوّل»^(٤) .

وهناك من يرى أنها «جزء من ظاهرة عالمية نعيشها .. فقد حملت الثورة الصناعية بالإضافة إلى بذور الثقة المطلقة بالعقل ، بذور قلق لا حدود له أصاب العقول والنفوس ، لذلك بدأت تلوح في الأفق بشائر حنين جديد إلى السكينة الضائعة»^(٥) ، ويتفق مع هذا الرأي باحث أمريكي متخصص في شئون الشرق الأوسط ، حينما يذهب إلى أن «ظاهرة الإحياء الإسلامي هي جزء من عملية إحياء ديني عالمية منتشرة على نطاق المعمورة»^(٦) .

(١) أنور الجندى ، (المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر) ، القاهرة : دار الاعتصام ، دون تاريخ .

(٢) رواه أبو داود في سننه .

(٣) Haddad, (Contemporary Islam and The Challenge of History) New York : State University Press, 1982, p.20.

(٤) عبد الله النفيسى ، «مستقبل الصحوة الإسلامية» في (الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي) ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ .

(٥) أحمد كمال أبو المجد ، (حوار لا مواجهة - دراسة حول الإسلام والعصر) ، الكويت : كتاب العربي ، العدد السابع ، ١٩٨٥ ص ١٨٣ .

(٦) لويس كانتورى ، (المحافظة والتقدم في مصر : الإحياء الإسلامي) ، مجلة (قراءات سياسية) (فلوريدا - أمريكا) السنة الثالثة ، العدد الثاني ، ربيع ١٩٩٣ ، ص ٨ .

ويذهب أحد الكتاب الإسلاميين إلى أنها «تجديد وامتداد لسلفية أصولية انبلجت في القرن الماضي ، وتقوم على الربط بين الإصلاح الديني والإصلاح السياسي ، فهي سلفية جديدة ذات مضمون وطني ليبرالي ، امتزجت فيها الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية»^(١) ، ويذهب بعض الكتاب إلى اعتبارها «ظاهرة إسلام مناضل»^(٢) ترتفع إلى مرتبة «الثورة الإسلامية»^(٣) ، وظاهرة الصحوة الإسلامية «تملك نصيبها من المبادرة في حاضر المجتمع العربي ، بل تقفز إلى المرتبة الأولى في صنع التاريخ ، وتحتل الصدارة من بين العوامل الكبرى ، كما حدث في مصر عند مقتل السادات»^(٤) .

أما الكتاب العلمانيون فإن المد الإسلامي عند بعضهم «مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعي لدى الجماهير» كما أنه «تعبير عن الهزيمة الكاملة في المنطقة»^(٥) ، وهو عند البعض الآخر «حركة تاريخية نكوصية ، تنشأ في إطار عقيدة معينة ، وترمى إلى تحقيق المشروع الاجتماعي لهذه العقيدة ، بالعودة إلى أصولها حلاً لأزمة معينة»^(٦) .

عموماً وبعد استعراضنا مختلف التعريفات التي وضعها مؤيدون أو معادون أو محايدون ، يحاول الباحث أن يضع تعريفاً للظاهرة باعتبار أنها حركة شمول واقعية تحاول أن تؤمن أهداف الدين في مجال العلم والاقتصاد والسلوك والاجتماع والسياسة ، وهي حركة سلفية من حيث الاستناد إلى الأصول ، وتجديدية في محاولتها لتطبيق الإسلام في واقع عصرنا المتجدد ، وهي حركة نضالية تهدف إلى إقامة الدين في كل نواحي الحياة .

مفاهيم «العلمانية» و«الحداثة» :

يواجه الباحث في ظاهرة الصحوة الإسلامية في المنطقة العربية عدداً من المصطلحات والمفاهيم الأساسية ويجد أن من أهم هذه المصطلحات «العلمانية» و«الحداثة» ولعل النظر في هذه المفاهيم من خلال وجهتي النظر المتعارضتين يساعد في الاقتراب من تجلية هذه المفاهيم وتوضيحها .

(١) مصطفى الفيلالي ، مرجع سابق ، ص ٣٣٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) محمد أحمد خلف الله ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٤) مصطفى الفيلالي ، مرجع سابق ، ص ٣٨٠ .

(٥) فؤاد زكريا ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

(٦) ناصيف نصار ، «إشارات تهديدية في نقد الأصولية» في مجلة (معلومات) : ملف مستقبل الأصولية في

العالم العربي ، بيروت : المركز العربي للمعلومات ، عدد ٣ ، مايو / آيار ١٩٩٣ م ، ص ١٨

(أ) الكتاب العلمانيون :

لقد توافرت عدة عوامل لبروز هذه المفاهيم في منطقتنا ، وظهور دعائها الذين يطالبون بتبني «العلمانية» و«التحديث» ، ومن أهم هذه العوامل وقوع العالم العربي تحت السيطرة الأوربية ، وتعمق شعور النخبة المثقفة باتساع الهوة بين بلادنا في تخلفها ، وبين أوربا في نهضتها ومدنيتها ، وكان للغزو الثقافي الأجنبي أثره على الكثيرين ، حيث سادت المناهج الغربية في الفلسفة والعلوم الاجتماعية والنقد الأدبي .

وهكذا برزت في بلادنا العربية الدعوات المتحمسة للتغريب والمطالبة بمواكبة العصر ، والدعوة للحدثة ، وفصل الدين عن الدولة ، وقد لخص تلك المفاهيم الدكتور طه حسين عندما قال : «لنتعلم كما يتعلم الأوربي ، ولنشعر كما يشعر الأوربي ، ثم لنعمل كما يعمل الأوربي ونعرف الحياة كما يعرفها»^(١).

وكانت صدمة النكبة وقيام إسرائيل وهزيمة الليبرالية العربية التي كانت سائدة في ذلك الوقت لتنعش بعدها الدعوات القومية واليسارية والماركسية ، وكانت هزيمة ١٩٦٧ هزيمة أخرى ولكنها هذه المرة للدعوات التقدمية والاشتراكية ، فخرجت أصوات معبرة عن اكتمال الهزيمة أمام النموذج الغربي ، يقول ميخائيل نعيمة : «إن على العرب إن أرادوا استعادة الحقوق وصيانة الأوطان أن يتعبدوا للعلم والمال ، لعل العلم والمال لا يخذلناهم حيث خذلهم ربهم»^(٢)، ويقرر كاتب ماركسي أن الهزيمة جاءت نتيجة للتقليدية التي تنتمي إلى أطوار البداوة والزراعة والمتعلقة بالغيبيات^(٣)، وينسى هؤلاء أن الأنظمة التقدمية هي التي حاربت في عام ١٩٦٧ ، كما ترتفع الأصوات مطالبة بفصل الدين عن الدولة (وكان الواقع خلاف ذلك) ومجaraة العصر الذي نعيش فيه ، نجاريه في نظم العيش والفكر وتكلم لغته .. وهذا لن يتحقق إلا بفصل الدولة عن التنظيم الديني فصلاً مطلقاً^(٤).

ولعلنا نكتفي أخيراً بأن نورد نصاً لكاتب علماني كبير هو أشبه بالاعتراف ، يقول د. زكي نجيب محمود : «كاتب هذه الصفحات واحد من ألوف المثقفين العرب ، الذين فتحت عيونهم على فكر أوربي - قديم أو جديد - حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه ، لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه ، ولبثت هذه الحال

(١) طه حسين ، (مستقبل الثقافة في مصر) ، القاهرة : مطبعة المعارف ، ١٨٣ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) ميخائيل نعيمة ، (مجلة الآداب) (بيروت) ١ / ٧ / ١٩٦٧ م ، ص ٢٢ .

(٣) صادق جلال العظم ، (النقد الذاتي بعد الهزيمة) ، بيروت : دار الطليعة ، بدون تاريخ ، ص ١١٢ .

(٤) قسطنطين زريق ، (معنى النكبة مجدداً) ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٨ ، ص ٢٢ .

مع كاتب هذه الصفحات أعواماً بعد أعوام : الفكر الأوربي دراسته وهو طالب ، والفكر الأوربي تدريسه وهو أستاذ .. وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئه إلا أصداء مفككة متناثرة ، كالأشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على أسطرالكاتبين»^(١).

(ب) الكتاب الإسلاميون :

أوضح الكتاب الإسلاميون أن الإسلام لا يمانع في الاستفادة من تجارب الشعوب والثقافات الأخرى ، بل إن هذا سمة الحضارة الإسلامية في معظم أطوارها ، تؤثر وتتأثر ، والإسلام لا يتناقض مع ما تبدعه الشعوب في تطورها ، لكنه يشترط أن يستوعبها في إطاره ، «فلا يمكن لرسالة ما في عصرنا أن تكون أكثر معاصرة لحاضرنا من الإسلام» ، هذا ما يقرره الفيلسوف الفرنسي المسلم «روجيه جارودي»^(٢) ، وهذا ما يذهب إليه أيضاً المفكر رشدي فكار^(٣).

أما المفكر الإسلامي راشد الغنوشي في دراسته الفذة عن الحداثة ، فيرفض أن تكون للمسلمين مشكلة مع الحداثة ، ولا حتى مع العلمانية بمفهومها الغربي ، ويؤكد «أن اللغة توقعنا في أخطاء شنيعة ، عندما نقول إن هناك صراعاً في العالم الإسلامي بين الحداثة والأصولية ، أو بين الديمقراطية والأصولية ، أو بين العلمانية والإسلام ، فالعالم الإسلامي ليس فيه علمانية بالمفهوم الغربي ، ولا حداثة بالمعنى الغربي ، لأن الحداثة والعلمانية في الغرب ، والديمقراطية في الغرب ، حررت العقل وحررت الشعب ، وأعطت السلطة للعقل والشعب ، بينما العلمانية المدعاة أو الحداثة .. كانت تسلطاً على إرادة الشعب وابتزاز الأرزاق والإثراء الحرام ، ومنع حرية الصحافة وتزييف الانتخابات»^(٤).

ويجمل الغنوشي الخلاف بيننا وبين النخبة المتغربة والغرب في «أننا نريد أن ندخل الحداثة بما هي حرية مطلقة للعقل ، ونريد أن ندخل الحداثة بما هي علم وصناعة ، وبما هي ديمقراطية وسيادة للشعب ، ولكن نريد أن ندخلها من بابنا الخاص ، وليس من باب فرنسا وليس من باب أمريكا»^(٥).

(١) زكي نجيب محمود ، (تجديد الفكر العربي) ، بيروت : دار الشروق ، ط ٧ ، ١٩٨٢ ، ص ٥ .

(٢) الإسلام والمستقبل ، الكويت : إصدار اللجنة التحضيرية العليا لمؤتمر القمة الإسلامية الخامس ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٧ .

(٣) رشدي فكار ، في المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٤) راشد الغنوشي ، «أية حداثة ؟ ليس مشكلنا مع الحداثة» ، (قراءات سياسية) ، (فلوريدا) ، السنة الثانية ،

العدد الرابع ، خريف ١٩٩٢ ، ص ص ١٢٨-١٢٩ .

(٥) المرجع السابق .

المبحث الثاني المد الإسلامي والعمل السياسي

الأسباب العامة للمد الإسلامي :

وهي تلك العوامل العامة والمشاركة التي أثرت في جميع البلدان الإسلامية ، ومنها فلسطين ، ولقد تضافرت هذه العوامل لتساهم في تعزيز المد الإسلامي ، وهي وإن تنوعت في درجة تأثيرها إلا أنها مجتمعة قامت بدورها في التهيئة والتحضير والإسناد للمد الإسلامي العام .

(أ) فشل المشروع العلماني :

إن محاولات التغريب الفكرية والثقافية ، بالإضافة إلى محاولات فرض الأيديولوجيات المستوردة ، وما خلفته من أزمات فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية تثقل كاهل إنسان عالمنا العربي والإسلامي ، كانت سبباً جوهرياً للبحث عن الذات والهوية والتمسك بالإسلام ، فقد جُربت كل الأيديولوجيات في أكثر من نصف قرن ، وانتهت بالفشل التام ، «فالصحوة العارمة هي بمثابة رد فعل للأزمة . الصحوة مقياس لفشل المذاهب العلمانية المتعددة ، التي حاول دعاة التحديث فرضها»^(١) ، لقد أخذت كل التيارات القومية واليسارية والليبرالية والمحافظات فرصتها كاملة ، ولعل هزيمة عام ١٩٦٧ ، كانت الإعلان الصارخ عن هذا الفشل .

(ب) هزيمة يونيو ١٩٦٧ :

وعلى الرغم من أن الهزيمة كانت نتيجة لفشل وأزمة الأيديولوجيات القومية واليسارية ، إلا أنها لأهميتها وما فعلته في نفسية المواطن العربي ، تستحق أن تكون عاملاً منفصلاً ، لقد اصطُلح على أن الإحياء يبدأ بالصدمة المجتمعية ، التي حدثت كنتيجة لهزيمة مصر وسوريا على يد الجيش الإسرائيلي عام ١٩٦٧ . . فقد نُظر للهزيمة نظرة تقليدية على أنها كانت كارثة أرادها الله تذكراً وعقاباً للمصريين لإعراضهم عن واجباتهم الدينية^(٢) ، لقد ولدت

(١) أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٢) لويس كانتوري ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

الهزيمة تساؤلات عديدة في ذهن المواطن العربى ، اضطر فيها أن يراجع كل ما روج على أنه مسلمات فكرية وسياسية لعقود طويلة .

(ج) أحداث سياسية كبرى :

لقد برزت فى هذه المرحلة أحداث كبرى ساعدت وشجعت المد الإسلامى سواء ببعث الأمل والثقة بالنصر أو بالأسى والخيبة لتكون حافزاً على التصدى . ولقد كان من أهم الأحداث التى بعثت الأمل وحركت الوجدان ، انتصار الثورة الإسلامية فى إيران ، وصمود الأفغان أمام إحدى القوتين العظميين ومن ثم تحقيق الانتصار ، كما كان لانتصار الحركة الإسلامية فى السودان وصمودها فى وجه التحديات أبعد الأثر فى بث الأمل بإمكانية النجاح ، ولعل انهيار الاتحاد السوفيتى والكتلة الشيوعية كان له أعمق الأثر فى شحذ الوجدان الإسلامى وبث الثقة فى نفوس العاملين للإسلام .

ومن جهة أخرى فإن اتفاقية « كامب ديفيد » وما مثلته من مرارة وخذلان ، ومن بعدها مؤتمر مدريد ، واتفاقيات الصلح مع إسرائيل ، وتلك المجازر التى راح ضحيتها الآلاف من مسلمى البوسنة ، سيكون لها الأثر الفعال فى تزايد الاقتناع لدى قطاع كبير من الشباب بأنه ليس أمام هذه الأمة سوى التمسك بالإسلام .

(د) المعاناة والجهد الذى بذلته الحركة الإسلامية :

لقد كان لمسيرة الحركة الإسلامية وتمسكها بالرأية رغم كل الملاحقات والسجون والتعذيب ، أثر مهم فى بروز الصحوة الإسلامية التى بشر بها كتاب الحركة الإسلامية وقادتها ودفع بعضهم حياتهم ثمناً لذلك ، ويقول المرشد الروحى لجماعة « حزب الله » : « إننى أعتقد بأن الحركة الإسلامية عندما تواجه هذا الصراع فإنها تكتسب قوة أكثر لأنها تتجذر فى وعي الشعب أكثر عندما يعيش الشعب آلامها وجراحها ومشاكلها فيما يعيشه من آلام وجراح»^(١) ويضيف : « إننى أتصور أن الإسلاميين فى معاناتهم التى يعيشونها يستطيعون أن يجدوا الكثير من مواقع القوة»^(٢)

(هـ) الضائقة الاقتصادية وفشل التنمية :

يكاد يجمع خصوم المد الإسلامى على اختلاف توجهاتهم على أن الضائقة الاقتصادية

(١) محمد حسين فضل الله ، «مقابلة صحفية» فى (مجلة معلومات) ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨ .

ومشاكل التنمية هي الدافع الأساسي للمد الإسلامي ، ويقول أحدهم : «إن القوة الحقيقية للحركات الإسلامية قد نتجت عن فشل الدولة في تحقيق وعودها في مجالات التعليم والتمدن»^(١) وعليه فقد شاع لدى خصوم المد الإسلامي والمخططين لمواجهة أن حل المشكلة الاقتصادية ، وإيجاد فرص العمل في المنطقتين العربية والإسلامية ، هو الكفيل بمحاصرة المد الإسلامي وإضعافه ، وهم كثيراً ما يقررون أن شباب الحركة الإسلامية هم في معظمهم من الطبقات الكادحة ، ومن النازحين من الريف إلى المدينة ، يقول أحد الكتاب : «الم يعثر على حل للمشاكل الداخلية (ولاسيما الاجتماعية والاقتصادية) في كثير من الدول الإسلامية فستظل الاتجاهات الإسلامية ، حتى المتطرفة منها تحظى بتقبل عميق وواسع النطاق لدى جماهير هذه الدول» .. ويسوق الكاتب الأجنبي نفسه عبارة لمستول جزائري خلال أزمة ١٩٩١م في بلاده وهي «إن الطريقة الأفضل التي تستطيع أوروبا من خلالها التغلب على «الجهة الإسلامية للإنقاذ» في الجزائر حسب رأيه ، هي طرح خطة لإيجاد فرص عمل للملايين من الشباب العاطلين»^(٢) ويرى الباحث ضعف الآراء لأسباب مختلفة ، فالكثير من هؤلاء الكتاب كان يرى أن الفقر ، وتعاطم الهوة بين الطبقات المسحوقة والطبقة الغنية هو الحاضن الأساسي لنمو التيارات اليسارية والتقدمية ، يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الكتاب سيرهقون أنفسهم في تفسير ظاهرة المد الإسلامي في الدول الغنية كدول الخليج العربي وماليزيا وكذلك في صفوف الجاليات الإسلامية في دول الغرب .

إلا أن الباحث يوافق على أن الضائقة الاقتصادية وسوء توزيع الثروة يعتبر أحد العوامل في نمو المد الإسلامي من حيث هي عرض لا مرض ، بمعنى أن المشكلة الاقتصادية ليست في حد ذاتها سبباً إلا بقدر ما تكشفه من أدلة تؤكد العامل الأساسي وهو فشل الأيديولوجيات والنظم الحاكمة ببرامجها وسياساتها البعيدة عن منهج الإسلام .

(و) تعاظم القوة الاقتصادية في الدول النفطية :

يعزو بعض الباحثين انتشار المد الإسلامي في منطقتنا العربية وخاصة في كل من مصر وفلسطين إلى الازدياد الهائل في مدخولات الدول النفطية ، وخاصة السعودية ودول الخليج

(١) Nazih Ayubi, (Political Islam: Religion and Politics in the Arab World) London: Routledge, 1991. p.162.

(٢) فرد هاليداي ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. حيث يزعم البعض أن الدول النفطية قامت بمساعدة الحركات الإسلامية ومدّها بالأموال ، ويقرر أحد الكتاب أن «الثروة النفطية» أسهمت فى ازدياد نفوذ الدول النفطية وخاصة دول الخليج والسعودية ذات التوجه الإسلامى ، فى مواجهة الدول العربية الأخرى ، وبالتالى طرأ التحسن على وضع الحركات الإسلامية فى المنطقة العربية التى تمتعت بدعم وحماية الدول النفطية أو جهات إسلامية فى هذه الدول.^(١)

ولسنا بحاجة إلى جهد كبير فى إبراز ضعف وتهالك هذه المقولة ، خاصة إذا ما عرفنا أنه فى تلك الفترة ، لم تعد هناك الدولة القومية التقدمية ، حتى تواجهها الدول النفطية ، بل ظهرت دولة الانفتاح الاقتصادى ، والعلاقات الحميمة مع الغرب ، وتسارعت عملية الاتفاقيات السلمية مع «إسرائيل» ، بل إن معظم مساعدات الدول النفطية ذهبت إلى الأنظمة التى كانت توصف بالتقدمية ، ثم كيف يقحم الكاتب «التوجه الإسلامى للدول النفطية» وهو إن كان فى حدود وصور معينة ، إلا أنه يختلف جذرياً عن توجهات الحركة الإسلامية والمد الإسلامى العام ، ولعل الكاتب وفى نهاية فقرته وتمشياً مع الصفة الأكاديمية للبحث يورد عبارة لا نختلف معه فيها ، فإن جهات إسلامية فى هذه الدول وشخصيات إسلامية مضافاً إليها الجمهور الإسلامى الذى ازداد غنى ، ساهم فعلاً فى دعم العمل الإسلامى الدعوى والخيرى وليس السياسى مما أتاح أرضية طيبة لتصاعد المد الإسلامى .

الأسباب الخاصة بالمد الإسلامى فى فلسطين :

(أ) طبيعة الصراع فى فلسطين :

على الرغم من كثرة ما قيل عن تأسيس إسرائيل لتكون مخلب قط للاستعمار وقاعدة متقدمة للغرب الإمبريالى ، تحول دون التقدم والقوة للأمة العربية وتفسح المجال لاستغلال الثروات العربية والإسلامية ، فإن المواطن الفلسطينى والعربى والمسلم يرى فى هذه الدولة المصطنعة اعتداءً أساسياً على دينه وتاريخه وهويته ، فقد تسمت هذه الدولة بإسرائيل ذات الدلالة اليهودية وجعلت علمها نجمة داود ، وكان مبرر وجودها الأساسى مقولة «شعب الله المختار» والوعد الإلهى لهم بأرض فلسطين ، وأحيت من الرميم لغة ماتت هى اللغة العبرية ،

(١) زياد أبو عمرو ، (الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة) ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

وبها ترجمت أسماء المدن والشوارع ، وزيفت التاريخ ، فالعامل الدينى هو العامل الواضح فى تأسيس الدولة وسلوكها وغايتها .

من هنا كان على العرب والمسلمين وفى مقدمتهم شعب فلسطين أن يجدوا فى الإسلام بشموله ، وبدرس التاريخ الذى يؤكد قدرة الإسلام على مواجهة الصهيونية ، كما واجه الحملة الصليبية - الحل الحاسم لمشاكلهم ، وكلما وهنت وضعفت التأثيرات الأخرى التى جاءت بها العلمانية والتيارات الأيديولوجية الأخرى كلما برز الإسلام كأيدىولوجية وحيدة وسلاح فعال فى المواجهة .

(ب) موقع فلسطين الجغرافى والروحى والسياسى :

لما كانت فلسطين تقع فى قلب العالمين العربى والإسلامى ، ولما كانت تحتل المكانة الروحية المتميزة فى قلوب المسلمين والمسيحيين العرب ، ولما كانت الهجمة الغربية الصهيونية ضد الأمة تكون فى أكثر حالاتها وضوحاً فى فلسطين ، فإن تأثير فلسطين شعباً وقضية بالعوامل الخارجية التى ساندت المد الإسلامى فى عموم الأقطار الإسلامية يسبق غيرها من البلدان من حيث السرعة والكثافة ، فمقتل السادات على أيدى الإسلاميين يشكل دعماً ومدداً للحركات الإسلامية فى كل مكان ، لكنه فى فلسطين يكون أثره أكبر من حيث إن السادات هو رمز «كامب ديفيد» والصلح مع اليهود والتخلى عن آمال الفلسطينيين . كما أن مقتل الحاخام المتطرف مائير كاهانا على يد إسلامى آخر يعطى الفلسطينيين ثقة أعمق بالإسلام والإسلاميين . وإذا كان انتصار الثورة الإسلامية فى إيران وسقوط حكم الشاه يعطى الأمل ويشحذ العزيمة لدى الإسلاميين فى كل مكان فإنه فى فلسطين يكون أعمق أثراً ، حيث أطاحت الثورة بصديق إسرائيل وأعلنت عن هدفها بتحرير القدس الشريف .

نخلص إلى القول إن العوامل التى ساعدت فى بروز المد الإسلامى فى جميع الأقطار تجدد فى فلسطين قابلية زائدة بفعل خصوصية فلسطين وطبيعة الصراع فيها .

(ج) التعصب الدينى اليهودى :

لعل التعصب الدينى فى إسرائيل هو أكثر أنواع التعصب وضوحاً وتأثيراً فى المجتمع وفى دوائر صنع القرار السياسى ، فبالإضافة إلى أن الدولة كلها نتيجة وثمره ودليل على التعصب الدينى والعنصرى ، فإن هناك جماعات متطرفة برزت إلى السطح فى هذه الفترة مثل جماعة

«غوش إيمونيم» وحركة «كاخ» و«موليدت» وغيرها ، وكلها ساعدت في ازدياد عملية الاستيطان في أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبرزت دعوات «الترانسفير» أى الترحيل الجماعى للعرب بهدف إبقاء الدولة اليهودية خالصة لليهود . وظهرت جماعة «أمناء الهيكل» الذين دعوا إلى هدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه ... ورافق ذلك صعود اليمين المتطرف إلى قمة السلطة عام ١٩٧٧ ممثلاً بالليكود بزعامه مناحيم بيغن الذى ظل فى المعارضة ثلاثين سنة ، مما ساهم فى التأثير المتبادل بين اليمين المتطرف والحركات الدينية المتعصبة وتخلل ذلك كله الاعتداءات على الأماكن المقدسة فى القدس والخليل ومحاولة إحراق المسجد الأقصى .

ولسنا فى حاجة للتدليل على ما فى ذلك كله من أسباب لدفع المواطن الفلسطينى للعودة إلى الإسلام ومناصرته والانضواء تحت حركته .

(د) وحدة الشعب ووحدة الأرض :

منذ نكبة ١٩٤٨ والشعب الفلسطينى يعانى التجزئة المفروضة عليه شعباً وأرضاً ، ولذلك كان من أهم آثار هزيمة ١٩٦٧ أن وجد الشعب الفلسطينى نفسه لأول مرة موحداً ، على أرض واحدة ، فيما يسمى بالضفة الغربية وقطاع غزة وعرب إسرائيل ، وحدث التواصل لأول مرة بين أجزاء الشعب والوطن التى كانت منقسمة إلى ثلاثة أجزاء تحت ظروف وسلطات مختلفة ، مما جعل للشعب ظروفًا فكرية وسياسية واقتصادية ونضالية واحدة ، ومما ساعد على رفع الوصاية العربية المباشرة التى مارستها السلطة العربية على مجتمع فلسطينى واحد ، وكذلك ساعد ذلك فى جعل الأسباب الداخلية الخاصة بفلسطين تعمل عملها فى المجتمع الفلسطينى الموحد تحت الاحتلال .

(هـ) انحسار قوة ونفوذ منظمة التحرير الفلسطينية :

لقد كان للعملية الصهيونية فى ضرب منظمة التحرير وقواتها فى لبنان ، ومن ثم تشتيت قوى منظمة التحرير ومؤسساتها بعيداً عن فلسطين بآلاف الأميال فى تونس وغيرها الأثر الكبير فى وجدان الشعب الفلسطينى فى كل مكان ، وخاصة أولئك المتواجدين تحت الاحتلال . فبينما ظل الفلسطينيون سنوات طويلة فى انتظار المنقذ العربى الثورى الناصرى ، يعيشون على أمل أن تحرر الجيوش الوطنية بلادهم ، ورغم أنهم أصيبوا بالخيبة فى هزيمة ١٩٦٧ ، إلا أنهم عادوا ينتظرون صورة المخلص فى حركة المقاومة الفلسطينية من الأردن

ولبنان ، وكانت عملية بيروت وهزيمة منظمة التحرير العسكرية ، وما تبعها بعد ذلك من هزائم وتنازلات سياسية ، خيبة أمل أكبر ، وكان البحث بدأ بقوة يتجه إلى القوة الكامنة في المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال ، مما كان سبباً في تزايد المد الإسلامي ، وسبباً في الانتفاضة الكبرى ، « وإن انتشار نفوذ الحركة الإسلامية تناسب عكسياً مع انتشار نفوذ حركة المقاومة الفلسطينية في الداخل والخارج .. لقد كان من أهم عوامل الانتشار تلك الإخفاقات التي منيت بها منظمة التحرير الفلسطينية »^(١).

ولعل هذا العامل الخاص يندرج تحت العنوان العام من فشل الأنظمة العربية في تقديم الحلول لمواطنيها ، وفشل العلمانية في مواجهة التحديات الأجنبية .

(و) أزمة الاتجاه الوطني (التنظيمية والسياسية) :

يعزو بعض الكتاب اليساريين نمو الاتجاهات الإسلامية في الساحة الفلسطينية إلى الأزمة التنظيمية داخل منظمة التحرير ، حيث كثر الحديث في مرحلة ما بعد بيروت عن البيروقراطية داخل مؤسسات المنظمة ، وغياب الديمقراطية والفساد المالي وغير ذلك ، تقول مجلة الفكر الديمقراطي : « إن المشاكل التنظيمية والسياسية في الداخل والخارج كانت أحد الأسباب الرئيسية في نمو التيارات الدينية غير العقلانية ، وقد بدأ نمو هذه التيارات ، بالضبط ، في اللحظة التي بدأ فيها الجهاز البيروقراطي في « م . ت . ف . » يتشكل ويكتمل إلى ما بعد منتصف الثمانينيات »^(٢) ومع أننا لا نختلف كثيراً مع هذا الرأي ، إلا أننا نضيف عاملاً أهم ، ألا وهو الأزمة الفكرية والسياسية التي عصفت بالاتجاه الوطني كله ممثلاً في (م . ت . ف .) على وجه الخصوص ، مما أدى إلى تراجع سياسات ومبادئ في الثوابت الفلسطينية الوطنية نفسها من اعتراف بقرار ٢٤٢ إلى الاعتراف بإسرائيل إلى مباحثات مدريد إلى اتفاق أوسلو والحكم الذاتي .

(ز) الإسلاميون يخدمون المجتمع :

قامت الحركة الإسلامية في فلسطين بنشاط اجتماعي واسع انعكست آثاره على أوساط كبيرة من الشعب الفلسطيني ، ففي السبعينيات والثمانينيات انتشرت المستوصفات الإسلامية والجمعيات الخيرية ولجان الزكاة ، والتي جعلت صورة الإسلاميين في أذهان الناس

(١) المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٢) زكريا محمد ، « الانتفاضة والإصلاح التنظيمي في م . ت . ف . » ، (مجلة الفكر الديمقراطي) (نيقوسيا) عدد ٥ ، شتاء ١٩٨٩ ، ص ٣٠ .

قريبة ومحبة، وأعطت المثل على القدوة الحسنة وعدم المحاباة والاستنفاع الذى شاع فى الأوساط الوطنية. انظر ما يقوله أحد الباحثين الوطنيين: «ابتدأ الكثير من الفلسطينيين، ولاسيما من عامة الشعب، يجد فى مؤسسات حماس، متنفساً للحصول على الخدمة والرعاية غير المزوجة بالفتوية والتناحر السياسى أو الاستعلاء العقائدى أو التكسب والارتزاق المستشرى فى الظاهرة «الدكاكينية» الملازمة للكثير من المؤسسات الوطنية، وباختصار أعطت حماس بمؤسساتها الخدمية مثلاً حياً على ترجمة الفكر إلى وعى وعمل ملتزم»^(١)

(ح) الدعم الخارجى :

لقد ورد هذا العامل كثيراً فى كتابات خصوم الحركة الإسلامية فى فلسطين، ويقصد به تشويه الحركة، فهم يشيرون إلى الدعم السعودى والأردنى، وقد سبقت الإشارة إلى الدول النفطية ومساعدتها للحركات الإسلامية فى مصر، كما كثر ذلك فى المقالات الصحفية، أما فى الدراسات والبحوث فقد جاءت الإشارات واضحة أحياناً فى الحديث عن «المساعدات المالية التى تلقتها الحركة من مصادر تمويل عربية محافظة، كانت تهتم بإيجاد توازنات سياسية داخل الساحة العربية والفلسطينية»^(٢). وجاءت بعض الإشارات أحياناً تحمل الصحيح إلى جانب الخطأ، وعلى سبيل المثال ما يقوله كاتب آخر عن «الدعم الذى حظيت به الحركة من شرائح اجتماعية متنفذة ومن جهات عربية، وكذلك من الحركات الإسلامية المتواجدة فى دول أخرى»^(٣).

وعند فحص مثل هذه الأقوال، نقول أن حكومة الأردن حينما تعطى الرواتب إلى موظفى الأوقاف فى الضفة الغربية لأسباب أردنية، فإنه لا يمكن تفسير ذلك على أنه دعم للحركة الإسلامية أما بالنسبة للسعودية ودول الخليج العربى فإنه وللحقيقة فإن كثيراً من المشروعات الخيرية قامت بفعل أموال أهل الخير من المسلمين الذين تبرعوا بها إلى المؤسسات، وإلى أموال كثير من المسلمين الفلسطينيين الذين يعملون فى هذه البلدان. وحينما تتهم الحركة

(١) على الجرباوى، «حماس - مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية»، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣، ص ٧٥.

(٢) إياد برغوثى، (الأسلمة والسياسة فى الأراضى المحتلة)، القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث، ١٩٩٠، ص ٤٢-٤٦.

(٣) على الجرباوى، (الانتفاضة والقيادات السياسية...)، مرجع سابق، ص ١٣.

الإسلامية بتلقى الأموال من حكومات الخليج والسعودية فإن هذا يعنى حرمة هذه الأموال ، مع أن مروجى هذه الاتهامات التى لا تستند لدليل يعرفون أن أموال منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح خاصة كانت معظمها من هذه الدول .

(ط) موقف سلطات الاحتلال :

يبرز هذا العامل كثيراً فى كتابات خصوم الحركة الإسلامية ، ويكاد يظهر فى كل بحث كتب عن الظاهرة الإسلامية فى الأرض المحتلة ، بحجة أن السلطات الصهيونية تغاضت عن النشاط الإسلامى لتضعف نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية (نفس المقالة التى رددت فى مصر عن تشجيع السادات للنشاط الإسلامى) ، وتتصاعد وتيرة الاتهام فى المقالات الصحفية والمنشورات الحزبية لتتهم حماس أنها من صناعة الموساد . انظر ما يقوله أحد الكتاب حينما يبدى التحفظ الظاهرى على هذه المقالة بنسبتها إلى الآخرين : «يعتقد البعض أن موقف سلطات الاحتلال الإسرائيلى من الحركة الإسلامية ساعد بدوره على امتداد نفوذ هذه الحركة» . لكنه يسرع فيضيف قائلاً : «ولكن الوقائع أثبتت خطأ الحسابات الإسرائيلىة بدليل الانتفاضة»^(١) ، فكأنه فى عبارته الأخيرة والتى تنصف فى ظاهرها الحركة الإسلامية يؤكد عبارته السابقة التى نسبها للآخرين ، وانظر أيضاً ما يقوله كاتب آخر ، فى معرض حديثه عن أسباب انتشار الحركة الإسلامية فى فلسطين ، «كذلك غض الطرف الإسرائيلى عن نشاطاتها (حماس) فى محاولة إسرائيلية مكشوفة لتطبيق نظرية «فرق تسد» على الفلسطينيين»^(٢) .

وإذا أردنا أن نفحص هذه الفكرة بموضوعية فإننا نستطيع أن نحورها بصورة عملية غير اتهامية وتكون مقبولة ، نستطيع أن نقول أن الحركة الإسلامية داخل فلسطين استطاعت أن تستفيد من واقع الأرض المحتلة ومن طبيعة السلوك الاحتلالى الصهيونى الذى انشغل بالمسألة الأمنية ، وركز على ملاحقة الجماعات المسلحة ، ولم يكن ينظر بعين الخطر تجاه العمل الاجتماعى والثقافى ، أو أنه على الأصح كان يؤخر ذلك ، ويضع فى سلم أولوياته محاصرة العمل العسكرى والعمل السياسى السرى .. فقد أتاحت هذه المنهجية الإسرائيلىة لكثير من المؤسسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية أن تعمل بصورة علنية حتى فى مجال السياسة .

(١) زياد أبو عمرو ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) إياد برغوثى ، ص ٤٤ .

وليس أدل على ذلك من السماح لجريدة «الفجر» بالصدور في القدس مع أنها تعبر عن وجهة نظر المنظمة وتمول منها ، وكذلك وجود وعمل مؤسسة الهلال الأحمر الفلسطيني في غزة ، وكثير من الجامعات الفلسطينية في الداخل التي تشرف عليها منظمة التحرير ، بل إعطاء تصريح رسمي لمنظمة «الشبيبة» وهو الاسم «القانوني» الذي عملت به حركة فتح في الأرض المحتلة . ألا يمكن بذلك تفسير إعطاء تصريح للمجمع الإسلامي بالعمل سنة ١٩٧٩ في المجالات التربوية والاجتماعية وغير السياسية بأنه جزء من هذا الواقع العام الذي استفادت منه الحركة الإسلامية كغيرها ، لكنها تفوقت فقط بما للمد الإسلامي من انتشار عام ، وما للعلمانية والاتجاهات غير الإسلامية من إخفاق عام .

وبنفس الطريقة يمكن الرد على موضوع الكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي ، حيث يقول أحد الباحثين : «تشير بعض المصادر إلى أن السلطات الإسرائيلية سمحت بانتشار الأدبيات الإسلامية ، من كتب ودوريات ومجلات ، على الرغم مما احتوته من مواد معادية لإسرائيل»^(١). ومع أن هذا الكلام صحيح ، إلا أنه ليس الحقيقة بكاملها ، فالكتب الوطنية والقومية واليسارية كانت تملأ المكتبات ومنذ زمن بعيد ، وزيادة على ذلك ، فإن معتقلي حركة فتح والجهة الشعبية أو الجبهة الديمقراطية أو قوات التحرير الشعبية ، كانوا يطالعون الفكر القومي والناصري والماركسي في مكتبة السجن ومنذ بداية الاحتلال^(٢).

والواقع أن الحركة الإسلامية في مرحلة الإعداد الفكري والثقافي والنفسي والروحي للمواجهة السياسية والعسكرية ، وجدت إمكانية التحرك التي أتاحتها طبيعة الاحتلال وطريقة تعامله مع الجميع ، كان هذا منهج الاحتلال الذي طبقه على الأرض المحتلة ليخدم أهدافه ، فسلطات الاحتلال كانت تدرك منذ البداية عدم قدرتها على السيطرة على شعب ساخط مكبل ، وكانت تفتح الطريق لتنفسات اقتصادية أو تعليمية أو سياسية ، وكان همها الأول ملاحقة العمل العسكري ، أو العمل السري بكل أنواعه ، وهل كان يريد خصوم الحركة الإسلامية أن ترخص سلطات الاحتلال بقيام المؤسسات أو تنظيم الندوات أو تداول الكتب العلنية لجميع الاتجاهات ، وتمنع ذلك عن الحركة الإسلامية فقط ؟

(١) عبد القادر ياسين، حماس، حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين، ص ٣٧.

(٢) من تجربة المؤلف نفسه في السجن الإسرائيلي في الفترة (١٩٦٨-١٩٧٠).

الحركة الإسلامية والعمل السياسي :

قام بعض الكتاب بإثارة الشكوك حول مقولة «الإسلام دين ودولة» رافضين أن يكون للإسلام نظامه السياسي معتبرينه ديناً يختص بالعبادات والأخلاق الفردية وأنه ما كان في يوم من الأيام ، وما يجب أن يكون أيديولوجية سياسية للأمة في نضالها وكفاحها ولا في نظامها السياسي ، كما أثارت بعد ذلك الشبهات حول حركة الإخوان المسلمين على أنها حركة تربوية ترمى إلى الإصلاح ولا شأن لها بالسياسة والكفاح ونظام الحكم ، وعلى العكس من ذلك فإننا نجد هناك أصواتاً تقول إن الحركة الإسلامية لا شأن لها بالدين وإنما هي حركة سياسية تتستر بالدين .

(أ) الإسلام والسياسة :

لقد تم إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ ، وكان لصدور كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق سنة ١٩٢٥ صدى واسع ، مما أثار ضجة في الأوساط الثقافية ، وكانت جملة الأفكار الرئيسية للكتاب أن الخلافة ليست من الدين ، ولم ترد مشروعيتها لا في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع ، وينفى المؤلف أن يكون للنبي ﷺ أى نوع من الحكم ، ويؤكد أن دوره كان دينياً فقط ، فالرسول ﷺ لم يكن حاكماً ، ولم تكن له وظائف سياسية^(١) .

ويسير من بعد ذلك أنصار العلمانية على نفس الطريق ، وإن أقر بعضهم بوجود الدولة الإسلامية في فجر الإسلام ، فإنها مرحلة تاريخية لا يجوز ولا يمكن أن تتحقق في عصرنا ، يقول أحد الكتاب : «إن النظام السياسي بعد مرحلة الخلفاء الراشدين وعلى امتداد قرون طويلة هو تراث يحسن بنا إسقاطه في جملته ، لأنه انحاز انحيازاً كاملاً إلى جانب السلطة ضد حقوق الأفراد ، وهو تراث فردي قمعي لا يقر للقانون سيادة ولا يعرف للحقوق حرمة ولا يرعى وجه الله .. فتراثنا في هذا المجال هو في جملته تراث غير مشرف»^(٢) .

ولعل الحقائق التاريخية وبحوث الكثرة الكاثرة سواء في الغرب أو في الشرق تؤكد

(١) محمد الحداد، «التراث العربي في السياسة»، (مجلة الوحدة)، السنة الخامسة، العدد ٥٢، يناير ١٩٨٩م، ص ١١٠.

(٢) يحيى الجمل، (النظام السياسي في الحوار القومي الديني)، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م. ص ٢٤١.

التجنى الواضح وعدم العلمية فيما سبق من آراء، ولعل بداية التاريخ الهجرى لدى المسلمين ترمز إلى أهمية الدولة والسياسة البالغة لدى الإسلام، يقول كاتب يهودى: «كانت هجرة محمد إلى المدينة هي نقطة البداية للتاريخ الإسلامى، بدأ التقويم الإسلامى بالهجرة لأنه من خلال تعزيز «محمد» لدوره كقائد سياسى فى المدينة، فقد حقق الإسلام ولأول مرة هدفه بإقامة دولة»^(١)، ويورد الكاتب مقالة الأب هوغى Haughey «بالنسبة للمسلم فإن مشيئة الله تتحقق من خلال النظام السياسى»، ويرى الكاتب محمد عمارة أن «موقف الإسلام من المؤسسات موقف أصيل يدل عليه اختيار النقباء الاثنى عشر فى بيعة العقبة»، ويقول: «وإنه على الرغم من بساطة المجتمع وسذاجة البيئة كان انحياز النظام السياسى الإسلامى إلى المؤسسات»^(٢).

ويورد الشيخ راشد الغنوشى عبارة الإمام الغزالى المشهورة «الدين أس والسلطان حارس، وما لا أساس له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع»^(٣)، ويؤكد أحد الكتاب الإسلاميين على أن «السياسة الشرعية جزء من شريعة الإسلام، وإقامة الحكم الصالح جزء من رسالته، وبهذه المقولة ينبغى أن ينتهى الجدل الطويل حول الإسلام والسياسة، أما ما استدل به البعض أن النبى ﷺ كان نبياً ورسولاً، ولم يكن ملكاً ولا رئيس دولة، فقد فنده العلماء، ولا تقوم له عند التحقيق العلمى قائمة»^(٤).

(ب) الإخوان والسياسة :

لم يحظ هذا الموضوع بإجماع الكتاب، فهذا يوسف العظم، المفكر والكاتب الإسلامى وأحد القيادات التاريخية للإخوان المسلمين فى الأردن يقرر: «إن هناك فريقين يهاجمان الإخوان: فريق يقول إن الإخوان لا يعنون إلا بالتربية والأخلاق ولا يعرفون شيئاً عن السياسة، وسلطات مختلفة وأحزاب تقول إن الإخوان لا يفعلون شيئاً إلا أنهم يتدخلون ويعملون فى السياسة»^(٥)، لعله يقصد بالفريق الأول حزب التحرير

(١) رونالد نيتلر، (تجارب ومحن الحاضر - نظرة الإسلام الأصولى لليهود)، ترجمة ماهر عبد الله وجلال جاد الله، لندن: مركز الدراسات المعاصرة، ١٩٩١، ص ٧.

(٢) محمد عمارة، الحوار القومى الدينى، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٣) راشد الغنوشى، (محاوِر إسلامية)، الخرطوم: بيت المعرفة، ١٩٨٩، ص ٦٥.

(٤) أحمد كمال أبو المجد، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٥) يوسف العظم، «الإخوان المسلمون» (فى ندوة اتجاهات الفكر الإسلامى المعاصر)، البحرين: مكتب التربية العربى لدول الخليج، ١٩٨٧، ص ٥١٤.

الإسلامى وبعض جماعات الجهاد ، أما الفريق الثانى فهو السلطات الحاكمة والأحزاب العلمانية والثورية .

ولعل قول الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين يكون أبلغ رد يحسم المسألة من البداية ، فهو يقول : «أستطيع أن أجهر فى صراحة بأن المسلم لا يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً بعيد النظر فى شئون أمته مهتماً بها غيوراً عليها»^(١) ، كما أن الواقع التاريخى يؤكد حسم هذه المسألة حيث شارك الإخوان المسلمون فى العمل السياسى فى مصر - قبل ثورة يوليو وبعدها - وفى سوريا والأردن والسودان وتونس وغيرها .

(جـ) الإخوان والوطنية

كانت الحركة الوطنية فى بداية هذا القرن ترتبط بالإسلام ، وكانت الشعوب العربية والإسلامية تخوض معاركها وتكافح الاستعمار تحت راية الإسلام ، وكانت الأمثلة فى حركات عبد القادر الجزائرى فى الجزائر وعبد الكريم الخطابى فى المغرب والإمام المهدي فى السودان وعز الدين القسام بعد ذلك فى فلسطين ، ولم يحدث التعارض الظاهرى إلا عندما ظهرت الحركات الوطنية الحديثة بقيادة من تأثروا بالفكر العلمانى .

ويؤكد الشيخ البنا على وطنية الإخوان المسلمين «على أساس الصورة المشرقة للعمل الوطنى من حب الوطن والحنين إليه والعمل على تحريره وعزته ووحدة أفراده ، بينما يرفض الوطنية التى تؤدى إلى تقسيم الأمة إلى طوائف متناحرة»^(٢) . ويظهر موقف الإخوان المسلمين واضحاً فى رسالة البنا (دعوتنا فى طور جديد) حينما يقول : «كيف لا نعمل لمصر ونخبر مصر؟ وكيف لا ندافع عن مصر بكل ما نستطيع ، وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل ينادى بالإسلام ويهتف بالإسلام !! إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدون فى سبيل خيره .. معتقدين أنه جزء من الوطن العربى العام ، وأننا حينما نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام»^(٣) .

(١) حسن البنا «الإسلام سياسة وحكم» جريدة (الإخوان المسلمين) ١٦ / ٤ / ١٩٤٦ .

(٢) حسن البنا ، «دعوتنا» فى (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا) ، بيروت : المؤسسة الإسلامية للطباعة ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

المبحث الثالث الإسلاميون وفلسطين

أهمية فلسطين ومكانتها :

اتفق المسلمون جميعاً وكتابهم وقادتهم على المكانة المتميزة لفلسطين في قلوب المسلمين فهي أرض الإسراء ، وفيها قبور الكثير من الأنبياء ، وبها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وعلى أرضها قامت الحروب التاريخية الضخمة دفاعاً عن الإسلام والمسلمين . فهي عند الإخوان المسلمين « وطن لكل مسلم باعتبارها من أرض الإسلام ، وباعتبارها مهد الأنبياء وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله »^(١) . وقد أدرك المسلمون أهمية فلسطين وموقعها في الصراع الدولي وخطر الاستيلاء عليها على جميع بلاد المسلمين . . « فالاستيلاء على العالم في أية استراتيجية كونية يتطلب الاستيلاء على المنطقة العربية الإسلامية وتقع فلسطين في القلب منها »^(٢) لذلك يرفض الإسلاميون الاعتراف بإسرائيل والصلح معها ، ويقول الشيخ محمد حسين فضل الله « سنظل نرفض إسرائيل وجوداً ونرفض إسرائيل أمناً ، ونرفض إسرائيل سياسة ، وسنظل نرفضها حتى لو قبلها العالم كله ، حتى لو لم يبق إلا صوتنا »^(٣) .

وهكذا فإن انهيار الاتحاد السوفيتي والنظومة الاشتراكية ، ومحاولة تفرد أمريكا في السيطرة على العالم ، وخاصة على منطقتنا ، ما يجعل فلسطين في المستقبل ساحة الصراع الرئيسية كما يراها الشيخ الغنوشي ، « فقد أصبح واضحاً لنا الآن أن الصراع الدولي يتحرك في اتجاه استقطاب أكبر حول قضية فلسطين ، حتى أن مناطق الصراع الأخرى أصبحت تبدو صغيرة جداً بالمقارنة مع منطقة الصراع الحقيقي بين المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى في القدس . . ففي هذه المنطقة ستجرى معارك مصيرية تشكل مصير العالم والعلاقات الدولية والحضارة الإنسانية »^(٤) .

(١) حسن البنا ، رسالة المؤتمر الخامس ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

(٢) منير شفيق ، (الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر) ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ط ٢ ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٧ .

(٣) محمد حسين فضل الله ، « مقابلة » مجلة (اليسار العربي) (باريس) عدد ٧١ ، أبريل ١٩٨٥ ، ص ٢٠ .

(٤) راشد الغنوشي ، محاور إسلامية ، ص ١٧٤ .

التطبيق العملي :

من هذا الفهم لدى الحركة الإسلامية ، سارع الإخوان المسلمون في تحمل مسئوليتهم تجاه القضية الفلسطينية ، ومنذ البداية من جمع التبرعات ومحاضرات وكلمات ، إلى التعريف بالخطر اليهودي ، حتى توج ذلك بإرسال كتائب المجاهدين إلى أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ من مصر وسوريا والأردن والعراق والسودان وغيرها .. وأصبح معروفاً في التاريخ المعاصر ما بذله الإخوان المسلمون من تضحيات وما قدموه من شهداء وما سطره من بطولات ، ثم استمرت مجموعات من الإخوان المسلمين في قطاع غزة بعد النكبة وإلى منتصف الخمسينيات تدخل الأرض المحتلة وتهاجم مواقع اليهود . ولئن كانت الظروف الموضوعية والذاتية قد أبعدت الحركة الإسلامية منذ منتصف الخمسينيات وطول الستينيات عن إسهامها في مواجهة الصهيونية فإنها سرعان ما حاولت أن تلعب دورها في الستينيات باشتراكها في العمل المسلح من أغوار الأردن^(١) ، وهكذا وبفعل ظروف الاحتلال ومع إخفاق التيارات المعادية للحركة الإسلامية في المنطقة العربية ، بدأت الحركة الإسلامية في فلسطين تحضر لمعركتها الدائمة مع الدولة اليهودية ، ومع انخراطها في الفترة الأولى في عملية إحياء الأنفس اليائسة وتعميم المفاهيم الأساسية . فلم يغب عن بالها ممارسة العمل المسلح ، فقد اعتقلت السلطات اليهودية سنة ١٩٨٠ أكثر من ستين شاباً فيما عرف بقضية «أسرة الجهاد» الفصيل العسكري للإخوان المسلمين في فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨ ، ثم وبعد ذلك في سنة ١٩٨٤م ألقى القبض على الشيخ أحمد ياسين قائد الإخوان المسلمين في الأرض المحتلة بتهمة التنظيم العسكري وجمع السلاح . ولعل أبرز ما قام به التيار الإسلامي في هذا المجال وفي سنوات ما قبل الانتفاضة هو العمليات العسكرية التي نفذها الشباب المسلم من مجموعات الجهاد الإسلامي ، كعملية «حائط البراق» وشهداء «الشجاعية» بالإضافة إلى عمليات الطعن المتصاعدة . ثم تأتي الانتفاضة الكبرى في أواخر سنة ١٩٨٧ ، وتبرز مع بدايتها حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ليكونا معاً الترويج العملي لكل ما يحمله الإسلاميون في قلوبهم من عواطف ، وفي عقولهم من نظريات عن أهمية فلسطين وضرورة الجهاد على أرضها .

مركزية القضية الفلسطينية عند الإسلاميين :

ظلت أهمية فلسطين والتحذير من الخطر اليهودي هي الفكرة السائدة لدى الإسلاميين في

(١) أحمد نوفل ، (الطريق إلى فلسطين) ، عمان : دار الأقصى ، ١٩٨٣ ، ص ١٧ .

الخمسينيات والستينيات وردح من السبعينيات ، وظلت خصوصية هذه القضية تنبع من خصوصية القدس ، لكن هذا الفهم لم يتطور إلى جعل القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للمسلمين ، ووجدنا من يرى أنها مثل قضية أفغانستان أو كشمير أو جنوب السودان .

ومع هزيمة ١٩٦٧م وانكشاف الخطر الثقافي والحضارى الشامل الذى تمثله إسرائيل ليس على أرض فلسطين وشعبها فقط ، وإنما على الأمة العربية والأمة الإسلامية جميعاً ، ومع وضوح التحالف الاستراتيجى التام بين الصهيونية والغرب فى هجمتهم على الأمة ، بدأ يتبلور ذلك الفهم الذى يعطى للصراع على فلسطين مكانته الواقعية ، « وأن الوجود اليهودى الصهيونى فى فلسطين يمثل أوج التحدى الغربى السياسى والثقافى للعالم الإسلامى من تخوم الماركسية العربية ليؤكد «أن هذا الكيان أريد له أن يحقق وجوداً أبدياً مضموناً ، للسيطرة الغربية على الإسلام والمسلمين»^(١) ، ومن هنا انتشر هذا الفهم الجديد للصراع الشامل بين الأمة الإسلامية والغرب وما تمثله إسرائيل من حلقة مركزية فيه .

وكان الإسهام الفكرى المتميز للشيخ راشد الغنوشى حول حقيقة الصراع مع الصهيونية ومركزية القضية الفلسطينية ، كما أسهمت كتابات فتحى إبراهيم وخالد صلاح الدين وبشير نافع إسهاماً واضحاً فى هذا المجال . ويقول فتحى إبراهيم^(٢) : «إن التحليل التاريخى يرى فى المشروع اليهودى الجزء المركزى فى الهجمة الغربية والتحدى الغربى الحديث .. وهذا تأكيد جديد على تميز وخصوصية ومركزية القضية الفلسطينية»^(٣) ، وتأتى مرحلة الثمانينيات لتصبح هذه الفكرة متبناة من عموم الإسلاميين على الأقل فى فلسطين .

بل إن كُتاباً من خارج الحركة الإسلامية كانوا يرون فى الالتفاف حول قضية فلسطين ، واجباً وضرورة للحركات الإسلامية ، «ولن يجد الإسلاميون قضية أفضل ، تجمع شملهم ، وتوحد صفوفهم ، وتذوّب خلافاتهم ، مثل فلسطين فهى عورة انحطاط المسلمين وجرحهم النازف وكابوسهم المزعج» ويمضى الكاتب نفسه قائلاً : «واليوم يتزامن تنامى حضور الإسلاميين فى أقطار مختلفة مع الانتفاضة المباركة التى أوقدها الشعب الفلسطينى بكل فصائله وأبنائه وانصهر فيها إسلاميو الضفة والقطاع بكل جدية مما يوفر فرصة نادرة لإعادة

(١) منير شفيق ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) د. فتحى إبراهيم الشقاقى : مؤسس حركة الجهاد الإسلامى وأمينها العام .

(٣) فتحى إبراهيم (الشقاقى) ، (مقدمة حول مركزية فلسطين والمشروع الإسلامى المعاصر) - المنهج ، بيروت : دار الفكر العربى ، ١٩٨٩ ، ص ٣٦ .

طرح شعار فلسطين القضية المركزية للحركة الإسلامية .. وسيكتشف الإسلاميون - لو فعلوا هذا - الأهمية التي تحتلها هذه القضية في توازنات العالم المعاصر . وكيف أنها المدخل للقضايا الحيوية الأخرى التي تشكل بمقتضاها السياسية الدولية الراهنة»^(١)، ويؤكد الغنوشي مرة أخرى «أن فلسطين محور الصراع الدولي والحضارى فينبغى أن تكون قضيتنا المركزية وخطنا الأول فى مواجهة الإمبريالية وعملائها وتكتيل كل القوى الثورية والботقة التي تحتقر فيها بقايا ومخلفات انحطاطنا وعجزنا وكسلنا...»^(٢)

النظرية الإسلامية لتحرير فلسطين :

لعله يكون من المناسب أن نبدأ من حيث ما انتهى إليه الحوار داخل الأراضى المحتلة وخارجها ، ذلك الحوار الفكرى الممزوج بالعمل النضالى ، والمتقد بحرارة المواجهة ، والمطبوع بتجربة السجون والإبعاد ، لنصل إلى النظرية التي تم الاتفاق عليها بين مجمل التيار الإسلامى المجاهد فى فلسطين والتي حسمت الآراء المختلفة حول أولوية قيام الدولة الإسلامية التي ستنهض بعملية التحرير أو أولوية الجهاد على أرض فلسطين وتحريرها تمهيداً لقيام الدولة الإسلامية ، فقد أصبح من المتفق عليه أن العمل لقيام الدولة الإسلامية والعمل لتحرير فلسطين هما عمليتان متلازمتان تؤثر كل واحدة منهما فى الأخرى ، وأنه من الخطأ وتبديد الجهود تأجيل واحدة منهما فى انتظار الأخرى ، فالعدو الصهيونى القوى المتماسك لن يسمح بقيام الدولة الإسلامية بالقرب منه ، وواقع الدول العربية والإسلامية الذى يعانى من الضعف والتجزئة والتبعية لن يسمح بالجهاد تجاه فلسطين ، فلا بد من خوض المعركتين فى آن واحد لينشغل كل طرف فى الدفاع عن نفسه .

كان التيار الأساسى فى الحركة الإسلامية أى الإخوان المسلمون على الرغم من ثقل وطأة الاحتلال الصهيونى للضفة الغربية وقطاع غزة ، والمعاناة التي يقاسيها مجموع الشعب الفلسطينى مشدوداً من الناحية الفكرية إلى خارج الأرض المحتلة بفعل عوامل متعددة ، منها : أن مركز الحركة الإسلامية وقياداتها ومفكراتها وتجاربها موجود خارج الأرض المحتلة فى مصر والأردن وغيرها .. ومنها أن الأدبيات التي تربي عليها الإخوان المسلمون فى الأرض المحتلة تأتى كلها من خارج الحدود : حسن البنا وسيد قطب ويوسف القرضاوى من مصر وسعيد

(١) صلاح الدين الجورشى، مرجع سابق، ١٤٥ .

(٢) راشد الغنوشي، مرجع سابق، ص ١٣٥ .

حوى من سوريا وفتحى يكن من لبنان وأحمد نوفل وعبد الله عزام من الأردن وغيرهم ، صحيح أن هذه الأدبيات كانت ولا تزال المنهج الفكرى للإخوان المسلمين في كل مكان إلا أنها كانت منهمكة إلى أبعد الحدود فى تربية الأخ المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم ، مشغولة فى صراع الحركة الإسلامية مع أنظمة الحكم الاستبدادية ومع النخب العلمانية وثقافة التغريب ، مهتمة بقضايا تطبيق الشريعة ومحاولة الحصول على الوجود القانونى ، ومتابعة تجارب الإخوان البرلمانية هنا وهناك أو متابعة أخبار الجهاد فى أفغانستان ودعمه والمشاركة فيه .

كان هذا المنهج الفكرى والتربوى يمثل حاجة فكرية وعملية للإخوان فى معظم الساحات ، إن لم يكن جميعها ، فربما يثرى تجاربهم المحلية ويثرونه بإضافاتهم النظرية والعلمية .. لكنه فى الأرض المحتلة وحدها لم يستطع أن يقدم إثراء واضحاً لتجربتهم المحلية ، فهم لا يواجهون السلطة العربية المستبدة ، ولا يستطيعون أن يطالبوا بتطبيق الشريعة الإسلامية ، ولا يستطيعون الإفادة من تجربة دخول البرلمانات أو الحكومات إلى آخر ذلك مما يميز ساحتهم المحلية عن جميع الساحات ، صحيح أن هذه الأدبيات قدمت الأساس الفكرى والتربوى لبناء الشخصية الإسلامية الملتزمة ، لكنها لم تقدم للأرض المحتلة استراتيجية عمل .. وهى وإن قدمت النظرية الاستراتيجية حول القضية الفلسطينية فقد قدمتها من منظور تجربتها فى المنطقة العربية .

لقد كانت النكبة فى سنة ١٩٤٨ ثم هزيمة حزيران ١٩٦٧ ثم الدخول فى عملية السلام مع إسرائيل ابتداء من الموافقة على قرار ٢٤٢ ، والقبول بمبادرة روجرز إلى كامب ديفيد وما تخلل ذلك من حملة ضارية على الحركة الإسلامية تنوعت أشكالها من بلد إلى آخر ، ومن فترة إلى أخرى ، كل ذلك كان له الأثر الحاسم فى بعث فكرة أن تصحيح الوضع فى البلاد العربية بإقامة الدولة الإسلامية هى الطريق إلى تحرير فلسطين ، وأصبحت هذه الفكرة هى النظرية السائدة لدى الإخوان المسلمين فى الأردن : «يجب أن نحدث تغييراً شعبياً عريضاً ، وإن أوجدنا ذلك وأنشأنا صفاً إسلامياً أو أرضاً إسلامية (دولة) ننطلق منها للعمل كظهير للمسلمين ، تكون المشاركة حينها مجدية ، ونستطيع أن نستقدم أفواج المجاهدين من كل بقاع الأرض»^(١)

ظهر فى بداية الثمانينيات اتجاه جديد حول شباب داخل الأرض المحتلة ، أو عاشوا مرحلة

(١) أحمد نوفل ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

من تجربة الاحتلال ، تأثروا بعوامل إضافية إلى جانب أدبيات الحركة الإسلامية ، تأثروا بالثورة الإسلامية في إيران ، وتعاطفوا معها ، وحشدوا لها التأييد ، وتأثروا بجماعات الجهاد في مصر في مرحلة دراستهم الجامعية هناك ، كما تأثروا بتجربة الثورة الفلسطينية المسلحة درسوها واقتربوا منها ، وعلى الرغم من كل ما يقال من النقد لهذا الاتجاه في الجانب العملي ، وخاصة في مجال الصراع مع الإخوان المسلمين داخل قطاع غزة ، حيث نشأ هذا الاتجاه ومعظم قياداته كانوا أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين - خرجوا أو أخرجوا منها - إلا أن الباحث النصف يجد لهذا التيار إسهاماً مهماً وفاعلاً في الجانب النظري لا يمكن تجاوزه ، وهذا لا يعنى التقليل من إسهام هذا التيار الجهادي في الجانب العملي الخاص بمواجهة الاحتلال ، والعمل العسكري وعمليات الطعن وخاصة في المرحلة التحضيرية للانتفاضة .

بدأ هذا الاتجاه مساهمته النظرية بانتقاد استراتيجية الإخوان المسلمين في العمل للقضية الفلسطينية ، ووجه حملته على ما سماه تأجيل الجهاد حين استكمال أسبابه ، يقول أحدهم «إن استراتيجية الخط الأساسي التاريخي في الاتجاه الإسلامي (يقصد الإخوان المسلمين) تقوم - في واقع الحال - على خلق تيار شعبي فكري وشعوري واسع ، يمكن مع الزمن أن يشكل قوة ضاغطة على الأنظمة الحالية لتبني الإسلام والجهاد»^(١) ، وهو يستنتج «أن خط هذه الحركة يتجه دائماً إلى «الآخرين» الذين يملكون القرار العملي أو أدوات القوة المادية الفاعلة سواء كانوا أنظمة أو منظمات ، وبحكم هذا المنطق لابد أن يقتصر موقف الحركة الإسلامية على اقتراح الإطار النظري ومحاولة إقناع الآخرين به أو انتقادهم لعدم تبنيه ..»^(٢) . ثم يأتي الكاتب ليجمع رأيه في الموضوع بقوله : «أجل الموضوع الجهادي بدعوى أولوية تحقيق مقدمات التفسير الإسلامي الداخلي بأسلوب الدعوة الفردية والتجمع الكمي للتيار الإسلامي ، وتقديم الوصفة النظرية الإسلامية للقوى الفاعلة وأصحاب القرار»^(٣) .

أما د . فتحى إبراهيم الشقاقى فإنه يصعد من حدة نقده فيقول : «لقد كان إحجام الحركة الإسلامية عن الجهاد في فلسطين إضافة إلى كونه تخلياً عن واجب شرعى ، مجلبة للهزال والضعف والبقاء في الصفوف الخلفية . . لقد خسرت الحركة الإسلامية في كل يوم كانت تؤجل فيه الموضوع الفلسطيني ، خسرت ذاتياً وموضوعياً» - وهو هنا يقصد الإخوان

(١) خالد صلاح الدين «الاتجاه الإسلامي : الموقف العام من القضية الفلسطينية» في (الحركة الإسلامية ، رؤية مستقبلية) ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

المسلمين في الأرض المحتلة في السبعينيات وفي الثمانينيات حتى الانتفاضة - لكنه في صفحة ٥٩ يتراجع مع بعض التحفظ بفعل الانتفاضة ودور الإخوان فيها فيقول : «لاشك أن تطوراً حدث بعد الانتفاضة الشعبية في فلسطين ، تطوراً يحتاج إلى مزيد من الاختبارات لتأكيد مصداقيته»^(١).

وهنا نأتى إلى الإسهام النظرى الهام لحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين ، فبعد تحليل الظاهرة الإسرائيلية وارتباطها بالهجمة الغربية على الأمة وإثبات مقولة أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية يحدد د . فتحى إبراهيم استراتيجية ونظرية العمل الإسلامى لفلسطين فيقول : «إن شكل النضال الأمثل سيبدأ بوحدة الحركة الإسلامية فى مواجهة المشروع الاستعماري بشقيه (نظام التجزئة وإسرائيل) ، إن علي الحركة الإسلامية أن تواجه هذا النظام وإسرائيل فى نفس الوقت ..»^(٢) وهكذا فإن «وجود فلسطين بشكل عملى متمثلاً فى الجهاد فى صلب برنامج الحركة الإسلامية سيعطى الحركة تعاطفاً جماهيرياً وزخماً هائلاً يمكن اغتنامه فى تصعيد نضالها والتعجيل بتحقيق أهدافها ، إن هذا هو شكل النضال الأمثل لأنه يحاصر العدو الحقيقى والشامل من جميع الجهات ، ولا يعطى فريقاً فرصة لنجدة الفريق الآخر ويجعله دائماً فى موقع الدفاع عن النفس»^(٣)، ويؤكد كاتب آخر نفس الفكرة بكلمات أخرى فيقول : «الذى تنطق به الحقائق الموضوعية أنه بقدر ما أن العودة الذاتية إلى الإسلام شرط لفاعلية التحرير فإن الجهاد التحريرى شرط فى الوقت نفسه للعودة الذاتية للإسلام ، أى أن العلاقة بينهما مزدوجة فى الوقت نفسه»^(٤).

إن الحركة الإسلامية فى داخل الأرض المحتلة ممثلة بحركة حماس بدأت تعمل فى إطار هذه النظرية لتحرير فلسطين ، وتعمل بمقتضاها حيث تقوم بدورها الجهادى والسياسى والعسكرى بصورة مستمرة وثابتة ، لكن السؤال الذى يطفو إلى الأذهان الآن ، ويلح فى طلب الإجابة هو : لماذا تأخرت الحركة الإسلامية فى الجانبين العملى والنظرى؟ أو يمكننا أن نعيد السؤال بصورة أكثر موضوعية : هل تأخرت فعلاً الحركة الإسلامية داخل فلسطين ؟ نعم قال الإخوان المسلمون فى العقدين الماضيين أنهم لابد أن يستكملوا الإعداد للجهاد من تربية وتجميع وتثقيف وتأهيل ، لكنه لم يقل واحد منهم أنهم لن يبدأوا الجهاد .

(١) فتحى إبراهيم، مرجع سابق، ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ٦٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٩ .

(٤) خالد صلاح الدين، مرجع سابق، ص ١١٥ .

ولئن كانت السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات تتسم في غالبيتها بالعمل التربوي والجماهيري والاجتماعي والتمكين للحركة الإسلامية فكرياً ورجالاً ، فإنها لم تخل من إرهابات للعمل الجهادي من مظاهرات وشهداء واعتقالات ومجموعات عسكرية وأسلحة ، كلها تنبئ أن الحركة الإسلامية ستدخل قريباً ساحة العمل الجهادي ، يضاف إلى ذلك أن الباحث يعلم بطريقته الخاصة ومن حوارات متصلة مع قيادات الحركة الإسلامية داخل مخيم المبعدين في «مرج الزهور» ومن اطلاع على البرامج والسياسات السرية للحركة الإسلامية خارج فلسطين ، أن هياكل وأسباب العمل السياسي والعسكري وضعت وأنشئت قبل الانتفاضة وقبل تأسيس «حماس» بسنوات .

أما التأخير في الإعلان عن هذا التوجه فقد كانت له أسبابه ، وأهمها على الإطلاق السبب الأمني ، فالإخوان المسلمون عموماً والفلسطينيون منهم على وجه الخصوص ، سواء في الأرض المحتلة أو خارجها يتسمون بالتكتم الشديد في كل أمورهم ، وعلى الأخص في النواحي العسكرية والأمنية والسياسية التي تظل أموراً في دائرة ضيقة لا تصل إلى أفراد التنظيم ، ولا إلى كثير من القيادات ، بل لعل ما كان يشاع عن الإخوان في داخل فلسطين عن إحجامهم عن مواجهة اليهود فيما قبل الانتفاضة وما كانت تبثه المنظمات العلمانية والوطنية ومجموعات الجهاد الإسلامي عن تخاذل الإخوان المسلمين تجاه الاحتلال ، كان هذا بقدر ما كان يثير الغيظ والحنق لدى شباب الحركة في الجامعات وغيرها ، كان يبعث الرضا والارتياح في صفوف القيادة المطلعة على بواطن الأمور .

وهكذا فإن مسألة الإسهام النظري للإخوان في عملية الجهاد على أرض فلسطين كانت تتمثل إفصاحاً وكشفاً لما يجتهد الإخوان عادة في إخفائه ، بالإضافة إلى عدم وجود الظروف المساعدة لعقليات متفتحة مستقلة عن تأثير الفكر الإخواني العام القادم من خلف الحدود .

وعموماً فإنه لا شك في القيمة الكبيرة للإسهام الفكري الذي قدمه ممثلو تيار الجهاد الفلسطيني ، كما أنه لا يمارى أحد أن دخول الحركة الإسلامية هذا المعترك بالصورة العلنية ممثلة بحركة حماس وخاصة كتائب عز الدين القسام - جناحها العسكري - هو الذي أسهم بصورة فاعلة وأعطى قوة شعبية ومادية للعمل الجهادي على أرض فلسطين ●

الباب الأول

الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٢٠ - ١٩٦٧

«الجدور»

- مقدمة الباب الأول .
- الفصل الأول : تجربة الشيخ عز الدين القسام (١٩٢٠ - ١٩٣٥) .
- الفصل الثاني : الإخوان المسلمون حتى نهاية حرب عام ١٩٤٨ .
- الفصل الثالث : الإخوان المسلمون في الضفة الغربية وقطاع غزة (١٩٤٨ - ١٩٥٧) .
- الفصل الرابع : ضعف الحركة الإسلامية وقوة المد القومي (١٩٥٧ - ١٩٦٧) .

ظهرت حركة المقاومة الإسلامية - حماس - داخل الأرض المحتلة مع بداية الانتفاضة المباركة التي انطلقت يوم ٨ / ١٢ / ١٩٨٧ ، حيث تم توزيع البيان الأول في الانتفاضة موقعاً باسم حركة المقاومة الإسلامية بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧^(١) ، كما سقط العديد من الشهداء الذين ينتمون للحركة في غزة وخان يونس والمعسكرات الوسطى في الأيام الأولى للانتفاضة ، ولعل إقدام السلطات المحتلة على اعتقال الكثير من الشخصيات النشطة ورموز الحركة الإسلامية ، وقيامها بإبعاد أحد قادة «حماس» في قطاع غزة^(٢) في أول مجموعة من مبعدي الانتفاضة ليؤكد على مشاركة الحركة في الانتفاضة منذ أيامها الأولى .

ولئن كانت هناك مبررات أمنية وسياسية للعمل تحت هذا الاسم الجديد ، فإنه أصبح معروفاً فيما بعد أن هذه الحركة الجديدة ما هي إلا الحركة الإسلامية نفسها التي وجدت على أرض فلسطين منذ ما يقرب من نصف قرن ، تملك رصيداً هائلاً من التجربة الجهادية ، وتحوز على تأييد جماهيري واسع داخل الأرض المحتلة وخارجها ، بالإضافة إلى تمتعها بوجود العديد من الأنصار العرب وغير العرب من المسلمين الذين يؤيدون المد الإسلامي في كل مكان .

ولقد أبرزت حركة «حماس» هذه الحقيقة لأول مرة في بيان الانتفاضة رقم (٦) المؤرخ بتاريخ ١١ / ٢ / ١٩٨٨ ، حينما أكدت أن «حركة المقاومة الإسلامية تعتبر الساعد القوي لجماعة الإخوان المسلمين التي قدمت إمامها الأول شهيداً في مثل هذا الوقت من عام ١٩٤٩ م...»^(٣) ، ثم تكرر نفس المعنى في البيان رقم (١٥)^(٤) ، ثم جاء بعد ذلك هذا القول واضحاً وثابتاً في ميثاق الحركة الصادر بتاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٨٨ م ، المادة الثانية حيث نص على أن : «حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين»^(٥) . من هنا نستطيع أن نفهم كيف استطاعت هذه الحركة وفي فترة زمنية قصيرة ، لا تتعدى

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية «حماس») ، إصدار المكتب الإعلامي ، بدون تاريخ أو ناشر ، ج ١ ، ص ١٧ .

(٢) (الأستاذ خليل القوقا ، أول أمين عام للجمعية الإسلامية في غزة ، تم اعتقاله يوم ٢٩ / ١٢ / ١٩٨٧ م ، وأبعد إلى لبنان بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٨٨ م .

(٣) (وثائق حركة المقاومة .. مرجع سابق ، ص ٣١ .

(٤) (المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٥) (ميثاق حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بدون تاريخ أو ناشر ، ص ٧ .

السنوات الثلاث الأولى من عمر الانتفاضة ، أن تثبت وجودها على الساحة الفلسطينية منافسة منظمات كبيرة يزيد عمرها على العشرين سنة ، وتملك الكثير من الإمكانيات المادية والمعنوية وتحظى برصيد كبير في المجالات السياسية والفكرية والإعلامية والمالية وغيرها . وهكذا فإن حركة «حماس» تضرب بجذورها في أرض فلسطين إلى الثلاثينيات من هذا القرن ، منذ أن انتدبت جماعة الإخوان المسلمين بمصر الأخوين عبد الرحمن الساعاتي ومحمد أسعد الحكيم لزيارة فلسطين وسوريا ولبنان لنشر دعوة الإخوان ، حيث وصلا إلى القدس ونزلا بضيافة سماحة المفتي الأكبر ، بمعية الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي في أغسطس ١٩٣٥م^(١) و سرف نتابع في هذا الباب تأسيس شعب الإخوان المسلمين في جميع أنحاء فلسطين قبل نكبة ١٩٤٨ ، ونرصد الدور الجهادي الذي قامت به كتائب الإخوان الفلسطينيين ، لنصل إلى بداية العمل الفدائي الذي مارسته مجموعات الإخوان العسكرية من قطاع غزة ما بين سنتي ١٩٤٩ و ١٩٥٥م ، ودور الحركة التعبوي والسياسي في تلك الفترة ، ثم دور الإخوان في مقاومة الاحتلال الصهيوني لقطاع غزة نتيجة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م .

وسنجد أهمية متابعة البدايات الأولى لحركة وطنية ثورية ، ستصبح فيما بعد ومنذ نهاية عقد الستينيات وطيلة العقدتين التاليين كبرى المنظمات الفلسطينية ، تلعب دوراً كبيراً في مجريات القضية الفلسطينية ، حيث تأسست حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح - في رحاب جماعة الإخوان المسلمين ، وكانت الغالبية العظمى من مؤسسيها الأوائل ممن كانوا أعضاء في الجماعة ، وسوف نناقش مرحلة الستينيات التي مثلت انحساراً شديداً في نشاط الجماعة في مقابل تعاظم المد الناصري والقومي والاشتراكي ، حيث نتوقف عند مفترق طرق حاسم كانت فيه نكبة ١٩٦٧م نقطة فاصلة تغيرت بسببها أوضاع كثيرة .

(١) حسن البنا ، (مذكرات الدعوة والداعية) ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٨ .

الفصل الأول

الإخوان المسلمون حتى نهاية حرب ١٩٤٨ م

المبحث الأول

الإخوان المسلمون في مصر

صلة الإخوان المسلمين بفلسطين :

تأسست جماعة الإخوان المسلمين في مدينة الإسماعيلية على يد الشيخ حسن البنا في مارس سنة ١٩٢٨ م من ستة رجال بايعوا الله على أن يكونوا جنداً لدعوة الإسلام ، ففيها حياة الوطن وعزة الأمة^(١) كبرت الجماعة وازداد نفوذها مع الوقت ، واتضحت أهدافها وبرامجها وشاركت في الحياة السياسية داخل مصر وخارجها ، وكان لقضية فلسطين ونصرة أهلها نصيب كبير من أدبيات الإخوان وأنشطتهم ، إلى أن توجت الجماعة مشاركتها بإرسال المتطوعين الذين قاتلوا العصابات الصهيونية ، حيث سقط منهم العديد من الشهداء .

وترجع علاقة الشيخ حسن البنا بفلسطين وقضيتها إلى ما قبل تأسيس جماعة الإخوان المسلمين بسنة تقريباً ، « فقد ذكر الحاج أمين الحسيني في رثائه للإمام البنا ، أنه تعرف عليه للمرة الأولى من كتاب أرسله البنا إليه في عام ١٣٤٦ هـ الموافق سنة ١٩٢٧ م »^(٢) ولعل ذلك بسبب الارتباط الوثيق بين المؤامرة اليهودية على عروبة فلسطين وسقوط الخلافة الإسلامية التي كانت من أبرز العوامل التي دفعت البنا لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين .

كان الحاج أمين الحسيني أبرز شخصية سياسية في فلسطين ، آلت إليه قيادة الشعب الفلسطيني حوالى عقدين من الزمان ، فهو المفتي الأكبر ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى ورئيس اللجنة العربية العليا ، وقد توثقت العلاقة بين الرجلين ، وكان بينهما مراسلات دائمة لتبادل وجهات النظر وكانت حركة الإخوان تنظر إلى مفتي فلسطين باعتباره رجلاً اجتباه الله

(١) حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٧٢ .

(٢) حسنى أدهم جرار ، (الحاج أمين الحسيني ، رائد جهاد وبطل قضية) ، عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ م ص ٣٥٣ .

لحمایة فلسطين (١).

وعندما اندلعت الثورة الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦ م ، سارع الإخوان المسلمون بدعم وتأييد الكفاح الفلسطيني ، ويورد حسن البنا في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية» نص الرسالة التي أرسلها الحاج أمين الحسيني إلى رئيس وأعضاء جماعة الإخوان يشكرهم فيها على مشاعرهم الفياضة وحميتهم الإسلامية ومساعدتهم الحميدة وجهدهم المشكور في خدمة قضية فلسطين .

كما يورد البنا كذلك نص خطاب السيد عوني عبد الهادي السكرتير العام للجنة العربية العليا بالقدس رداً على برقية البنا المؤرخة في ١٨ / ٥ / ١٩٣٦ م . (٢)

لم يكتف الإخوان بالتأييد المعنوي ، «فقد شارك عدد من جماعة الإخوان المسلمين في الغارات المسلحة على المنشآت اليهودية في فلسطين أثناء ثورة ١٩٣٦ م» (٣) ، ويؤكد ذلك الأستاذ كامل الشريف ، حينما يذكر «أن عدداً من شباب الإخوان قد استطاعوا التسلل إلى فلسطين والاشتراك مع المجاهدين في جهادهم ، خاصة في مناطق الشمال» . (٤)

وقد كتب البنا تحت عنوان : «قضية فلسطين والإخوان : مذكره ١٩٣٦ م» : كانت الهيئات السياسية والأحزاب في مصر منصرفة كل الانصراف عن مناصرة فلسطين مناصرة جديده بحكم النعرة الوطنية الخاصة .. ومن هنا تقدم الإخوان المسلمون إلى مناصرة فلسطين الشائرة المجاهدة بكل ما فيهم من قوة ، ووقفوا على ذلك جهودهم مادياً وأدبياً من حيث الدعاية والخطابة والنشر ، وجمع المال إلخ .. وتألفت لذلك لجان وبعثات عملت ما وسعها العمل .. (٥) ولعل الزيارة التي قام بها كل من عبد الرحمن الساعاتي ومحمد أسعد الحكيم إلى القدس عام ١٩٣٥ ونزولهما عند الحاج أمين الحسيني (٦) ، كأول مبعوثين لحركة الإخوان خارج مصر ، تعطي الدليل على عمق العلاقة بين الحركة وقضية فلسطين .

كانت قضية فلسطين همماً دائماً لدى الإخوان في مصر منذ سنواتهم الأولى ، يقول محمود عبد الحليم مؤرخ الإخوان في مصر : «منذ أن حملتني قدماي إلى المركز العام للإخوان

(١) د. عواطف عبد الرحمن ، (مصر وفلسطين) ، ط٢ ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٥ م ، ص ٣١ .

(٢) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣) زياد أبو عمرو (الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة) ، ط٢ ، عكا : دار الأسوار ، ١٩٨٩ م ، ص ١٩ .

(٤) كامل الشريف ، (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين) ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٧ م ، ص ٤٣ .

(٥) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

المسلمين ، لاحظت من المرشد العام ومن هذه القلة القليلة من الإخوان المسلمين بهذا المركز توجيه اهتمام خاص لقضية فلسطين»^(١) ويستطرد قائلاً : «رأيت مفتى فلسطين السيد أمين الحسيني ومعه مساعده الشيخ صبرى عابدين ، ومعه مجموعة من قادة فلسطين ، رأيتهم يحضرون إلى المركز العام .. ويتبادلون الكلمات الملهبة مع المرشد العام» .

وتطورت العلاقة إلى أبعد الحدود ، حيث أصبح التعرف على أبعاد القضية الفلسطينية جزءاً أساسياً من منهج الإخوان التربوي والثقافي «ففى معسكر الإسكندرية التربوي استمع الإخوان إلى عدة محاضرات عن المشكلة الفلسطينية يلقيها الشيخ صبرى عابدين مندوب مفتى فلسطين»^(٢) أما صحيفة الإخوان المسلمين «فقد اهتمت بنشر أخبار المعارك وتفاصيل سفر أفواج المتطوعين بالإضافة إلى نشر قوائم التبرعات»^(٣) .. وعندما وصل المفتى إلى القاهرة سنة ١٩٤٦م قادت صحيفة الإخوان حملة مناشدة ناجحة للحكومة لمنحه حق اللجوء السياسى .^(٤)

ويتواصل عطاء الإخوان ومرشدهم العام بالنسبة لفلسطين وتنوع الأساليب في إرسال الوفود باستمرار إلى فلسطين ، «ففى عام ١٩٤٦م أرسل إليها عالماً جليلاً من علماء الدعوة هو الشيخ عبد المعز عبد الستار ليقوم بجولة فى مدنها لمدة شهرين .. وقد حضر الشيخ عبد المعز افتتاح شعبة الإخوان المسلمين فى القدس نيابة عن المرشد العام بتاريخ ٦ / ٥ / ١٩٤٦م» .^(٥) كما قام البنا بنفسه بزيارة فلسطين فى ١٩ - ٢٠ مارس ١٩٤٨م ، حيث زار رفح وخان يونس وغزة واستقبل فيها استقبالا رائعاً^(٦) .

وحينما احتدم الصراع والتنافس بين أكبر منظمين شبه عسكريين فى فلسطين وهما «المجاهدة» و«الفتوة» ، قام الإخوان بواجبهم حيث أرسل البنا إلى فلسطين من يصلح بينهما ، «وقد توحدت المنظمتان فيما بعد واختير باتفاقهما المجاهد «محمود لبيب» وكيل الإخوان المسلمين للشئون العسكرية مسئولاً عن تنظيم هذه التشكيلات التى توحدت تحت اسم

(١) محمود عبدالحليم، (الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ)، الإسكندرية: دار الدعوة، ١٩٧٩م، ص ٨٨.

(٢) عبد المتعال الجبري، لماذا اغتيل البنا، ص ٢٧٤.

(٣) د. عواطف عبدالرحمن، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٤) ريتشارد متشيل، (الإخوان المسلمون)، ترجمة د. محمود أبو السعود، انديانا بوليس (الولايات المتحدة) دار النشر الأمريكية ١٩٨٠، ص ٩٦.

(٥) حسنى أدهم جرار، مرجع سابق، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٦) عباس السيسى، (فى قافلة الإخوان المسلمين)، الجزء الأول، ط ٢، الإسكندرية: دار اقرأ، ١٩٨٧م، ص ١٩٦ - ١٩٧.

منظمة الشباب العربى»^(١).

ولعلنا نجد أثر قضية فلسطين على واحد من أهم التشكيلات الإخوانية ، الذى سمي «النظام الخاص» أو الجهاز السرى ، حيث أدرك البنا أن الدعوة لابد أن تكون ذات شوكة لا يسهل التهامها .. كما أدرك المرشد أن قضية فلسطين هى قضية الإخوان المسلمين .. وأنه لابد من معركة فاصلة بين الإخوان المسلمين وبين هذه العصابات (الصهيونية) .. فكان ذلك حافزاً على سرعة الاستعداد بتكوين النظام الخاص^(٢) فى عام ١٩٤٠ ، ومما ينبغى التذكير به أن هذا الرعيل الأول قد اشتركوا فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م ، وأبلوا فيها أعظم بلاء ، شهد به الأصدقاء والأعداء.^(٣)

وحينما يتحدث أحد أعضاء هذا النظام الخاص عن نشأته ، يبدأ الحديث عن الحركة الصهيونية وخططها لاغتصاب فلسطين^(٤) ، ويستطرد قائلاً «ولما لم تكن هناك خبرة كافية بالسلاح بهدف جمعه لفلسطين ، فكر عبد الرحمن السندى لأول مرة فى إنشاء نظام خاص لاستيفاء هذه الدراسة والقيام على أمرها .. اليوم لفلسطين وغداً لمصر وسوريا والعراق .. إلخ وكان ذلك عام ١٩٣٨»^(٥) ، وقد قام النظام الخاص بعمل واضح لخدمة الجهاد فى فلسطين ومقاومة الصهيونية ، «فقد قمنا بعملية حصر وجرد لليهود بمصر ، إذ لم يكن ولاؤهم للحركة الصهيونية محل شك»^(٦) وهكذا كانت صلة الإخوان المسلمين بقضية فلسطين مبكرة ومتنوعة وشاملة ، ليست عارضة ولا دعائية .

مواقف سياسية للإخوان :

كانت الصلة الوثيقة التى ربطت بين جماعة الإخوان المسلمين فى مصر وقيادات الشعب الفلسطينى ، بالإضافة إلى ما تمثله فلسطين والمسجد الأقصى لدى الحركة الإسلامية فى مصر ، سبباً مباشراً فى تحرك الإخوان السياسى لنصرة فلسطين ، ذلك التحرك الذى تنوعت أساليبه من مراسلات ومؤتمرات وغير ذلك .

(١) كامل الشريف ، مرجع سابق ، ص ٤٥ ومحمود عبدالحليم ، مرجع سابق ، ص ص ٤١٤ - ٤١٥ .

(٢) محمود عبدالحليم ، ص ٢٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(٤) أحمد عادل كمال ، (النقاط فوق الحروف - الإخوان المسلمون والنظام الخاص) ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٧ م ، ص ١١٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٦) المرجع السابق .

ففى ذكرى وعد بلفور سنة ١٩٣٧م يكتب المرشد العام إلى رئيس وزراء مصر فيقول : «العالم العربى ينتظر من حكومة مصر عملاً جدياً لحل قضية فلسطين وإيقاف الظلم والعدوان الواقع على أهل فلسطين المجاهدين ، والمكتب العام للإخوان المسلمين بمناسبة ذكرى وعد بلفور الجائر يرجو أن يكون الوقت قد آن ، فاعملوا والله معكم»^(١) وفى المناسبة ذاتها يرسل مكتب الإرشاد مذكرة إلى السفارة البريطانية فى القاهرة لرفعها إلى الحكومة البريطانية ، ومما جاء فيها : «صدر وعد بلفور مناقضاً لهذا المبدأ القويم ، مبدأ الاستقلال التام للأمة العربية ، فلم يوافق عليه عربى واحد ، واعتبرته الأمة العربية جمعاء غير ملزم لها فى شىء . . يرى الإخوان المسلمون أنهم مضطرون إلى أن يسجلوا احتجاجهم الصارخ على هذه السياسة الجائرة ، راجين أن تعدل عنها الحكومة البريطانية ، فتطلق سراح المسجونين ، وتعيد الزعماء المنفيين ، وتؤمن الأبرياء المشردين ، وترجع إلى المجلس الإسلامى حقوقه وسلطته ، تعلنين تضامنهم التام مع إخوانهم عرب فلسطين وجيران بيت المقدس فى مطالبهم العادلة الحققة ، وهى وقف الهجرة والاستقلال التام على أساس اتفاق شريف يضمن حقوق العرب ، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات فى جميع البلدان»^(٢).

وتواصلت جهود الإخوان السياسية وخصوصاً فى توعية الشعب المصرى بالقضية الفلسطينية وترسيخ رابطة العروبة التى تربط بين الشعبين «لقد استطاع الإخوان المسلمون ، والإخوان المسلمون وحدهم أن يفسدوا على الإنجليز خطتهم وأن ينسفوا الجدار الشاهق السميك الذى شيده الإنجليز ليفصل مصر عن بقية الأمة العربية ، ولكنهم لم يستطيعوا إنجاز هذه المهمة الخطيرة إلا بجهود مضنية متواصلة مكثفة ، استمرت أكثر من خمس سنوات متوالية ، وحققوا فى نهايتها المعجزة حين وصلوا قلوب شعب مصر بقلوب إخوان عرب لهم فى فلسطين»^(٣).

وهكذا انعقد أول مؤتمر عربى شعبى من أجل فلسطين فى القاهرة^(٤) ، فقد وجه الإخوان الدعوة لرجال البلاء العربية لعقد مؤتمر لدراسة مشكلة فلسطين ، وقد عقد المؤتمر فى دار المركز العام بالعتبة ، وتعاقب فيه الخطباء من مختلف البلاء ، ثم تكلم الأستاذ المرشد ، وانتهى المؤتمر بقرارات تطالب حكومات الدول بالتدخل من أجل إنقاذ فلسطين .

(١) حسن البنا، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٤.

(٣) محمود عبدالحليم، ص ١٨٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨١.

بعد نجاح المؤتمر الشعبى العربى ، وانتشار أخباره فى مختلف البلاد العربية والإسلامية بدأ يتوافد على المركز العام للإخوان العديد من الشخصيات الوطنية والقومية لتبادل الرأى مع المرشد العام ، واستقر الرأى على عقد مؤتمر برلمانى عالمى فى القاهرة من أجل نصرة فلسطين «انعقد المؤتمر فى ٧ أكتوبر عام ١٩٣٨م فى سراى آل لطف الله فى القاهرة ، وحضره برلمانيون من مصر والعراق وسوريا ولبنان ، وشارك فيه وفد شعبى فلسطينى ، ووفود شعبية تمثل مسلمى المغرب العربى ، والهند والبوشناق واليوغسلاف واليمن والصين ، تمخض المؤتمر عن قرارات استنكرت المؤامرة البريطانية - الصهيونية .. (١)

استمر الإخوان المسلمون فى تبنى قضية فلسطين ، حتى أصبحت شغلهم الشاغل ، وغدت محور اهتمامهم فى جميع مؤتمراتهم ونشاطاتهم ، وباتوا يدفعون الحكومة المصرية باتجاه مواقف أكثر صلابة ، ويشجعونها على تأييد الحق العربى فى فلسطين ، فعندما ذهب على ماهر (رئيس الحكومة المصرية) وعبد الرحمن عزام لحضور مؤتمر فلسطين فى لندن ودعهما الإخوان أحر وداع، وبعد عودتهما ذهب وفد من الإخوان إلى المحطة لاستقبالهما (٢).

ولما قررت الحكومة المصرية إعانة منكوبى فلسطين ، كتب الإمام البنا إلى على ماهر يشكره على قرار الحكومة على إعانة الأسر الفلسطينية المجاهدة .. وطلب منه أن تكون مصر دائماً فى مقدمة من يمد يد المساعدة للمجاهدين .. وأضاف البنا : «إن المسعى السياسى لحل قضية فلسطين أهم بكثير من هذا المسعى الإنسانى على جلاله ورحمته» ، وطالبه أيضاً بمطالبة بريطانيا حل القضية الفلسطينية على هذه القواعد :

١ - إيقاف الهجرة اليهودية .

٢ - العفو الشامل عن كل المعتقلين والمبعدين والمجاهدين .. وفى مقدمتهم سماحة زعيم فلسطين المفتى الأكبر محمد أمين الحسينى ..

٣ - اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال فلسطين عربية مسلمة .. (٣) وعندما وصلت اللجنة البريطانية الأمريكية إلى مصر ، وعقدت جلستين ، أصر البنا على حضور جلساتها الثانية فى ٥ مارس سنة ١٩٤٦م وألقى البنا فيها كلمة مرتجلة جاء فيها : «ونحن حين نعارض بكل قوة الهجرة اليهودية ، نعارضها ، لأنها تنطوى على خطر سياسى اقتصادى ، حقنا أن

(١) حسنى أدهم جرار، ص ٣٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٦.

(٣) حسن البنا، ص ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

تكون فلسطين عربية»^(١) واختتم البنا بقوله : «لقد استمعت اللجنة إلى رجاء اليهود ، وتركت الرجل الأول الجدير باستشهاده في قضية فلسطين وهو الحاج أمين الحسيني وكذلك المجاهدين البعدين ، فأكون سعيداً إذا عملت اللجنة على الإفراج عنهم جميعاً»^(٢) . وهكذا كانت للإخوان مشاركتهم السياسية الفعالة تأييداً للحق الفلسطيني ، هذه المشاركة التي ميزتهم عن معظم الأحزاب السياسية المصرية ، وفوق ذلك فإن الإخوان لم يكتفوا بذلك ، بل مارسوا العمل الفعلي لنصرة فلسطين وجمع الأموال وتسيير المظاهرات .

فعاليات الإخوان وأنشطتهم :

(أ) تأسيس اللجنة المركزية العامة لمساعدة فلسطين :

دعا الشيخ حسن البنا إلى عقد اجتماع استثنائي للإخوان مساء السبت ٢٥ من صفر الخير سنة ١٣٥٥ هـ (أبريل ١٩٣٦ م) ، وشرح للإخوان أحوال شعب فلسطين وانتهى الاجتماع بتكوين «اللجنة المركزية لمساعدة فلسطين» ، وبدأت اللجنة عملها بتوجيه نداء إلى الأمة المصرية والمسلمين عامة ، كما قامت بإرسال برقيات الاحتجاج إلى المندوبين الساميين في مصر وفلسطين .. وإرسال برقية أخرى إلى فضيلة المفتي .^(٣)

وقام البنا بالكتابة إلى الأمير عمر طوسون ، أحد كبار أعضاء لجنة التبرعات لمساعدة أهل الحبشة ، يطالبه بتحويل ما تبقى لدى اللجنة من أموال إلى «اللجنة العربية العليا» في فلسطين لمساعدتها على مقاومة المؤامرة اليهودية على فلسطين ، وأرسل أيضاً خطاباً مماثلاً إلى بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر - رئيس اللجنة^(٤) .

(ب) القنوات في الصلاة من أجل فلسطين :

دعا مكتب الإرشاد الأمة كلها إلى القنوات من أجل فلسطين ، وجاء في الدعوة : «القنوات مشروع عند النوازل التي تنزل بالمسلمين .. ونازلة فلسطين من أشد النوازل بالمسلمين جميعاً وأعظمها وقعاً على قلوبهم وأشدّها نيلاً من إخوانهم وأوطانهم ..»^(٥)

(١) محمود عبدالحليم، ص ٤١٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) حسن البنا، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) المرجع السابق، ٢٠٩ .

(٥) المرجع السابق، ٢٤٣ .

(ج) قرش فلسطين :

تكونت لجنة عامة بدار الشبان المسلمين من الجمعيات الإسلامية جميعاً ، للتعاون على إصدار قرش موحد لإغاثة فلسطين ، وقد جاء في المنشور الأول لسنة ١٣٥٨ هـ للإخوان المسلمين التوجيه التالي : « نرجو العناية بالدعاية القوية لجمع هذا القرش ، وأن يبرهن الإخوان أنهم دائماً في الصف الأول في قضية العرب والإسلام »^(١).

(د) مهاجمة الإنجليز في المنشورات والمجلات :

قام الإخوان بتوزيع العديد من المنشورات التي تهاجم الإنجليز وتشرح مظالمهم في فلسطين وكانوا يوزعونها في الكليات والمصالح الحكومية والمحلات التجارية والمقاهي في الأقاليم ، كما سلط البنا على الحكومة وعلى الإنجليز قلم صالح عشناوى في مجلة النذير^(٢).

(هـ) الدعوة إلى مقاطعة المحلات اليهودية :

قام الإخوان المسلمون بمطالبة الشعب المصري بمقاطعة المحلات اليهودية ، وطبعوا كشفاً بأسماء هذه المحلات وعناوينها والأسماء الحقيقية لأصحابها ، واذيلوا تلك الكشف بعبارة : « إن القرش الذي تدفعه لحل من هذه المحلات إنما تضعه في جيب يهود فلسطين ليشتروا به سلاحاً يقتلون به إخوانك المسلمين في فلسطين »^(٣).

وقد وزعت هذه الكشف على أوسع نطاق في القاهرة والأقاليم فكان لها دوى هائل لأنها أول دعاية مست العصب الحساس لليهود ، كما قام الإخوان بإصدار كتيب صغير يضم أسماء الصحف اليهودية التي يصدرونها في أنحاء العالم ..^(٤)

(و) توزيع كتاب « النار والدمار في فلسطين » :

يقول محمود عبد الحليم : « استطاعت اللجنة العربية العليا الفلسطينية أن تطبع هذا الكتاب وأن تقدمنا بعشرات الألوف منه ، ويقع هذا الكتيب في نحو ثمانين صفحة تشرح ألوان العذاب التي ارتكبتها الإنجليز ضد مجاهدي فلسطين .. وكل نوع من هذه الجرائم مصور بصورة فوتوغرافية .. وقد قمنا بتوزيعه في أسرع وقت ، فلم تمض ثلاثة أيام حتى عم الكتاب

(١) محمود عبد الحليم ص ١٧٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ، ١٧٤ .

(٤) المرجع السابق .

القاهرة وأنحاء الأقاليم ، وقامت الصحف البريطانية والبرلمان البريطاني لمواجهة هذه الكارثة»^(١).

(ز) المظاهرات :

كانت مظاهرات نوفمبر سنة ١٩٣٨م احتجاجاً على وعد بلفور قد شملت القطر المصري كله فى يوم واحد ، وبهتافات واحدة ، مما أثار الشعب المصرى كله فى المدن والقرى وجعله يتجه بعواطفه إلى فلسطين ، ومما جعل الإنجليز يقررون أنهم أصبحوا ولأول مرة يواجهون عدواً قوياً متغلغلاً فى أحشاء الشعب .^(٢)

(ح) جمع السلاح وإرسال المتطوعين :

كان الإخوان يرسلون مجموعات من شبابهم يطوفون فى المدن والأرياف المصرية يجمعون السلاح ويرسلونه إلى المجاهدين ، كما قاموا بإرسال عدد من المتطوعين لمساعدة الثوار فى فلسطين بقيادة «محمود عبده»^(٣). ويقول الشيخ عبد المعز عبد الستار الذى عاصر هذه الفترة وشارك فى نشاط الإخوان : «كان الإخوان يجمعون السلاح للمجاهدين الفلسطينيين ، ويقدمون لهم الخبراء لإصلاح السلاح ، وكان الشهيد يوسف طلعت يقوم بمهمة توصيل الأسلحة إلى الثوار...»^(٤).

ويذكر ريتشارد متشيل فى مؤلفه الشهير «أنه بعد صدور قرار التقسيم فى نوفمبر سنة ١٩٤٧ اشترك البنا مع بعض «الشخصيات الإسلامية» مثل صالح حرب باشا من جمعية الشبان المسلمين ومحمد علوبة باشا ، فى تشكيل لجنة وادى النيل لجمع المال والسلاح .. وكان مصطفى مؤمن هو ممثل الجماعة فى تلك اللجنة .^(٥) وكانت مشاركة الإخوان الأكثر بروزاً والتي سجلها لهم التاريخ ، هى مشاركتهم الفعالة فى حرب ١٩٤٨ ، حيث اتفق معظم الباحثين على الدور الكبير الذى قام به الإخوان فى هذه الحرب .

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٣) حسنى أدهم جرار ، ص ٣٥٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(٥) ريتشارد متشيل ، ص ص ٩٦ - ٩٧ .

البحث الثاني الإخوان المسلمون في فلسطين

البداية :

يُجمع الباحثون على أن دعوة الإخوان المسلمين وصلت إلى فلسطين في سنة ١٩٣٥ ، حيث توجه إلى فلسطين ثم سوريا أول مبعوثي الإخوان إلى الأقطار الشقيقة ، وقد ذكر الإمام البنا في مذكراته أن «الأخوين» عبد الرحمن الساعاتي «شقيق البنا» ومحمد أسعد الحكيم قد وصلا إلى القدس صباح الأحد ٥ جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ (أغسطس ١٩٣٥) بمعية الزعيم التونسي الثعالبي ، حيث قابلا الحاج أمين الحسيني ونشرا دعوة الإخوان^(١).

وعلى الرغم من عدم وجود إشارات تدل على تأسيس شعب الإخوان أو إنشاء التنظيم في فلسطين في تلك الفترة المبكرة ، فإن اهتمام الإخوان المسلمين المتميز بالقضية الفلسطينية خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩) مهد الطريق لانتشار الجماعة في فلسطين ، وقد مر بنا نشاط الإخوان المكثف في تلك الفترة من مظاهرات وندوات وجمع للتبرعات ومشاركة فعلية في ثورة فلسطين ، ولعل أبرز هذه الأعمال أثراً على انتشار الدعوة في فلسطين هو وصول مجلتهم «النذير» إلى فلسطين وهجومها الشديد على بريطانيا وتأييدها لكفاح شعب فلسطين.

أما في الفترة (١٩٣٩ - ١٩٤٥) فيبدو أن أفراداً من أهل فلسطين بدأوا ينضمون إلى الإخوان المسلمين دون أن يشكلوا شعباً رسمياً للإخوان في فلسطين^(٢) ، وذلك لحالة الاضطراب والقهر التي سادت البلاد بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .. إلا أن الإخوان المسلمين استمروا في دعوتهم بطرقهم المعروفة من إرسال الرسل للدعوة في المساجد ، «والتعرض للقضايا السياسية التي تتوافق مع الرغبات القومية ، وقد مهد الإخوان لدعوتهم بواسطة جريدتهم التي كانت تصل إلى فلسطين يومياً ، وفيها الشؤون السياسية والدفاع عن حقوق أهل فلسطين»^(٣).

(١) حسن البنا، ص ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) محسن محمد صالح، ص ٤٣٩ .

(٣) بيان نويهض الخوت (القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨) ، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١ ، ص ٥٠٣ .

كما عمل الإخوان تحت لافتات مختلفة في تلك الفترة ، «إذ أسسوا جمعية المكارم في القدس سنة ١٩٤٣م»^(١) ، ويبدو أنها لم تكن الجمعية الوحيدة ، «فقد انتشرت دعوة الإخوان المسلمين في الثلاثينيات تحت أسماء جمعيات دينية متعددة كان من أبرزها «جمعية المكارم» في القدس ، ولم تتوحد هذه الجمعيات وتأخذ اسم (جماعة الإخوان المسلمين) إلا بعد مؤتمر عام عقد في مدينة حلب سنة ١٩٤٤ حضره ممثلون عن الجمعيات الفلسطينية»^(٢) .

وقد انضم العديد من أبناء فلسطين الذين يدرسون في الجامعات المصرية إلى الإخوان المسلمين ، وعندما عادوا إلى فلسطين أسهموا بنشر الفكرة هناك ، وأحد الأمثلة على ذلك الشيخ (مشهور ضامن بركات) الذي كان أحد الطلبة الدارسين في مصر في مطلع الأربعينيات والذي أصبح فيما بعد رئيس شعبة الإخوان المسلمين في نابلس عند تأسيسها عام ١٩٤٦ م .^(٣)

تأسيس الشعب الإخوانية :

«حضر مندوبو الإخوان المسلمين من فلسطين مؤتمر الإخوان الخامس في حلب سنة ١٩٤٤م الذي اتخذ قراراً بتوحيد أسماء الجمعيات المتعددة التي سبق وأنشأتها الحركة في البلدان المتعددة باسم (الإخوان المسلمون)»^(٤) ، وحينما خفت ظروف الضغط بانتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ الإخوان يؤسسون الشعب في المدن المختلفة .

وليس غريباً أن يسجل التاريخ اليوم الأول لافتتاح شعبة الإخوان في القدس في الخامس من مايو سنة ١٩٤٦ ، لما لهذه المدينة المقدسة من أهمية بالغة في قلوب المسلمين ، ولتواجد القيادة السياسية الفلسطينية فيها ، ولحضور مندوب عن المرشد العام الشيخ حسن البنا ، مما جعل بيان نويهض الحوت تعتبره أول فرع للجماعة في فلسطين .

ويغلب على الظن أن فروع غزة ويافا على الأقل قد سبقت فرع الإخوان في القدس ، «ويبدو أن أول فروع الإخوان المسلمين إنشاء في فلسطين كان فرع مدينة غزة - التي تعتبر أقرب مدن فلسطين إلى مصر .. وكان أول رئيس لشعبة الإخوان المسلمين في غزة الحاج ظافر

(١) المرجع السابق، ص ٥٠٢ .

(٢) د. علي محافظة، (الفكر السياسي في فلسطين ١٩١٨م - ١٩٤٨م)، عمان : مركز الكتب الأردني، ١٩٨٩م، ص ٣٤٤ .

(٣) محسن محمد صالح، ص ٤٣٩ .

(٤) بيان نويهض الحوت، ص ٥٠٢ .

الشوا الذي كان رئيساً لجمعية التوحيد ، وقد ظلت هذه الجمعية موجودة ، وقد أنشئ هذا الفرع بعد نهاية الحرب العالمية الثانية تقريباً (أواخر سنة ١٩٤٥) ، وصار من أنشط فروع الإخوان في فلسطين^(١) ، وقد زاره الشيخ حسن البنا في ٢٠ مارس ١٩٤٨ وكتب كلمة في دفتر الزيارة الخاص بالشعبة^(٢).

وفي مدينة يافا حسب ما يقول يوسف عميرة - أحد أوائل المشاركين فيه - فقد تأسس الفرع في أواخر سنة ١٩٤٥ أو بدايات ١٩٤٦ ، وقد أقيم حفل بمناسبة افتتاحه شارك فيه مندوبون عن الإخوان المسلمين في مصر ، وتولى رئاسة المكتب الإداري لفرع يافا السيد ظافر الدجاني ومعه تسعة أعضاء .. وكان فرع الإخوان في يافا أكثر الفروع بروزاً في فلسطين وقد زاد عدد أعضائه عن ٣٠٠ عضو^(٣).

وفي حيفا تم في عام ١٩٤٦ أيضاً إنشاء فرع للإخوان المسلمين ، حيث جاء وفد من إخوان مصر من بينهم سعيد رمضان لضم جمعية الاعتصام إلى الإخوان .. وقد انضم أكثر الأعضاء دون رئيس الجمعية الشيخ محمد نمر الخطيب ونائبه الشيخ تقى الدين النبهانى الذى أسس فيما بعد حزب التحرير الإسلامى ، وكان أول رئيس لشعبه حيفا الشيخ عبد الرحمن مراد ، وهو شيخ أزهرى ، ومع الأيام أصبح فرع الإخوان أقوى من جمعية الاعتصام^(٤).

أما افتتاح فرع القدس فقد نقل حسنى أدهم جرار عن مجلة المنتدى يقول : «أقيمت بعد ظهر يوم الاثنين ٦ مايو ١٩٤٦ حفلة افتتاح مقر جماعة الإخوان المسلمين في حي الشيخ جراح بالقدس ، وكان عدد الذين لبوا الدعوة يزيد على الألفين من القدس والقرى المجاورة ومندوبى الإخوان من فلسطين وشرق الأردن ، وقد تحدث فى الحفل الشيخ أحمد الطاهر ، أمين سر الجماعة فى مدينة يافا ، والشيخ أسعد الإمام الحسينى أمين سر الجماعة ، كما تحدث كل من الشيخ عبد الحميد السائح وناصر الدين النشاشيبي والشيخ عبد الله غوشه والسيد جمال الحسينى رئيس الحزب العربى ، وكانت الكلمة الأخيرة للشيخ عبد المعز عبد الستار ممثلاً للمرشد العام .. وقد حضر عدد كبير من إخواننا المسيحيين ..»^(٥) ، وكان مما قاله السيد جمال نائب رئيس اللجنة العربية العليا : «أنه تمنى منذ تسع سنوات أن تنتشر دعوة

(١) محسن محمد صالح ، ص ٤٤١ .

(٢) عباس السيسى ، ص ١٥٣ .

(٣) محسن محمد صالح ، ص ٤٤٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

(٥) حسنى أدهم جرار ، ص ٣٦٨ .

الإخوان في فلسطين ، وأن أمنيته قد تحققت الآن ، وأعلن انضمامه للإخوان ، وحلّى صدره بشعارهم»^(١).

وقد تتابع إنشاء فروع الإخوان في فلسطين قبل حرب ١٩٤٧-١٩٤٨ فأنشئت فروع في قلقيلية واللد وطولكرم والمجدل وسلواد والخليل وخان يونس وبئر السبع والناصرة وعكا وغيرها من المدن^(٢).

وجاء في رسالة «القول الفصل» للمرشد العام ، وهي آخر ما كتبه للإخوان : «وللإخوان في فلسطين أكثر من عشرين شعبة في الشمال والوسط والجنوب»^(٣).

قيادة الإخوان المسلمين في فلسطين :

يذهب البعض^(٤) إلى أن الإخوان المسلمين لم تكن لهم قيادة واحدة تمثلهم جميعاً منذ التأسيس وحتى نهاية حرب ١٩٤٨ ، وذلك بسبب قصر المدة فلم تكد تمضى سنة ونصف على التأسيس حتى أعلن قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، وانشغل الإخوان في فلسطين بشكل أساسي في الجهاد وقتال اليهود ، يضاف إلى ذلك أساليب الاحتلال البريطاني الإرهابية والقمعية .

وترى بيان نويهض أن الإخوان المسلمين كانوا يتبعون حركة الإخوان في مصر مباشرة^(٥) ، ويرى محسن محمد صالح أن الحركة في فلسطين أخذت بعدها المرتب والمنظم في فترة متأخرة نسبياً لأن القرارات التي صدرت عن المؤتمر (حيفا ١٩٤٧) والتي تؤكد وجود مكتب إداري للإخوان في فلسطين جاءت قبل شهر واحد فقط من صدور قرار التقسيم واندلاع حرب فلسطين.

لكننا نرى في صحيفة الدفاع التي تصدر في يافا وفي وقت مبكر ، العدد ٣٣٢١ بتاريخ ٣١ / ٣ / ١٩٤٦ أن جماعة الإخوان المسلمين عقدت مؤتمراً عاماً لها في القدس في ٢٩ مارس / آذار ١٩٤٦ برئاسة الشيخ عبد الباري بركات وتولى أمانة السر الشيخ أسعد الإمام ،

(١) إسحق موسى الحسيني ، الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية ، ص ١٤٤.

(٢) بيان نويهض الخوت ، ص ٥٠٣ ، ومحسن محمد صالح ، ص ٤٤٥ ، وعلى محافظة ، ص ٣٤٥ ، وعوض جدوع العبيدي ، ص ٥٠.

(٣) صلاح شادي ، (صفحات من التاريخ : حصاد العمر) ، الكويت : شركة الشعاع ، ١٩٨٠م ، ص ٦٢.

(٤) محسن محمد صالح ، ص ٤٤٥.

(٥) بيان نويهض الخوت ، ص ٤٠٥.

أمين سر جماعة القدس، وقررت عقد اجتماع عام لمندوبي شعب الإخوان المسلمين يوم الجمعة ١٢ أبريل / نيسان ١٩٤٦ في المركز العام للإخوان المسلمين في مدينة القدس،^(١) وكما ينقل نفس المصدر عن جريدة فلسطين الصادرة في يافا، العدد ٦٢٩٥ بتاريخ ١٤ / ٤ / ١٩٤٦ فإن الإخوان المسلمين قد انتخبوا المكتب الدائم من الشيخ عبد الباري بركات والشيخ عمر صوان والشيخ مشهور الضامن وجميل وهبة وظافر الشوا و خليل الوفائي ونمر المصري،^(٢) يضاف إلى ذلك أن مؤتمر حيفا في أكتوبر ١٩٤٦ يدل على أن للإخوان المسلمين قيادة جماعية واحدة، لكن قصر المدة والظروف حالت دون شيوع هذا الأمر.

أنشطة الإخوان ومؤتمراتهم :

- مؤتمر حيفا (١٩٤٦) : في ١٨ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٦ عقد الإخوان مؤتمراً عاماً في حيفا حضره ممثلون عن لبنان والأردن وتقرر فيه :

١ - اعتبار حكومة فلسطين مسئولة عن الوضع السياسي المضطرب .

٢ - تأييد الجامعة العربية .

٣ - تأييد مطالب مصر بالجللاء ووحدرة وادى النيل .

٤ - عدم الاعتراف باليهود الطارئين على البلاد .

٥ - تعميم شعب (الإخوان) .^(٣)

- مؤتمر حيفا (١٩٤٧) : في ٢٧ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٧ عقد الإخوان المسلمون مؤتمراً كبيراً في مدينة حيفا أعلنوا فيه تصميمهم على الدفاع عن بلادهم بجميع الوسائل واستعدادهم للتعاون مع كل الهيئات الوطنية وعدم ثقتهم بمجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة. إن اهتمام الإخوان المسلمين بتحرير فلسطين كان اهتماماً صادقاً ومرتكزاً على الإيمان الديني العميق ، وفي السنتين ما بين انتشار الإخوان وبين النكبة ، اقتصر نشاط الإخوان على افتتاح المكتبات والأندية وإلقاء المحاضرات ، إلا أنهم منذ إعلان قرار التقسيم ابتدأوا يجسدون اهتمامهم الكامل بالتحرير تجسيداً عملياً ، فاتخذوا من مقرهم في القدس مقراً للجهاد .^(٤) كما نشط الإخوان المسلمون - باعتراف الرواية الإسرائيلية الرسمية - بشكل كبير ،

(١) على محافظة، ص ٣٤٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) بيان نويهض الحوت، ص ٥٠٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٠٤.

ودعوا العرب إلى رفع راية (التمرد) ضد اليهود والإنجليز حتى إن المؤسسات القومية اليهودية احتجت واشتكت عليهم للسلطات البريطانية^(١) ، كما أنشأ الإخوان فرقاً للكشافة والجوالة كانت من أفضل الفرق في فلسطين^(٢) . وجاء في الرواية الإسرائيلية : «إثر احتجاجات من جانب اليهود أرسلت السلطات في ٢١ / ١١ / ١٩٤٦ تعميماً إلى موظفي الحكومة ، حظر بموجبه عليهم الانتماء إلى النجادة والفتوة والإخوان المسلمين والمنظمات المشابهة»^(٣) .

المبحث الثالث الإخوان المسلمون وحرب ١٩٤٨

حرب ١٩٤٨ :

كان قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ في ، ثم قرار بريطانيا بإنهاء انتدابها على فلسطين وعزمها على الانسحاب في نهاية يوم ١٤ / ٥ / ١٩٤٨ ، سبباً رئيسياً في اندلاع المواجهات العنيفة بين الفلسطينيين واليهود ، ثم دخول الجيوش العربية السبعة إلى أرض فلسطين ، وما سبقها من قوات المتطوعين من الإخوان المسلمين وغيرهم .

فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتأسيس هيئة الأمم المتحدة ، عملت بريطانيا على نقل قضية فلسطين إلى هذه الهيئة الدولية بهدف تحقيق غرضين أساسين : الأول أن قرار الهيئة الدولية ستكون له قيمة دولية ، وسوف يلزم دولاً كثيرة ، أما الغرض الثاني فإن بريطانيا تستطيع بالقرار الدولي أن تتخلص نهائياً من وعودها للعرب وواجباتها نحوهم ، فقد كانت دائماً تدعى البراءة مما يجري على أرض فلسطين .

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتأثير من النفوذ الصهيوني فيها بجهود كبيرة وضغوط شتى على الدول الأعضاء في الأمم المتحدة وعلى مندوبيها في نيويورك ، وساعد على

(١) (حرب فلسطين ٤٧-٤٨ الرواية الرسمية الإسرائيلية) ، ترجمة أحمد خليفة، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١، ص ١٤ .

(٢) محسن محمد صالح، ص ٤٤٩ .

(٣) حرب فلسطين، مرجع سابق، ص ١٣ .

ذلك ضعف الدول العربية وعدم توحيد جهودها ، مما سهل صدور قرار التقسيم ، «فقد صوت مع القرار (٣٣) دولة ، وصوت ضده (١٣) دولة ، بينما امتنعت (١٠) دول ، وتغيبت دولة واحدة»^(١) ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من الدول التي أيدت القرار ، بينما امتنعت بريطانيا عن التصويت ، وقد نص القرار على إنشاء دولتين : عربية ويهودية ، وجعل مدينة القدس تحت الوصاية الدولية ، وقد أعطى القرار للدولة اليهودية ٥٦٪ من أرض فلسطين ، بما فيها أكثر الأراضي خصوبة .

أحس الفلسطينيون والعرب بالظلم الشديد لهذا القرار ، فاليهود الذين كان عددهم في فلسطين قبل ثلاثين سنة وعند الاحتلال البريطاني «لا يتجاوز ثلاثة وخمسين ألفاً ، أصبحوا في عام ١٩٤٧ حوالى ستمائة ألف بسبب الهجرات الأجنبية غير المشروعة ليهود بولندا وروسيا ودول الكتلة الشرقية ، وهذا العدد لا يؤلف ثلث سكان فلسطين»^(٢)

الفلسطينيون :

شعر الفلسطينيون أن وطنهم يضيع من بين أيديهم ، وبقرار دولي ، فوطدوا العزم على مقاومته ، فقد أعلنت (الهيئة العربية العليا) برئاسة الحاج أمين الحسيني والتي تشكلت لقيادة ثورة ١٩٣٦ عن تأسيس (جيش الجهاد المقدس) بقيادة عبد القادر الحسيني ، الذي بدأ بتجنيد المقاتلين في المدن والقرى ، رغم قلة الأموال وقلة السلاح ، حيث كانت بريطانيا تحظر على العرب اقتناء السلاح ، وقد عمل المقاتلون الفلسطينيون للدفاع عن المدن والقرى العربية ، وإفشال مخطط تأسيس الدولة اليهودية ، وبدلوا محاولات جادة في جمع السلاح من الدول العربية .

وقد بدأت المنظمات الصهيونية المدربة والمسلحة تسليحاً جيداً ، بمهاجمة المدن والقرى العربية ، خاصة تلك التي تقع داخل المناطق التي أعطاها قرار التقسيم لليهود ، وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى إجلاء مئات الألوف من العرب والاستيلاء على بيوتهم وممتلكاتهم ، وقد قاموا بأعمال إرهابية متعددة مما تسبب في انتشار حالة من الرعب والهلع ، عبرت عنها البرقية التي أرسلها مجلس بلدية غزة إلى الملوك والرؤساء العرب في ٤ / ١ / ١٩٤٨ في أعقاب هجوم اليهود على مدينة يافا ، وغيرها من المدن العربية ، و«الضحايا في ازدياد

(١) فلاح خالد على ، (الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ١٩٤٩م وتأسيس دولة إسرائيل) ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٢م ، ص ٢٤ .

(١) المرجع السابق ، ص ص ٧٣-٧٤ .

مستمر ، ونحن عزل ، ولازلنا ننتظر العون ، أنقذونا بالعمل المجدى السريع»^(١) .
وخاض الفلسطينيون معركة غير متكافئة فى الخمسة شهور التى سبقت دخول الجيوش العربية ، وحافظوا على أكثر المواقع ، واستشهد الكثيرون منهم لقلة السلاح وعدم وصول الإمدادات العربية ، « كانت الجامعة العربية ترسل لنا السلاح البالى ، والبنادق التى أكلها الصدأ ، ومع هذا كله فليس معها رصاص»^(٢) ، وقامت بمعاونة الفلسطينيين مجموعات المتطوعين من الإخوان المسلمين ، الذين بدأوا يتوافدون على فلسطين منذ أواخر سنة ١٩٤٧ ، ورغم العراقيل التى وضعتها أمامهم الحكومة المصرية .

اليهود :

كان اليهود قد أعدوا أنفسهم جيداً لمثل هذه الأيام ، فهم يعرفون ما يريدون ، فقد حصنوا مستعمراتهم ، وأعطاهم الجيش البريطانى الكثير من القواعد العسكرية والأسلحة ، وكانت لهم منظماتهم العسكرية المدربة والمسلحة والتى أعدوها منذ سنوات .
كانت أكبر هذه المنظمات وأقواها منظمة (الهاجانة) والتى يقودها (بن غوريون) وكانت تضم حوالى ستين ألف مقاتل ، كما جاء فى إحدى «الوثائق البريطانية الرسمية»^(٣) ، حيث تنقسم المنظمة إلى ثلاثة أقسام : الأول (قوات الدفاع الثابت) وتضم أربعين ألفاً من المقاتلين المدربين فى المستوطنات والمدن ، والقسم الثانى (قوة القتال) وتتكون من ستة عشر ألف مقاتل للأغراض الهجومية ، أما القسم الثالث فهو (البالمخ) أى الصاعقة وتتكون من ستة آلاف ، كان من أبرزهم موسى ديان وإسحاق رابين وحاييم بارليف وغيرهم ، وقد قامت قوات (البالمخ) بالكثير من الأعمال الإرهابية لترويع الناس وطردهم من بيوتهم ، وكان لمنظمة (الهاجانة) قوات احتياطية تبلغ أربعين ألفاً من القوات .
أما المنظمة الثانية فكانت (الأرجون) أى المنظمة العسكرية القومية ، والتى كانت بقيادة (مناحيم بيغن) ، وكانت تضم حوالى ثلاثة آلاف مقاتل ، وتميزت هذه المنظمة بقوة مخابراتها ، حيث جندت اليهود المهاجرين من الدول العربية ، للقيام بأعمال التجسس فى المدن والقرى العربية وتنفيذ أعمال الإرهاب والتدمير التى كانت من أبرزها مذبحه (دير ياسين) .
بالإضافة إلى منظمة (شتيرن) الأكثر تطرفاً ، والتى كان يقودها إسحق شامير ، وتتكون

(١) على محافظة ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ ، عن جريدة الدفاع (يالفا) ، عدد ٣٨٤٨ فى ١٠/٥/١٩٨٤ م .

(٢) محمد نمر الخطيب ، (من أثر النكبة) ، دمشق : المطبعة العلمية ، ١٩٥١ م ، ص ١٧٣ .

(٣) فلاح خالد على ، ص ١١٧ ، وثيقة رقم ٦٨٧٣ بتاريخ ٢٤/٧/١٩٤٦ .

من حوالى ثلاثمائة عضو مستعدين للقيام بأى عمل مهما كانت درجته الإرهابية ، يضاف إلى هذه المنظمات (الفيلق اليهودى) الذى شكله الإنجليز فى أواخر الحرب العالمية الثانية ، ليساعد الحلفاء ، وكان عدده (٥٣٥٨) جندياً^(١) .

الدول العربية :

كانت الدول العربية السبع المكونة لجامعة الدول العربية ، تعاني من ضعف فى جيوشها وتدريبها وتسليحها ، وكانت فوق ذلك تعاني من اتساع الهوة بين الحكومات والجماهير ، بالإضافة إلى قوة نفوذ بريطانيا السياسى والعسكرى على كل من مصر والأردن والعراق التى تربط كل واحدة منها معاهدة ثنائية مع بريطانيا ، وتحفظ بقواعد عسكرية فى هذه الدول الثلاث ، والسعودية التى تربطها مع أمريكا علاقات اقتصادية وسياسية ، ولم تبق إلا اليمن البعيدة ، وسوريا ولبنان حديثتا العهد بالاستقلال .

وكان العرب منقسمين بين معسكرين متصارعين هما : المعسكر الهاشمى الذى يضم الأردن والعراق ، والمعسكر السعودى المصرى ، الذى تقترب منه سوريا نظراً لأطماع الهاشميين فيها ، كما كانت (الهيئة العربية العليا) التى تقود الفلسطينيين على عدااء وتناحر مع المعسكر الهاشمى ، حيث ساعد الحاج أمين الحسينى ثورة رشيد عالي الكيلانى فى العراق ، وحيث وجد الملك عبد الله ملك شرقى الأردن منافسة الحاج أمين الحسينى على زعامة الفلسطينيين وخاصة على المناطق التى حددها قرار التقسيم للدول العربية .

اضطرت الجيوش العربية إلى الدخول لحرب فلسطين بسبب حالة الغليان الشعبى التى اجتاحت المنطقة ، وبموافقة بريطانيا بشرط عدم الدخول إلى المناطق التى خصصت لليهود بموجب قرار التقسيم .

الحرب :

بدأت الحرب بدخول الجيوش العربية السبعة إلى فلسطين فى ١٥ مايو / آيار ١٩٤٨ ، عند انسحاب القوات البريطانية وإعلان دولة (إسرائيل) .

دخل الجيش المصرى من الجنوب ، بعد قرار مفاجئ ، دون أن يستكمل استعداداته ، وكان فى أعلى التقديرات حوالى عشرة آلاف جندي ، ومعه حوالى ألف وخمسمائة جندي سعودى^(٢) . أما الجيش السورى الذى كان يتكون من ثمانية آلاف جندي دخل منه إلى

(١) المرجع السابق، ص ١٥٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ٩٥ .

فلسطين اللواء الأول المكون من ألفى جندي ، وظل الجيش اللبناني على الحدود الدولية في خطة دفاعية ، أما الجيش العراقي والذي كان أفضل الجيوش العربية تسليحاً وتدريباً ، فقد أرسل ثلاثة آلاف جندي ، وصل عددهم في نهاية الحرب إلى خمسة عشر ألفاً ، وكانت الجيوش - كما أعلن - تحت إمارة الأمير عبد الله ، أمير الأردن ، وكان رئيس أركان الجيش الأردني الضابط البريطاني (جلوب) والذي كان يعاونه في قيادة الجيش سبعة وثلاثون ضابطاً بريطانياً ومائة وثمانون ضابط صف كما جاء في إحدى الروايات^(١) بينما ذكر عبد الله التل أحد قادة الجيش الأردني في تلك الحرب أسماء خمسة وأربعين ضابطاً بريطانياً^(٢).

أراد معظم الملوك والرؤساء من الحرب عمل مظاهرة لتسكت شعوبهم الغاضبة ، كما عمل أكثرهم على تثبيت مشروع التقسيم ، «وأعلنت قيادة الجيوش حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية في فلسطين وتوقيف نشاطها بحجة أن ذلك يعرقل عمل القوات النظامية»^(٣). كما تم عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية عن مباشرة معالجة قضية فلسطين ، وترك هذه المعالجة للجامعة العربية والجيوش العربية ، رافق ذلك إعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية في البلاد العربية بحجة حماية المجهود الحربي .

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب الذي حارب في فلسطين مع الجيش العراقي : «لقد أرسل عبد الإله الجيش إلى فلسطين لا ليحارب ويطرده اليهود ، بل أرسله للتغطية والتضليل عن مؤامراته مع عمه عبد الله ، ولإسكات الشعب العراقي ، وعندما وصل الجيش العراقي إلى الأردن عطلوه وشلوه ومنعوه من القتال ، وقد استقال العديد من الضباط الوطنيين احتجاجاً على ذلك»^(٤).

وعلى الرغم من كل هذه الظروف الصعبة ، وفضيحة الأسلحة الفاسدة في الجيش المصري ، إلا أن هذه الجيوش خاضت معارك متعددة ، وقدمت العديد من الشهداء ، وحافظت على جزء كبير من الأراضي العربية ، بل حررت القوات السورية مناطق عديدة في الشمال ، كما كان للوطنيين في الجيش الأردني وتعاونهم مع مجموعات (جيش الجهاد المقدس) الفلسطينيين ومتطوعي الإخوان المسلمين دور كبير في الحفاظ على مدينة القدس والأماكن المقدسة ، وكانت قرارات الهدنة الأولى ، والتي يخرقها اليهود بعد استكمال استعداداتهم ،

(١) عباس مراد ، (الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١-١٩٧٢م) ، بيروت : م. ت. ف. مركز الأبحاث ١٩٧٣م ، ص ٦٣ .

(٢) عبد الله التل ، (كارثة فلسطين) ، القاهرة : مطبعة مصر ، ١٩٥٩م ، ص ص ٨١-٨٣ .

(٣) فلاح خالد علي ، ص ٦٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

ثم الهدنة الثانية وتآمر القيادات العربية ، وتسليم مدينتي اللد والرملة لليهود ، عن طريق انسحاب الجيش الأردني بأوامر من ضباطه الإنجليز ، وعدم وصول الإمدادات للجيش العربية ، والمذابح والعمليات الإرهابية الصهيونية أثرها في نهاية الحرب في مارس ١٩٤٩ ، وتوقيع اتفاقيات الهدنة مع إسرائيل التي استولت في نهاية الحرب على حوالي ٧٥ ٪ من أرض فلسطين ونجحت في طرد أكثر من مليون فلسطيني من مدنها وقراها لتبقى في يد العرب مدينة القدس القديمة وما فيها من المقدسات بالإضافة إلى الخليل ورام الله ونابلس وبيت لحم وأريحا التي ظلت تحت السيطرة الأردنية وسميت بالضفة الغربية ، بالإضافة إلى شريط ساحلي صغير يضم مدينة غزة ظل تحت سيطرة القوات المصرية .

الإخوان وحرب ١٩٤٨ :

أثبتت حرب ١٩٤٨ أن الإخوان المسلمين مستعدون للتضحية والقتال وبذل النفس في سبيل تحرير فلسطين ، على أساس أنها قضية كل مسلم ، فجاء الإخوان من كل مكان متطوعين للحرب ومتجاوزين كل الصعوبات والعقبات التي وضعت في طريقهم ، وكان في مقدمتهم الإخوان المصريون بقيادة الشيخ محمد فرغلي .

ومما يثبت أهمية فلسطين لديهم ، ويدلل على التعامل الجاد مع قضية الجهاد ، أن الإخوان جاءوا برؤسائهم وكبار رجالهم ، فالإخوان الأردنيون يقودهم المراقب العام عبد اللطيف أبو قورة ، والسوريون كذلك تحت قيادة مراقبهم العام الدكتور مصطفى السباعي ، وجاء العراقيون بإمارة رئيسهم ومراقبهم العام الشيخ محمد محمود الصواف .. وشاركوا في كثير من المعارك وأظهروا بطولات سجلت لهم ، تقول بيان نويهض : «إن الدور البطولي والجاد الذي قام به الإخوان في المعركة هو الذي جعل لهم دوراً خاصاً ومميزاً في النضال الفلسطيني ، خاصة وأن الإخوان قد أرسلوا على رأس الكتائب المقاتلة بعضاً من قادتهم ..»^(١) ، وتشهد الباحثة أن «اهتمام الإخوان بتحرير فلسطين كان اهتماماً صادقاً ومرتكزاً على الإيمان الديني العميق»^(٢) ، وقد جاء مقاتلو الإخوان من أقطار أخرى مثل ليبيا وتونس والسودان واليمن إلى جانب من كان منهم في فلسطين.^(٣)

(١) بيان نويهض الخوت، ص ص ٥٠٤ - ٥٠٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) عارف العارف ، (النكبة : نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧-١٩٥٢م) ، صيدا (لبنان) : المكتبة العصرية ، ١٩٥٤م ، ج ٢ ، ص ص ٣٨٩ - ٣٩٠ .

الإخوان المصريون :

كان الإخوان المصريون قد استطاعوا ربط الشعب المصري بما يجرى على أرض فلسطين وتنوعت أنشطتهم وتراكمت جهودهم منذ ثورة ١٩٣٦ ، فلما صدر قرار التقسيم في نوفمبر سنة ١٩٤٧ كان الإخوان قد أعدوا أنفسهم وهيئوا الجماهير للمشاركة الفعلية في الدفاع عن فلسطين .

«ففي الخامس عشر من كانون أول (ديسمبر) من عام ١٩٤٧ ، أعد الإخوان لمظاهرة اهتزت لها جنبات القاهرة .. وخطب في الجموع المحتشدة الزعيم اللبناني رياض الصلح والأمير فيصل بن عبد العزيز والشيخ محمود أبو العيون وجميل مردم بك وصالح حرب باشا والقمص متياس الأنطواني والسيد إسماعيل الأزهرى ، وكانت الكلمة الأخيرة للزعيم المظاهرة الإمام حسن البنا وكان مما قاله : «إننى أعلن من فوق هذا المنبر أن الإخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد فى سبيل فلسطين .. وهم على أتم استعداد لتلبية ندائكم»^(١).

بدأ الإخوان المسلمون المصريون بالتوجه للجهاد فى فلسطين منذ أكتوبر ١٩٤٧ ، وقد سافرت أول كتيبة من الإخوان بإمرة الشيخ محمد فرغلى وقيادة الصاغ محمود لبيب .^(٢) ونحن هنا لن نستعرض المعارك التى خاضها الإخوان فى فلسطين ، فقد كتب فى ذلك الكثيرون من الإخوان وغير الإخوان ، ولكننا سنشير إلى أمور لها دلالتها ومغزاها مما يفيدنا فى البحث ، ومما يؤسس أرضية صلبة لتعاطف شعب فلسطين مع الإخوان المسلمين ، حيث لمس فيهم الصدق والتضحية والحب لفلسطين - وطن المسلمين جميعاً - مما جعل الكثيرين ينتمون لهذه الجماعة ، وما يجعلنا نستخلص هنا أن عمل الحركة الإسلامية لفلسطين ليس جديداً ولا طارئاً وإنما هو متأصل فى فكر الإخوان وممارستهم .

بداية تجدر الإشارة إلى «العقبات والعراقيل»^(٣) التى وضعت فى طريق الإخوان ، وعدم السماح لهم بالذهاب إلى فلسطين ، مما ألجأهم للتحايل والتسلل ، ثم يأتى قرار جامعة الدول العربية بمنع دخول المتطوعين واقتصار ذلك على الجيوش العربية النظامية ، لكن الإخوان استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم كأمر واقع حينما تطوعوا تحت إشراف الجامعة العربية ،

(١) محمود عبدالحليم ، مرجع سابق ، ص ٤١٢ .

(٢) محسن محمد صالح ، ص ٤٠٧ .

(٣) محمود عبدالحليم ، ص ٣١٢ .

فالإخوان لم يستأذنوا أحداً للجهاد ، ومع ذلك فقد حاولوا دائماً إشراك الأمة كلها بل والحكومات فيما يريدون تحقيقه من أهداف .

كما نشير إلى بطولاتهم وشجاعتهم وتحاملهم على الجراح وتعاملهم مع الجهاد على الأرض المباركة كفريضة وواجب ديني ووطني متجاوزين المصالح الضيقة من إقليمية أو حزبية ، فلم يؤثر في جهادهم قرار حل جماعتهم في القاهرة بل واقتيادهم إلى المعتقلات في أرض المعركة ، « فقد طلب اللواء المواوي قائد حملة فلسطين رسمياً في عدة خطابات له إلى الأمانة العامة للجامعة العربية تجنيد أكبر عدد ممكن من شباب الإخوان وإرسالهم فوراً إلى ميادين القتال .. وكلف اللواء المواوي الشيخ محمد فرغلي رئيس متطوعي الإخوان إلى حرب فلسطين بالسفر إلى القاهرة لاستعجال تجهيز وتعبئة شباب الإخوان المسلمين » .^(١)

كان للإخوان دور مشهود في جنوب فلسطين في مناطق غزة ورفح وبئر سبع .. وكانت لهم مشاركتهم الفعالة في معارك القدس وبيت لحم والخليل وصور باهر.^(٢) وقام الإخوان أيضاً بجهد رائع في إمداد قوات الجيش المصري المحاصرة في الفالوجا بالمؤن والذخيرة بقوافل الجمال عبر الصحراء ، وكان للبطل الصاغ معروف الخضري جهد مشكور في هذه الفترة ، وبلغت تضحيات الإخوان المصريين في معارك فلسطين حوالى مائة شهيد ومثلهم من الجرحى وبعض الأسرى.^(٣)

ولا ننسى أن نشير إلى تقييم اليهود أنفسهم لدور الإخوان المسلمين ، فهم يتابعون دور الإخوان منذ ما قبل الحرب ، وتعترف الرواية الإسرائيلية الرسمية لحرب ١٩٤٨ بدور الإخوان في التحريض والتعبئة والإعداد للمعركة : « استمر التحريض في المساجد والمهرجانات والاجتماعات ، وقام بدور معين فيه - الإخوان المسلمون - وهي منظمة دينية قومية متطرفة أصلها من مصر ، وقد بدأت هذه المنظمة في السنوات التي أعقبت الحرب (العالمية الثانية) بالقيام بنشاط كبير في أرض إسرائيل ، ودعا مبعوثوها إلى رفع راية التمرد ، ووعدهم بالدم والسلاح والمال من مصر »^(٤).

وفي موضع آخر تقرر الرواية الرسمية الإسرائيلية أن الإخوان المسلمين هم أول من بادروا

(١) حسين محمد أحمد حمودة ، (أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون) ، القاهرة : الزهراء للطباعة والنشر ، ط ٣ ، ١٩٨٩ م ، ص ٥٨ .

(٢) محسن محمد صالح ، ص ٤٧٣ .

(٣) صلاح شادي ، ص ٦٣ ومحسن محمد صالح ، ص ٤٧٥ .

(٤) حرب فلسطين ، الرواية الإسرائيلية ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

للتطوع والقتال رغم العقبات وعدم السماح من الحكومة المصرية فتقول : « صدرت المبادرة للتطوع لنجدة العرب أولاً عن منظمة «الإخوان المسلمين» المتعصبة التي كانت مشبوهة ومكروهة من جانب الحكومة ، وتسلفت مجموعاتهم دون موافقة الحكومة المصرية ، إلى أن انتظموا في كتيبة في فبراير سنة ١٩٤٨ »^(١) . وتؤكد الرواية الإسرائيلية أخبار الشجاعة والبطولة والإقدام فتقول : « ولم يكن مستوى وحداتها العسكرية أفضل من مستوى باقي الوحدات ، ولكنها تميزت بروحيتها القتالية وتشبثها بالهدف »^(٢) . وهنا نرى أن اليهود يتوقعون حدة المواجهة التي يمكن أن يتعرضوا لها من منظمة إسلامية جهادية .

ولعلنا نجد في سياق الجهاد الذي مارسه الإخوان في فلسطين إشارة مهمة لموضوع على جانب من الأهمية ، ألا وهو العلاقة مع المسيحيين ، وهي علاقة معروفة فمنذ أن بدأ البنا دعوته وهو يحارب الطائفية وتربطه علاقات ود مع كبار رجال الدين المسيحي ، وكثيراً ما كان يدعوهم للمهرجانات والاحتفالات . أما في فلسطين فلم يستطع المستعمر البريطاني ولا العدو الصهيوني أن يستغل هذا الموضوع ، فتاريخ فلسطين وحتى يومنا هذا لم يعرف فتنة بين المسلمين والمسيحيين ، وقد رأينا كيف دُعِيَ المسيحيون إلى احتفال افتتاح شعبة الإخوان المسلمين في القدس سنة ١٩٤٦ .

وقد كان من نصيب الإخوان المسلمين في حرب فلسطين أن يدافعوا عن مدينة بيت لحم مهد المسيح عليه السلام إلى جانب المدن التي دافعوا عنها ، ويذكر حسين محمد أحمد حمودة أحد الضباط الأحرار المصريين : « إن المسيحيين احتفوا بالإخوان المسلمين عند دخولهم للدفاع عن مدينتهم ، وكان الإخوان يبادلونهم هذا الشعور الكريم ، لما رأوه من إخلاصهم ولما شاهدوه من غيرة صادقة على كرامة العرب ، وقد استشهد حول أسوار بيت لحم عدد هائل من شباب الإخوان المسلمين دفاعاً عن مقدسات المسيحيين ، وظل الإخوان يدافعون عن بيت لحم عاماً كاملاً دون أن تقع حادثة واحدة من تلك الحوادث التي تقع عادة بين الجنود والمدنيين من أهل البلاد »^(٣) .

وختاماً لهذه الملاحظات نشير إلى النموذج الحى للمسلم المجاهد الذى مثله مجاهدو الإخوان المسلمين فى نظر شباب فلسطين وشيوخها ، وإلى الأخلاق الرفيعة التى تحلوا بها ، مما كان لها الأثر فى أن تتجذر دعوة الإخوان المسلمين فى أرض فلسطين قوية راسخة .

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤٤ .

(٣) حسن أحمد محمد حمودة، ص ٥٢ .

الإخوان الأردنيون :

كانت جماعة الإخوان المسلمين في الأردن قد تأسست سنة ١٩٤٥ على يد الحاج عبد اللطيف أبو قورة وبعض إخوانه^(١) . . وما أن بدأ الإخوان يمارسون أنشطتهم المعتادة من دعوة وخطابة ومحاضرات ، حتى دهمتهم قضية فلسطين بأحداثها الجسام ، وما كان لأهل الأردن أن يتعدوا عن هذه القضية وهم أقرب الناس إليها ، «شكل الإخوان المسلمون هناك لجنة لجمع التبرعات والمساعدات ، كما فتحو باب التطوع للمشاركة في الجهاد ، وكان تجاوب الناس رائعا ، يذكر محمد عبد الرحمن خليفة (المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين)^(٢) أنه عندما فتح باب التطوع في شعبه السلط سجل أكثر من ثلاثة آلاف شخص أنفسهم»^(٣) . أما في عمان وما حولها فقد تكونت سرية أبو عبيدة من ١٢٠ مجاهداً من الإخوان المسلمين في الأردن في تلك الفترة ، أما القيادة العسكرية فقد تولاها الملازم المتقاعد ممدوح الصرايرة ، وقد دخلت فلسطين في ١٤ / ٤ / ١٩٤٨ وتمركزت في عين كارم وصور باهر.^(٤)

ويروى الحاج ممدوح الصرايرة الذي كان قائداً عسكرياً لسرية أبي عبيدة : «إن الناس قد تبرعوا للإنفاق على السرية ، وكان أبرز المتبرعين الحاج عبد اللطيف أبو قورة وعبد الله أبو قورة وصبري الطباع وأبو صلاح الشربجي^(٥) ، وخاضت هذه السرية عدة معارك واستشهد عدد من أفرادها ، كما كان من أشهر معاركهم معركة رامات راحيل ومعركة القطمون ويذكر الأستاذ أحمد الخطيب^(٦) وهو أحد الرواد الأوائل في جماعة الإخوان المسلمين بالأردن أنه ذهب والأخ نايف أبو عبيد إلى مصر لشراء الأسلحة ، وأنهم قابلوا المرشد العام وأعطوه المال لشراء السلاح ، ثم عادوا بعد مدة بكمية من السلاح وضعت الجامعة العربية يدها على معظمها .

(١) عونى جدوع العبيدي ، ص ٣٤ .

(٢) أصبح الأستاذ عبد الرحمن خليفة ، المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن منذ ١٩٥٣ وحتى ١٩٩٤م حيث تم اختيار المحامي عبد المجيد ذنيبات مراقباً عاماً جديداً .

(٣) محسن محمد صالح ، ص ٤٧٦ .

(٤) سليمان موسى ، (أيام لا تنسى : الأردن في حرب ١٩٤٨) ، عمان : مطبعة القوات المسلحة الأردنية ، ١٩٨٢م ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٥) عونى جدوع العبيدي ، ص ٥٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

الإخوان السوريون :

لقد عايش الإخوان المسلمون السوريون قضية فلسطين وعملوا لها ، « فقد كانوا كإخوان في مصر - أول هيئة شعبية تتبنى قضية فلسطين وتتولى شرحها للرأى العام فى سوريا ، وكانوا على صلة وتعاون مع سماحة المفتى قبل خروجه من لبنان إلى العراق »^(١).

ولما أعلنت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين ، هب الإخوان فى سوريا لنجدة إخوانهم عرب فلسطين ، فأعلنوا ميثاقاً مقدساً لتشكيل جيش لتحرير فلسطين وأقبلت جموع الإخوان وأبناء الشعب السورى إلى مراكز الإخوان لتسجيل أسمائهم للتطوع فى جيش التحرير .. وسرعان ما أعلنت الحكومة السورية منع التطوع إلا عن طريق الجامعة العربية .^(٢) وفى يوم ١٢ / ٩ / ١٩٤٧ نظم الإخوان اجتماعاً شعبياً فى الجامع الأموى ، أعلنوا فيه الميثاق الوطنى ، وتنص أبرز بنوده على :

- إعلان استقلال فلسطين وتأسيس دولة عربية فلسطينية .
- مقاطعة أية دولة تساعد بشكل من الأشكال العدو الصهيونى .
- الشروع فى تأليف « جيش التحرير العربى لإنقاذ فلسطين » .

دخل الإخوان المسلمون فلسطين بقيادة المراقب العام مصطفى السباعى وقد اشتركوا ببسالة فى معارك القدس ، مثل معركة باب الخليل التى أصيب فيها خمسة وثلاثون منهم بجراح ، وكان النصر فيها معقوداً للمجاهدين ، وشاركوا فى معركة القسطل مع عبد القادر الحسينى ومعركة الحى القديم فى القدس ومعركة القطمون ، ونسف الكنيست اليهودى الذى اتخذته اليهود مقراً حربياً .^(٣) وتألف من الإخوان السوريين فريق لحفظ النظام والانضباط فى مدينة القدس بقيادة الشيخ ضيف الله مراد ...^(٤) وقد استشهد العديد من الإخوان السوريين على أرض فلسطين .

الإخوان الفلسطينيون :

حينما بدأت المواجهات العسكرية ضد العصابات الصهيونية كان الإخوان المسلمون الفلسطينيون فى بداية تنظيمهم ، كما كانت إمكانياتهم متواضعة ، ومع ذلك فقد شاركوا

(١) حسنى أدهم جزار، ص ٦٧٨ .

(٢) المرجع السابق، ٦٧٩ .

(٣) مصطفى السباعى، (الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين)، القاهرة: دار النذير ١٩٨٥م، ص ٢٠ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٨ - ٥٧ .

مشاركة فعالة حيث «شكلت شعب الإخوان في فلسطين قوات غير نظامية منذ بداية الحرب عملت في أماكن استقرارها في الشمال والوسط تحت القيادات العربية المحلية هناك والتي كانت تتبع جيش الإنقاذ أو جيش الجهاد المقدس»^(١).

أما في المناطق الجنوبية وخصوصاً غزة وبئر السبع فقد انضم العديد من إخوان فلسطين إلى قوات الإخوان (المصرية) الحرة بقيادة كامل الشريف ، ويذكر الشريف أن قوات الإخوان المصريين الحرة كان معدل عددها حوالي ٢٠٠ مجاهد في مناطق جنوب فلسطين وأنه كان يشاركها الجهاد حوالي ٨٠٠ مجاهد من أبناء فلسطين.^(٢)

ويذكر يوسف عميرة - أحد الرعيل الأول من إخوان يافا - أنه كان هناك تنظيم عسكري سرى خاص ضمن أعضاء الإخوان في يافا .. وقد ظهر نشاطه الجهادي مع بداية الحرب ، وقد تولوا أثناء الحرب الدفاع عن مناطق البصة وتل الريش والعجمي والنزهة في يافا بالإضافة إلى المحافظة على الأمن داخل البلد.^(٣)

وقد أورد الباحث الفلسطيني محسن محمد صالح في كتابه «التيار الإسلامي في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨» تفاصيل ما قام به الإخوان الفلسطينيون معتمداً على مقابلات أجراها مع العديد ممن شاركوا في حرب ١٩٤٨ •

(١) محسن محمد صالح، ص ٤٦٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

الفصل الثاني

الإخوان المسلمون في الضفة الغربية وقطاع غزة

١٩٤٨ - ١٩٥٧م

آثار النكبة:

سكتت المدافع ، وأسدل الستار على فصل حزين ، حيث أعلن اليهود قيام دولتهم «إسرائيل» في الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨ م ، وسارعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بالاعتراف بالدولة «اليهودية» ووقعت الحكومات العربية اتفاقيات الهدنة في «رودس» ابتداء من مصر في ٢٤ فبراير ١٩٤٩ م ، ثم لبنان في ٢٣ مارس ، فالأردن في ٣ أبريل وأخيراً سوريا في ٢٠ يوليو من نفس العام .^(١) وهكذا استولى اليهود على أكثر من ثلاثة أرباع فلسطين .

وعم السخط أرجاء العالم العربي على هزيمة الجيوش وضياع فلسطين ، ففي مصر تفاعلت آثار فضيحة الأسلحة الفاسدة بين جماهير الشعب وازدادت نقمة الضباط الوطنيين على الحكومة والملك ، الذين تسببوا في هزيمة الجيش المصري في فلسطين وحصار الفالوجا ، حيث كان من المحاصرين عدد كبير من تنظيم «الضباط الأحرار» وفي مقدمتهم جمال عبد الناصر ، فأضافت حرب فلسطين عاملاً مهماً جديداً بالإضافة إلى عوامل الفساد الداخلي لانفجار الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والقضاء على الحكم الملكي وحظر نشاط الأحزاب .

أما في الأردن فقد حملت جموع المشردين من فلسطين معها مشاعر السخط على الحكومات العربية ، وخاصة حكومة شرق الأردن وأدائها في الحرب ، مما جعل أحدهم يقوم باغتيال الملك عبد الله في المسجد الأقصى المبارك عام ١٩٥١ م . ودخلت سوريا مرحلة الانقلابات العسكرية لدرجة حدوث ثلاثة انقلابات في عام واحد بعد النكبة ، وفي العراق ظلت الأوضاع تتفاقم حتى استطاع الجيش التخلص من الحكم الهاشمي ونوري السعيد في ثورة يوليو / تموز ١٩٥٨ م بقيادة عبد الكريم قاسم .

(١) محمد أحمد محافظة ، (العلاقات الأردنية الفلسطينية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٩٣٩-١٩٥١م) . عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٣ ، ص ١٨٣ .

وكان من أهم آثار النكبة على الفلسطينيين والدول العربية المحيطة بفلسطين هو نشوء مشكلة المشردين الذين أجبروا على الهرب من مدنهاهم وقراهم نتيجة للمذابح اليهودية وأعمال الإرهاب فعاشوا مكدرين في الخيام ، ثم في بيوت متواضعة أقامتها وكالة غوث اللاجئين في قطاع غزة وفي الضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن وكذلك في كل من سوريا ولبنان .

عاش اللاجئون في مختلف مناطقهم ظروف الخيم المتشابهة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية ، كما عاشوا ظروفًا مختلفة من منطقة إلى أخرى حسب موقف الدولة العربية المضيئة وطريقة تعاملها معهم .

فمن الناحية الاجتماعية عانت جميع الأسر الفلسطينية من حالة التششت ، فكثير من الأسر بقي قسم من أفرادها في الأرض المحتلة بينما غادر القسم الآخر إلى مخيمات غزة والأردن وسوريا ولبنان ، كما أن حياة الخيم أزال الكثير من الفوارق الطبقيّة بين الفلسطينيين حيث كانت تتجاور في الخيم الواحد عائلات فقيرة في الأصل إلى جانب عائلات كانت من أصحاب الأراضي والعقارات والأموال ، وكان الفلاح والمدني والبدوي على اختلاف لهجاتهم وعاداتهم يعيشون في الحى الواحد .

ومن الناحية الاقتصادية ، فإن الجميع كانوا يعانون من الفقر والبؤس ، فهم تركوا أملاكهم وأموالهم خلفهم ، والذين استطاعوا إحضار أموالهم أو بعضها استنفذوها مع الوقت ، وأصبح الجميع تقريباً متساوين في حياة الفقر الشديد ، ويعيشون على مصدر واحد هو معونات وكالة الغوث للاجئين ، وظلوا على تلك الحال قرابة عقد كامل قبل أن تفتح لهم مجالات العمل وإمكانية السفر إلى دول الخليج .

ومن الناحية التعليمية ، فقد وجد اللاجئون في العلم المجال الوحيد لتحسين أحوالهم ، وشعر الآباء بخطر الجهل الذي عانوه من سياسة بريطانيا طوال فترة الانتداب ، فأرسلوا أبناءهم جميعاً إلى مدارس وكالة الغوث ، ولم يكن لهم أرض ولا متاجر حتى ينشغل فيها الأولاد ، لذا فاقت نسبة التعليم لدى اللاجئين أعلى نسبة في أية دولة عربية ، فلم يكن غريباً أن ينتشر هؤلاء المشردون ، وبعد أقل من خمسة عشر عاماً ، في معظم البلاد العربية مدرسين ومهندسين وأطباء .

أما من الناحية السياسية ، فإن قدر اللاجئين من بعضهم البعض على اختلاف أصولهم ومنابتهم وفي ظل الحياة القاسية التي يعيشونها معاً ، جعلهم دائماً يتناقشون في القضايا

السياسية ، ويبحثون فى أسباب نكبتهم ودور الدول الكبرى والحكومات العربية فى مأساتهم ، مما جعل مجتمعهم تربة خصبة للأحزاب السياسية ، وكانت بالنسبة لهم دائماً قضية فلسطين ومواجهة اليهود هى المعيار الأول والأخير فى موقفهم من الأحزاب والحكومات .

هذه الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسياسية طبعت حياة المخيمات جميعاً ، ومع ذلك فإن اختلاف الظروف من منطقة إلى أخرى أثر على حياة الفلسطينيين بصورة مختلفة ، ففي قطاع غزة ، كان الفلسطينيون جميعاً من سكان القطاع الأصليين أو اللاجئين الذين وفدوا عليه وعددهم يزيد على ضعف عدد المواطنين - يعيشون على جزء من أرض فلسطين ، فلم تكن هناك بالنسبة لهم دولة مضيضة كما هو حال اللاجئين فى المناطق الأخرى ، كانت هناك فقط الإدارة المصرية ، ولم يحتكوا بالشعب المصرى ، حيث تفصل بينهما ، صحراء سيناء ، كان الشعور الوطنى عندهم طاغياً ، فهم الفلسطينيون الوحيدون الذين يحملون الجنسية الفلسطينية ، ويعيشون على أرض فلسطينية ويرفعون علم فلسطين - إلى جانب العلم المصرى - فى كل مدارسهم ومؤسساتهم ، وجاءت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ م ، لتطيح بمن أضاعوا فلسطين ، وترفع شعارات الوحدة العربية ، وتحرير فلسطين ، مما أوجع المشاعر الوطنية الفلسطينية والقومية العربية لدى سكان قطاع غزة .

أما فى الأردن فقد كان الوضع مختلفاً ، فقد لجأ إلى الأردن حوالى نصف عرب فلسطين ، سكنوا مخيمات اللاجئين فى الضفة الشرقية كما سكنوا المخيمات فى ما أصبح يسمى بالضفة الغربية ، وأصبحوا جميعاً - بالقانون - مواطنين أردنيين ، بعد ضم الضفة الغربية إلى الأردن عام ١٩٥٠ م .

وبذلك استطاعوا أن يؤثروا كثيراً فى حياة الأردن على مختلف المستويات ، حيث كان المستوى الحضارى والاجتماعى والسياسى لعرب فلسطين يفوق مستوى سكان الأردن ، مما ساهم فى رفع المستوى الحضارى للأردن وتوسيع المدن وارتفاع مستوى الحياة من الناحية العلمية والعمرانية والحرفية ، كما ساهم الفلسطينيون فى تطوير المساهمة الشعبية السياسية ، بما حملوه فى نفوسهم من الحقد على بريطانيا وعلى الحكم فى الأردن ، فساهموا فى طرد (جلوب) والضباط الإنجليز من الأردن ، كما ساهموا فى منع الأردن من دخول حلف بغداد ، وكانوا مدداً وفيراً للأحزاب القومية الجديدة كالبعث وحركة القوميين العرب إلى جانب الإخوان المسلمين .

أما في لبنان ، فمنذ الأيام الأولى عملت الحكومة على عدم حدوث أى تغيير في المعادلة الطائفية التي تحكم لبنان ، وخاصة أن الغالبية العظمى من الفلسطينيين هم من المسلمين السنة ، فسارعت الحكومة اللبنانية إلى منح الجنسية اللبنانية لأبناء الطائفة المسيحية من اللاجئين ، كما منحت الجنسية لعدد من أصحاب رؤوس الأموال الذين استطاعوا تهريب أموالهم قبل حلول النكبة . (١)

كانت أحوال اللاجئين في لبنان أكثر سوءاً من أحوال إخوانهم في المناطق الأخرى ، فقد حظرت عليهم السلطات السكن في القرى الحدودية ، ووزعتهم على مخيمات متفرقة ، وحددت إقامتهم وأصدرت الحكومة القوانين بمنعهم من العمل في الدوائر والمؤسسات الحكومية والخاصة ، واقتصرت عملهم على مؤسسة وكالة غوث اللاجئين أو الأعمال الشاقة في البناء أو الزراعة ، كما منعت اللاجئين من ممارسة العمل السياسي بكافة أشكاله وفرضت العقوبات على كل مخالف . (٢)

أما في سوريا ، فكان حال اللاجئين الفلسطينيين فيها أحسن حالاً من إخوانهم في المناطق الأخرى ، حيث دمجت الحكومة بين السوريين والفلسطينيين في جميع ميادين العمل الحكومية أو الخاصة ، وفي المجال السياسي عمل الفلسطينيون كإخوانهم السوريين ، ووصل الكثيرون منهم إلى مناصب قيادية في الأحزاب السورية ، كما تولى الكثيرون مناصب حكومية رفيعة ، وفي المجال العسكري أيضاً فرضت عليهم الخدمة الإجبارية كالسوريين ووصل منهم عدد لا بأس به إلى مراكز قيادية ، وكانت دائماً ولاتزال المدارس والجامعات مفتوحة لهم دراسة أو تدريساً دون قيد أو شرط ، ولم يواجهوا كغيرهم مشاكل الإقامة أو التنقل أو الملكية ، باختصار فقد كانوا دائماً وفي ظل جميع الحكومات كالسوريين تماماً بفارق وحيد هو أنهم ظلوا يحملون الجنسية الفلسطينية خدمة لقضيتهم وحفاظاً على حقوقهم .

أما أرض فلسطين فقد انقسمت إلى ثلاثة أجزاء منفصلة ، وعاش الشعب الفلسطيني في كل منها حياة اجتماعية واقتصادية وسياسية مختلفة ، متأثراً بعوامل تختلف من جزء لآخر ، مما ساهم في تشتته ، وجعل مواصلة النضال أمراً في منتهى الصعوبة .

(أ) الفلسطينيون في الأرض المحتلة : بقي الجزء الأول من شعب فلسطين متشبثاً في أرضه ، رغم كل المذابح والمؤامرات ، فقد بقي حوالي مائة وخمسون ألف داخل فلسطين ، يعانون من

(١) فلاح خالد على ، مرجع سابق ، ص ٣٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨٤-٣٨٦ .

الخربة والياس والقمع الصهيوني ، ومصادرة الأراضي ، وقوانين منع التجول ، وحظر التنقل من قرية إلى أخرى .

يقول صالح برانسي ، أحد قادة العمل الوطني ومؤسس جماعة «الأرض» عام ١٩٥٩م تلك الأيام : «رحلت الزعامات جميعاً ، وبقي الشعب من دونها كقطيع دون راع ، وقعنا بين يدي عدو لا يرحم ، كان إحساسنا بالضيق ، صدمنا إذ تحولنا من أكثرية إلى أقلية ، ومن أصحاب للأرض إلى غرباء فيها»^(١).

لم يعد هناك وجود مطلقاً للحركة الإسلامية في داخل فلسطين ، وأغلقت جميع شعب الإخوان المسلمين في حيفا ويافا واللد وبئر السبع وغيرها ، وحول اليهود كثيراً من المساجد إلى متاحف ، وظل الصوت الإسلامي حبيساً في القلوب ، إلى أن انطلق بعد هزيمة يونيو / حزيران ١٩٦٧م . ولم يجد العرب في فلسطين المحتلة صوتاً يحمل همومهم الحياتية ، ومطالبهم الاجتماعية إلا الحزب الشيوعي الإسرائيلي - راكاح - وأكثر أعضائه من الشيوعيين العرب ، حيث اعترف الحزب بدولة إسرائيل ، وشارك في انتخابات «الكنيست» معتمداً على الأصوات العربية .

أما بالنسبة لأوضاعهم الاقتصادية ، فقد كان معظمهم عمالاً في البناء وكس الشوارع والأعمال الشاقة ، ولم تتح لهم فرص التعليم ، باختصار كانوا يمثلون الطبقة الدنيا في المجتمع ، حيث يحتل المكانة الأولى اليهود الغربيون «الأشكنازيم» ثم اليهود الشرقيون «السفرديم» ثم يأتي العرب أهل البلاد الأصليين ، وقد أعطى العرب الجنسية الإسرائيلية وعرفوا باسم «عرب إسرائيل» .

(ب) الضفة الغربية لنهر الأردن : ظل جزء من أرض فلسطين في المناطق الجبلية شرق البلاد تحت سيطرة القوات الأردنية ، والقوات العراقية التي سلمت مواقعها للجيش الأردني ، وضم هذا الجزء إلى جانب مدينة القدس القديمة مدن الخليل ورام الله وبيت لحم ونابلس وأريحا وطولكرم وجنين وعدداً كبيراً من القرى التي تتبع هذه المدن جميعاً سميت منذ ذلك الحين بالضفة الغربية لنهر الأردن ، التي ألحقت بالضفة الشرقية لتصبح جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية ، يحمل الفلسطينيون فيها الجنسية الأردنية .

(ج) أما الجزء الثالث والأخير فهو الذي تبقى من اللواء الجنوبي والذي لم تحتله القوات الصهيونية عام ١٩٤٨م ، وبقي خاضعاً لإشراف القوات المصرية وإدارتها ، إلى أن احتلته

(١) صالح برانسي ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

إسرائيل في حرب ١٩٦٧م ، ويبلغ طوله ٤٥ كيلو متراً ومتوسط عرضه ست كيلومترات في مساحة قدرها ٣٥٠ كم ٢ ، يمتد من رفح على الحدود المصرية جنوباً إلى بيت حانون شمالي مدينة غزة ببضعة كيلو مترات ، فبينما كان اللواء الجنوبي يضم ٥٨ مدينة وقرية وخربة ، لم يبق للقطاع سوى مدينتان : هما غزة وخان يونس وعشر قرى تضم كلها ٩٠ ألفاً من السكان هاجر إليهم من فلسطين المحتلة حوالي ٢٠٠ ألف لاجئ^(١).

ولو عرفنا أن منطقة غزة كانت أكثر المناطق الفلسطينية فقراً وتخلفاً قبل النكبة ، وأن اقتصادها كان يعتمد في الأساس على المناطق الفلسطينية الأخرى ، لاستطعنا أن نتخيل مدى البؤس الذي عاشه القطاع بعد النكبة .

وهكذا بدأت بعض الهيئات والجمعيات الخيرية الدولية بمد يد المساعدة إلى هؤلاء اللاجئين ثم حلت محلها بعد ذلك «وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» التي بدأت عملها في ١ / ٥ / ١٩٥٠م^(٢) ، والتي كانت مساعداتها لا توفر الحد الأدنى من المعيشة ، «فقد قدر ما صرفته الوكالة في السنة المالية ١٩٥٠ / ١٩٥١ على الفرد الواحد بـ ٣١ دولار و ٤ سنتاً، أي ما يقل عن تسعة سنتات يومياً موزعة علي مختلف نشاطات الوكالة»^(٣) ، مما جعل أحد الباحثين الفلسطينيين يستخلص أن : «الوكالة مارست سياسة التجويع ليصبح اللاجئون أكثر استجابة لمشاريع التوطين المطروحة»^(٤) .

كان أكثر ما يخيف اليهود ويتنافى مع استراتيجيتهم المستقبلية ، هو اكتظاظ القطاع بأعداد اللاجئين الفقراء ، الذين يشكلون بمرئياً من البارود القابل للانفجار في كل لحظة ، لذلك كانت المؤامرة تستهدف توطين هؤلاء اللاجئين في البلاد العربية البعيدة والشاسعة ، فطرح مشروع للتوطين في ليبيا والعراق منذ عام ١٩٥١م ، لكن اللاجئين استطاعوا أن يحبطوا هذه المشاريع جميعاً ، ورفضوا أن يتركوا مخيمات اللاجئين في قطاع غزة إلا إلى مدنهاهم وقراهم داخل فلسطين . ولم تقتصر المشاريع على مستقبل اللاجئين ... بل طالت مستقبل القطاع نفسه ، من اقتراحات بدمجه بالأردن أو مصر أو تسليمه لبريطانيا لتنقل إليه

(١) زياد أبو عمرو ، (أصول الحركات السياسية في قطاع غزة ١٩٤٩-١٩٦٧م) ، عكا : دار الأسوار ، ١٩٨٧م ، ص ١٤ وهارون هاشم رشيد ، (غزة) ، صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ ، ص ٦٥ .

(٢) حسين أبو النمل (قطاع غزة : ١٩٤٨-١٩٦٧) ، بيروت : مركز الأبحاث (م . ت . ف) ، ١٩٧٩م ، ص ٤٠-٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٢ .

قواتها المتواجدة في منطقة قناة السويس،^(١) ولم يصدر اقتراح واحد ولا حتى من جهة عربية بتسليمه «لحكومة عموم فلسطين» التي أعلنت في ٢٢ / ٨ / ١٩٤٨ م .

الوضع السياسي لكل من قطاع غزة والضفة الغربية :

بعد الإعلان عن تأسيس «دولة إسرائيل» واحتلالها لمعظم الأراضي الفلسطينية ، وقبل انتهاء المعارك وخاصة في الجبهة الجنوبية في معارك النقب التي يخوضها الجيش المصري ، طفت إلى السطح الخلافات القديمة بين الملك عبد الله وبين «الهيئة العربية العليا» التي يتزعمها الحاج أمين الحسيني ، وظهر التنافس على اعتبار أن مصلحة الأمة والقضية تكمن في وحدة هذه الأراضي مع الأردن ، وكانت هذه الخلافات تعكس أيضاً التنافس بين المعسكرين الرئيسيين في المنطقة العربية ، المعسكر الهاشمي الذي يضم الأردن والعراق والمعسكر المصري والسعودي الذي تؤيده سوريا والهيئة العربية العليا ، وكان هذا سبباً مهماً في تأخر الفلسطينيين في إعلان حكومتهم طبقاً لقرار التقسيم الذي أعلنوا رفضهم القاطع له .

بادرت «الهيئة العربية العليا» إلى محاولة إنشاء الكيان السياسي الفلسطيني ليعبر عن الهوية الفلسطينية ، ويمثل الفلسطينيين في المحافل العربية والدولية فأعلنت «حكومة عموم فلسطين» برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي في ٢٣ سبتمبر / أيلول ١٩٤٨ م في مدينة غزة وذلك بتشجيع من كل من مصر والسعودية وسوريا ، وقد دعت هذه الحكومة إلى عقد مؤتمر وطني فلسطيني في مدينة غزة في الأول من أكتوبر / تشرين أول ١٩٤٨ م .^(٢)

دُعي لهذا المؤتمر مائة وخمسون شخصاً من الفئات التمثيلية كرؤساء البلديات ، وأعضاء المجالس البلدية واتحادات الغرف التجارية ، وأعضاء اللجان القومية والوفود والبعثات السياسية والأحزاب .. وقد استجاب منها نحو تسعين شخصاً ، حيث لم يستطع ممثلو الضفة الغربية حضور المؤتمر بسبب المعارضة الشديدة للحكومة الأردنية .^(٣)

أعلن المجلس انتخاب الحاج أمين الحسيني رئيساً له ، وأقر تشكيل الحكومة ، وأعلن استقلال فلسطين كلها ، وأرسل بقراراته إلى الجامعة العربية وإلى الحكومات العربية ، لكن هذه الحكومة واجهت معارضة شديدة من الحكومة الأردنية ، حتى أن الحكومة المصرية التي

(١) المرجع السابق، التفاصيل ص ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) محمد غزة دروزة، (القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها)، دمشق: دار الجاحظ للطباعة، ج ٢، ط ٣، ١٩٨٤ م ص ٢١١ .

(٣) عيسى الشعيبي، مرجع سابق، ص ٢١ .

أظهرت تأييدها لهذه الحكومة في بداية الأمر ، بدأت تحجم من دورها إلى أن أجبرتها على مغادرة قطاع غزة إلى القاهرة ، كما امتنعت الجامعة العربية عن دعوتها لحضور اجتماعاتها اللاحقة ،^(١) وتقلص دور حكومة عموم فلسطين «لتصبح عبارة عن رئيس وسكرتير وأربعة موظفين .. لا يلتفت أحد إلى تقاريرها ومشاريعها ومطالبها» .^(٢)

أما في الضفة الغربية لنهر الأردن فقد نشطت الحكومة الأردنية وبمساعدة خصوم المفتى في العمل لسحب الشرعية من حكومة عموم فلسطين منذ إعلانها ، فقد عقد مؤتمر عمان في نفس اليوم الذي عقد فيه مؤتمر غزة ، وتشكلت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من سليمان التاجي الفاروقي وسعد الدين العلمي وعجاج نويهض وحكمت التاجي الفاروقي والشيخ مصطفى الأنصاري وعزت الكرزون .^(٣)

وكان هدف مؤتمر عمان محاربة حكومة عموم فلسطين ومؤتمر غزة ، حيث جاء في قرارات مؤتمر عمان في البند الرابع أن المؤتمر يشد انتباه الحكومات العربية إلى أن تشكيل حكومة فلسطينية في غزة في وقت كان الشعب الفلسطيني فيه ممزقاً ، هو عمل مؤذ وضار .. وجاء في البند الخامس أن المؤتمر يحمل مسئولية أية كوارث تحدث للشعب الفلسطيني من الآن فصاعداً للحكومات العربية التي أيدت حكومة غزة .. أما البند الثاني عشر فيعلق فيه المؤتمر على الملك عبد الله أعظم الآمال للدفاع عن فلسطين والاحتفاظ بعروبيتها .. ويعطي المؤتمر جلالته ثقة غير محدودة ليتحدث باسم عرب فلسطين ويتباحث ويعمل كل شيء نيابة عنهم ...^(٤) وفي الأول من ديسمبر / كانون أول ١٩٤٨م عقد مؤتمر «أريحا» برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، حيث قرر المؤتمر مبايعة الملك عبد الله ملكاً على فلسطين في ظل الوحدة الأردنية الفلسطينية .^(٥)

وعلى الرغم من مخالفة ذلك لتوجهات الجامعة العربية في المحافظة على الأجزاء الباقية من فلسطين وعدم ضمها ، بالإضافة إلى رفض الملك فاروق ورئيس وزرائه لقرارات مؤتمر أريحا ، وتنديد الأمين العام للجامعة العربية بهذه القرارات ومعارضة السعودية وسوريا وحكومة

(١) المرجع السابق.

(٢) مهدي عبد الهادي، (المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السلمية، ١٩٣٤-١٩٧٩م)، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٧٥م، ص ١٧٤.

(٣) محمد محافظة، ص ١٩٧.

(٤) المرجع السابق ص ١٩٨-١٩٩.

(٥) (وثائق فلسطين ١٨٣٩-١٩٨٧)، م. ت. ف. (دائرة الثقافة)، ص ١٩٩.

عموم فلسطين ، إلا أن الحكومة الأردنية استمرت فى إجراءاتها العملية لضم الضفة الغربية ، «فى ديسمبر ١٩٤٩ صدرت الإرادة الملكية باعتبار أن كل الفلسطينيين القاطنين فى المملكة الأردنية الهاشمية وفى الضفة الغربية من نهر الأردن هم أردنيون فى جميع الأحوال» ،^(١) وتوالى الإجراءات الخاصة بتداول العملة وجوازات السفر إلى أن تم تشكيل مجلس الأمة الجديد عن الضفتين ، حيث أصدر قرار الوحدة فى ٢٤ أبريل / نيسان ١٩٥٠م^(٢) .

وهكذا وعلى الرغم من اغتيال الملك عبد الله على يد فلسطينى فى المسجد الأقصى فى ٢٠ / ٧ / ١٩٥١م وقيام الثورة المصرية بعد ذلك بسنة ، فإن محاولات الكيان الفلسطينى قد أجهضت ، وأصبحت الضفة الغربية بالقانون أرضاً أردنية ، وأصبح أهلها مواطنين أردنيين ، كما أن قطاع غزة ظل خاضعاً بالكامل للإدارة المصرية ، يتأثر بالسياسة المصرية ومتطلباتها ولم يسمح فيه بأى نوع من التمثيل الفلسطينى طيلة السنوات العشر التى أعقبت النكبة .

المبحث الأول

الإخوان المسلمون فى الضفة الغربية والأردن

قانونية الجماعة :

أصبح الإخوان المسلمون فى الضفة الغربية - كباقي أبناء فلسطين فى تلك المنطقة - جزءاً من الدولة الأردنية ، وبما أن جماعة الإخوان المسلمين حركة إسلامية لا تتقيد بحدود القطر فقد أصبحوا جميعاً جزءاً من التنظيم الأردنى للإخوان المسلمين ، ولم يكن الإخوان فى ذلك الموقف متفردين عن غيرهم فمثلهم فعل الشيوعيون والبعثيون والقوميون .

ولعل أبرز ما ميز جماعة الإخوان فى الأردن عن بقية الأحزاب السياسية فى الساحة الأردنية ، بل وميز تجربتهم عن تجربة الإخوان أنفسهم فى مصر وفى قطاع غزة أنهم طوال الوقت يتمتعون بالغطاء القانونى لعملهم ، فلم تحظر الجماعة فى الأردن فى أى وقت من الأوقات ، ولم تتعرض للقمع الشديد كما تعرض الإخوان فى مناطق أخرى .

صحيح أن ترخيص الجماعة لم يكن ترخيصاً لحزب سياسى ، وصحيح أيضاً أن الجماعة اصطدمت بالسلطات فى مناسبات مختلفة واعتقل بعض أفرادها بل اعتقل مراقبها العام عدة

(١) محمد محافظة ، ص ٢٠٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

مرات ، لكننا نستطيع أن نقول إجمالاً أن الجماعة تمتعت بحرية العمل نسبياً ، ولم تتعرض للقمع والملاحقة بنفس الدرجة التي تعرضت لها الأحزاب السياسية الأخرى سواء كانت يسارية أو قومية بل وإسلامية مثل حزب التحرير الإسلامى ، « كانت جماعة قانونية بعكس معظم «الأحزاب» الأخرى المنافسة حيث كان يتم عقد الاجتماعات بصورة علنية ، وعادة ما كان يحضرها ممثلون رسميون من الحكومة وضباط من الجيش والقادة الأردنيون البارزون» .^(١) وهكذا «ظهرت فروع جديدة فى قرى ومدن الضفة الغربية ومنها جنين ، قلقيلية ، عبتا ، دورا ، صوريّف ، صوريّاهر ، طوباس ، أريحا ، إضافة إلى العديد من مخيمات اللاجئين ومنها مخيم عقبة جبر قرب أريحا ومخيم العروب قرب بيت لحم» .^(٢)

وسوف نرى كيف أن هذه العلنية فى العمل والتمتع بالغطاء القانونى كانت سلاحاً ذا حدين ، ففي بداية تلك الفترة ساعد ذلك الإخوان المسلمين على استثمار التأييد الشعبى لموقفهم وقتالهم فى فلسطين ومن ثم أصبحت الجماعة أكبر تنظيم على الساحة الأردنية . . ومن جهة أخرى فقد ساهم ذلك بالإضافة إلى عوامل أخرى إلى بداية الانحسار للحركة وانسحاب الكثير من الشباب مع بداية صعود المد القومى الناصرى ومعركة الأحلاف واتهام الجماعة بالوقوف مع السلطة ، فبدأت الجماعة تعاني من الضعف منذ سنة ١٩٥٦ و ١٩٥٧م وحتى صعود الصحوة الإسلامية فى جميع العالم الإسلامى وخاصة منذ بداية الثمانينيات وبروز الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية المحتلة ، حيث توج هذا التنامى فى قوة الجماعة فى الانتخابات البرلمانية التى جرت فى الأردن سنة ١٩٨٩م لتؤكد عودة الإخوان المسلمين كأكبر قوة سياسية فى الأردن منذ بداية الثمانينيات وحتى الآن .

نشاطات الجماعة :

نشط الإخوان المسلمون فى أعمالهم التقليدية مستفيدين من وضعهم القانونى «ففى نابلس قامت الشعبة باستئجار مبنى البلدية لممارسة نشاطاتهم ، وفى الخليل كان أعضاء الحركة يلتقون بشكل منتظم فى التميمى وسط المدينة» .^(٣) وكانت جميع الشعب فى الضفة الغربية كأخواتها فى الضفة الشرقية تنفذ مشروعات

(١) Cohen Amnon, Political in the West Bank Under the Jordanian Regime, (1949-1967) London: Cornel University Press, 1982 p.164.

(٢) Ibid. p.165.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٦.

خدمة المجتمع بنفس الأسلوب تقريباً الذي كانت تتبعه الجماعة في مصر وفي غزة في أوقات العمل العلني ، «فكان يتم عقد دورات مختلفة مثل الطباعة والقيام بنشاطات رياضية مثل رفع الأثقال والتنس، رغم أن التركيز الرئيسي كان منصباً على غرس ونشر عقيدة الحركة»^(١).

ومثلهم مثل الإخوان في كل مكان فقد امتازوا بالعمل في المساجد والاستفادة من خطبة الجمعة لنشر أفكارهم وحشد التأييد لبرامجهم بالإضافة إلى النشاطات المسجدية وحلقات تحفيظ القرآن ودروس الفقه وإنشاء المكتبات الإسلامية في المساجد ، كما نظم الإخوان العديد من المحاضرات والندوات ، وذكر الباحث الإسرائيلي أمنون كوهين «أنه في كثير من الأحيان تمت إثارة الموضوعات السياسية البحتة حيث كانت إسرائيل وبريطانيا وأمريكا أهدافاً دائمة لانتقاداتهم اللاذعة والمريرة ، وكثيراً ما كانت تعقد الاجتماعات إحياء لذكرى معركة إسلامية أو الإسراء والمعراج أو رأس السنة الهجرية أو المولد النبوي ، وكانت تحظى بالحضور الكثيف»^(٢).

ويذكر الدكتور على مفلح أن الإخوان كانوا ينظمون المسيرات والمظاهرات التي كان نواتها فرق كبيرة من الجواله بلبسها الخاص تنزل إلى الشوارع في صفوف طويلة وتتجمع حولها الجماهير.. وكانت هذه المظاهرات تحدث استنكاراً لاعتداءات صهيونية على الضفة وغزة وتطالب بالتسليح والتحرير، وكان بعضها يقام في القدس وغيرها من مدن فلسطين^(٣).

وقام الإخوان المسلمون أيضاً باستخدام الأعمال الدرامية للترويج لفكرتهم واستقطاب الناس لتأييد المنهج الإسلامي «ففي مدينة طولكرم عرض الإخوان ما بين سنة ١٩٥١ و١٩٥٣م مسرحية تناولت مشكلة الفقر ، كما عرض طلاب المدارس الثانوية سنة ١٩٥٣م بإشراف الإخوان مسرحيتين حول حركة التحرير في المغرب وهما «أحد أيام القتال في مراکش» و«الجندي المجهول»^(٤) وكانت تلك العروض وسيلة هامة لجمع التبرعات للمجاهدين في الجزائر أو حملات الأمية أو الفقراء في الأردن» .

وقد كان المراقب العام للإخوان المسلمين الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة يقوم بزيارات

(١) المرجع السابق، ص ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدكتور على مفلح، مقابلة شخصية، لندن، ١٦/٢/١٩٩٣ .

(٤) أمنون كوهين، ص ١٦٨ .

متعددة ومستمرة لمعظم المدن الفلسطينية وكذلك الأستاذ يوسف العظم أحد أبرز القيادات الإخوانية في الأردن .^(١) وكانت صحيفتهم «الكفاح الإسلامي» تتبنى قضية فلسطين وتدافع عنها على أساس أنها قضية المسلمين جميعاً وكذلك وقف نوابهم في البرلمان الأردني مع قضية فلسطين .

كما اهتم الإخوان منذ زمن مبكر بإنشاء المؤسسات الإسلامية ، ففي مخيم عقبة جبر قرب مدينة أريحا أسست الحركة «جمعية البر بأبناء الشهداء» . . وقامت هذه الجمعية «بإنشاء معهد لأبناء الشهداء ضم ٣٧٣ من أشبال أولئك الأسود» .^(٢) وكما أنشأ الإخوان في القدس سنة ١٩٥٣ (اللجنة الإسلامية للإعمار) في القدس و«اللجنة الخيرية لإعمار الأقصى» .^(٣) أما الأنشطة الخاصة والتي كانت تتم داخل صفوف الجماعة للارتقاء بمستوى الفرد من الناحية التربوية والثقافية فهذا أمر ثابت في صفوف جماعة الإخوان في كل زمان ومكان ، فقد كانت في الأردن وفي الضفة الغربية كما يذكر الدكتور على مفلح^(٤) تربية نموذجية في الأسر والكثائب ، حيث يقوم الشباب الصغار من أعضاء الحركة بقراءة وتحليل الكتابات الحركية يناقشونها في الأسر والكثائب ، كما كانت تقام أنشطة بقصد التدريب على الانضباط والتكشف وحسن الخلق مثل الصيام والرحلات الطويلة بين الجبال مشياً على الأقدام .

انتشار الجماعة في مخيمات اللاجئين :

كان من الطبيعي أن تنتشر الجماعة بين اللاجئين الفلسطينيين ، فهم لازلوا يذكرون جهاد الإخوان الصادق على أرض فلسطين ، وقد كان الفلسطينيون دائماً ولازالوا مستعدين لإعطاء الولاء والتأييد لأية جهة يرون فيها أملاً يحقق لهم العودة والتحرير ، «فقد أظهر الإخوان نشاطاً ملحوظاً في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وحققوا نجاحاً جيداً حيث تم افتتاح شعب في المخيمات الكبيرة ، وكانت نشيطة إلى درجة كبيرة وكان لها الكثير من الأتباع ، كما لقي الإخوان بعض النجاح في الأردن مع النازحين ، فقد ضمت شعبة إربد ١٥٠ من النازحين»^(٥) يقول د . على مفلح : «كان أحد أسباب انضمامي للإخوان المسلمين أنني شاهدت مسيرة

(١) حسنى أدهم جرار ، (الحاج أمين الحسيني رائد جهاد وبطل قضية) ، عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع ، ٧١٩٨ ، ص ٣٩١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أمنون كوهين ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(٤) د . على مفلح ، مرجع سابق .

(٥) أمنون كوهين ، ص ١٦٤ .

ضخمة للإخوان في القدس سنة ١٩٥١ م ، بقيت آثارها في نفسى حتى رحلنا إلى الزرقاء ، وهناك انتظمت في نفس العام ، حيث كانت دار الإخوان ولاتزال في الخيم ، وكان أهم دافع لى ولغيرى من الشباب هو سمعة الإخوان في حرب فلسطين» .^(١)

التدريب العسكرى :

اهتم الإخوان المسلمون في الأردن بالتدريب العسكرى ، ويذكر أمنون كوهين : «إن أهم ما أثار قلق السلطات هو الكشافة في نابلس والخليل والقدس ... وكان التدريب على الأسلحة يتم ليلاً وبصورة سرية .. ومع بداية سنة ١٩٥٥ و ١٩٥٦ م بدأ الإخوان التدريب على أسلحة مهربة عن طريق سيناء ، كما توصلت شعبة الخليل إلى اتفاق مع قائد الجيش في المنطقة على أن يتولى مدربو الجيش تدريب أعضاء الشعبة على الأسلحة وكان ذلك بعد حرب السويس سنة ١٩٥٦ م» .^(٢)

ويؤكد د . على مفلح أنه يمكن القول إن أغلب شباب الإخوان في تلك الفترة كان عندهم إلمام لا بأس به بأساسيات العمل الفدائى واستخدام السلاح حيث كان التدريب يتم في الأحرش بصورة سرية وكان المدربون إما من الأردن أو مصر مثل عبد العزيز على ولنجيب جريفل ، وكانت الحركة في فترتها الذهبية حركة عامة للأردنيين والفلسطينيين دون تمييز» .^(٣)

ضعف الحركة وانحسارها :

بحلول عام ١٩٥٦ م بدأت تظهر معطيات جديدة على الساحة السياسية في المنطقة بوجه عام ، وفي الأردن بوجه خاص وقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة على إضعاف جماعة الإخوان المسلمين في الأردن وفي غيرها من الأقطار .

(أ) معركة حلف بغداد :

المعروف أن اتفاقية الحلف وقعت في عام ١٩٥٥ م برئاسة بريطانيا وعضوية تركيا وإيران وباكستان والعراق ، وقد جاء رئيس هيئة الأركان البريطانية قبيلر للأردن يدعوها لدخول الحلف ، كانت الحكومة الأردنية راغبة في دخول الحلف ، لكن ذلك وُجِهَ برفض جماهيرى

(١) د . على مفلح ، مرجع سابق .

(٢) أمنون كوهين ، ص ص ١٦٨-١٦٩ .

(٣) د . على مفلح .

واسع ومظاهرات عارمة ضد الحلف «وكانت جماعة الإخوان فى طليعة المتظاهرين مما أدى إلى اعتقال المراقب العام فى سجن المحطة بعمان وإصابة بعض الإخوان بجروح» .^(١)

وكانت القوى الوطنية والقومية واليسارية كلها ترفض الدخول فى حلف بغداد، وكان يدعم موقفها حملة دعائية مصرية ضد الحلف، وبدأت القوى الوطنية تهاجم الإخوان المسلمين بتشجيع من عبد الناصر، يقول د . مفلح «هنا وقع الإخوان فى مأزق: إنهم ضد الحلف، ولكنهم ضد عبد الناصر، وبسبب هذه المواجهة بين الطرفين ظهر للشاعر الأردنى أن هناك قوتين متصارعتين، الإخوان من جهة والقوى الوطنية الأخرى من جهة ثانية، وشاع بين الناس أن الإخوان المسلمين يقفون عملياً فى صف النظام مع أن هذا عملياً لم يكن الحقيقة» .^(٢)

(ب) العدوان الثلاثى على مصر وقطاع غزة :

كان الهجوم البريطانى الفرنسى الإسرائيلى المشترك على مصر وقطاع غزة سبباً رئيسياً فى صعود نجم الرئيس المصرى جمال عبد الناصر كبطل قومى تلتف من حوله الجماهير العربية، وخاصة بعد فشل العدوان وانسحاب القوات المعتدية وبقاء عبد الناصر فى السلطة مؤيداً للثورة الجزائرية وداعياً لتحرير فلسطين والوحدة العربية، مما جعل شعبية عبد الناصر تزداد بصورة كبيرة فى الأردن وبين الفلسطينيين الذين بدأوا ينسحبون من جماعة الإخوان المسلمين، الخصم اللدود لجمال عبد الناصر .

(ج) حكومة سليمان النابلسى :

جرت الانتخابات الأردنية للبرلمان فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٦م على أسس حزبية لأول مرة، وكانت انتخابات نزيهة بإجماع المصادر، وحصل الحزب الاشتراكى على أكثر المقاعد بين الأحزاب، وكلف رئيسه سليمان النابلسى بتشكيل الحكومة مع أنه «سقط فى دائرته الانتخابية أمام محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين» .^(٣)

أقر النابلسى وأصحابه مشروع قانون يسمح بصدور جريدة (الجماهير) الشيوعية كما وافق أيضاً على منح مكتب لوكالة (تاس) فى الأردن وتصدى لهم الإخوان المسلمون حتى لا

(١) عونى جدوع العبيدى، (جماعة الإخوان المسلمين فى الأردن وفلسطين ١٩٤٥-١٩٧٠)، عمان، ١٩٩١م، بدون ناشر، ص ١٦٢ .

(٢) د . على مفلح .

(٣) عونى العبيدى، ص ١٦٣ .

تنتشر الشيوعية في الأردن^(١) لكن الإعلام الناصري والدعاية الحزبية صورت للناس أن الإخوان المسلمين وقفوا يدافعون عن النظام الملكي في الأردن .

(د) الفتنة داخل صفوف الجماعة :

قامت المخابرات المصرية بجهود مستمرة لتفتيت الإخوان في الأردن ، وقد قام بهذا الدور نجيب جويفل عضو النظام الخاص في جماعة الإخوان في مصر ، والذي كان معروفاً للإخوان في الأردن على أساس أنه من قيادات الإخوان ، وقد نجح في محاولة شق الصف الإخواني مما تسبب في استقالة المراقب عبد اللطيف أبو قورة سنة ١٩٥٣م ثم نجح بعد ذلك في عملية انشقاق الشيخ عبد الباقي جمو ومجموعة من حوله ، وقد اكتشف فيما بعد أن جويفل هذا يعمل للمخابرات المصرية^(٢)

(هـ) التملل داخل شباب الإخوان :

منذ سنة ١٩٥٥م وما بعدها بدأت تسود شباب الإخوان حالة من الانتقاد والهيّاج ويذكر د. علي مفلح كيف أن المراقب العام الأستاذ خليفة حضر إلى الزرقاء بنفسه ليحاور الشباب الهائج الذي ينتقد ضعف فاعلية الإخوان في العمل لمناهضة الاستعمار وتحرير فلسطين ، ويذكر كلمات المراقب العام : «ماذا نستطيع أن نفعل ، فالإخوان حالياً بين بحرير يهددانهم بالفرق ، فمن جهة يقف عبد الناصر وتياره الجارف وما فعله بإخوانكم في مصر وما يمكن أن يفعلوه بكم فيما لو انضمت الأردن إليهم ، ومن جهة أخرى الأنظمة العميلة التي لا يمكن أن نعمل معها ، فنحن في مرحلة لا خيار لنا إلا في الخط الذي نتبعه وهو الحرص والانتظار عسى الله أن يحدث أمراً»^(٣) وبالطبع فإن ذلك لم يقنع الشباب حيث خرج المراقب غاضباً وخرجوا هم غاضبين . لهذه الأسباب مجتمعة لم يجد الإخوان المسلمون لهم دوراً في الأحداث السياسية الكبرى التي أصبح بطلها جمال عبد الناصر ، ولم يبق لهم إلا الأنشطة الاجتماعية والخيرية وما شابه ، ولم يكن في ذلك ما يجذب الشباب الطموح المتعطش للتحرير والوحدة والآمال الكبرى ، فبدأت حركة خروج ضخمة من الجماعة وانحسر نفوذها لصالح المد القومي والناصري الذي اجتاحت المنطقة بأكملها ، ثم لصالح التنظيمات الفلسطينية الوطنية الوليدة مثل «فتح» و«جبهة تحرير فلسطين» .

(١) المرجع السابق، ص ١٦٥ .

(٢) د. علي مفلح ، وانظر أيضاً عوني العبيدي ص ص ١٠٢-١٠٨ .

(٣) د. علي مفلح .

العلاقة مع السلطات الأردنية والقوى الأخرى :

لعل من المفيد لبحثنا أن نلقى مزيداً من الضوء على علاقة الإخوان المسلمين في الأردن مع كل من النظام الحاكم والقوى السياسية الأخرى ، وأن نقوم بتحليل الأسباب التي أدت إلى هذه العلاقة ، فعلى الرغم من أن الإخوان المسلمين يختلفون في مبادئهم وأهدافهم وأساليبهم مع جميع الأطراف الأخرى إلا أن علاقتهم بالنظام كانت ولمدة طويلة أفضل من علاقاتهم مع القوى السياسية الأخرى .

(أ) العلاقة مع السلطات الحاكمة :

تأرجحت علاقة الإخوان المسلمين مع السلطات الأردنية بين مد وجزر ، وبين سماح لهم بممارسة أنشطتهم ودعمها أحياناً ، وبين ملاحقتهم ومراقبتهم أحياناً أخرى ، ولعل هناك أسباباً جوهرية أخرى كانت تعمل على التفريق بينهما ، لكنها لم تكن لتصل في قوتها لتلك الدرجة التي تضعف عوامل التقارب .

ولعله من المفيد في البداية أن نوضح الخطوط العريضة لسياسة الإخوان المسلمين في الأردن والتي جاءت في بيان أصدرته الجماعة في ٣ أبريل / نيسان ١٩٥٤ م :

- الأردن جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي .
- الإخوان المسلمون يرفضون أي نظام لا يقوم على أساس الإسلام .
- الإخوان المسلمون لن يؤيدوا أي حاكم حتى يقيم شرع الله في الأرض .
- الإخوان المسلمون في الأردن جزء من الحركة الإسلامية في مصر .
- الإخوان المسلمون ينظرون إلى قضية فلسطين على أنها قضية إسلامية وهم يحشدون كل إمكانياتهم المادية والمعنوية لتحرير فلسطين من اليهودية العالمية والصليبية الدولية .^(١)

عوامل التباعد :

والآن ما هي العوامل التي كانت تباعد بين الطرفين ، والتي لا تجعل الإخوان حلفاء للنظام أو جزءاً منه ويرفضون المشاركة في الحكومات المتعاقبة ، بل ويتظاهرون في مناسبات متعددة ضد السياسة الحكومية ؟ بإمكاننا أن نجمل تلك العوامل كما يلي :

- ١ - الحكم والقوانين الإسلامية : كان لا يمكن لحركة تستند على المنهج الإسلامي أن تؤيد حكومات لا تقيم الشرع ولا تقيم الحدود ، فكثيراً ما هاجم الإخوان الحكومات الأردنية

(١) عوني العبيدي ، ص ١٥٠ .

بحجة الفساد الأخلاقي الذي ترعاه الحكومة ، ومثال ذلك حينما «أنكر الإخوان على الحكومة إقامة صالة للتزلج واستيراد العاهرات الساقطات في حفلة التزلج على الجليد ، بينما دولة اليهود تستورد الدبابات والطائرات ، وكان نتيجة ذلك اعتقال المراقب العام للإخوان في سجن الجفر الصحراوي لأكثر من ستة أشهر ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة رئيس الحكومة» . (١)

٢ - العلاقة مع الغرب وبريطانيا خصوصاً : فقد كان من الطبيعي أن يرفض سياسة الأحلاف الاستعمارية التي تقودها بريطانيا في المنطقة ، فقد أصدرت الجماعة في عام ١٩٥٤م مجلة «الكفاح الإسلامي» وكانت تشن هجوماً قوياً على الدور البريطاني التأمري الذي يتولاه «جلوب» قائد الجيش الأردني وعلى النفوذ البريطاني في الأردن والعراق ، كما كشفت عن حقيقة الاستقلال المزيف ، مما جعل الحكومة تغلق المجلة في ٢٦ / ٨ / ١٩٥٤ بعد صدور ثلاثة أعداد منها فقط . (٢)

وفي ٢٥ / ١ / ١٩٥٧ طالب نواب الإخوان في البرلمان بإلغاء المعاهدة البريطانية ، وطرد قوات الاحتلال البريطاني ، كما هاجموا مشروع الرئيس الأمريكي «ايزنهاور» للواء الفراغ في الشرق الأوسط ، كما احتجوا على الحكومة الأردنية لاستدعائها قوات بريطانية لتربط في الأردن على أثر الانقلاب الذي حدث في العراق عام ١٩٥٨م ، مما أدى أيضاً إلى اعتقال المراقب العام عدة شهور ، كما كان للإخوان دور في الوقوف في وجه حلف بغداد الاستعماري عن طريق الإضرابات والمظاهرات والاحتجاجات . (٣)

٣ - القضية الفلسطينية : موقف الإخوان المسلمين عموماً من القضية الفلسطينية موقف معروف وقد أكدوه بقتالهم على أرض فلسطين في حرب ١٩٤٨م ، وزاد من ذلك أن جسم الجماعة في الأردن أصبح يضم الأعداد الكبيرة من الفلسطينيين الذين أجبروا على مغادرة أرضهم ، أو الذين ظلوا في مدنهم وقراهم في الضفة الغربية ، وكلهم يحملون في نفوسهم السخط على موقف الجيش الأردني في الحرب ، وانسحابه من اللد والرملة بأوامر قادتهم الإنجليز وتركها فريسة سهلة لليهود .

ففي عام ١٩٥٣م عقد الإخوان المسلمون مؤتمراً إسلامياً في مدينة القدس ، دعوا إليه علماء العالم الإسلامي وشخصياته المجاهدة ، وانبثق عنه تكوين «مكتب المؤتمر الإسلامي

(١) محمد الحسن ، (الإخوان المسلمون في سطور) ، عمان : دار الفرقان ، ١٩٩٠ ، ص ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ٥٩ - ٦١ ، وعوني العبيدي ص ١٢٧ .

(٣) محمد الحسن ، ص ٦٤-٦٥ .

لبيت المقدس» ومركزه مدينة القدس على أن يتولى شرح القضية الفلسطينية لشعوب وحكام العالم الإسلامي ، وفي ١٢ / ٤ / ١٩٥٤م طلب رئيس الوزراء من المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين - عضو المكتب التنفيذي للمؤتمر الإسلامي - إلغاء المؤتمر ونقله من القدس ، وأصرّ رئيس الوزراء على طلبه قائلاً أن هذه مطالب الإنجليز والأمريكان . . فلم يستجب المراقب العام ، مما أدى إلى اعتقاله ، ثم قاطع الإخوان المسلمون المؤتمر بعد ذلك - منذ مطلع الستينيات حين ابتعد عن أهدافه . (١)

وكانت بيانات الإخوان في الأردن دائماً تكشف عن خطر إسرائيل وتدعو لمقاومتها قبل أن ترسي دعائمها ، «فقد أصدر الإخوان المسلمون نداءً في ٢٩ / ٣ / ١٩٥٧م طالبوا فيه بطرد اليهود من خليج العقبة قبل أن تقوى شوكتهم» . (٢)

٤ - علاقة الإخوان بالمفتي : تبين لنا مما سبق العلاقة الطيبة التي ربطت بين المفتي الحاج أمين الحسيني وبين الإخوان المسلمين ومرشدهم الأول الشيخ حسن البنا ، كما عرفنا علاقة التنافس والتناحر التي قامت بين الحكم في الأردن و«الهيئة العربية العليا» التي يرأسها الحاج أمين الحسيني ، والتي أدت إلى ملاحقة أتباع المفتي في ضفتي الأردن ، كما تسببت في اغتيال الملك عبد الله على يد أحد أتباع المفتي .

وعلى ذلك فقد كانت السلطات الأردنية حذرة ومتخوفة من أن يتم تحالف بين الإخوان وأنصار المفتي ، لكن ذلك لم يحدث بسبب مخالفته لأساليب الإخوان المسلمين من جهة ولضعف المفتي وأنصاره وانحسار نفوذهم في وقت مبكر من جهة أخرى .

٥ - التنافس على المرجعية الدينية : فمن المعروف أن الملك عبد الله بن الشريف حسين بن علي ومن بعده حفيده الملك حسين هما من الأسرة الهاشمية ، وهما يريان أنهما أحق بزعامة الأمة العربية كلها ، وكان هذا من أهم عوامل التنافس بين المحور الهاشمي في الأردن والعراق والمحور المصري السعودي ، وجماعة الإخوان يمكن أن تكون جماعة منافسة غير مرغوب فيها ، لكن هذا لم يكن على الأقل في تلك الفترة وما تلاها سبباً جوهرياً للاختلاف بين الطرفين ، خاصة أن الإخوان المسلمين في الأردن أحجموا عن مهاجمة الملك في كل الظروف والمناسبات ، وكانوا يؤكدون دائماً أنهم يريدون حرية الدعوة لتعاليم الإسلام ، وكان هجومهم دائماً يتركز على الحكومة ورئيسها والبريطانيين والأمريكان .

(١) المرجع السابق، ص ٥٧-٥٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٦٦ .

يضاف إلى ذلك أن الحكم الهاشمي في الأردن لم يكن مقتصرًا على المرجعية الدينية بل أضاف إليها المرجعية القومية العربية على اعتبار أنه وريث «الثورة العربية الكبرى» التي قادها الشريف الحسين بن علي ، والتي تدعو إلى وحدة العرب واستقلالهم وقوتهم . كما كان كل طرف ، وخاصة الحكم ، منشغلاً بأخطار أخرى أكثر أهمية وجذرية .

عوامل التقارب :

كانت هناك عوامل جوهرية للتقارب بين الطرفين ، خففت من آثار العوامل السابقة ، وجعلتها لا تصل إلى حد الصدام أو المواجهة وخاصة مع رمز النظام - الملك - واقتصر الانتقاد والاحتجاج على الحكومات المتعاقبة وسياساتها ، بالضبط كما حدث مع الحركة الأم في مصر ، ويمكننا أن نجمل هذه العوامل تحت عنوانين رئيسيين هما : العوامل الحركية والمنهجية ، والعوامل السياسية الواقعية .

١ - العوامل المنهجية الحركية : استند الإخوان المسلمون في تعاملهم مع الأنظمة الحاكمة على الفقه الإسلامي بسعته ومرونته ، وكذلك كان منهجهم القائم على نشر الدعوة بالإقناع والتدرج وعدم الإيمان بأسلوب الانقلاب أو الثورة لبناء الحكم الإسلامي ، وكان هذا فهم الشيخ البنا للإسلام بوسطيته واعتداله ، وهو ما فسره أحد كبار دعاة الإخوان الدكتور يوسف القرضاوي - فقه «الموازنات» و«فقه الأولويات» .^(١)

يقول الشيخ حسن البنا في رسالة المؤتمر السادس للإخوان : «أما وسائلنا العامة فالإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأي العام، ويناصرها عن عقيدة وإيمان، ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون هي الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح، ثم النضال الدستوري. أما سوى ذلك من الوسائل فلن نلجأ إليه إلا مكرهين ، ولن نستخدمه إلا مضطرين ، وسنكون حينها صرحاء شرفاء» .^(٢)

والإخوان المسلمون في الأردن ملتزمون بمنهج الشيخ البنا أشد الالتزام ، فهم قد أعلنوا في بيانهم السابق ذكره عن الخطوط العريضة لسياستهم عام ١٩٥٤م أنهم جزء من الحركة الإسلامية في مصر ، كما أن الأوضاع السياسية في الأردن تشبه إلى حد بعيد تلك الأوضاع في مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ، فكل من النظامين يقوم على الملكية الوراثية ، والنظام الدستوري من حكومة وبرلمان ، وعلاقاتهم ببريطانيا متشابهة ، بالإضافة إلى أن كل منهما

(١) يوسف القرضاوي، (أولويات الحركة الإسلامية)، ١٩٩٠، بدون ناشر، ص ٣٠، وص ٣٧.

(٢) حسن البنا، (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا)، مرجع سابق، ص ٢١٢-٢١٣.

يعلن احترامه للإسلام كدين وتشريع بغض النظر عن ممارساته العملية .

فالإخوان في كل من مصر والأردن سكتوا عن الملك وعن الحكم الوراثي ، ولعلهم اعتبروا أن الخروج على الحاكم المسلم غير جائز شرعاً ، ويجر إلى مفاسد وفتن وخاصة أنه غير مضمون النتائج ، وكانوا يحملون مسئولية الفساد أو القرارات السياسية الخاطئة للحكومة ، «فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ، ونفوس الأمة على هذه الحال ، فلا بد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود ويتعلم الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة» .^(١)

ويقول الشيخ البنا في موقع آخر : «أما موقفنا من الحكومات المصرية على اختلاف ألوانها ، فهو موقف الناصح الشفيق الذي يتمنى لها السداد والتوفيق وأن يصلح الله بها هذا الفساد ، وإن كانت التجارب الكثيرة كلها تقنعنا بأننا في واد وهي في واد» .^(٢)

ولعل من أبرز ما يدل على أسلوب الإخوان المسلمين في التعامل مع الحكم في ذلك الوقت هو تلك المذكرة التي رفعها الإخوان في الأردن إلى الملك حسين وجاء فيها : «إن الحكومة الأردنية التي أشارت عليكم باستدعاء الإنجليز ليحتلوا عمان من جديد ، حكومة خائنة ينبغي محاكمتها» .^(٣)

وليس من مناهج الإخوان الثورة والانقلاب بل هم عكس ذلك يعملون على تربية الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة ثم المجتمع المسلم ، وكل ذلك بالتدرج والإقناع حتى يتهيأ المجتمع للحكم بالإسلام وليس بالضرورة أن يحكم الإخوان المسلمون ، وبهذا فهم لن يكونوا البادئين في صراع وقتال يجر المآسى والضرر على الأمة ، ويوضح ذلك البنا في رسالة (بين الأمس واليوم) فيقول : «إن قيل لكم أنتم دعاة ثورة ، فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ، فإن ثرتم علينا ، ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم أنتم الثائرين الظالمين» .^(٤)

ويوضح الشيخ البنا طريق الإخوان الطويل غير المتعجل في كلمات صريحة واضحة فيقول : «أيها الإخوان ، وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم ، اسمعوها مني .. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته ، موضوعة حدوده ، ولست مخالفاً هذه الحدود .. أجل قد تكون طريقه

(١) المرجع السابق، ص ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٤ .

(٣) محمد حسن، مرجع سابق، ص ٦٧ .

(٤) حسن البنا، مرجع سابق، ص ١١٠ .

طويلة ، ولكن ليس هناك غيرها .. فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها .. فخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات» .^(١)

ويوضح الدكتور يوسف القرضاوى منهج الإخوان هذا القائم على الأصول الفقهية ، مستدلاً بالآيات القرآنية ومواقف الرسول الكريم وأصحابه وأدلة الشرع «الفسيح» فيما سماه «فقه الموازنات»^(٢) ، ويقول : «إذا غاب عنا فقه الموازنات ، سددنا على أنفسنا كثيراً من أبواب السعة والرحمة ، واتخذنا فلسفة الرفض أساساً لكل تعامل» .^(٣) وهكذا يرى القرضاوى أن دخول مجالات الحياة العامة ، ومجالس النواب ، بل الحكومات أحياناً إلى درجة الوجوب لإيصال الدعوة للناس جميعاً ، وهو يدعو - مستنداً إلى الأدلة الشرعية ومنهج الإخوان المسلمين - إلى الحوار مع «عقلاء الحكام» ويحدد لهم بقوله : «أولئك الذين لا يقفون من الإسلام موقفاً عقائدياً معادياً» .^(٤)

٢ - العوامل السياسية الواقعية : وهى إن فصلناها لأهميتها عن العوامل المنهجية الحركية إلا أنها تظل جزءاً منها وتستند على الأدلة الفقهية من مراعاة المصالح المرسلة ، ومن الاستدلال بسيرة الرسول الكريم العملية ، وتعتمد على ما سماه القرضاوى «فقه الأولويات» حيث يأخذ القرضاوى على بعض فصائل الصحوة الإسلامية غياب فقه الأولويات عنها ، «فهى كثيراً ما تهتم بالفروع قبل الأصول ، وبالجزيئات قبل الكليات ، وبالاختلاف فيه قبل المتفق عليه ..»^(٥) ، وبهذا يتحدد أى الأعداء أولى بتركيز الهجوم عليه ، وأى المعارك أولى بخوضها ، فليس من الواقعية أن تخاص الحركة الإسلامية المعركة ضد الجميع .

وقد وجد الإخوان المسلمون فى الأردن أن الظروف المحلية والإقليمية والدولية التى تحيط بهم تدفع بهم إلى المحافظة على عدم الاصطدام بالنظام الحاكم ، طالما أن هذا النظام لم يبادر بضربهم والقضاء عليهم ، كما أنه يتيح لهم المجال لنشر دعوتهم والتعبير عن مواقفهم ولو أدى ذلك أحياناً إلى صدامات مع الحكومة ورجالها لا تصل إلى مستوى العنف أو الحرب .

ومن أهم الأسباب التى جعلت الإخوان المسلمين فى الأردن لا يصطدمون مع النظام ، هو

(١) المرجع السابق، ص ١٢٥ .

(٢) يوسف القرضاوى، ص ٣٠-٣١ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣٢ .

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٠ .

(٥) المرجع السابق، ص ٣٧ .

معرفتهم وإدراكهم لطبيعة الدولة في الأردن وضعف إمكانياتها وعدم قدرتها على الاعتماد على نفسها بعيداً عن المساعدات الأجنبية ، كذلك اشتراكها مع العدو الصهيوني بحدود طويلة تصل إلى ٦٠٠ كيلو متر ، مما جعل أى تغيير فى نظام الحكم ذريعة قوية لاحتلال إسرائيل للأردن من الصعب مقاومته .

وبسبب من تنامي قوة الأحزاب القومية والناصرية واليسارية في الأردن ، فإن البديل الوطنى للحكم الملكى سيكون فى جميع الأحوال قومياً أو يسارياً معادياً لجماعة الإخوان المسلمين ، يغلق مراكزها ويعتقل رجالها ويمنعها من ممارسة أنشطتها الدعوية والاجتماعية والسياسية ، كما فعل النظام الثورى فى مصر بعد اختلافه مع الإخوان .

ويضاف إلى ذلك أن الأردن أصبحت ملجأ وملاذاً للإخوان المسلمين المصريين الذين فروا من ملاحقة النظام المصرى لهم ، وهكذا وجد الإخوان المسلمون فى النظام الأردنى وبقائه مصلحة لهم ولدعوتهم فى الأردن وخارجها .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن النظام الملكى فى الأردن وجد فى الإخوان المسلمين ، قوة ضرورية للمحافظة على النظام ؛ فعلى الرغم من الاختلافات المنهجية بين الطرفين ، فإنهم يجتمعون فى مواجهة عدو مشترك متربص بالطرفين يتمثل بالقوى الناصرية والقومية واليسارية داخل الأردن ، وما وراءهم من دعم ناصرى وإعلام قوى مؤثر تقوم به وسائل الإعلام المصرية ، التى كانت تجد ما تهاجم به النظام فى الأردن من اتهامات بالرجعية والتبعية للغرب وغيرها ، ومقابل ذلك وجد النظام فى الأردن فى الخطاب الإسلامى وهجوم الإخوان المسلمين على حكم عبد الناصر واتهامه بمعاداة الإسلام فائدة كبيرة فى الهجوم المضاد على النظام الناصرى .

وهكذا ظل الإخوان المسلمون فى الأردن يتمتعون بالشرعية القانونية التى تتيح لهم حرية الحركة والنشاط ، « كما عبروا فى نفس الوقت عن مواقفهم المعارضة لوجود الضباط الإنجليز فى الجيش ، وعن رفضهم لحلف بغداد ووجهوا الانتقادات المتكررة للحكومة وخاصة فيما يعتبرونه انحرافاً عن الأخلاق الإسلامية كشرب الكحول والفسوق والحفلات الراقصة »^(١) ، مما عرضهم للاعتقال والمراقبة فى مناسبات متعددة ، عموماً فقد ظل الإخوان والحكم الملكى فى مهادنة يقوم بها الطرفان .

(١) أمنون كوهين، مرجع سابق، ص ١٥٠.

(ب) العلاقة مع القوى السياسية الأخرى :

كان موقف الإخوان المسلمين في الأردن من النظام الناصري موقفاً تنظيمياً سياسياً ، فهم يعتبرون أنفسهم كما مر بنا جزءاً من الحركة الإسلامية في مصر ، ويدينون بالولاء لقيادتها ، والحكومة المصرية في رأيهم هي التي ابتدأت العدوان حينما اعتقلت الآلاف من الإخوان وقياداتهم ، كما قامت بإعدام عدد منهم وبدأت بإعلامها عملية تشويه الإخوان المسلمين ، مما جعل الإخوان المسلمين في الأردن ينتصرون لإخوانهم ، ويهاجمون نظام عبد الناصر ويتهمونه بالدكتاتورية والبطش وبالعمالة للغرب ثم بعد ذلك الاتحاد السوفيتي ، ويتحدثون عن تأمره على القضية الفلسطينية وسماحه سرّاً للسفن الإسرائيلية بعبور مضائق تيران إلى البحر الأحمر بعد العدوان الثلاثي ، «فكما كانت محنة ١٩٥٤ / ١٩٥٥ من تخطيط المخابرات الأمريكية والمصرية ، كانت محنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ م ثمناً للتسلط الشيوعي الروسي على مقدرات مصر»^(١) . عموماً وبالإضافة إلى ذلك خشي الإخوان في الأردن أن يمتد نفوذ عبد الناصر ليصل إلى الأردن هو أو مؤيدوه وأنصاره فيحدث لهم ولدعوتهم ما حدث للإخوان في مصر .

أما بالنسبة للتيارات السياسية الأخرى في الأردن ومعظمها قومية أو يسارية ، كحركة القوميين العرب ، وحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي الأردني والحزب الوطني الاشتراكي ، الذي فاز بالأغلبية في انتخابات البرلمان الأردني في ٢١ / ١٠ / ١٩٥٦ م وعهد الملك حسين إلى رئيسه سليمان النابلسي بتشكيل الحكومة مراعاة للأسس الديمقراطية - فإن العداء المتبادل كان سمة العلاقة بينها وبين الإخوان .

وقد كان هذا واضحاً في فترة حكومة النابلسي التي أعلن رئيسها تأييده لجمال عبد الناصر في خطاب ألقاه بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥٦ م ، كما أفرجت الحكومة عن رئيس الحزب الشيوعي الأردني ، ورخصت للحزب إصدار جريدته «الجماهير» ، ومنحت مكتباً لوكالة «تاس» في الأردن ، مما ساهم في ظهور النشرات والأقلام السوفيتية ، مع أن الأردن كان قد أصدر مرسوماً بمكافحة الشيوعية عام ١٩٥٣ م ،^(٢) وعلى هذا فإن الإخوان المسلمين كانوا يعادون هذه الأحزاب جميعاً ، فعلاوة على الاختلاف العقائدي مع الأحزاب اليسارية التي يتهمها الإخوان بنشر الكفر والإلحاد فإنها والأحزاب

(١) محمد الحسن ، ص ٣٧-٣٨ .

(٢) غزني العبيدي ، ص ١٦٢-١٦٥ .

القومية الأخرى تهدد وجود الجماعة في الأردن .

وقد كان موقف الإخوان التقليدي من الأحزاب هو موقف الرفض ، فإذا كانت الضرورة الشرعية تحتم على الإخوان التعامل مع الحاكم ، فإنهم لم يجدوا هذه الضرورة الشرعية في التعامل مع الأحزاب ، وقد ظلت حركة الإخوان المسلمين منذ تأسيسها ولمدة تصل إلى حوالى ستين سنة لا تتعامل مع التيارات الأخرى ولا تقيم حواراً معها إلى أن جاءت الثمانينيات ، حيث شارك الإخوان في الحوار القومي الدينى وفي مؤتمرات مشتركة ، بل ودخلوا تحالفات مع قوى قومية وحتى يسارية فى بعض الأحوال .

وكان ينبى موقف الإخوان على اعتبارين أساسيين أولهما أن الأحزاب تفرق شمل الأمة وتدعوا إلى التناحر والشقاق ، كما يقول البنا : «أما البعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات ، فلما كان ولا يزال بين هذه الهيئات من التنافر والتناحر الذى لا يتفق مع أخوة الإسلام .. ودعوة الإسلام عامة تجمع ولا تفرق ..»^(١) ، والاعتبار الثانى أن جماعة الإخوان المسلمين كانت ترى في نفسها أنها فوق الأحزاب وأن على كل وطنى يريد خدمة وطنه أو دينه أو خدمتهما معاً فما عليه إلا أن ينضم للإخوان المسلمين ، ويتضح هذا بجلاء فى قول الشيخ البنا : «نحن الآن - وقد اشتد ساعد الدعوة - نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا ، وأن يسلكوا سبيلنا ، وأن يعملوا معنا ، وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التى لا غناء فيها ، ويتوحدوا تحت لواء القرآن الكريم العظيم ..»^(٢)

هذا كان موقف الإخوان من الأحزاب ، مع أنها كانت فى غالبيتها العظمى لا تعادى الإسلام كما كانت أيضاً على علاقات حسنة مع القصر ، بل كانت تتنافس فى إرضائه ، أما فى الأردن فيضاف إلى ذلك أن بعض الأحزاب فى نظر الإخوان معادية للإسلام ، وجميعها معادية للإخوان المسلمين ، كما أنها جميعاً معادية للقصر تتربص به ويتربص بها .

ولم يكن هذا مقتصرأ على الأحزاب القومية واليسارية ، بل إن حزب «التحرير» الإسلامى الذى تأسس فى القدس عام ١٩٥١م على يد الشيخ «تقى الدين النبهانى» كان دائماً على علاقة سيئة بالإخوان المسلمين ، يتبادلون النقد والاتهام والتجريح .

(١) حسن البنا ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

(٢) المرجع السابق .

المبحث الثانى التنظيم فى قطاع غزة

كانت الفترة الممتدة من نكبة عام ١٩٤٨م إلى عام ١٩٥٧م عند اندحار العدوان الثلاثى وعودة قطاع غزة مرة أخرى إلى الإدارة المصرية بعد احتلال إسرائيلى دام أكثر من أربعة أشهر، هى من أكثر الفترات حرجاً وأهمية فى تاريخ قطاع غزة وتاريخ الشعب الفلسطينى ، حيث اختلط الجوع والتشرد مع الإصرار على الصمود والتمسك بالهوية .

كما كانت نفس الفترة من أهم الفترات وأغناها فى تاريخ الحركة الإسلامية فى القطاع ، حيث مارست الحركة كل أشكال العمل ، وعاشت مختلف الظروف ، فكانت النشأة الفعلية ، وكانت تجربة العمل العلنى والأنشطة الشعبية العامة والامتداد الجماهيرى الواسع ، كما عاشت فى نفس الفترة وابتداء من عام ١٩٥٤م تجربة العمل العسكرى خلف الحدود ، كما خاضت تجربة العمل السياسى والنقابى والشعبى ، عملت بدعم من السلطة كتجربة نادرة فى تاريخ الحركة فى القطاع ، ثم حوربت من نفس السلطة .. كما عاشت بالإضافة إلى ذلك كله تجربة مقاومة الاحتلال ، ومحاولات التحالف مع القوى السياسية الأخرى .

ومع الأهمية البالغة لتلك الفترة ، وأثرها الكبير على مجريات القضية الفلسطينية ، وعلى تاريخ الصراع العربى الصهيونى ، فإنه يلاحظ أن هناك ندرة فى الأدبيات التى تناولتها ، فالإدارة المصرية التى حكمت القطاع طوال تلك الفترة بعيدة عن تناول الباحثين ، كما كانت معظم الكتابات حول هذه الفترة تأتى من كتاب شيوعيين أمثال معين بسيسو وعبد القادر ياسين ، تعالج الأحداث من وجهة نظر حزبية ضيقة ، تتجنى على الآخرين ، وفى أحسن الأحوال تتجاهل أدوارهم ، وكان كتاب حسين أبو النمل عن قطاع غزة الصبار عن مركز الأبحاث فى (م . ت . ف) كتاباً متميزاً فى هذا المجال على الرغم من تجاهله فى كثير من المراحل للإخوان المسلمين ، إلى أن أصدر د . عبد الله أبو عزة كتابه عام ١٩٨٦م ليملاً فراغاً مهماً فى المكتبة الفلسطينية ، إلا أنه لم يكن وافياً لأنه اقتصر على الأحداث التى عايشها الكاتب . وعلى ذلك فقد اعتمد الباحث كثيراً على المقابلات الشخصية مع عدد من الإخوان الذين عايشوا تلك الفترة ومنهم من كانوا فى مواقع المسئولية الأولى .

كان للهزيمة والكارثة التى حلت بالشعب الفلسطينى أثرها البالغ فى انهيار الولاءات السياسية التقليدية ، كما كان للهجوم الدائم الذى تشنه الحكومات العربية على قيادات

الشعب الفلسطيني، محملة إياها مسئولية النكبة بهدف التنصل من مسئولية الجيوش العربية وحكوماتها من تهمة ضياع فلسطين أثره على عزل هذه القيادات ومحاصرتها، مما جعل الطريق ممهداً لبروز وقوة التشكيلات السياسية العقائدية بمعزل عن القوى السياسية القديمة والولاءات العائلية والعشائرية، «فقد عرف قطاع غزة في تلك الفترة ظاهرتين حزبيتين فاعلتين هما: «الإخوان المسلمون والشيوعيون»^(١).

كان الحزب الشيوعي في فلسطين هو أول حزب شيوعي يتم تأسيسه في المنطقة العربية، حيث وجد بين أوساط المهاجرين من العمال اليهود عام ١٩١٩م^(٢)، ولم يدخل العرب هذا الحزب إلا فيما بعد، حيث بدأت تظهر الخلافات داخل الحزب وتحدث الانقسامات، فأسس العرب «عصبة التحرر الوطني» عام ١٩٤٣م^(٣).

«كان الشيوعيون في القطاع عام ١٩٤٨م هم من بقايا العصبة التي ظلت تعمل في القطاع حتى ١٠ / ٨ / ١٩٥٢م عندما ضربتها حكومة ثورة يوليو، وأوقفت نشاطها، وفي نهاية ١٩٥٢م عملوا تحت اسم الحزب الشيوعي في قطاع غزة»^(٤)، ويذكر الكاتب الشيوعي عبد القادر ياسين أن عدد أعضاء التنظيم عام ١٩٥٢م كان ٦٤ عضواً^(٥)، بينما تذكر الموسوعة السياسية أن السلطات المصرية اعتقلت ١٨ شيوعياً، ولم يبق خارج السجن سوى عشرة أشخاص.

وعلى العموم فإن التنظيم الشيوعي كان صغيراً وضعيفاً وذلك بسبب التدين الفطري الذي يتصف به أهل القطاع وأغلبهم من القرويين والبدو، وبسبب انتشار دعوة الإخوان المسلمين والتفاف الناس حولها لما قامت به من دور في مقاومة اليهود ومساعدة السكان، أما الضربة القاصمة التي وجهها الشيوعيون لأنفسهم، فكانت في موقفهم الغريب الذي شذوا فيه عن جماهير الشعب وقواه السياسية بتأييدهم لقرار تقسيم فلسطين واعترافهم بالدولة اليهودية، بل الدعوة للتعاون مع اليهود ومقاومة الجيوش العربية المعتدية، «ففي تموز / يوليو ١٩٥٠م أصدرت عصبة التحرر الوطني بياناً جاء فيه: «إن سبيل شعبنا للخروج من

(١) حسين أبو النمل، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) ماهر الشريف، (الأمية الشيوعية وفلسطين، ١٩١٩-١٩٢٨)، بيروت: دار ابن خلدون، ط ١٩٨٠، ص ص ٥٩-٦٠.

(٣) زياد أبو عمرو، (أصول الحركات السياسية)، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٤) (الموسوعة السياسية)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م، ص ص ٤١٠-٤١٤.

(٥) عبد القادر ياسين، (حزب شيوعي ظهر للحائط)، ص ١٧.

هذه الكارثة هو النضال الواعى لتنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ٢٦ / ١١ / ١٩٤٧م (التقسيم) . إنه فى النضال لتحرير القسم الغربى من جيوش فاروق وعبد الله وبن جوريون ، وإقامة الدولة الديمقراطية المستقلة فيه ، المتحدة اقتصادياً مع إسرائيل ، والصديقة للشعب اليهودى» .^(١)

أسباب قوة الإخوان المسلمين :

لقد تضافرت كثير من العوامل الموضوعية والذاتية لتجعل الإخوان المسلمين أكبر قوة سياسية فى قطاع غزة طيلة الفترة (١٩٤٨ - ١٩٥٧) ، ويؤكد أبو النمل أن الإخوان المسلمين «كانوا الظاهرة السياسية الأولى فى قطاع غزة حتى عام ١٩٥٥» .^(٢)

١ - المناخ الإسلامى العام الذى ساد فلسطين فى العقود الثلاثة السابقة والذى كانت تكرسه وحدة الزعامتين السياسية والدينية ممثلة بالحاج أمين الحسينى والذى كان على علاقة تاريخية متينة بالإخوان المسلمين وكذلك بطولات المسلمين ممثلة بالشيخ عز الدين القسام وقادة الجهاد المقدس .

٢ - بطولات الإخوان المسلمين على أرض فلسطين ومواقفهم السياسية الصريحة فى تأييد شعب فلسطين وخاصة الدور الذى لعبه المتطوعون من الإخوان فى الجبهة الجنوبية «والذى كان موضوع تقدير سكان وأهالى اللواء الجنوبى» .^(٣)

٣ - حظى الإخوان المسلمون بتعاطف الجماهير نتيجة قمع السلطات لهم واعتقالهم أثناء الحرب وإغلاق شعبهم واغتيال مرشدهم .

٤ - وجود معسكرات الإخوان المسلمين المصريين بين محيمات اللاجئين مما أدى إلى الاحتكاك بهم فقد قام عدد من الشباب الفلسطينى فى قطاع غزة بالالتحاق بكتائب الإخوان .

«وكان من بين العناصر الأولى التى تم تجنيدها من العمال الفلسطينيين : محمد أبو سيدو وعثمان أبو سيدو وموسى سبيته وفهمى صقر وعائش عميرة وغيرهم ، وقام هؤلاء بتوصيل فكر الإخوان المسلمين إلى طلاب المدارس» .^(٤)

(١) حسين أبو النمل ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) زياد أبو عمرو ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

يقول محمد أبو سيدو (أبو صلاح) : « كان للإخوان المسلمين معسكرهم في البيج ، وكانوا يزورون شعبة غزة ويتحدثون بحديث عذب يستهوى الشباب ، يخرج كلامهم من القلب وعلى رأسهم الحاج عباس السيسى الذى كنا نحبه كثيراً »^(١) ، ويستطرد أبو صلاح موضحاً كيف كان المتطوعون ينفقون مرتباتهم من الجامعة العربية على الأيتام والأرامل من اللاجئين .

ويصور خليل الوزير مشاعر الشباب فيقول : « كانت صورة الفدائي التى ارتبطت بهؤلاء المتطوعين تلهب حماس الشبيبة الطالعة وتشكل القدوة والمثل الأعلى .. »^(٢) .

٥ - المشاعر الأخوية والمحبة في الله التى كانت تشبع وجدان الشباب «فها هنا فى صفوف الإخوان - لا مجال للأثرة ، ولا مجال للتنافس أو الصراع على المصالح الذاتية .. فالعلاقة بين الأفراد فى الأسرة والأحاديث التى تدور بينهم .. دائماً تخصصهم جميعاً » .^(٣)

٦ - وبحكم اتساع جماعة الإخوان المسلمين وانتشارها فإن كثيرين من ضباط الجيش المصرى أو رجال الإدارة كانوا من الإخوان المسلمين أو المتعاطفين معهم .. وقدم هؤلاء خدمات متعددة ومتنوعة للإخوان المسلمين فى قطاع غزة .

والغريب أن باحثاً^(٤) بعد أن يتحدث عن قمع السلطة للإخوان يعتبر هذا التعاطف الفردى من بعض الضباط هو سياسة عليا بموجبها اتخذت سلطات الأمن موقفاً مؤيداً لنشاط الإخوان المسلمين .

٧ - كذلك فإن البعثات الدينية التى جاءت إلى قطاع غزة قبل الثورة ضمت شخصيات مؤثرة من الإخوان المسلمين أمثال الشيخ محمد الغزالى والأباصيرى وسيد سابق وغيرهم.^(٥)

٨ - وكان لسفر الأعداد المتزايدة من طلبة القطاع للدراسة فى الجامعات المصرية أثره البالغ حيث يتأثرون هناك بفكر الإخوان المسلمين ويعودون أكثر خبرة وتجربة .. وقد كانت الإجازات الصيفية تمثل نشاطاً كبيراً للإخوان حيث يشترك فيه الطلبة العائدون من مصر .

(١) محمد أبو سيدو، مقابلة شخصية، الكويت، ١٢/٤/١٩٨٥م.

(٢) د. محمد يوسف، (أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله)، صفاقس (تونس): المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٩م، ص ١٥٨.

(٣) عبد الله أبو عزة، (مع الحركة الإسلامية فى الدول العربية)، الكويت: دار القلم، ١٩٨٦، ص ١٣.

(٤) حسين أبو النمل، ص ٦٧.

(٥) محمد أبو سيدو، مرجع سابق.

٩- عاد الإخوان إلى نشاطهم العلنى وافتتحت الشعب مع ثورة يوليو ١٩٥٢م وظل الإخوان يعملون وكأنهم حزب السلطة، وتقوم مهرجاناتهم واحتفالاتهم برعاية الحاكم الإدارى العام أو من ينوب عنه حتى أزمة ١٩٥٤م وقرار حل الإخوان . ومع أن هذه الفترة لم تكمل السنتين إلا أن كثيراً من الكتاب لم يكونوا موضوعيين فى تناولها .

التنظيم فى الفترة العلنية:

عمل الإخوان المسلمون فى قطاع غزة من ١٩٤٩م إلى ١٩٥٢م فى ظروف قرار حل الجماعة واعتبارها منافية للقانون، لكن أسباباً متعددة جعلت ملاحقة الإخوان فى قطاع غزة أخف من ملاحقة إخوانهم فى مصر، فنظام الملك فاروق لم يستشعر خطر إخوان غزة على نظامه كما كان الحال بالنسبة لإخوان مصر، كما كانت ظروف الهجرة والجوع والحرمان تجعل القطاع يعيش ظروفاً مختلفة .

ومع ذلك لم يمارس الإخوان عملهم بحرية كاملة داخل القطاع، «فقد جاء تقرير أرسله مدير عام سلاح الحدود إلى الحكومة المصرية يصف الشعور العام بالتذمر عند اللاجئين .. مما أدى إلى نشوب ثورات متكررة على الإدارة المصرية .. كما اعتلى اللاجئون منابر المساجد وراحوا ينددون بالإدارة المصرية وينسبون لها الفساد والظلم ويؤلبون عليها جموع اللاجئين .. وقد بذل رجال سلاح الحدود جهوداً فائقة لقمع هذه الثورة ..»^(١)

شُعَب الإخوان:

تراوح عدد شعب الإخوان فى قطاع غزة بين ٨ - ١٣ شعبة فبينما يقول أبو عزة^(٢) أن عددها كان ثمانى شعب، يقول زياد أبو عمرو^(٣) أنها كانت إحدى عشرة شعبة بينما يؤكد محمد أبو سيدو^(٤) أنها كانت ثلاث عشرة شعبة . وقد اتفق الجميع على شعب غزة الثلاث وشعبة خان يونس ورفح ودير البلح .. وكانت هذه الشعب تتبع «المركز الإدارى العام» الذى كان يرأسه الشيخ عمر صوان (رئيس بلدية غزة ٥٢-٥٤)، ومن شخصياته المشهورة الحاج زكى السوسى والحاج زكى الحداد، أما شعبة الرمال فكان يرأسها الحاج صادق المزينى، ويرأس

(١) جريدة المصرى ٢/٧/١٩٥٠ .

(٢) عبدالله أبو عزة، ص ١٤ .

(٣) زياد أبو عمرو، ص ٧٣ .

(٤) محمد أبو سيدو، مرجع سابق .

شعبة الشجاعة الحاج كامل مشتهى وشعبة الزيتون رجل من عائلة السرحى^(١). أما في شعبة خان يونس فقد كان أبرز الشخصيات أحمد فرح عقيلان والشيخ محمد أبو سدرانة والشيخ ناجى السعافين، ومن أبرز الشباب فيها عبد البديع صابر وعبد الشكور الطويل. وبقيت هذه الشعب تعمل بنشاط وتستقطب الناس وتشرف على الأنشطة الثقافية والرحلات الهادفة وتنظم المهرجانات إلى أن أغلقت تماماً في أوائل عام ١٩٥٤م.

جمعية التوحيد:

بعد حل جماعة الإخوان سنة ١٩٤٩م اتخذ الإخوان المسلمون «جمعية التوحيد» واجهة لنشاطاتهم، وقد رأس هذه الجمعية الحاج ظافر الشوا وأصبح عوني القيشاوى مساعداً له وكان من ضمن أعضاء الجمعية كل من سليم الزعنون وعرفة سكيك وحسن النخال وأحمد فاضل الملاح^(٢).

وانحصر نشاط الإخوان العلنى فى القطاع فى إطار «جمعية التوحيد» فى مجالات الدعوة الثقافية والطلابية، وانتظم «حديث الثلاثاء» وهو محاضرة عامة، كما كانت تقام محاضرة أسبوعية خاصة بالطلاب عصر كل خميس.. وفى إطار الجمعية جرى أيضاً ممارسة النشاطات الكشفية والرحلات التى تم خلالها التدريب على السلاح النارى والانضباط العسكرى^(٣). يذكر أبو زياد الخالدى^(٤) أنه جاءه شوقى الخراز ودعاه إلى مدرسة دير البلح الإعدادية، فوجد هناك سليم الزعنون وآخرين قادمين من غزة وعرضوا عليه أن يقوم بأمر الدعوة بين الطلاب فى دير البلح، وبعدها زارهم فى جمعية التوحيد فى غزة حيث أصبح عضواً فى الجمعية. وظلت الجمعية واجهة العمل الإخوانى إلى أن قامت ثورة يوليو فعاد النشاط يدب فى الشعب، وعاش الإخوان فترة ذهبية مدتها سنتان.

الأنشطة العلنية:

١- المحاضرات والخطب: نظمت شعب الإخوان وجمعية التوحيد الكثير من المحاضرات والندوات التى تبشر بالبعث الإسلامى، وكان منها المحاضرات الدورية مثل «حديث الثلاثاء» أو محاضرات وخطب فى المهرجانات والمناسبات والمساجد والمدارس. وكان كثيراً ما يحضر

(١) حسين الثوابتة، مقابلة شخصية، الكويت، ٢٠/٥/١٩٨٥م.

(٢) زياد أبو عمرو، ص ٦٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) خليل الخالدى، مقابلة شخصية، صنعاء ١٧/٤/١٩٩٤م.

محاضرون من مصر مع لجان الإشراف على الامتحانات العامة فى المدارس أو البعثات الدينية لشهر رمضان، وكان من أبرز المحاضرين الحاج عباس السيسى والشيخ محمد الغزالي والشيخ زكى الحداد وكانت المحاضرات بلهجة عامية محبة ومؤثرة فى الناس^(١)، وقد برز خطباء عديدون كان من أبرزهم الأستاذ أحمد فرح بأسلوبه المؤثر ولغته الشاعرية وهو صاحب الشعر الشهير:

لا ترد الحقوق فى مجلس الأمن لكن فى مكاتب التجنيد

إن ألفى قذيفة من كلام لا تساوى قذيفة من حديد

كما برز الأستاذ فتحى البلعاوى وصالح خلف وعز الدين طه وغيرهم كثير.

٢- الأعمال الخيرية وخدمة المجتمع: كان الإخوان يتقربون من الناس عن طريق حل مشكلاتهم، من كان فقيراً يعينوه ومن كان مريضاً يعودوه وينظمون دروس التقوية للطلاب بالجان ويشاركون فى أعمال الخير مما جعل الناس يأنسون إليهم ويشجعون أبناءهم للالتحاق بهم^(٢).

وحينما كانت تشتد الرياح فتقتلع خيام اللاجئين فى لياالى الشتاء القارس، يجدد الناس شباب الإخوان من جمعية التوحيد أول من يهب لنجدتهم.. كما كانوا يجمعون المال لمساعدة الطلبة الفقراء الذين يدرسون فى جامعات مصر، فكانوا يعطون هؤلاء الطلبة ٣-٤ جنيهات شهرياً، بالإضافة إلى ما يتلقاه الطلبة من إعانات من الجامعة العربية^(٣)، كما قام الإخوان بالمساهمة فى توزيع التبرعات على اللاجئين حيث تم جمع المساعدات العينية من مختلف مناطق مصر وأرسلت إلى قطاع غزة فيما يسمى «قطار الرحمة» أوكلت مهمة توزيعها لشعب الإخوان المسلمين لما يتصفون به من نزاهة ونظافة يد، وكانت قطارات الرحمة مناسبة لالتفاف الناس حول الإخوان وتعميق الثقة بهم.

٣- الرحلات والخيمات الكشفية: كعادة الإخوان المسلمين منذ أن نشأت جماعتهم فى مصر يهتمون بالرحلات الهادفة المنظمة ذات البرنامج والأهداف المحددة، يتعلمون فيها النظام والانضباط وفنون الإدارة والدعوة ويتم التركيز فى محاضراتها على جوانب تحتاج إليها الشخصية الإسلامية العاملة، كما يتم الاهتمام بالجانب الروحى من قيام الليل وتلاوة القرآن.

(١) محمد أبودية، مقابلة شخصية، الكويت، ١٣/٣/١٩٨٤م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

وكانت الرحلات فى قطاع غزة برية وبحرية وفى الغابات، وكان يتخللها التدريب العسكرى من زحف وألعاب رياضية، والمعروف أن الشيخ أحمد ياسين أصيب بالشلل عام ١٩٥٣م بسبب هذه الألعاب الرياضية وكان عمره خمسة عشر عاماً، وكان يشارك فى الرحلات بعض المصريين من الإخوان المسلمين الذين يعملون مدرسين فى قطاع غزة^(١). وكان من أهم المخيمات ذلك الخيم السنوى الذى يعقد فى الصيف فى منطقة دير البلح قريباً من شاطئ البحر، فكان يتجمع حوالى ٢٠٠ طالب ثانوى وجامعى ومدرس من جميع أنحاء القطاع ويذكر أحد المشاركين فيه أن أمير الخيم كان خليل زعرب كما يذكر تدريبات الليل التى كان خليل الوزير أحد المشرفين عليها^(٢).

٤- منذ ذلك الوقت والإخوان يحاولون أن يقدموا البديل الإسلامى للأعراس التى تخالف الشريعة فيختلط فيها الرجال بالنساء، فكانت أعراس الإخوان تلقى فيها المواعظ والأناشيد الإسلامية التى يؤدونها المنشد «على عليوة» ويتذكر «محمد أبو ديه» من هذه الأعراس عرس عبدالرحمن سكيك وكان من الإخوان وعرس صفوت النونو.

٥- الأنشطة الطلابية: كانت الحركة الإسلامية ولا تزال فى كل مكان تعتمد على الشباب، وتبرز قياداتها من صفوف الطلبة، وهى الحركة الطلابية فى مصر والجزائر والأردن والسودان وتونس والأرض المحتلة ودول الخليج وفى بلدان المهجر مثل العمود الفقرى للعمل الإسلامى، فلم يكن غريباً أن يؤسس الإخوان فى قطاع غزة ومنذ ١٩٥٠م قسماً للطلاب، «كان قسم الطلاب أكثر الأقسام نشاطاً وخاصة فى الصيف حينما يعود الطلاب الدارسون فى الجامعات المصرية»^(٣) ينقلون خبراتهم التى تعلموها فى مصر ويحدثون طلاب غزة عن إنجازات الحركة الأم فى مصر وبطولات أفرادها. وكانت أبرز شخصيتين فى قسم الطلاب هما حسن عبدالحميد وسليم الزعنون اللذان يمثلان نموذجين مختلفين ويتنافسان على زعامة الطلاب..^(٤)

كما أنشأ الإخوان كتلاً طلابية فى مدرسة فلسطين الثانوية بغزة ومدرسة الإمام الشافعى، وكانوا يتجمعون فى الفرص فى حلقات يتداولون أحوال العالم الإسلامى وأحوالهم وكان لكل حلقة أمير وكان أمير الأمراء فى فلسطين الثانوية الأخ خليل زعرب، وكان من أهم

(١) المرجع السابق.

(٢) خليل الخالدى، مرجع سابق.

(٣) عبدالله أبو عزة، ص ٧٦.

(٤) المرجع السابق.

الشخصيات فى المدرسة رياض الزعنون وخيرى الأغا وعبدالرحمن بارود وفى مدرسة الإمام الشافعى كانت قيادة الطلاب منعقدة لسليم الزعنون وحسن عبدالحميد^(١).

المحنة - العمل السرى ١٩٥٤م:

ظهر لنا فيما قبل أن الإخوان المسلمين نعموا بسنتين كانتا الفترة الذهبية فى عملهم من حيث العلنية والانتشار، وقد بدا للكثيرين وكأنهم حزب السلطة وذلك للعلاقات الحسنة بين قيادات ثورة يوليو وبين جماعة الإخوان المسلمين. وإذا كانت هذه الظروف قد مكنت الإخوان من الدعوة لفكرتهم بحرية فاستطاعوا أن يصلوا إلى الناس فى كل مكان فالتف حولهم المخلصون والمتحمسون، فإنها فى نفس الوقت جعلت الانتهازيين والوصوليين ومحبي الوجاهة والمتزلفين إلى الحكام ينضمون للجماعة أملاً منهم فى تحقيق مآربهم الشخصية عبر الحزب الأكبر الذى يحظى بتأييد كل من الشعب والحكومة.

وعندما دب الخلاف بين الإخوان والثورة وبعد حادث «المنشية» الشهير الذى اتهم فيه الإخوان بمحاولة اغتيال عبدالناصر، صدر قرار حل الإخوان فى ١٤ / ١ / ١٩٥٤م فانتهى أمر الشعب وأغلقت نهائياً ولوحق الإخوان فى كل مكان وانفض الوصوليون والانتهازيون والخائفون^(٢). انسحب الكثيرون وخاصة الوجهاء وكان فى مقدمة أولئك رئيس المكتب الإدارى للإخوان فى غزة - الشيخ عمر صوان الذى كان فى نفس الوقت رئيساً لبلدية غزة حيث أصدر بياناً أيد فيه حكومة الثورة وأيد إجراءاتها ضد الإخوان^(٣).

وبدأت الملاحقات للإخوان المسلمين فى قطاع غزة ومراقبتهم والتضييق عليهم فى وظائفهم وقد اعتقل فى مصر من قادة طلبة الإخوان المسلمين هناك حسن عبدالحميد وعمر أبو جبارة^(٤)، وبدأ التشكيك بالحركة وبدأ الناس يتأثرون بالإعلام الناصرى وخاصة بعد صفقة الأسلحة التشيكية، «قال بعضهم: ناصر يحقق فى شهور ما لا يستطيع الإخوان تحقيقه فى سنوات»^(٥).

اعتبر الثابتون على مبادئهم أن هذه المحنة لم تخل من فوائدها، فقد تطهرت صفوف الإخوان

(١) محمد أبو دية، مرجع سابق.

(٢) عبدالله أبو عزة، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) محمد أبو دية، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق.

من الانتهازيين والمتسلقين الذين ملأوا الشعب وانفض الكثيرون عن الإخوان، وهاجر عدد من القيادات إلى دول الخليج بحثاً عن الرزق، وهرباً من الملاحقات والاستجواب والاعتقال، وغاب عدد مهم آخر في الجامعات المصرية، فكان لابد أن يعاد تشكيل البقية الباقية من المخلصين لتستمر الدعوة، فكان من أثر المحنة أن ساد اتجاه لتصغير حجم الأسرة، لتصبح مكونة من ثلاثة أعضاء بما فيهم النقيب، وذلك بدلاً من خمسة أو أكثر في المرحلة العلنية^(١).

بدأ الإخوان يجمعون أنفسهم، وانتظمت مجموعات من الشباب في عدة أسر في مختلف المناطق، واستقر الوضع التنظيمي، وأصبح هناك نقباء الأسر والرقباء المسئولون عنهم، وكانت تطبع التعليمات للأسر في بيت عبدالله أبو عزة عند المحطة في غزة^(٢). وهكذا بدأ الإخوان يمارسون العمل بصورة سرية كاملة، تحت تهديد القبضة البوليسية الحديدية، والخوف من الاعتقال والطرده من الوظيفة ومنع السفر. ولم يكن غريباً في هذه الفترة أن ينتعش العمل العسكري ويبدأ تركيز الإخوان على مواجهة الأهداف الصهيونية داخل الأرض المحتلة.

العمل العسكري :

(أ) تشكيل الجهاز العسكري :

تم تشكيل الجهاز العسكري للإخوان المسلمين في قطاع غزة عام ١٩٥٠م أو قبل ذلك بقليل، ويقول أحد الذين عملوا في الجهاز، أنه انضم للعمل العسكري عام ١٩٥٠م وكان من أبرز العاملين في هذا المجال محمد أبو سيدو و خليل الوزير ومن خلفهما ضابطان مصريان^(٣)، لعلهما النقيب صدقي والملازم أول علي أبو نظام وهما من ذكرهما أبو جهاد « خليل الوزير » في مذكراته^(٤)، ويذكر أعضاء الجهاز^(٥) أن المسئول العسكري كان يلتقى بقيادة التنظيم ويطلع على أسماء الأفراد في الأسر، ويأخذ المعلومات عنهم وعن أوضاعهم، ثم يقوم باختيار الأسماء المناسبة، حيث يبدأ الجهاز معهم خطوته الأولى في الدراسات الإسلامية والعسكرية وخاصة معارك المسلمين والتركيز على القضية الفلسطينية وأساليب اليهود، ثم تأتي الخطوة الثانية من التدريب البدني بهدف بناء الجسم ونزع الخوف من القلوب، ثم تأتي بعد ذلك

(١) عبدالله أبو عزة، ص ٢٥.

(٢) محمد أبو دية، مرجع سابق.

(٣) فوزي جبر، مقابلة شخصية، الكويت، ١٤/١٠/١٩٨٥م.

(٤) مذكرات أبو جهاد، الحلقة الرابعة / مجلة (المجلة)، ٢٥/٥/١٩٨٨م.

(٥) فوزي جبر ومحمد أبو سيدو، مرجع سابق.

مرحلة التدريب العسكري وأخيراً تنفيذ العمليات العسكرية فى الأهداف الصهيونية خلف خطوط الهدنة .

وكان من أسباب قوة الجهاز العسكرى السرية التامة التى تميز بها فى جميع أعماله حيث كان نقباء الأسر لا يعلمون أن واحداً أو أكثر فى أسرهم يعملون مع هذا الجهاز - يقول الدكتور عبدالله أبو عزة : «لقد كان هناك نشاط سرى للإخوان ، يعنى بالناحية العسكرية من تدريب على استعمال السلاح ، ومن جمع مختلف أنواع الأسلحة ، وذلك هو الجانب الذى خفى عنى فى السنة الأولى من عضويتي للإخوان ، ولم ينكشف عنه الحجاب إلا فى أواخر سنة ١٩٥٣م وأوائل سنة ١٩٥٤م وبقدر ضئيل طبعاً»^(١).

«كان الأخ المسلم يتعرض لاختبارات كثيرة قبل اختياره لهذا العمل «كان العضو يدخل فى امتحان قاس لضبط الأعصاب حيث يدخل عليه شخص أو أكثر فى الليل ويضربه ويوهمه أنه من المباحث وأنه ذاهب به إلى السجن ليختبر مدى صموده وقوة شخصيته وحسن تصرفه ، كما كان يُعطى سلة مليئة بالأسلحة أو القنابل ليوصلها إلى مكان محدد ، ويتعرض فى طريقه لبعض الحركات مثل التفتيش أو المراقبة من شخص لا يعرفه ، وكان أخيراً يكتشف أنه يحمل فى السلة مجموعة من الحجارة المغطاة بالخضار ، وكنا نستعين بالأخوات والأولاد وكانت تجربة ناجحة ، فكانت والدته موسى نصار تحمل المتفجرات لتوصلها إلى الصحراء للتنشيف وأختى تحمل السلاح فى سلة تضع فوقه بعض العنب والفواكه»^(٢).

وقد عمل الجهاز العسكرى تحت أسماء مختلفة ، فقد شكل مجموعتين سريتين للعمل المسلح هما : مجموعة «شباب الثار» وكان من أعضائها صلاح خلف وأسعد السفطاوى وسعيد المزين وعمر أبو الخير وإسماعيل سوريجو ومحمد إسماعيل النونو ، أما الثانية فكانت مجموعة «كتيبة الحق» وكان من أعضائها حسن عبد الحميد و خليل الوزير وعبد الله أبو مراحيل وحمد العايدى»^(٣).

ويحاول خليل الوزير فى مذكراته أن يخفى الصلة بين هذه المجموعات والإخوان المسلمين كعادة معظم مؤسسى «فتح» الذين حاولوا إخفاء انتماءاتهم السابقة للجماعة ، فيقول : «فى غزة انتقمنا مجموعة من الكوادر من بين الطلبة وكنا لا نزال طلاباً فى ثانوية فلسطين وقمنا بتنظيم أنفسنا فى وحدات وخلايا سرية ، وبدأنا الاتصال بمن نشق بهم من طلبة المدارس

(١) عبدالله أبو عزة ، ص ١٦ .

(٢) فوزى جبر ، مرجع سابق .

(٣) زياد أبو عمرو ، ص ٧٨ .

الأخرى ومن طلاب الجامعات والمدرسين .. جمعنا عدداً جيداً وكانت قيادة التنظيم مكونة من ثلاثة أشخاص أبو جهاد ومحمد الأفرنجي وحمد العايدى .. بدأنا تنظيم الخلايا المسلحة عام ١٩٥٤م، وكان من أوائل من انتسبوا لها الشهيد عبدالله صيام (استشهد على محور خلدة - مطار بيروت سنة ١٩٨٢م) (١)

(ب) الأمن وجمع المعلومات :

كان الجهاز العسكرى مهتماً بجمع المعلومات وكانوا يحصلون على المعلومات من داخل الإدارة المصرية، ذكر فوزى جبر أحد العاملين فى الجهاز أنه كان كل يوم يخرج من المدرسة الثانوية مباشرة إلى مكتب الحاكم العام لقطاع غزة حيث كان مدير المكتب أخاً عسكرياً سودانياً اسمه عبدالغفار .. وكان مكلفاً بتلخيص جميع الرسائل السرية والعامة بعد العصر ليقدّمها صباح اليوم الثانى للحاكم، وكان فوزى يشاركه فى فتح الرسائل ويأخذ كل المعلومات التى تهّم الإخوان أولاً بأول وخاصة أوامر الاعتقال حيث تم إنقاذ عدد من الإخوة قبل اعتقالهم، أما فى اللاسلكى فكان عامله أحد الإخوة المصريين واسمه «متولى» .. كانت تأتية جميع الإشارات اللاسلكية القادمة من القاهرة ويأخذ فوزى ملخصها ويقدمه للمسئولين.

وقد تبنى عبدالغفار السودانى فكرة عمل إذاعة سرية فى غزة باسم «شباب الثأر الأحرار»، واستطاع إحضار أجهزة لاسلكية من سرايا الإدارة المصرية، ووضعها الإخوان فى بيت عربى قديم بين المحطة والجريج وسط البيارات، ولما كانت الإذاعة تحتاج إلى بطاريات ضخمة فقد كلف الأخ منير عجور وهو صاحب محل كهرباء بجمع أكبر بطاريات فى غزة وبدأ الإخوان محاولات الإرسال على الهواء ولم يستطيعوا إكمال التجربة.

لكن الإخوان استفادوا من المعلومات التى جمعوها، وخاصة فضائح الإدارة المصرية وسرقات بعض كبار الضباط، وضمنوها فى مناشير توزع على جميع المحال التجارية والشخصيات البارزة وعامة الناس بعد صلاة الفجر وتوقع باسم «شباب الثأر الأحرار»، وكانوا يطبعونها فى بيت بعيد يملكه عم الأخ عبده أبو مراحيل ويحضرون الطابعة من مدرسة مديرها عبدالله الشيخ خليل ويساهم فى هذا العمل أبو دية من الشاطئ والخضرى من الرمال وأبو ياسر وإبراهيم عاشور من رفح.

«وكان خليل الوزير يصوغ نشرة من المعلومات التى جمعناها وأقوم بطباعتها، وكانت تبلغ أحياناً ٤٨ صفحة، وبعد فترة تجمعت لدينا مادة كتاب عرضها أبو سيدو على القادة فى

(١) مذكرات أبو جهاد، مرجع سابق.

القاهرة لكنهم رفضوا توزيعها في القاهرة، وجاء أمر بإيقاف النشرة فكانت أول صدمة تلقاها خليل الوزير، فقد بذل فيها جهداً كبيراً وظل مدة حزيناً، فقد كان من الإخوان المسلمين النشيطين وكان مسئولاً عن التدريب العسكري بعد الأخ محمد أبو سيدو مباشرة^(١) وقد ذكر خليل الوزير هذه النشرة «صوت الشعب» في مذكراته حيث كانت تتضمن بعض الترجمات عن الصحف العبرية وفصائح الحكام العسكريين^(٢).

(ج) جمع الأسلحة والتدريب عليها:

نشط الإخوان المسلمون في جمع السلاح من مخلفات الجيش المصري، وشرائه من البدو المنتشرين في منطقة دير البلح ووادي غزة، حيث كانوا يدخلون فلسطين المحتلة ويسرقون السلاح من اليهود كما كانوا يسرقونها من الجيش المصري نفسه، وكان بعض الإخوان من البدو وأقاربهم يساعدون في عملية شراء الأسلحة مثل عبده أبو مراحيل وعمه ومحمد الأفرنجي وغيرهم وكان الإخوان يملكون ثلاثة مخازن للأسلحة في منطقة غزة، أحدهما في حارة الزيتون والثاني على البحر أما الثالث فكان مخزناً مؤقتاً في الشجاعة تُنشق فيه المتفجرات وتنقل إلى المخازن الأخرى^(٣).

وكانت تتم عملية التدريب بصورة سرية، وقد استفاد الإخوان من وجود بعض الضباط المصريين الإخوان في الجيش المصري بقطاع غزة وعلى رأسهم عبدالمنعم عبدالرؤف الذي أتاح لهم التدريب في معسكرات الجيش.

كما كانوا يتدربون بأنفسهم في الغرف المغلقة أو على شاطئ البحر، ويذكر خليل الوزير في مذكراته أن «هناك مجموعة من الضباط المصريين الوطنيين (لا يذكر أنهم من الإخوان المسلمين) كانوا يساعدونا في التدريب، وكنا نذهب إليهم في الساعة الحادية عشر ليلاً ونستمر في التدريب إلى طلوع الفجر»^(٤).

(د) العمليات العسكرية:

في المرحلة الأولى وقبل أن يستكمل الإخوان تدريبهم ولأنهم لا يريدون أن يمهلوا العدو فقد كانوا يستأجرون أشخاصاً للقيام بعمليات عسكرية مدفوعة الأجر، وقد كان كثير من

(١) فوزى جبر، مرجع سابق.

(٢) مذكرات أبو جهاد، مرجع سابق.

(٣) فوزى جبر، مرجع سابق.

(٤) مذكرات أبو جهاد، مرجع سابق.

الناس يدخلون الحدود ليعودوا بما يستطيعون الحصول عليه من بلادهم، يقول فوزى جبر : « كان أبو مراحيل والأفرنجى يقومان باختيار من يدخل إلى الأرض المحتلة ويتفقان معه على نوع العملية المطلوبة، ولا يتم دفع أى مبلغ إلا إذا سمعنا أخبار العملية من راديو العدو ».

ثم جاءت المرحلة الثانية سريعاً، حيث بدأ شباب الإخوان يدخلون بأنفسهم، ويؤكد فوزى جبر أن أول عملية للإخوان قام بها الشهيد عبدالله صيام حيث جهز له الإخوان الألغام وأوصلوها إلى أقرب نقطة ممكنة من الحدود من جهة جباليا وأخذ معه وإخوانه أسلحة وذخائر. وقد أشار خليل الوزير إلى هذه العملية التى قام بها عبدالله صيام فى منطقة هربيا مستهدفاً المستعمرات الإسرائيلية^(١).

ويستطرد خليل الوزير « كنا نزرع الألغام وننسف الجرارات وبعض المصفحات والمجنزرات وأنابيب المياه، كما نصبنا الكثير من الكمائن للسيارات العسكرية الإسرائيلية »، ويقول فى موضع آخر « لقد اتسع العمل شيئاً فشيئاً إلى الدرجة التى أصبحت فيها مجموعاتنا تصل إلى منطقة (يازور) قرب مدينة يافا »^(٢).

المبحث الثالث التنظيم والعمل السياسى

العمل النقابى:

لقد ظهر اهتمام الإخوان المسلمين بالعمل النقابى فى عملين بارزين كان لهما تأثير واضح على مسيرة العمل السياسى الفلسطينى فى تلك الفترة وما تلاها، وهما « نقابة معلمى الوكالة » فى غزة، و« رابطة الطلبة الفلسطينيين » فى القاهرة.

(أ) نقابة معلمى الوكالة:

ازداد عدد الإخوان المسلمين والشيوعيين الذى يعملون فى مدارس وكالة الفوث وذلك بسبب رفض الإدارة المصرية تعيينهم فى الوظائف الحكومية خصوصاً بعد قرار حل جماعة الإخوان المسلمين، وهكذا أراد المدرسون الحزبيون ممارسة العمل السياسى تحت

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمد يوسف، مرجع سابق، ص ١٦٢.

واجهه نقابية والتي تم تأسيسها سنة ١٩٥٤م، «فقد طالب المؤسسون كمال رفعت نائب الحاكم العام المصرى بتأسيس النقابة دفاعاً عن حقوقهم، لا سيما وأنهم يعملون لدى وكالة الغوث التي تعتبر جهة غير وطنية، ويعتقد أن الإدارة المصرية كانت تهدف إلى امتصاص حماس وطاقة الشباب من خلال عمل يمكن مراقبته، كما أن ذلك يسهل على الإدارة المصرية التعرف بشكل أفضل على القوى السياسية داخل القطاع من خلال نشاطات النقابة أو التردد عليها»^(١).

ويذكر زياد أبو عمرو أن أغلبية المؤسسين من الإخوان المسلمين، وأن الهيئة الإدارية للنقابة المكونة من تسعة أعضاء كان فيهم ستة من الإخوان هم: فتحى البلعاوى، أمير سر النقابة ومحمود مقداد المسئول المالى وكمال عدوان وحمد حرب عليان وعبدالقادر البرزم وعضو آخر، بينما كان من الشيوعيين معين بسيسو المسئول الثقافى وكمال الطويل بالإضافة إلى مستقل واحد هو نعمان النونو»^(٢).

ولكن يبدو لنا أن رواية حسن أبو النمل أكثر دقة حينما يقول: «إذا ما أخذنا كمقياس لمقدار الجماهيرية، انتخابات معلمى الوكالة، فإن القائمة التي رشحها الإخوان المسلمون قد نجحت كاملة ولم يسقط منها إلا مرشح واحد، بينما فاز من قائمة الشيوعيين مرشح واحد فقط بفعل كفاءته الشخصية ونشاطه الأدبى والثقافى»^(٣)، وهو هنا يقصد الشاعر معين بسيسو الذى أكد له هذه النتيجة، وسرى الدور الكبير الذى قامت به النقابة فى قيادة المظاهرات العارمة فى قطاع غزة والمطالبة بالتسليح وقبر التوطين وإنشاء المجلس التشريعى.

(ب) رابطة الطلبة الفلسطينيين:

تأسست الرابطة فى القاهرة سنة ١٩٥١^(٤)، وكان أول سكرتير لها فتحى البلعاوى فى الإخوان حتى أن المجموعة التي قادت الرابطة بعد ذلك سميت بالمدرسة «البلعاوية»^(٥)، وقد تم ترحيل البلعاوى إلى غزة سنة ١٩٥٣م فى أعقاب اقتحام الطلاب الفلسطينيين لمكاتب

(١) زياد أبو عمرو، ص ٧٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٣) حسين أبو النمل، ص ٧٣.

(٤) عيسى الشعيبي، ص ٦٠.

(٥) زياد أبو عمرو، ص ٩٦.

الجامعة العربية فى القاهرة، وترأس الرابطة من بعده طالب كلية الهندسة ياسر عرفات الذى كان يعيش فى القاهرة ويظهر للإخوان أنه منهم «فقد ترك هذا الأمر ليسهل عليه رئاسة الرابطة»^(١) بأصوات الإخوان المسلمين.

ويذكر زياد أبو عمرو أسماء الأعضاء التسعة فى الهيئة الإدارية للرابطة وهم جميعاً من الإخوان المسلمين^(٢)، وكان من أبرز الشخصيات ياسر عرفات وصالح خلف وسليم الزعنون ورياض الزعنون و خليل زعرب وعدنان النحوى وداود عباس وكمال عدوان وعبدالفتاح الحمود وعلى ياسين، وأسعد السفطاوى وفايز الحزين من القدس.

وكان للدراسة أثر مهم فى استيعاب الطلاب الفلسطينيين القادمين للدراسة فى الجامعات المصرية، كما نشطت الرابطة فى فترة الاحتلال الصهيونى لقطاع غزة فى أعقاب العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦م، ولعل الأهمية التاريخية للرابطة أنها كانت واحدة من أهم ثلاثة محاضن نشأت فيها فكرة تنظيم فتح بالإضافة إلى غزة والكويت.

المظاهرات ضد مشروع التوطين؛

كانت مظاهرات مارس ١٩٥٥م التى شملت القطاع كله من أهم الأحداث التى شاهدها القطاع وأكبرها وأعماقها أثراً على السياسة المصرية.

(أ) الأسباب:

(١) عدم ثقة كافة القوى السياسية بالإدارة المصرية:

جاء عام ١٩٥٥م والإدارة المصرية على عداء مع كافة القوى السياسية فى قطاع غزة تقريباً فقد استمرت الإدارة فى قمع الشيوعيين وملاحقتهم، كما لحق بهم الإخوان المسلمون بعد قرار حل الجماعة وإغلاق الشعب الإخوانية وممارسة حرب التشكيك والتشويه فى جماعة الإخوان، أما الهيئة العربية العليا ورجال الحاج أمين الحسينى فكانوا ينظرون لرجال الثورة بعين الريبة وخاصة من علاقة الحكومة المصرية بمشاريع التوطين، وحتى خصوم الهيئة العربية العليا فقد وجدوا أنفسهم فى خط المواجهة لثورة يوليو وخاصة بسبب «قيام حكومة الثورة بإقصاء رشدى الشوا عن رئاسة بلدية غزة بعد مرور أقل

(١) Alan Hart, ARAFAT, Terrorist of Peacemaker, London : Sidgwick & Jackson, 1987, p. 86.

(٢) زياد أبو عمر، ص ٧١.

من شهر على قيام ثورة ٢٣ يوليو^(١).

يضاف إلى ذلك كله أن الذين أوكلت لهم مهمة إدارة القطاع من الجيش المصرى كانوا فى أغلبهم من رجال المخابرات الذين اعتادوا على القمع وعدم الثقة فى الجماهير، حتى أولئك الذين كانوا يشرفون على الدوائر الصحية والاجتماعية والتعليمية فكانوا من رجال المخابرات حتى وصل الأمر أن كثيراً من المدرسين الذين جاءوا فى البعثات التعليمية لمدارس القطاع كانوا ضباطاً فى المخابرات المصرية.

(٢) مشاريع التوطين:

لقد عرف الناس أمر الاتفاقيات البرمة بين الحكومة المصرية ووكالة الغوث بشأن توطين اللاجئين فى قطاع غزة فى شبه جزيرة سيناء، وقد استغرق إعداد المشروع من ٣٠ / ٦ / ١٩٥٣م تاريخ توقيع الاتفاقية وحتى ٢٨ / ٦ / ١٩٥٥^(٢).

كما استطاع الشيوعيون عن طريق صديقة للحزب تعمل فى قسم الشؤون الاجتماعية فى الوكالة (سميرة سابا) الحصول على نسخة من المشروع، حيث قاموا بتصويره وتوزيع خمسة آلاف نسخة منه على الجماهير وكذلك على الشخصيات الوطنية^(٣). وكان هذا البرنامج ينزل كالصاعقة على اللاجئين الذين ينتظرون يوم العودة إلى مدنهم وقراهم، مما زاد الهوة بين الإدارة واللاجئين.

(٣) الغارات الإسرائيلية المتكررة على القطاع:

قام اليهود بغارات متكررة على مواقع عسكرية ومدنية فى قطاع غزة وكان من أخطرها غارة ١٤ / ٨ / ١٩٥٤م على محطة مياه الشرب فى مدينة غزة وبلغت الغارات ذروتها فى «مذبحة المحطة الشهيرة» من مساء ٢٩ / ٢ / ١٩٥٥م التى كانت ضحاياها ٣٩ قتيلاً و٣٣ جريحاً^(٤).

وكانت هذه الغارات ترمى لتحقيق عدة أهداف، منها الانتقام من العمليات العسكرية التى كانت تنفذها مجموعات الإخوان المسلمين داخل الأرض المحتلة وكانت تهدف أيضاً إلى الضغط على الحكومة المصرية حتى تشارك فى سياسة الأحلاف فى الشرق الأوسط

(١) حسين أبو النمل، ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق، تفاصيل المشروع، ص ص ٨٤-٨٨.

(٣) زياد أبو عمرو، ص ص ٤٥ - ٤٦.

(٤) حسين أبو النمل، ص ص ٩٠ - ٩١.

وتسعى لعقد صلح مع الدولة اليهودية، أما الهدف الأبعد كما تصورته القوى السياسية وشاع بين الجماهير أن هناك مؤامرة كبيرة على مستقبل اللاجئين تشترك فيها أطراف متعددة، فالحكومة المصرية ووكالة الغوث تقوم بترغيب اللاجئين فى البيوت المشيدة التى تنتظرهم فى سيناء، والجيش الصهيونى يقوم بدوره فى جعل حياة اللاجئين لا تطاق فى قطاع غزة من تكرار الغارات وسقوط الضحايا، ليصبح الرحيل بعيداً عن مكان الخطر هو شغل اللاجئين الشاغل.

لذلك كانت غارة ٢٨ / ٢ / ١٩٥٥م هى الشرارة التى أوقدت مخزون الغضب والتمرد على الإدارة المصرية ووكالة الغوث فى نفس الوقت، فخرجت الجماهير فى كل مكان من قطاع غزة فى مظاهرات غاضبة أحرققت ودمرت واستهدفت فى ثورتها مؤسسات الإدارة المصرية ووكالة الغوث وهدفت ضد التوطين مطالبة بالسلاح والتجديد.

(ب) الأحداث:

هب القطاع كله من أقصاه إلى أقصاه فى مظاهرات عارمة شاركت فيها المدارس والعمال والفلاحون، «وقامت جموع اللاجئين العرب بإحراق مخازن الأمم المتحدة... وتوجيه الإهانات للجيش المصرى الذى فشل فى حماية نفسه.. وقذفت الجماهير سيارات الجيش بالحجارة»، وكان الشعار الرئيسى المرفوع: «لا توطين ولا إسكان يا عملاء الأمريكان»، كما كانت الهتافات تتهم جمال عبدالناصر بالتقصير والخيانة معاً، وكان أهم الشعارات المرفوعة «فليسقط مشروع سيناء»^(١).

وقد تصدت القوات المصرية بقسوة لهذه المظاهرات، وقتل وجرح عدد من الأفراد وأعلنت أحكام منع التجول، لكن المتظاهرين خرقوا هذه الأوامر واستمروا فى مظاهراتهم عشرة أيام متتالية تقودهم «نقابة معلمى الوكالة» التى شكلت لجنة وطنية لرفع مطالب الجماهير للإدارة المصرية، وكان على رأس اللجنة فتحى البلعاوى من الإخوان ومعين بسيرو من الشيوعيين^(٢).

قامت اللجنة الوطنية العليا بمقابلة الحاكم الإدارى العام للقطاع وقدمت له وثيقة بمطالب المتظاهرين فى ١٠ / ٣ / ١٩٥٥م وهى:

١- رفض وإيقاف مشروع التوطين فى سيناء.

(١) عبدالله أبو عزة، ص ٣٧.

(٢) زياد أبو عمرو، ص ٧٦.

- ٢- تعزيز الحراسة على الحدود وتشكيل جيش تحرير فلسطين .
 - ٣- إطلاق الحريات الديمقراطية وعلى رأسها حرية النشر والاجتماع والأحزاب .
 - ٤- محاكمة المسئول عن إطلاق الرصاص على المتظاهرين .
 - ٥- التعهد بعدم ملاحقة أى من المشتركين فى المظاهرات^(١) .
- ووافقت الإدارة المصرية على جميع هذه المطالب ، فتوقفت المظاهرات وانتهى مشروع التوطن لكنها قامت باعتقال قادة المظاهرات فيما بعد .

(ج) دور الإخوان المسلمين والشيوعيين :

تجمع جميع المصادر على أن الإخوان المسلمين والشيوعيين شاركوا بكل قوتهم فى هذه المظاهرات ، يقول أحد زعماء الإخوان : « ومازلت أذكر كيف دخل معين بسيسو - زعيم الشيوعيين - المسجد العمري الكبير بغزة ومعه عدد آخر من قادة الشيوعيين بصحبة الإخوان المسلمين لأداء الصلاة »^(٢) كما يذكر معين بسيسو أنه سار فى مظاهرات ١٩٥٥م إلى جانبه فتحى البلعاوى من قادة الإخوان ، ويروى مصدر شيوعى آخر أن سعيد المزين من القيادات الطلابية للإخوان قد حمل معين بسيسو على كتفيه أثناء المظاهرات^(٣) .

وبعد أن جمعت المظاهرات بين الإخوان المسلمين والشيوعيين ، جمع بينهم قطار منتصف الليل الذى حمل المعتقلين من الحزبين وبعض المستقلين إلى سجون القاهرة .

وقد اعتقل من الإخوان المسلمين فتحى البلعاوى ومحمد يوسف الجار ومحمود مقداد وعبد الحميد الأسمر وكمال عدوان ورجب العطا وأحمد رجب وأحمد عدوان وسلامة الهمص^(٤) وقد استمر الاعتقال أكثر من سنتين حتى صدر قرار الإفراج فى يوليو ١٩٥٧م بعد انسحاب الجيش الإسرائيلى من غزة^(٥) .

(د) تشويه الحقائق وتزوير التاريخ :

من المعروف أنه ساد الستينيات فيما بعد المد الناصرى القومى والفكر الاشتراكى واليسارى ، وكان كتابهم الذين يؤرخون لهبة مارس ١٩٥٥م يحاولون جاهدين

(١) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢) عبدالله أوب غزة ، ص ٣٧ .

(٣) عبدالقادر ياسين حزب شيوعى .. مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٤) زياد أبو عمرو ، ص ٧٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

أن يقلبوا الحقائق فيعترفوا بدور الإخوان المسلمين وفاعليتهم لأن ذلك لا يمكن إنكاره ولكنهم يعملون على تشويه هذا الدور والتقليل من أهميته ظناً منهم أن الحركة الإسلامية التي انحسرت وضعفت بل يكاد أن يكون وجودها قد انتهى لن تعود ولن تستعيد قوتها بعد ذلك أبداً.

فهذا معين بسيسو يزعم أن شعارات الشيوعيين في المظاهرات: «لا توطن ولا إسكان يا عملاء الأمريكان» و«تسقط الدكتاتورية العسكرية» و«يسقط حكم البكباشية» أما شعارات الإخوان فكانت «لا منظار ولا منقار» و«تسقط حكومة الرقاصين» و«لا صلاح في جمال ولا جمال في صلاح»^(١)، وبديهي أنه يريد أن يوحي ويشير إلى نضج الشيوعيين وشعاراتهم وسطحية الإخوان، حتى أن زياد أبو عمرو يلاحظ بناء على ذلك أن شعارات الشيوعيين حملت الطابع السياسي، بينما حملت شعارات الإخوان طابع التشهير الشخصي والمسلكي^(٢)، ولم تقتصر مجافاة الحقائق على الكيف وإنما تعدت ذلك إلى حجم الإخوان في المظاهرات، فأبو النمل يقول إن الشيوعيين والإخوان تقاسموا زعامة اللجنة الوطنية في المظاهرات^(٣)، وكأنه يشير إلى تساوى الدورين، أما عبدالقادر ياسين وهو عضو في الحزب الشيوعي يقول: «تضارب الروايات حول حجم الشيوعيين والإخوان بين صفوف الطلاب الذين شاركوا في مظاهرات مارس ١٩٥٥، فبينما تذكر المصادر الشيوعية بأن أغلبية القيادات الطلابية في هذه المظاهرات كانت من الشيوعيين، تشير مصادر الإخوان إلى أن هذه الغالبية كانت للطلبة من تنظيم الإخوان المسلمين»^(٤) ويتحدث الكاتب نفسه عن أعداد المعتقلين فيقول: «كان من بين هؤلاء ١٨ من الشيوعيين و١٨ من الإخوان المسلمين والبعثيين والمستقلين»^(٥).

(هـ) النتائج السياسية لمظاهرات ١٩٥٥:

لقد حققت هذه المظاهرات أهم أهدافها فقد طوى وإلى الأبد مشروع توطن اللاجئين، وتغيرت سياسة مصر في المنطقة فاقتربت أكثر من القضية الفلسطينية واشتد

(١) معين بسيسو، ص ٥٣، وعبدالقادر ياسين (شبهات حول الثورة الفلسطينية)، بيروت: دار ابن رشد، ص ١٠٢.

(٢) زياد أبو عمرو، ص ٢٠.

(٣) حسين أبو النمل، ص ٧٢.

(٤) عبدالقادر ياسين (حزب شيوعي...) مرجع سابق ص ٢٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٩.

هجومها على الأحلاف وخاصة حلف بغداد، كما اضطرت الحكومة المصرية للبحث عن السلاح لتحفظ كرامتها أمام الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة فكانت صفقة الأسلحة التشيكية من أهم المنعطفات في سياسة المنطقة، وبدأت المخابرات المصرية نفسها تنظم حرب الفدائيين، حيث أوكلت العمل الفدائي ١٩٥٥ - ١٩٥٦م إلى المقدم مصطفى حافظ الذي نجح في عمله بصورة فائقة.. وأوجع اليهود في عمليات فدائية مكثفة، إلى أن اغتاله اليهود بواسطة طرد متفجر.. وكان لهذا كله أثره البالغ في بناء ثقة الجماهير بالإدارة المصرية وبحكم عبدالناصر.

أما على صعيد العمل الحزبي فقد عملت الحكومة المصرية على محاصرة القوى السياسية وخاصة الإخوان والشيوعيين فاعتقلت العديد منهم وحلت نقابة معلمي الوكالة وأصدرت أوامر مشددة بمنع التظاهر والأحزاب.

العدوان الثلاثي وفشل تدويل القطاع:

في يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م بدأ العدوان الثلاثي الذي شنته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر، وقد تم اجتياح صحراء سيناء دون مقاومة ذات بال بسبب قرار القيادة المصرية بسحب الجيش المصري من سيناء والدفاع عن قناة السويس. أصبح قطاع غزة معزولاً وبدأ الهجوم الإسرائيلي على غزة يوم ٢ / ١١ / ١٩٥٦م، واستمرت المقاومة إلى أن أعلن اللواء الدجوى الحاكم الإداري العام لقطاع غزة قرار الاستسلام، وأما على جبهة خان يونس فقد كانت المقاومة أكثر عنفاً، فقد كانت دفاعات المنطقة موكلة إلى اللواء ٨٦ الفلسطيني بالإضافة إلى قوات الفدائيين المتحركة في خان يونس^(١).

ارتكبت إسرائيل عدة مجازر في قطاع غزة كان أشهرها مجزرة غزة ١٠ / ١١ / ١٩٥٦م وكل من مجزرة خان يونس ورفح في ١٢ / ١١ / ١٩٥٦م حيث قام الجنود الصهاينة بقتل المدنيين، فقد بلغت الجثث التي اكتشفت مصادفة وفي مقابر جماعية ٢٣٠ جثة حتى يوم ١٦ / ١١ / ١٩٥٧م^(٢) وقد عانى أهالي القطاع كل أنواع البطش في فترة الاحتلال القصيرة التي دامت بين ٢ / ١١ / ١٩٥٦، و ١٤ / ٣ / ١٩٥٧م.

(١) انظر حسين أبو النمل، ص ص ١٤٠ - ١٤٣.

(٢) المرجع السابق.

(أ) أسباب ودوافع العدوان :

لقد تلاقت مصالح العدوان فى ضرب الروح الوطنية المتصاعدة فى المنطقة وذلك من خلال الحرب الإعلامية المكثفة التى شنتها الحكومة المصرية، على سياسة الأحلاف والارتباط بالغرب، فقد تنامت المشاعر الوطنية وساعد على ذلك كسر احتكار السلاح وصفقة الأسلحة التشيكية وتعريب الجيش الأردنى وطرد جلوب باشا قائد الجيش الأردنى، وبلغت الانتصارات ذروتها بقرار تأميم قناة السويس ، كما كان من الأسباب المباشرة التى جعلت فرنسا تشترك فى حملة السويس تلك المساعدات المهمة التى كانت تقدمها حكومة يوليو للثورة الجزائرية.

أما دولة إسرائيل فبالإضافة إلى هدف إضعاف الحكومة المصرية ومقاومة المد الوطنى الذى اجتاحت المنطقة، فكانت تهدف إلى ابتلاع قطاع غزة، ذلك الجزء الوحيد من فلسطين الذى لا يزال يرفع علم فلسطين ويحمل هويتها، أو تدويله وعدم إرجاعه إلى الإدارة المصرية، وكانت تهدف أيضاً إلى ضرب معاقل الفدائيين فى غزة وفك الحصار البحرى عن الدولة المفتصة عملاً لدخول السفن الإسرائيلية قناة السويس وخليج العقبة.

(ب) حالة القوى السياسية فى القطاع :

لم تقم القوى الوطنية بأية عملية عسكرية ضد قوات الاحتلال واقتصرت عملها على العمل السياسى والمقاومة السلبية وتنظيم الإضرابات وتوزيع المنشورات ، ذلك لأن القوى السياسية ممثلة فى الإخوان المسلمين والشيوعيين - وكان البعثيون فى بداياتهم - كانت فى أضعف حالاتها بسبب القمع المستمر الذى مارسه ضدها الإدارة المصرية وخاصة بعد مظاهرات ١٩٥٥ ، وبسبب هجرة الكثيرين من القطاع بحثاً عن الرزق فى دول الخليج أو هرباً من الملاحقة المستمرة، وكان وضع القطاع لا يسمح بالعمل المسلح لأنه محاصر من كل الجهات، كما أن الفترة الزمنية القصيرة لم تتح الفرصة للشعب وقواه السياسية من تنظيم نفسه وإعداده لذلك، كما أن الشعب لم يُسمح له أبداً بالتدريب على السلاح.

(ج) دور القوى السياسية تحت الاحتلال :

كان وضع الإخوان المسلمين فى غاية الضعف عند العدوان الثلاثى، بدأ الإخوان يتصلون بعضهم ببعض من أجل تنظيم صفوفهم، والنظر فيما يمكن أن يفعلوه لمقاومة الاحتلال

الإسرائيلي، وقد أثمرت هذه الاتصالات سواء على نطاق مدينة غزة ذاتها أو على نطاق القطاع كله، فأصبح للإخوان تنظيم يشمل القطاع كله^(١).

وكان الإخوان من بقايا الجهاز العسكري قد قاموا بواجبهم فى الأيام الأولى للاحتلال حيث توجه إبراهيم عاشور وفوزى جبر إلى أكبر قاعدة عسكرية مصرية فى منطقة رفح كان قد تركها الجيش بأسلحتها وذخائرها والمخططات العسكرية فأشعلوا فيها النيران^(٢)، كما جمع إخوان الجهاز العسكري ما استطاعوا جمعه من سلاح تركه الجنود الهاربون وأخفوه فى منزل محمود الوزير شقيق أبو جهاد.

وقام الإخوان بدور بارز فى العناية بأسر الأسرى المصريين من المدنيين والعسكريين كما قاموا بإخفاء الأخ عبدالغفار السودانى مدير مكتب الحاكم، الذى كان يزودهم بالمعلومات واستطاعوا تهريبه كغيره إلى الضفة الغربية، لكن اليهود أمسكوا بالقافلة وسجنوا عبدالغفار الذى أعيد إلى مصر بواسطة الصليب الأحمر الدولى فيما بعد^(٣).

يبدو للباحث أن القوى السياسية وخاصة الإخوان المسلمين والشيوعيين قد وجدوا دوافع حقيقية وصادقة للتحالف فى مواجهة العدوان، فتجربتهم فى التحالف لاتزال قريبة عهد عندما واجهوا مشاريع التوطين فى مظاهرات ١٩٥٥م الشهيرة، ولعل لنجاح تجربتهم فى مواجهة الإدارة المصرية جعلت كلا من الفريقين مدفوعا فى اتجاه التحالف من جديد مع الفريق الآخر، لكن ظروفأ أخرى وملابسات جديدة جعلتهم يفشلون فى تكوين جبهة وطنية عريضة فى مواجهة الاحتلال.

فى المرة الأولى كانت أهدافهم واحدة وهى إفشال مشاريع التوطين والمطالبة بالحرريات وتعزيز الدفاع عن قطاع غزة، أما فى مواجهة الاحتلال فقد برز إلى السطح الاختلافات الأيديولوجية ومن ثم النظرة إلى الاحتلال وبالتالي اختلفت الأساليب عند كل فريق، فالإخوان المسلمون لا يرفضون الاحتلال فقط وإنما أيضاً لا يعترفون بشرعية الدولة اليهودية، ويعتبرون عودة الإدارة المصرية من أسمى أهدافهم على الرغم مما لاقوه وما يمكن أن يلاقوه من الحكومة المصرية، أما الشيوعيون فيرون أن الدولة اليهودية دولة شرعية، ولها حق الوجود، وأن على الفلسطينيين أن يدافعوا عن حق الشعب اليهودى فى دولته حسب قرار التقسيم، وأن عليهم أن يتعاونوا مع الشرفاء فى دولة إسرائيل!! كما يعتقد الشيوعيون أن القوات

(١) عبدالله أبو غزة، ص ٤١.

(٢) فوزى جبر، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

المصرية هي قوات محتلة مثلها مثل القوات اليهودية ولذلك فهم يقبلون بتدويل القطاع حتى بقاءه تحت السيطرة الإسرائيلية إذا كفل لهم حرية الصحافة والاجتماعات أو استطاء إسقاط حكومة بن غوريون.

يقول أبو عزة: «رغم العداء المستحكم بين الإخوان والشيوعيين من الناحيتين الأيديولوجية والحركية، فقد قرر الإخوان دراسة إمكانات التعاون مع الشيوعيين بكل جد وإخلاص، وقد الاتفاق على لقاء بين ممثلي الفريقين وناب عن الإخوان كل من: سعيد المزين وغالب الوكيل وكمال عدوان»^(١).

قدم الشيوعيون وثيقة مكتوبة ضمنوها ما رأوه من خطة عمل ومجال للتعاون، وكان أبنودها:

- ١- تشكيل جبهة وطنية تنظم العمل الوطني.
- ٢- المطالبة بحرية الصحافة والاجتماعات والحريات العامة.
- ٣- التعاون مع الشرفاء في داخل إسرائيل لإسقاط حكومة بن غوريون.
- ٤- التمسك ببقاء القوات الدولية في القطاع إلى أن يتم التوصل إلى حل نهائي للقضية الفلسطينية ورفض عودة الإدارة المصرية^(٢).

اعترض الإخوان بشدة على هذه الوثيقة، أما الشيوعيون فيرون أن المشكلة تكمن في أن الحكومة الإسرائيلية وليس في الدولة نفسها، كما أن مطالبتهم بحرية الصحافة تؤكد مشكلتهم ليس الاحتلال في حد ذاته، وبذلك رفض الإخوان التعاون مع الشيوعيين كما يؤيد عبدالله أبو عزة مسئول الإخوان في تلك الفترة، ويرجع مصدر شيوعي رفض الإخوان والبعثيين لبرنامج الشيوعيين إلى عبارة «الشرفاء في إسرائيل» على اعتبار أن الإخوان والبعثيين لا يرون أن هناك شرفاء في إسرائيل^(٣).

وهناك مصدر آخر يعزو عدم الاتفاق إلى أن الإخوان المسلمين كانوا يدعون إلى الكف عن السلاح في مواجهة الاحتلال بينما كان الشيوعيون يريدونها مقاومة سلبية^(٤)، ويؤكد الصايغ أحد رموز البعثيين أن الخلاف لم يحدث بسبب التحالف مع الشرفاء في إسرائيل

(١) عبدالله أبو عزة، ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٣) عبدالقادر ياسين (شبهات حول الثورة الفلسطينية)، مرجع سابق، ص ص ٩٢-٩٣.

(٤) زياد أبو عمرو، ص ٧٧.

حول مستقبل الحقوق القومية العربية فى فلسطين^(١).

كتب كمال عدوان مذكرة طويلة من مواد وبنود متعددة عن أحكام التعاون مع القوى الأخرى، فدعا عبدالله أبو عزة مسئول التنظيم إلى اجتماع ضم جميع مسئولى المناطق بالإضافة إلى معاذ عابد من غزة وعقد الاجتماع بعد صلاة المغرب من يوم خميس فى منزل معاذ عابد حيث استمرت الجلسة حتى الفجر وكانت الموضوعات المطروحة:

١- تقييم عام للأوضاع.

٢- كيف نعمل تحت الاحتلال؟

٣- العلاقة مع الشيوعيين.

وكان أبرز القرارات عدم إمكانية العمل العسكرى فى الوقت الحالى ورفض قتل الشخصيات مثل رئيس البلدية وغيره، وعدم التعاون مع الشيوعيين^(٢). أسس الشيوعيون «الجهة الوطنية» بينما أسس الإخوان والبعثيون وبعض المستقلين «جبهة المقاومة الشعبية».

أخذ الإخوان ينشطون فى تحذير الشعب من فكرة التعايش مع الاحتلال، ودعوا الشعب إلى إضراب عام احتجاجاً على استمرار الاحتلال، وقد وزع بذلك منشور فى أواخر يناير سنة ١٩٥٧م ونجح الإضراب على نطاق واسع^(٣).

ألقي اليهود القبض على عدد من الإخوة منهم سعيد المزين وغالب الوزير وداود جبارة وعبدالله أبو عزة ومحمد أبو دية ومنير عجور ولما تمكن فوزى جبر من الهرب إلى العريش اعتقلوا والده^(٤).

(د) فشل التدويل وعودة الإدارة المصرية:

بعد انسحاب القوات الإسرائيلية ومحاولات تدويل القطاع عمت المظاهرات قطاع غزة كله تهتف «مصر أمننا لا نرضى عنها بديلاً»، وقاد الإخوان المسلمون والبعثيون والوطنيون مظاهرات المطالبة بعودة القوات المصرية.

فعلى الرغم مما كان فى حلق الإخوان من مرارة من جراء البطش الذى تعرض له إخوانهم

(١) المرجع السابق، ١١٩ - ١٢٠.

(٢) فوزى جبر.

(٣) عبدالله أبو عزة، ص ٤٨.

(٤) المرجع السابق.

فى مصر؁ ورم قناعفهم ومعرففهم بفساد الإءارة المصرفة ففء رأوا أن ذلك كله ففرون فى سبفل المءافظة على معنى الأءوة الإسلامفة من ءلال الإصرار على ءفظ الروابط مع مصر الشعب والءولة والشقاء والرصفء الروحى والفراف الفارفى؁ ولا بأس بما فء فءره ذلك من مفاعب على الإخوان أنفسهم •

الفصل الثالث

ضعف الحركة الإسلامية وقوة المد القومي

١٩٥٧ - ١٩٦٧

المبحث الأول

ضعف الحركة الإسلامية

لقد حفلت هذه السنوات العشر بأحداث كان لها الأثر الهام على مجريات القضية الفلسطينية وعلى المنطقة بأسرها، كما كان لها الأثر البالغ على الحركة الإسلامية في فلسطين وفي الدول العربية الأخرى.

كانت أبرز علامات تلك المرحلة هي الشعبية الطاغية التي تمتع بها جمال عبدالناصر، الذي خرج منتصراً في معركة حلف بغداد، والتي أعقبتها انتصارات أخرى جعلته زعيماً للأمة العربية دون منازع، واستطاعت الثورة الجزائرية أن تتوج كفاحها الطويل بالاستقلال وسقطت الملكية في العراق، وتصاعد المد القومي وانتشرت حركة القوميين العرب، واستطاع حزب البعث العربي الاشتراكي أن يسيطر على الحكم في سوريا والعراق، واتجهت القوى القومية إلى الاشتراكية، وتعمزت العلاقة مع الاتحاد السوفيتي ليصبح الحليف الأول للدول التقدمية كما احتدم الصراع بين ما سمي في حينه بالدول الثورية والأنظمة الرجعية، كما تم تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، وانطلقت حركة فتح لتعلن الكفاح المسلح، وازدادت هجرة العمالة العربية إلى دول الخليج النفطية، وكان في مقدمتها العمالة الفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة ومخيمات اللاجئين في كل من سوريا ولبنان. تركت هذه الأحداث حركة الإخوان المسلمين خلفها تحاول تضميد جراحها وتجاهد من أجل البقاء.

عوامل ضعف الحركة الإسلامية:

(أ) بروز الناصرية وقوتها:

نجح عبدالناصر في تأميم قناة السويس، واستطاع أن يحول العدوان الثلاثي إلى نصر

سياسى كبير فى عيون الأمة العربية، ورفع شعارات الوحدة العربية وتحرير فلسطين، وتحولت الشعارات إلى واقع حى بالوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ وولادة الجمهورية العربية المتحدة، وتصاعد المد القومى من المحيط إلى الخليج ورأت الجماهير الفلسطينية فى عبدالناصر منقذاً لفلسطين كما كان سنداً قوياً لثورة الجزائر. وكانت كل هذه المكاسب التى يجنيها عبدالناصر الخصم الرئيسى لجماعة الإخوان المسلمين تنعكس ضعفاً وانحساراً وعزلة على الإخوان المسلمين.

(ب) المد القومى والأحزاب القومية:

أسهمت الانتصارات الناصرية فى تمدد وانتشار الأحزاب القومية فى المشرق العربى وخاصة فى فلسطين، فبدأ حزب البعث العربى الاشتراكى يزداد نفوذه فى أوساط الشعب الفلسطينى فى قطاع غزة والضفة الغربية والشرقية وبين الفلسطينيين خارج فلسطين، وقد كان ذلك أكثر وضوحاً فى تنامى حركة القوميين العرب، التى استفادت من العلاقة الخاصة مع النظام المصرى بالإضافة إلى قوة العنصر الفلسطينى داخل الحركة نفسها، وبذلك استطاعت الأحزاب القومية أن تأخذ الجماهير من الإخوان المسلمين.

(ج) وقوف الاتحاد السوفيتى مع الأنظمة الثورية:

كانت صفقة الأسلحة التشيكية بين مصر والاتحاد السوفيتى سنة ١٩٥٥، فاتحة العلاقات القوية والمساعدات العسكرية والدعم السياسى الذى وفره الاتحاد السوفيتى لمصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن والسودان، وعزز ذلك التحولات الاشتراكية فى تلك البلدان، مما جعل الاتحاد السوفيتى صديقاً للشعوب العربية، فخفت قبضة الأنظمة على الأحزاب الشيوعية، وانتشر الفكر الماركسى وظهرت المطبوعات الروسية، وافتحت المراكز الثقافية السوفيتية، واستطاع الماركسيون أن ينفذوا إلى كثير من وسائل الإعلام هنا وهناك.

(د) علاقة الإخوان المسلمين بالأنظمة (المعتدلة):

استطاع النظام الناصرى أن يربط بين الأنظمة التى يسميها بالرجعية وبين الإخوان المسلمين وخاصة أن كثيراً من الإخوان وجدوا الملاذ فى السعودية والأردن ودول الخليج هرباً من الملاحقة والتعذيب، كما وجد الإخوان المسلمون فى الأردن مثلاً أنفسهم هدفاً لهجوم القوى الناصرية والقومية واليسارية بالإضافة إلى وجود حزب إسلامى قوى فى ذلك الوقت يناصبهم العداء ويشكك فى أهدافهم وأعمالهم ألا وهو «حزب التحرير الإسلامى».

(هـ) القمع والسجون والمعتقلات وحرب التشويه:

تعرض الإخوان المسلمون في مصر وقطاع غزة لأقصى أنواع البطش والتعذيب والملاحقة، ولم تتعرض قوة سياسية لمثل ما تعرضوا له، بالإضافة إلى حرب التشويه والتشكيك التي مورست، فأثرت على الإخوان في كل مكان، فتم اتهامهم بالعمالة والرجعية والإرهاب ومعاداة القومية العربية والوحدة العربية. وكان من آثار ذلك أن من نجا منهم من الاعتقال والتعذيب استطاع أن يهاجر بحثاً عن الأمن ولقمة العيش، وقد أسهمت كل القوى القومية واليسارية في تشويه صورة الإخوان المسلمين.

(و) تنامي النزعة الوطنية الفلسطينية:

بدأ ينتشر شعور بين الشباب الفلسطيني بأهمية العنصر الفلسطيني في العمل لقضية فلسطين، وقد كان لنجاح جبهة التحرير الجزائرية أبعد الأثر في ذلك الأمر، كما أنهم أحسوا بانشغال الأحزاب القومية بقضايا أخرى عن القضية الفلسطينية، وبدأت تظهر بدايات عديدة لمنظمات وطنية فلسطينية في كل أماكن تواجد الفلسطينيين، فظهرت «جبهة تحرير فلسطين» ومنظمات كثيرة أخذت الكثيرين من عناصر الإخوان المسلمين، وكانت حركة فتح هي أهم هذه التنظيمات وهي التي تأسست على يد عناصر من الإخوان المسلمين، واستطاعت أن تجمع الكثيرين من الإخوان وخاصة من العناصر الشابة والنشطة، فساهمت في إخراج عدد كبير من الإخوان من الذين صمدوا تحت البطش والاعتقال والتشويه وظلوا على ولائهم للإخوان، كما ساهمت «فتح» في الحملة الإعلامية الضخمة التي شنّها اليسار الناصري والقومي على الإخوان، ولكن بطريقة أكثر تأثيراً وخطراً، فهم من داخل البيت ويعرفون الإخوان فرداً فرداً، ويلاحقونهم بالنقاش، ويشككون في طريقة الإخوان، ويطرحون بديلاً يستهوى الشباب.

(ز) إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية:

مع أن إنشاء المنظمة كان بقرار عربي صدر عن القمة العربية الثانية في الإسكندرية في أواخر سنة ١٩٦٤، إلا أنه وافق آمالاً ورغبة عند الشعب الفلسطيني الذي ظل ستة عشر عاماً يناضل من أجل إيجاد كيان له وممثلين منه ناطقين باسمه، وعلى الرغم من تحفظات القوى السياسية الفلسطينية على قيادة المنظمة وطريقة عملها إلا أن الشعب الفلسطيني رحب بالمنظمة وبرئيسها أحمد الشقيري، واستطاعت (م. ت. ف) أن تؤسس جيش التحرير، وأن

تعقد المؤتمرات الوطنية، وتمثل الفلسطينيين وتتوجه لهم عن طريق إذاعاتها ومكاتبها المعترف بها، ولم يستطع الإخوان أن يلعبوا أى دور فى مسيرة المنظمة منذ إنشائها وذلك لضعفهم وتشتتهم.

القوة السياسية الأخرى:

(أ) حزب البعث العربى الاشتراكي:

انتشر حزب البعث بين الفلسطينيين فى سوريا ولبنان والأردن، فلطالما دعا الحزب للوحدة العربية طريقاً لتحرير فلسطين، وقد شارك الفلسطينيون فى قيادات الحزب، وكان أبرزهم عبدالله الريمائى من الأردن، حيث شارك الحزب مع الأحزاب الوطنية والقومية الأخرى فى معركة تعريب الجيش الأردنى ومقاومة حلف بغداد، لكنه تأخر فى الوصول إلى قطاع غزة، فعلى الرغم من أن بعض المصادر ترجع تشكيل نواة الحزب فى القطاع إلى عام ١٩٥٣^(١) عن طريق الطلاب الذين يدرسون فى مصر، وبعضها الآخر يقول أنه تأسس فى صيف ١٩٥٥م^(٢)، إلا أنه لم يصبح ظاهرة سياسية فى قطاع غزة إلا منذ سنة ١٩٥٧م. شارك الأفراد القلائل من البعثيين الأوائل الإخوان المسلمين فى تكوين «جبهة المقاومة الشعبية» أثناء الاحتلال الإسرائيلى للقطاع. ويذكر أبو دية^(٣) أنه كان معهم فى سجن الاحتلال وفا صايغ البعثى المسيحى، وقد حل عليهم رمضان فى السجن، فكان يمسك عن الطعام مجاملة للإخوان الذين أحسنوا معاملته، وقد شارك فى مظاهرات الإخوان بعد انسحاب القوات الإسرائيلية والتي قامت لرفض التدويل والمطالبة بعودة الإدارة المصرية وكان يهتف فى المظاهرة: «قرآنية إنجيلية، لا شرقية ولا غربية».

ومما ساهم فى ازدياد العناصر البعثية فى القطاع أن الإدارة المصرية بدأت تبحث عن حليف بعد حل جماعة الإخوان المسلمين. لذا بدأت تتعاطف مع البعثيين، وتتفق المصادر الإخوانية مع غيرها فى أن الفترة من ٥٦ - ٥٨ كانت فترة ذهبية لحزب البعث فى قطاع غزة^(٤)، حيث

(١) زياد أبو عمرو (أصول الحركات السياسية فى قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٧)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٧م.

(٢) عبدالقادر ياسين (شبهات حول الثورة الفلسطينية)، بيروت: دار ابن رشد، بدون تاريخ، ص ١٠٠.

(٣) الأستاذ محمد أبودية - من قدامى الإخوان-، مقابلة شخصية (الكويت) ١٢/ ٣/ ١٩٨٤م.

(٤) د. عبدالله أبو عزة، (مع الحركة الإسلامية فى الدول العربية)، الكويت: دار القلم، ١٩٨٦، ص ٥٨ وزياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص ١٢١.

نما بشكل سريع، وفتحت لهم أبواب مديرية التربية ليصبحوا مفتشين ومدرسين مدارس، ولكن سرعان ما انتهى شهر العسل بحدوث الانفصال بين مصر وسوريا في أيلول ١٩٦١، ففقد البعثيون حظوتهم لدى أجهزة المخابرات المصرية، ليفسحوا المجال لقوة جديدة وحلفاء جدد أقرب كثيراً إلى السلطة وهم: «القوميون العرب».

وأصبح حزب البعث في قطاع غزة تتحكم فيه العلاقات بين الحزب الأم ونظام عبدالناصر، وعلى كل فإن ملاحقة البعثيين لم تكن بتلك القسوة التي تعرض لها الإخوان المسلمون أو الشيوعيون.

وظل حزب البعث الأم يصدر بياناته في المناسبات الفلسطينية معبراً عن وجهة نظره في عروبة فلسطين وضرورة الوحدة العربية لإنقاذ فلسطين، كما أصدر بياناً ندد فيه بمشاريع توطين اللاجئين وإسكانهم في الدول العربية^(١). وعموماً ظلت فلسطين موضوعاً أساسياً في أدبيات حزب البعث وفي وسائل الإعلام السورية منذ أن استولى الحزب على السلطة عام ١٩٦٣ م.

(ب) الشيوعيون:

بعد زوال الاحتلال عن قطاع غزة وإطلاق سراح الشيوعيين المعتقلين منذ مظاهرات ١٩٥٥، نَعِم الشيوعيون في قطاع غزة بحرية العمل وإقامة الندوات والمحاضرات بالإضافة إلى تنظيم الخلايا الحزبية من جديد، وذلك بسبب العلاقة الجديدة التي قامت بين الحكومة المصرية ودول الكتلة الشرقية، فكان الشيوعيون يستغلون إشادة الإعلام المصري بالاتحاد السوفيتي ومساندته لمصر في تقديم الأسلحة وتمويل بناء السد العالي في محاولتهم للانتشار بين الناس، وقد أصدر الشيوعيون صحيفة يومية علنية «التحرير»، «كان يملكها عضوان في الحزب هما زهير الرئيس ومحمد آل رضوان تركا الحزب فيما بعد»^(٢).

وظل الشيوعيون يعملون بصورة علنية إلى أن أوقف نشاطهم، وتم اعتقالهم سنة ١٩٥٩ م، بسبب الأزمة مع عبدالكريم قاسم وموقفهم الراض للوحدة بين مصر وسوريا. وعندما خرجت آخر مجموعة منهم من السجن عام ١٩٦٣، استمرت محاولاتهم لإحياء الحزب وأصدروا صحيفة أسبوعية باسم «نداء التحرير»^(٣). وعموماً ظل

(١) عيسى الشعيبي، (الكيانية الفلسطينية)، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف)، ١٩٧٩، ص ٧٩.

(٢) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص ٥١.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٣.

الحزب ضعيفاً وكان أكثر ما يضعفه الخلافات والانقسامات والاتهامات المتبادلة بين أعضائه الذين كان ينتمى معظمهم إلى الطبقة البرجوازية، وكان عدد من قادتهم من كبار ملاك الأراضي الزراعية.

ولم يكن الشيوعيون في الأردن بأحسن حالاً من رفاقهم في غزة، فقد ظل الحزب الشيوعي الفلسطيني أو الأردني وهو أقدم الأحزاب الشيوعية العربية وأكثرها ضعفاً وذلك بسبب مواقفه من اغتصاب فلسطين، وقد دأب الشيوعيون على محاولات كتابة التاريخ على هواهم، فحرية العمل التي حصلوا عليها من ٥٧ - ٥٩ كانت حسب زعمهم وبسبب المكانة التي حصلوا عليها لتصديهم لقيادة النضال السياسي في القطاع^(١)، ويزعم بسيسو أيضاً أن الشيوعيين هم أول من قاد المظاهرات في غزة تأييداً للوحدة^(٢)، مع أن موقفهم في معارضة الوحدة معروف. وحينما تعرض الشيوعيون للغضب الشعبي والاضطهاد الحكومي عام ١٩٥٩م بسبب موقفهم في تأييد عبدالكريم قاسم والشيوعيين في العراق وانتهاكهم للمقدسات الإسلامية كالاغتداء على المصحف الشريف ومجاهرتهم بالإلحاد، مما جعل طلاب مدرسته (بسيسو كان يعمل مديراً لمدرسة) يطاردونه خارج أسوار المدرسة ويلاحقونه في الشوارع والأزقة إلى أن اضطر للجوء إلى منزل الدكتور صالح مطر في حي الدرج^(٣).

والغريب في الأمر أن بسيسو ينسب ما حل به وبرفاقه إلى الإخوان المسلمين، فيقول: «كان رجال المباحث والمخابرات والعقائديون الفاشيون وقلول الإخوان المسلمين على رأس حملة ١٩٥٩م»^(٤)، ويقول إن المصاحف رفعت ضد الشيوعيين بينما لم ترفع ضد حلف بغداد أو في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي أو من أجل عودة الإدارة المصرية للقطاع^(٥). والحقيقة أنه أول من يعلم أن الإخوان كانوا سنة ١٩٥٩م موضع الاضطهاد الشديد، وأن الذين ساهموا في ضرب الشيوعيين كانوا البعثيين والقوميين العرب، لكنه لم يذكرهم بالاسم لأنه كان متحالفاً معهم عام ١٩٧٧، يوم أن كتب هذا الكلام.

(١) معين بسيسو، (دفاتر فلسطينية)، بيروت: دار القاربي، ١٩٧٨، ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عبدالله أبو غزة، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٤) معين بسيسو، ص ٩٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٧ - ٩٨.

(ج) حركة القوميين العرب :

لقد تأسست النواة الأولى للحركة في الجامعة الأمريكية في بيروت، عام ١٩٥١، وبدأت تنتشر الحركة في صفوف الطلاب ومن ثم إلى بلدانهم في سوريا والعراق والكويت والأردن واليمن، ومع أن الحركة كانت حزباً قومياً إلا أن القضية الفلسطينية كانت القضية الرئيسية للحركة، كما أن معظم القادة والمؤسسين للحركة كانوا من الفلسطينيين وعلى رأسهم جورج حبش ووديع حداد وأحمد اليماني.

شكل التنظيم «لجنة فلسطين» عام ١٩٥٨م، وقد تكونت من كل من جورج حبش ووديع حداد، وأسامة النقيب (من فلسطيني سوريا) وزاهي قمحاوي (من فلسطيني الأردن) وأحمد اليماني وعبد الكريم محمد (من فلسطيني لبنان)^(١)، وكانت الحركة قد وصلت الأردن في وقت مبكر على يد جورج حبش نفسه، ووجدت الأنصار والأعوان في داخل الشعب الفلسطيني وشاركت مشاركة فعالة في العمل السياسي الوطني في الساحة الأردنية.

أما في قطاع غزة فقد تأخر وصول الحركة إلى عام ١٩٥٨، ولكنها استطاعت أن تنمو بسرعة مستفيدة من المد الناصري ومن العلاقات المتميزة التي ربطت بينهم وبين النظام المصري، وشاركوا في تأسيس «الاتحاد القومي العربي الفلسطيني» في غزة أسوة بالاتحاد القومي في مصر، وكانت الأجواء كلها مساندة لنمو حركة القوميين العرب، فالشيوعيون بالإضافة إلى ضعفهم الأصلي كانوا قد خرجوا حديثاً من السجون التي عادوا إليها عام ١٩٥٩م، والبعثيون لم يستطيعوا التمدد في قطاع غزة وخاصة أن المباحث بدأت تلاحقهم منذ عام ١٩٦١، أما الإخوان المسلمون فلم يعد يُسمع لهم صوت، فهيمن القوميون العرب على الاتحاد العام لطلبة فلسطين وأصبحوا أكبر قوة سياسية فلسطينية منظمة تحظى بدعم عبد الناصر.

ومن الملفت للنظر أن هذه الحركة ومنذ تأسيسها قد بدلت مواقفها كثيراً في الجانبين الفكري والسياسي: فمن حركة قومية غير ناضجة معادية للشيوعية إلى حركة تتبنى الماركسية - اللينينية، ومن تحالف متين مع عبد الناصر إلى الاختلاف معه.

(١) عيسى الشعيبي، ص ٨٦.

المبحث الثاني حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح»

الأصول الإخوانية للحركة:

لقد أخذت فكرة «فتح» داخل جماعة الإخوان المسلمين مسارين مختلفين: أولهما ذلك المسار الشرعى والتنظيمى حيث نشأت الفكرة وتطورت داخل الحركة، وكان ذلك نتيجة طبيعية لمساهمة الإخوان فى الجهاد على أرض فلسطين ولاعتقادهم الثابت بضرورة تحرير فلسطين وعدم إتاحة الفرصة للعدو أن يثبت أقدامه فى الأرض. فقد شجعت الحركة العمل الفدائى بل وأنشأت جناحاً عسكرياً وأشرفت على تدريب الإخوان وجمع السلاح، ولم تمهل الأحداث الإخوان فى غزة كي يبلوروا إطاراً للعمل على الساحة الفلسطينية فجاءت أزمة ١٩٥٤م وحُلّت الشُّعب، ثم مظاهرات ١٩٥٥م والاعتقالات، ثم عدوان ١٩٥٦م والاحتلال.

أما المسار الثانى فكان أيضاً داخل صفوف الجماعة، ويجرى التبشير بالفكرة واستقطاب العناصر حولها فى صورة سرية وبعيداً عن نظرة القيادة. حيث وجدت بذور حركة «فتح» التى نعرفها. فولدت «فتح» إخوانية الفكرة، إخوانية الأفراد سنة ١٩٥٨ أو ١٩٥٩ أو قبل ذلك، لكنها لم تكن إخوانية التنظيم والمنهج، ومع الوقت وبالتنظيم الجديد جرت التعديلات الجوهرية على الفكرة حتى أصبحت فكرة أخرى مختلفة عن الأفكار التى نشأت فى ظلال جماعة الإخوان من أوائل الخمسينيات.

فى نقابة معلمى الوكالة التى قادت الجماهير كلها فى مظاهرات مارس ١٩٥٥، كان الإخوان المسلمون هم المادة الرئيسية للانتفاضة وشارك فيها الشيوعيون، وشارك فيها وطنيون مستقلون، وكانت المطالب التى تحرك بها الإخوان واعتقلوا من أجلها ونجحوا فى تحقيقها من نوع المطالب الوطنية التى تعزز النزعة الفلسطينية فى مواجهة الإدارة المصرية، ولم تكن مطالب ذات طابع إسلامى مباشر مما جعل الكثيرين من عناصر الإخوان يتوغلون فى المعاناة الوطنية والتكاليف السياسية التى لم تحمل بصمة إسلامية مميزة. كانت المظاهرات تطالب بقبر مشروع التوطين، كما تطالب بالتسليح والتدريب وإنشاء جيش فلسطينى استعداداً لمعركة التحرير. بالإضافة إلى ذلك فقد رسخت فى الوجدان إمكانية التعاون مع

الآخرين مهما كان موقفهم الأيديولوجي إذا كانت هناك قواسم سياسية مشتركة.. أما تجربة مقاومة الاحتلال الإسرائيلي لقطاع غزة فإن تعاون الإخوان المسلمين مع البعثيين والمستقلين في إنشاء «جبهة المقاومة الشعبية» أسهم أيضاً في تكوين بذور «فتح».

وهكذا أسهمت عوامل كثيرة في نشأة «فتح»، ولعل أول هذه العوامل كان قرار حل جماعة الإخوان وملاحقة أفرادها، مما جعل الكثير من الشباب يجد أن إمكانية العمل لفلسطين تصبح متعذرة لتنظيم ممنوع مطارد، كما أن فريقاً منهم وتحت وطأة المعاناة والاعتقال والتعذيب وجد أن سياسة عدم استعداد الحكومات أكثر نفعاً، وخاصة النظام المصري لما له من قوة ونفوذ وتأثير إعلامي، ولسيطرته على قطاع غزة في الأساس. ولما كان أكثر الشباب الفلسطيني الذي التحق بقافلة الإخوان المسلمين دفعهم لذلك الحماس والرغبة في قتال اليهود، ولم تتمكن في عقولهم ومشاعرهم في ذلك الوقت المبكر، الفكرة الإسلامية العامة، والالتزام الإسلامي، فإن كثيراً منهم رأى في العداوة الضارية بين الإخوان وجمال عبدالناصر، مسألة مصرية يثيرها التنازع على الحكم، فذلك أمر لا يهمهم كثيراً، وكان بعضهم لا يدرك الرابطة بين نوع نظام الحكم في مصر وغيرها وبين المعركة مع الدولة الصهيونية.

أراد هؤلاء الشباب أيضاً أن يكون التنظيم عاماً للناس جميعاً، يستقطب جميع الطاقات الوطنية ولا يكون حكراً على المتدينين من الإخوان، ثم تطورت هذه الآراء مع الوقت فأرادوا من الإخوان أن يتركوا منهجهم الإسلامي وأن يخلعوا كفيرهم أردية الحزبية على أبواب «فتح». وفي القاهرة لم يعد الطلاب في «رابطة الطلبة الفلسطينيين» قادرين على العمل تحت راية الإخوان المسلمين المتنوعة فاجتهدوا في البحث عن إطار بديل.

وكانت هناك أيضاً الأسباب الذاتية داخل حركة الإخوان نفسها، فلم تستطع الحركة في تلك الفترة إنجاز منهج تربوي دقيق لتعبئة أعضائها وصياغتهم حسب منهج الحركة، فلم تكن قد عرفت وطبقت معاني الالتزام التنظيمي والطاعة وتركيز النفس بالصورة التي عرفت فيما بعد، فكان من السهل على الآخرين وخاصة إذا كانوا من داخل الصفوف أن يروجوا لأفكار جديدة، وقد أضعفت الضربات المتلاحقة قنوات الاتصال بين القيادة وقواعدها، فلم يكن في تلك الفترة هيكل تنظيمي واضح ومحدد.

أما في مجال الصلة بمصر فقد ظل الإخوان المسلمون في قطاع غزة لفترة طويلة يتبعون التنظيم في مصر مباشرة، فعندما ضرب التنظيم في مصر سنة ١٩٥٤م واعتقل أغلب أفراد

انقطعت صلة غزة بمصر، فبقى الإخوان في قطاع غزة في حالة غير متوازنة، فلا هم يتصلون بقيادتهم في مصر، ولا هم يكونون تنظيمًا مستقلاً له مرجعيته المحلية.

وبذلك كانت القضايا المهمة التي تصل إلى الشعبة هناك في غزة، تفقد أهميتها في الساحة المحلية، كانت التعليمات والبيانات والتكاليف التي تصل إلى الفرع من المركز تحمل كلها الهموم المصرية وبالتالي حدث انفصام بين الشباب - الذين يعيشون أحداثهم ويفكرون في هذه الأحداث التي كانت أكبر خطورة مما يأتي في التعليمات وحتى من وجهة النظر الإسلامية - وبين القيادة التي تعيش وتفكر حسب ما يصلها من نشرات تعالج أوضاع مصر ومجلس قيادة الثورة وغير ذلك.

العوامل الفلسطينية في نشأة الحركة،

مضى العقد الأول من حياة التشرد والجوع والبحث عن الأمن ولقمة العيش، وقبل أن يبدأ العقد الثاني بدأ الفلسطينيون يفكرون بتنظيم أنفسهم لأنهم أدركوا أن الحكومات والأحزاب والدول مشغولة بالكثير من قضاياها، وأن على أصحاب القضية أن يكونوا في مقدمة الصفوف. ونستطيع أن نقول أنه ابتداء من عام ١٩٥٧م، لم يخلُ أي تجمع فلسطيني - في غزة والأردن وسوريا ولبنان والعراق وحتى في المهاجر الغربية - من شباب كانوا يكونون البدايات الأولى لتنظيم فلسطيني هدفه تحرير فلسطين.

وقد ساعد على ذلك اضمحلال دور الإخوان المسلمين الذين كان يرى الشباب فيهم الأمل، فهم إما ضعفوا أو غير وجهتهم الصراع الدامي بينهم وبين عبدالناصر، وكان الكثير من الشباب الفلسطيني يرفض أن يعادى عبدالناصر فقط لأنه في صراع مع الإخوان المسلمين وأنه ليس على الناس جميعاً أن ينجروا في معركة مركزها كراسي الحكم في القاهرة، فقد كان الفلسطينيون دائماً ولا زالوا ينظرون إلى الناس والأحزاب والزعماء والدول حسب موقفهم من القضية الفلسطينية.

ولعل انتشار المد القومي منذ ١٩٥٧ - ١٩٥٨م، وانشغال القوى بالدعوة إلى الوحدة العربية وتأجيلها موضوع فلسطين، كان له الأثر البعيد في اهتمام الشباب الفلسطيني في عمل تنظيم فلسطيني النشأة والأهداف، ولعل واحداً من أهم شعارات «فتح» كان «تحرير فلسطين طريق الوحدة العربية» الذي جاء رداً على شعارات «الوحدة العربية طريق تحرير فلسطين» يعكس هذه المشاعر.

فلم تأت سنة ١٩٥٩م حتى كانت إرهابات العمل الوطنى الفلسطينى قد ملأت الساحات جميعاً، لدرجة أنها اخترقت جذر الفولاذ ووصلت بتأثيرها إلى الفلسطينيين فى الأرض المحتلة الذين غيبوا طيلة العقد الماضى، وانعزلوا تحت الهيمنة الصهيونية وقوانين الطوارئ، وظلوا يجتروا الإحباط ولا يجدون لهم متنفساً إلا فى الحزب الشيوعى الإسرائيلى الذى كان يترافع عن مطالبهم الحياتية مقابل أن يعطوه أصواتهم فى انتخابات الكنيست الإسرائيلى دون أن يدافع عن حقوقهم الوطنية وحق إخوانهم فى العودة، فكان تأسيس جماعة «الأرض» داخل فلسطين تعبيراً عن الهوية الوطنية الفلسطينية والهوية القومية العربية سنة ١٩٥٩م، كما نشأت جبهات متعددة لتحرير فلسطين بين الشباب الفلسطينيين فى العراق والأردن ولبنان وسوريا، وفى نفس العام كان فوج التحرير الفلسطينى يتم إنشاؤه فى العراق، وفى سنة ١٩٦٠ يتأسس إقليم فلسطين فى حركة القوميين العرب، وكانت سنة ١٩٦٢م من أهم تلك السنوات حيث مثل انتصار الثورة الجزائرية وطرده المستعمر دافعاً من أقوى الدوافع الوطنية الفلسطينية، وأصبح النضال الجزائرى هو المثل الأعلى للفلسطينيين، فلم يكن غريباً أن تتشكل تنظيمات متعددة فى أماكن مختلفة ولا يربط بينها رابط باسم واحد هو جبهة التحرير الفلسطينية أو جبهة تحرير فلسطين، لقد أعطى هذا الانتصار مؤسسى فتح دافعاً قوياً لاستمرار عملهم بعد أن وجدوا نظاماً مناصراً، فكان أول مكتب لهم يفتح فى مدينة الجزائر ويذهب إليه خليل الوزير سنة ١٩٦٣م.

نشأة فتح،

لقد كان المؤسسون الأوائل وقادتها فيما بعد من الإخوان المسلمين، ومنهم خليل الوزير وصلاح خلف ومحمد يوسف النجار وكمال عدوان وعبدالفتاح الحمود وسليم الزعنون ورياض الزعنون وأسعد السفطاوى وفتحى البلعاوى ومحمود عباس ورفيق النتشه وصبحى أبو كرش وعبدالله صيام وسعيد المزين بالإضافة إلى كل من معاذ عابد وحمد العايدى وعبد الله أبو مراحيل وغالب الوزير وأحمد رجب وعبدالمجيد الأسمر وعونى القيشاوى والحاج صادق المزينى وماجد المزينى ومحمد الأفرنجى وآخرين^(١) أما ياسر عرفات فلم يكن من الإخوان إطلاقاً، لكنه كان على علاقات طيبة مع الإخوان المصريين، وشاركهم فى حرب العصابات ضد القوات البريطانية فى السويس سنة ١٩٥١م، ثم تعرف على صلاح خلف سنة ١٩٥١م

(١) عبدالله أبو عزة، ص ٩٥، وزيد أبو عمرو، ص ٨٥.

الذى جاء للدراسة فى مصر، وكان يهمله أن يشيع بين الطلبة أنه من الإخوان حتى يكسب أصواتهم فى انتخابات الطلبة ويضمن تحالفهم واستطاع أن يصبح «رئيس رابطة طلاب فلسطين» من ١٩٥٢ - ١٩٥٦م وأن ينجح فى قائمة الإخوان. أما القياديون الذين جاءوا للحركة من الأحزاب الأخرى فقد جاءوا بعد ذلك بمدة مثل فاروق القدومى (البعث) وخالد الحسن (حزب التحرير) وغيرهم.

(أ) مرحلة غزة:

بدأت فكرة إنشاء التنظيم الفلسطينى المسلح بين صفوف الإخوان فى غزة منذ وقت مبكر، ولعله فى عام ١٩٥٤م حيث حلت شعب الإخوان وطوردوا فى كل مكان «فقد أصبح العمل تحت لواء الجماعة كسبيل وحيد لتحرير فلسطين غير ممكن وهى تخضع لحظر على نشاطها السياسى ومطاردة لأعضائها»^(١)، وكان أبرز من حمل هذه الأفكار خليل الوزير ومن معه من أعضاء الجهاز العسكرى أمثال حمد العايدى ومحمد الأفرنجى، «بالإضافة إلى الكثيرين من «أسرة الجهاد» التى كان نقيبها صلاح خلف ومعه أسعد السفطاوى»^(٢) والتف حولهم كل من سليم الزعنون وكمال عدوان. وكانت مرحلة الاحتلال الإسرائيلى لقطاع غزة فى أعقاب العدوان الثلاثى دافعاً لإحياء هذه الأفكار وتطويرها.

(ب) مرحلة القاهرة:

كان نفس الأشخاص الذين حملوا هذه الفكرة فى قطاع غزة هم العمود الفقرى الذى تجمع حوله الآخرون أثناء دراستهم الجامعية فى القاهرة، ثم بعد ذلك أثناء عملهم فى الكويت ودول الخليج العربى، وقد انضم إليهم فى القاهرة آخرون مثل عبدالفتاح الحمود طالب كلية الهندسة القادم من الضفة الغربية وأحد أعضاء جماعة الإخوان، إلا أن أبرز من كان فى القاهرة فى ذلك الوقت طالب آخر فى كلية الهندسة تبنى فى القاهرة وحمل لهجتها المصرية على لسانه، ألا وهو الطالب ياسر عرفات، الذى لم يكن من الإخوان المسلمين فى يوم من الأيام^(٣) إلا أنه كان يحتفظ بعلاقة طيبة مع الإخوان المصريين، وقد أراضاه أن يشيع بين طلبة الإخوان الفلسطينيين أنه منهم، دخل عرفات على رأس قائمة الإخوان المكونة من تسعة طلاب فى انتخابات رابطة الطلبة الفلسطينية سنة ١٩٥٢م، ليصبح رئيساً للرابطة بعد أن لمحت

(١) زياد أبو عمرو، ص ٨٦.

(٢) محمد أبودية، مرجع سابق.

(٣) Allan Hart, ARAFAT, Terrorist or Peacemaker, p.84.

القائمة بكاملها^(١).

كان ياسر عرفات يتمتع بديناميكية ونشاط فيتصل بجميع الطلاب وخاصة القادمين الجدد، ويعرض عليهم خدماته، يقول أبو الأديب (سليم الزعنون) أنه كان مفاوضاً ممتازاً ويجيد الاتصال بالشخصيات الكبيرة، وكان يتحدث عن إنشاء حركة تحرير فلسطينية مستقلة منذ سنة ١٩٥٢م و١٩٥٣م^(٢). كان من أبرز شباب الرابطة صلاح خلف وكمال عدوان وعبد الفتاح الحمود وسليم الزعنون الذين أصبحوا فيما بعد مع عرفات و خليل الوزير ومحمد يوسف النجار قيادة «فتح».

(ج) مرحلة الكويت والخليج العربي:

كانت هذه آخر المراحل في مسيرة التنظيم الفلسطيني المقترح، فيها اكتملت الفكرة، وأخذ التنظيم اسمه، وبدأت المجموعات المتناثرة هنا وهناك تجد للاتصال ببعضها بعضاً، أصبح الطلاب موظفين قادرين على الحركة بصورة أفضل من ذي قبل، وأصبح الملاحقون الذين يحسبون خطاهم أكثر حرية في بلاد لم تجد خطراً في نشاط الفلسطينيين في ذلك الوقت، كما كانت أجهزتهم البوليسية أقل تطوراً من مثيلاتها في مصر وقطاع غزة والأردن، كما حسمت في أوائل الستينيات مسألة العلاقة بين الإخوان المسلمين وفتح.

ويذكر خليل الوزير وهو من القادة المؤسسين لحركة فتح أن اللقاء الأول قد تم في النصف الأخير من عام ١٩٥٧م، حيث التقى في الكويت خمسة فلسطينيين جاءوا من مناطق مختلفة، وشكلوا القاعدة التنظيمية الأولى التي كانت على ارتباط مع امتدادات تنظيمية في كل من مصر وغزة والأردن وسوريا ولبنان والسعودية وقطر والعراق^(٣). ولعل رواية أبو جهاد أكثر دقة من صلاح خلف الذي ينسب النشأة إلى أكتوبر ١٩٥٩^(٤) أو خالد الحسن الذي ينسبها لعام ١٩٦٢^(٥). فلعلهم يؤرخون ليوم انتسابهم للحركة، فالمعروف أن خليل الوزير هو أكثر من تحمل أعباء الحركة وأسهم في تطويرها ولجأها، فهو الذي أشرف على مجلة «فلسطيننا» التي صدرت في بيروت سنة ١٩٥٩، وكانت تنطق باسم الحركة، وهو

(١) Ibid, pp.87 - 88.

(٢) Ibid, p.89.

(٣) عيسى الشعيبي، ص ٥٢.

(٤) صلاح خلف، (فلسطين بلا هوية)، الكويت: شركة كاظمة، بيروت، بدون تاريخ، ص ٦١.

(٥) زياد أبو عمرو، ص ٩٣.

الذى أنشأ أول مكتب للحركة وكان في الجزائر سنة ١٩٦٣ ، ثم بعد ذلك كان أول من تحمل عبء العمل العسكرى ومسئولية الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧ .

وتم اللقاء بين المجموعات الرئيسية التى أسست «فتح» وهى :

١- مجموعة الكويت : ياسر عرفات و خليل الوزير وصلاح خلف .

٢- مجموعة قطر : محمد يوسف النجار وكمال عدوان و محمود عباس ورفيق النتشه .

٣- مجموعة السعودية : سعيد المزين و معاذ عابد و أحمد وافي .

٤- مجموعة غزة : فتحى البلعاوى و أسعد السفتاوى و سليم الزعنون و عاونى القيشاوى^(١) والمعروف أن كل هذه الأسماء كانت أعضاء فى الإخوان المسلمين ما عدا عرفات .

العلاقة بين فتح والإخوان المسلمين (١٩٥٤ - ١٩٦٣م)

يمكننا أن نتعرف على العلاقة بين الإخوان المسلمين وحركة فتح عبر ثلاث مراحل مختلفة :

(أ) المرحلة الأولى (١٩٥٤ - ١٩٥٧م) :

وهى المرحلة التى بدأت بمطاردة حكومة الثورة المصرية لعناصر الإخوان ، وانتهت ببداية صعود الناصرية واستحوادها على الشعبية التى كانت من نصيب الإخوان فيما قبل . بدأت بذور الدعوة لتنظيم جديد تنبت فى صفوف فريق من شباب الإخوان ، الذين يبدو أن دوافعهم للانتماء للحركة كانت بسبب قناعتهم أن طريقها هو أصح الطرق الموصلة إلى تحرير فلسطين ، وكانت هذه الدوافع تطفئ على دوافع الالتزام الإسلامى المحض ، فلقد هالهم أن تنجر الحركة الإسلامية إلى معارك أخرى مع النظام المصرى أو غيره ستكون نتيجتها خسارة الحركة الإسلامية وبالتالي خسارة القضية الفلسطينية ، التى ينظرون إلى كل شىء من زاويتها ، لذلك «دعا أصحاب هذا رأى إلى ضرورة التحرر من الانتماء إلى حزب معين والتخلص من النظرة الحزبية لإزالة أسباب الصدام مع الأنظمة العربية من ناحية ، و لفتح الباب أمام الفلسطينيين جميعاً للمشاركة فى العمل من أجل فلسطين من ناحية أخرى»^(٢) ، لكن قيادات التنظيم لم يأبهوا بهذه الآراء واعتبروها مظهر عجز وعدم قدرة على تحمل أعباء العمل السرى ، كما اعتبروا الخروج إلى العلن فى حركة تحرر وطنى هو نوع من الهروب . وقد تميزت هذه المرحلة بأن هؤلاء الشباب عملوا داخل الحركة رغبة منهم أن يكون هذا

(١) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

التنظيم الجديد من صناعة الإخوان، وقد توج هؤلاء الشباب عملهم هذا بالذاكرة التي قدمها واحد من أبرزهم وهو خليل الوزير في صيف ١٩٥٧ إلى هاني بيسو رأس التنظيم الإخواني في ذلك الوقت. شرح في هذه المذاكرة فكرة التنظيم الجديد وطبيعته وأهدافه.

(ب) المرحلة الثانية (١٩٥٧ - ١٩٦٠م)

لم يهتم الإخوان المسلمون بهذه المذاكرة في حينه، لكن تلك المجموعة استمرت في عملها، وتابعت خططها منفردة، وأنشأت خلاياها «وأخذت تلح على الإخوان من وراء ظهر قيادتهم لإقناعهم بالمشروع، وثابرت على ذلك فأحدث نشاطها أقداراً متفاوتة من البلبلة في صفوف الإخوان شغلتهم أكثر من ثلاث سنوات إلى أن توصلوا إلى رأى واضح وحاسم حيال تلك الفكرة، ولكن بعد أن فقدوا عدداً كبيراً من أنشط عناصرهم»^(١).

رجع خليل الوزير إلى الكويت بعد أن أمضى الإجازة الصيفية في غزة، وبعد أن فقد الأمل في أن يتبنى الإخوان المسلمون هذه الفكرة، فكان الاجتماع التأسيسي للحركة الجديدة في النصف الثاني من سنة ١٩٥٧م في الكويت كما أشرنا سابقاً.

«كانت المذاكرة تدعو إلى أن يتبنى الإخوان المسلمون الفلسطينيون، إقامة تنظيم خاص بجانب تنظيمهم، بحيث لا يحمل لوناً إسلامياً في مظهره وشعاراته وإنما يحمل شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح»^(٢)، وطالبت المذاكرة الذين ينضمون إلى التنظيم الجديد، سواء كانوا من الإخوان أو من غيرهم، أن يخلعوا ثيابهم الإخوانية أو الحزبية ويلبسوا بدلاً منها ثياباً فلسطينية.. ونوهت المذاكرة إلى أن التنظيم سوف يفتح الأبواب المغلقة بين الإخوان والجماهير، ويفك عنهم طوق الحصار الناصري الذي لا يرحم، وفضلاً عن ذلك فإن العمل المسلح سوف يُبقى القضية الفلسطينية حية، ويقطع الطريق على محاولات تصفيتها^(٣).

تكونت هذه المجموعة الجديدة ونشطت في الدعوة لفكرتها وخاصة بين صفوف الإخوان في قطاع غزة ومصر والكويت وقطر والسعودية وغيرها، وقد انضم إليهما العديد من نشيطي الإخوان، وبعضهم كان يتصور أنها عمل إخواني، وبعضهم سار مع هذه المجموعة شهوراً والبعض الآخر سنوات حتى تبين له مخالفتها لمبادئ الإخوان المسلمين^(٤)، لكنها

(١) عبدالله أبو عزة، ص ٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٧١.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٤) مقابلات شخصية مع كل من: الأستاذ سليمان حمد، أحد مسئولي الإخوان، الكويت:

١٩٩٠م / ٢ / ٢٥ - السيد حسين الثوابتة، من قدامى الإخوان، الكويت: ٢٠ / ٥ / ١٩٨٥م.

كانت قد أخذت أعداداً كبيرة من طاقات الإخوان المتميزة مما كان له أبعاد الأثر في إضعاف الإخوان بالإضافة إلى الظروف والعوامل الخارجية التي أضعفتهم، ومما ساعد هذه المجموعة في عملها افتقار الإخوان الفلسطينيين في ذلك الوقت إلى هيكل تنظيمي يجمعهم في أماكن تواجدهم، وعدم قدرتهم على إيجاد أجوبة شافية للتساؤلات الكثيرة التي كان يطرحها دعاة التنظيم الجديد. ظلت هذه الحالة من النزف من طرف الإخوان لصالح «فتح» إلى أن حسم الإخوان المسلمون موقفهم سنة ١٩٦٠م، ووضعوا مذكرة وافية والتي كانت بمثابة الرد على مذكرة خليل الوزير والتي تأخرت سنوات ثلاث.

(ج) المرحلة الثالثة (١٩٦٠ - ١٩٦٣م):

وقد اتسمت هذه المرحلة بتحديد الخط الفاصل بين الحركتين فيما سمي بالمفاصلة، حيث انشغل كل فريق في عملية البناء الداخلي بعيداً عن الآخر، فانطلقت فتح في مسيرتها قاطعة كل الخيوط التي ربطتها بالإخوان المسلمين، وبدأ الإخوان يعيدون البناء على طريقتهم، ومع ذلك فلم تخل هذه المرحلة من احتكاكات وصدامات هنا أو هناك.

وبعد أن استشعر الإخوان حجم الخطر الذي يتهدد وجودهم من تلك البلبلة التي يثيرها دعاة التنظيم الجديد، استطاعوا سنة ١٩٦٠م أن يحددوا موقفهم من الأفكار والآراء التي طرحتها «فتح»، وبذلوا جهودهم في توصيل وجهة نظرهم إلى الإخوان الفلسطينيين في جميع الساحات، وبذلك صنعوا سياجاً مانعاً حول تنظيمهم، وقد جاءت وجهة نظرهم هذه في مذكرة وافية وضعوها سنة ١٩٦٠م^(١)، واكتملت خطواتهم في البناء الداخلي سنة ١٩٦٣م حينما عقد أول مجلس شوري يمثل الإخوان الفلسطينيين في مختلف الساحات لينشأ ولأول مرة «التنظيم الفلسطيني للإخوان المسلمين»، وقد جاءت مذكرة الإخوان المسلمين رداً على كل ما طرحته «فتح».

أعلن الإخوان الفلسطينيون عن استعدادهم لتجميد نشاطهم الإسلامي وتحويل تنظيمهم للعمل من أجل تحرير فلسطين إذا اقتنعوا بصواب الخطة الموضوعية، لكنهم رفضوا التخلي عن دعوتهم من أجل تصورات خيالية يستحيل تحقيقها وقد رأى الإخوان أن هذا المشروع يواجه عقبات كأداء وينطوي على مخاطر ترجع بالقضية الفلسطينية نفسها إلى الوراء وتؤخر عملية التحرير، فقد تسبب في معركة لا تكون القوى العربية مستعدة لها، فتقدم إسرائيل على احتلال غزة والضفة الغربية مثلما حدث في عدوان ١٩٥٦م على غزة، كما رأت المذكرة

(١) انظر عبدالله أبو عزة، ص ص ٧٨ - ٨٦.

أنه من الوهم الاعتقاد بأن الحياد بين الأنظمة العربية وعدم التدخل فى شئونها سوف يمنعها من التدخل فى شئوننا وإخضاع أى نشاط لمصالحها، كما أكدت أن الحكومات العربية لن تسمح بأى نشاط سياسى وعسكرى غير صادر عنها لأنها تخشى أن تنتقل عدواه إلى شعوبها، وقد سخرت المذكرة من محاولة التشبيه بالثورة الجزائرية وذلك بسبب الفروق الجوهرية بين الحالتين وأكدت أنه لا يمكن مواجهة إسرائيل بجزء صغير من قدرات أمتنا، بل ينبغى حشد كل قوى الأمة، وإذا رفضت الحكومات العربية فعلينا أن نغير هذه المواقف بالإقناع أو بالضغط الشعبى أو بالقيام بثورة شعبية عامة تطيح بتلك الحكومات، وتخلص المذكرة إلى أن مشروع «فتح» مغرق فى الوهم والخيال ولا بد بدلاً عن ذلك أن يضاعف الإخوان جهودهم لنصرة حركتهم من أجل حشد جميع القوى الفلسطينية والإسلامية فى مواجهة اليهود.

المبحث الثالث تنظيم الإخوان المسلمين

انتهى عقد الخمسينيات وليس للإخوان المسلمين الفلسطينيين تنظيم موحد يجمع شتاتهم ويوحد سياستهم، ففي النصف الأول من ذلك العقد، كانت شعبهم فى غزة تتبع المركز الإدارى العام الذى يتبع مكتب الإرشاد فى القاهرة، فلما انقطعت صلتهم التنظيمية بمصر طيلة النصف الثانى من نفس العقد بسبب الاعتقالات والملاحقة، ظلوا دونما مرجع رئيسى، اللهم سوى بعض المعلومات والأخبار التى كانت تأتاهم مع بعض المغتربين فى دول الخليج، والذين يعودون فى إجازاتهم الصيفية، أما الإخوان الفلسطينيون فى الأردن فهم جزء من التنظيم الأردنى منذ ١٩٤٨م، وكذلك الحال بالنسبة للإخوان الفلسطينيين فى جميع الساحات الأخرى فهم جزء من التنظيم المحلى فى تلك الدولة وذلك تمشياً مع سياسة الإخوان الوحدوية وغير الإقليمية.

وعلى الرغم من المحاولات الجادة والمستمرة لبناء التنظيم الفلسطينى والتى بدأت بقوة منذ سنة ١٩٦٠ فى اجتماع القاهرة الذى وضع أسس التنظيم، وتوجت بعد ذلك ١٩٦٣م عندما عقد أول مجلس شورى للجماعة فى مدينة خان يونس، فإن الأحداث المتلاحقة والعوامل المتعددة جعلت الإخوان فى تلك المرحلة حركة ضعيفة منعزلة لا أثر لها فى الحياة السياسية

الفلسطينية والعربية. فهي من وجهة المراقب الخارجى حركة منتهية، فلم نسمع لها رأياً فيما يجرى من أحداث، وهى من وجهة نظر المراقب الداخلى حركة موجودة حافظت على هيكلها وعناصرها وطوقتهم بسياج من العزلة، التفتت فيه إلى تقوية الصف والمحافظة على من تبقى من العناصر والدفاع من أجل البقاء عسى أن تتغير الظروف فتستطيع أن تواصل مسيرتها.

ضعف عام وانحسار جماهيرى:

كانت حركة الإخوان فى هذه المرحلة أضعف ما تكون كماً وكيفاً، وقد ساعد على ذلك تلك المضايقات التى كان يسببها رجال المباحث للإخوان المسلمين فى قطاع غزة، ويروى كثير من إخوان تلك الفترة كيف أن المباحث كانت تتابع الشخص على أنه من الإخوان فإذا انقطع عن المسجد وبدأ يرتاد دور السينما والمقاهى وغير ذلك رفعوا فيه تقريراً مفاده (أن أخلاقه تحسنت) (١)

بالإضافة إلى خسارة الإخوان لمواقعهم الشعبية التى بدأ البعثيون يحتلون بها ثم القوميون العرب من بعدهم. وفى الأردن استطاعت هذه الاتجاهات القومية ومعها التنظيمات الوطنية الفلسطينية الناشئة أن تستقطب الناس حولها، فقلت أعداد الإخوان بصورة واضحة، ولعل الوضعين المتناقضين للإخوان فى كل من الأردن وقطاع غزة من حيث علاقتهم بالسلطة لم يغير فى النتيجة الواحدة لكل من الساحتين فالقمع الذى واجهه الإخوان فى قطاع غزة أضعفهم وأفقدهم الجماهير، لأن سلطة القمع أصبحت فى وجهة نظر الجماهير من المحيط إلى الخليج ممثلة آمال الأمة مخولة بمطاردة كل أعداء الأمة، كما أن تأييد السلطة الذى حصل عليه البعثيون ثم تمتع به القوميون لفترات أطول كان ذلك تأكيداً على سلامة مسيرتهم فى نظر الجماهير، وعلى عكس ذلك فإن القمع الذى تعرض له البعثيون والقوميون على يد السلطة الأردنية، كان يصب فى مصلحتهم الجماهيرية، بينما الحرية النسبية التى تمتع بها الإخوان فى الأردن كانت دائماً مغمزاً على سلامة خطهم وأول نقطة نقد توجه إليهم.

وفى دول الخليج العربى حيث اغترب عدد لا بأس به من الإخوان الفلسطينيين الذين التقوا هناك بإخوان تلك البلاد بالإضافة إلى بعض من إخوان مصر وسوريا والأردن والعراق والسودان وغيرها، بدأ الإخوان المطرودون من بلدانهم ينسجون طوقاً من العزلة حول نشاطاتهم، ووجدوا العزاء الذى يرضيهم فى أنهم على الحق، وأنهم يريدون الآخرة لا الدنيا،

(١) الأستاذ حماد الحسنات، مقابلة شخصية، (مرج الزهور)، ٤/٦/١٩٩٣ م.

وأسعدتهم المشاعر الأخوية الصادقة التي يتبادلونها في زمن طغت فيه المصالح، وكرد للضغوط الخارجية وتعويضاً للأمن الخارجى الذى فقدوه بدأت تتضخم عندهم كثير من التعاليم الإسلامية الخاصة بالتكافل الاجتماعى والمساعدة وقت الضيق وتسهيل الوظائف للإخوان وتكريس الأمن الداخلى فيما بينهم، وهكذا انسحب الإخوان من المجتمع وأنشطته وكونوا لهم مجتمعاً يرضيهم وعاشوا نسيجاً من العلاقات الاجتماعية قلما يتسع لغيرهم حتى كثرت الزيجات والمصاهرة بين الإخوان فى تلك الفترة وفيما تلاها.

اهتم الإخوان الفلسطينيون كغيرهم من الإخوان اهتماماً كبيراً بنظام «الأسرة» التى تنعقد مرة كل أسبوع فى مكان آمن غالباً ما يكون بيت أحدهم، وتستمر جلسة الأسرة التى تتكون عادة من حوالى خمسة أفراد إلى ساعتين أو ثلاثة، يتدارسون فيها منهجاً دراسياً يشرف عليه نقيب الأسرة، ويتكون المنهج من حفظ لسور أو أجزاء من القرآن الكريم ودراسة للأحاديث النبوية وبعض أبواب الفقه، بالإضافة إلى رسائل الإمام حسن البنا، كما يتدارسون أحوالهم وظروفهم وأوضاعهم الاجتماعية والوظيفية والدعوية.

كان نظام الأسرة هو كل ما يعمل به الإخوان، فلم تعد لهم تلك المشاركة فى الأوضاع العامة، وعلى الرغم من بساطة المنهج الثقافى الموضوع فإن الفائدة كانت دائماً أقل من المتوقع، فالذى قضى خمس سنوات فى صفوف الإخوان يفترض أن يحفظ على الأقل خمسة أجزاء من القرآن وعدداً لا بأس به من الأحاديث وكثيراً من أبواب الفقه وغير ذلك.

كان ذلك بسبب عدم توافر النقباء المؤهلين، فقد كان أعضاء الهيئة الإدارية لشعبة نابلس مثلاً من العمال غير المتعلمين^(١)، يضاف إلى ذلك أن الإخوان قد فقدوا حماسهم بسبب الظروف السياسية المحيطة، فكانت لقاءات الأسر روتينية وأداءً للواجب، اللهم إلا من بعض الأسر التى يكون نقيبها متميزاً، أو أن تكون الأسرة نفسها حديثة عهد بالتنظيم فعند أعضائها الكثير من الاندفاع والحماس والرغبة فى التطور والتعرف.

أما لقاءات الكتاب فلم تكن منتظمة بدقة. والكتيبة لقاء يقصد به شحذ الروح والوجدان وتزويد النفوس بطاقة روحية جديدة. تجتمع فيه عدة أسر بعد العشاء لقراءة القرآن والأوراد وقيام الليل والاستماع لموعظة ترقق القلوب^(٢).

(١) الأستاذ نبيل البشتاوى، مقابلة شخصية، (مرج الزهور)، ٤/٦/١٩٩٣ م.

(٢) عبدالله أبو عزة، ص ٦٢.

تأسيس التنظيم ومؤسساته:

جاء عام ١٩٦٠م والإخوان الفلسطينيون مقتنعون أنه لابد من ربط مجموعات الإخوان الفلسطينيين هنا أو هناك في إطار تنظيم واحد، خاصة أن للفلسطينيين وضعهم المتماثل في كل الساحات من حيث أوضاعهم كلاجئين ومن حيث العراقيل التي توضع أمامهم في العمل والتنقل والإقامة، كما أن لهم وضعهم الخاص من حيث تمثيلهم لقضية مهمة لابد أن يكون لهم فيها صوت.

وهكذا ولد التنظيم الفلسطيني عام ١٩٦٠م أثناء اجتماع عقد في مدينة القاهرة ضم عناصر إخوانية فلسطينية من قطاع غزة ومصر وسوريا والأردن ومنطقة الخليج، كما «تقرر آنذاك ترك الإخوان الفلسطينيين في الأردن ضمن التنظيم على اعتبار أن الوضع القانوني يعتبرهم أردنيين، وعلى أساس أن الإخوان دعاة وحدة بغض النظر عن صحة أسلوب تأسيسها، وكذلك بغض النظر عن عدم رضاهم عن سياسات وأساليب وأداء قيادة الإخوان في الأردن»^(١). ولقد كان لوجود «فتح» وملاحقتها لعناصر الإخوان بهدف ضمهم إليها، واحداً من أهم الدوافع لتأسيس التنظيم الفلسطيني.

ومع أن الشورى واحدة من أهم المبادئ الإسلامية في السياسة وفي العمل الجماعي، فلم يكن لها مؤسسات عند الإخوان الفلسطينيين حتى مطلع الستينيات حينما أراد مؤسسو التنظيم الفلسطيني العام له أن يكون قوياً ونموذجياً ويستطيع أن يتحمل أعباء المرحلة القادمة، فاهتمت قيادة التنظيم بالشورى من أجل حث الإخوان على المشاركة في صياغة السياسات واتخاذ القرارات.

قامت الشورى في التنظيم الفلسطيني على عدد من الأسس:

- نظام أساسي مكتوب ولائحة مالية.

- تكوين مجلس تمثيلي.

- إعطاء المجلس سلطة مراقبة اللجنة التنفيذية ومحاسبتها وحق اختيار رئيس اللجنة

وأعضائها وحق تغييرهم^(٢).

كما حصر حق التمثيل وحق الانتخاب في نقباء السر ومن هم أعلى منهم مرتبة تنظيمية،

(١) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠.

كما حدد النظام الأساسى مدة ولاية اللجنة التنفيذية وولاية مجلس الشورى.

عقد أول مجلس شورى للإخوان الفلسطينيين على شاطئ بحر خان يونس فى الأراضى الزراعية للأغوات (آل الأغا) حيث كان عدد كبير منهم من شباب الإخوان، وذلك فى صيف ١٩٦٢م أو ١٩٦٣م، وكان أهم الموضوعات المطروحة على ذلك المجلس:

- علاقة الإخوان بفتح.

- تقوية التنظيم الفلسطينى وامتداده.

- انتخاب المراقب العام للتنظيم^(١).

وقرر الاجتماع إنهاء الصلة بفتح والتأكيد على الأخوة المترددين أن يحسموا أمرهم فيما فتح أو الإخوان ولا علاقة بين الحركتين، كما قرر الاجتماع اعتبار محمد يوسف النجار تاركاً للجماعة، أما بالنسبة للبند الثانى فقد كلفت لجنة بوضع أسس اللائحة التنظيمية وأعطيت مدة أربع سنوات وتكونت لجنة أخرى للاتصال بالإخوان الفلسطينيين فى جميع الساحات وعمل إحصائية لهم فى غزة وفى بلاد الاغتراب، وانتخب المجلس المرحوم هانى بسيسو ليكون أول مراقب عام للإخوان المسلمين، حيث استمر فى عمله إلى أن اعتقلته السلطات المصرية وتوفى فى السجن سنة ١٩٦٦م، ليتسلم بعد اعتقاله نائبه الأستاذ عبدالبديع صابر الذى استعفى قبل نهاية ولايته.

وهكذا أصبح للفلسطينيين تنظيم خاص بهم وأصبح لهم ممثل فى «المكتب التنفيذى للإخوان المسلمين فى البلاد العربية» وذلك فى صيف ١٩٦٦م حيث مثل فلسطين فى هذا المكتب الدكتور عبدالله أبو عزة نائب رئيس اللجنة التنفيذية (أى نائب المراقب العام) كان هذا المكتب التنفيذى هو القيادة العليا للإخوان المسلمين فى البلاد العربية، وكان يرأسه الأستاذ عصام العطار، مراقب سوريا، وكان نائب الرئيس السيد محمد عبدالرحمن خليفة مراقب الأردن، أما أمين السرفكان الأستاذ فتحى يكن مسئول الإخوان فى لبنان، وكان الأعضاء يمثلون كلاً من السودان والكويت والسعودية وتنظيم المصريين فى الخارج والإخوان العراقيين وأخيراً الفلسطينيين^(٢).

وكان من أهم المسائل التى طرحت على المكتب التنفيذى، مسألة التعاون مع «فتح»، التى طرحت فى أكتوبر ١٩٦٥م، فقد كان الإخوان المصريون خاصة، يشاركونهم الإخوان

(١) عبدالله أبو عزة، ص ص ٦٦ - ٦٩، ومحاضرة الأستاذ سليمان حمد.

(٢) عبدالله أبو عزة، ص ص ٩٤ - ٩٥.

الكويتيون وكثير من الإخوان الآخرين يعتقدون أن حركة «فتح» حركة إخوانية، كما كانت علاقة «فتح» مع قيادات التنظيمات الإخوانية الأخرى علاقة طيبة، فقد كان مؤسسو «فتح» يحصلون على الدعم والمساندة والأموال من رجال الإخوان ولعل من أهم الشخصيات الإخوانية التي وقفت منذ نشأتها الأولى السيد عبدالله المطوع من الكويت والدكتور عز الدين إبراهيم والدكتور محمد توفيق الشاوي من مصر والأستاذ المرحوم عمر بهاء الدين الأميري من سوريا والمرحوم محمد خيضر الزعيم الجزائري المعروف.

طُلب من الأخ عبدالله أبو عزة أن ينقل وجهة نظر التنظيم الفلسطيني الذي لم يكن عضواً في المكتب في ذلك التاريخ، وقد طرح أبو عزة رأى الفلسطينيين في «فتح» والتعاون معها بصورة واضحة متكاملة^(١).

العمل الإخواني في الساحات المختلفة:

كانت قد انتهت تلك الأيام التي كان فيها الإخوان المسلمون في واجهة الأحداث في كل من قطاع غزة والأردن، وكذلك في النشاط الطلابي الفلسطيني في مصر وغيرها. وبدأت المحاولات المستميتة من البقية القليلة التي ظلت على ولائها لدعوة الإخوان فقط للمحافظة على وجودها، فانتهجت الجماعة في ذلك الوقت أسلوباً جديداً يناسب المرحلة، واتسم عملهم بالسرية الشديدة والاعتزال عن قضايا المجتمع، فلم نسمع للإخوان الفلسطينيين أثراً ولا رأياً في كثير من الأحداث الهامة في المنطقة ابتداء من الوحدة المصرية السورية وتحرير الجزائر، والأهم من ذلك أننا لم نجد أثراً ذا بال للإخوان في عملية إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية أو في مؤسساتها أو وجهة النظر فيها وفي قيادتها.

وانحصر عملهم في قطاع غزة والضفة الغربية على الأعمال التربوية والاجتماعية، وقد غادر غزة الكثيرون، وكان أبرز من فيها قبيل حرب ١٩٦٧م المرحوم محمد الغرابلي والشيخ أحمد ياسين اللذان قاما بجهد مقدر في عملية تجميع العناصر الإخوانية المتفرقة والإشراف على عملية الكسب البطيئة، ويذكر الأستاذ محمد شمعة أن تنظيمه في المرة الأولى قد تم سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١م على يد الأستاذ محمد الغرابلي وشعبان البغدادي، كذلك استطاع تنظيم الطلاب في القاهرة أن يضم العدد القليل من الطلبة الذين اعتقلوا سنة ١٩٦٥م في أحداث قضية سيد قطب مع عبدالرحمن بارود.

(١) المرجع السابق.

أما في الأردن فقد كان الإخوان المسلمون يمارسون أعمالهم عن طريق الشعب التي تتمتع بالغطاء القانوني، وعلى الرغم من عدم ملاحقة السلطات الأردنية للإخوان هناك، إلا أن قوة التنظيم قد انحسرت وضعفت أيضاً، وتسرب الشباب الكثيرون إلى الأحزاب العربية كالبعث والقوميين العرب وإلى المنظمات الفلسطينية الناشئة وخاصة «فتح»، وظلت الشعب مفتوحة لبعض الشباب الذين يأتون لممارسة تنس الطاولة أو للمحاضرات التي كانت تعقد في المناسبات الإسلامية المعروفة مثل الإسراء والمعراج وغزوة بدر ورأس السنة الهجرية وغيرها.

أما في الكويت فقد وصل بعض الإخوان الفلسطينيين ابتداءً من ١٩٥٣م مثل سليمان حمد ويوسف عميرة وموسى نصار^(١)، وكانوا يزورون «جمعية الإرشاد» التي كان قد أنشأها الإخوان الكويتيون، وقد شكل الإخوان «قسم فلسطين» في جمعية الإرشاد.

وكانت السنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٣م هي التي جاء فيها خريجوا الجامعات المصرية من غزة فكونوا أسرهم المغلقة، وأصبح المسئول الأول حسن عبد الحميد ومن بعده عمر أبو جبارة، وكانت أعداد الإخوان محدودة حتى إنهم كانوا يجتمعون في غرفة واحدة^(٢). أما في باقي دول الخليج العربي فقد تواجد الإخوان الفلسطينيون في كل من قطر والسعودية، وبدأوا يستعيدون صلاتهم بالتنظيم الفلسطيني، أما في العراق فقد كانت تلك الفترة انحساراً للعمل الإخواني وخاصة أن صالح سرية كان قد ترك الإخوان عام ١٩٥٨م، وأنشأ مع آخرين من الإخوان الفلسطينيين «جبهة تحرير فلسطين».

المبحث الرابع منظمة التحرير الفلسطينية

تأسيس المنظمة:

يبدو أن الحكومات العربية بدأت تلمس التوجه الكبير لدى الشعب الفلسطيني لتأسيس كيانه المعبر عنه، وكان عام ١٩٥٩م عاماً حاسماً في إثارة هذه المخاوف لدى الحكومات العربية التي خشيت أن يفلت الفلسطينيون من السيطرة المضروبة عليهم، فكان أن ظهرت حركة «فتح» للعلن عبر مجلة «فلسطيننا» التي صدرت في ذلك العام، واجتمعت الروابط

(١) سليمان حمد، المحاضرة.

(٢) حسين الثوابتة، مصدر سابق.

الطلابية الفلسطينية لتؤسس «الاتحاد العام لطلبة فلسطين»، وكان أن ظهرت أيضاً في نفس الوقت جبهة التحرير الفلسطينية، كما وصلت الخلافات بين الحاج أمين الحسيني والسلطات المصرية أوجها، فرحل عن القاهرة، وبدأ يمهّد بالتعاون مع الحكومة العراقية لإنشاء جيش فلسطيني أطلق عليه اسم «فوج التحرير الفلسطيني» في العراق.

وكان نظام عبدالناصر أكثر الأنظمة حساسية من وجود قيادة فلسطينية تنافسه في أهم القضايا المطروحة وهي قضية فلسطين التي تمثل أهم ركن في شعبيته المتزايدة، لذلك بادرت الحكومة المصرية ومنذ سنة ١٩٥٩م باقتراحات مقدمة للجامعة العربية تحت اسم «إعادة تنظيم الشعب الفلسطيني»، وظل هذا المشروع يراوح بين الدراسة والتجميد في مكاتب الجامعة العربية بسبب المعارضة الأردنية لقيام كيان فلسطيني، رأت فيه الأردن تهديداً لوحدها وكيانها.

وفي مؤتمر القمة العربي الأول الذي عقد في القاهرة في يناير ١٩٦٤م، أعيد طرح المشروع بقوة على أرضية الغليان الذي اجتاحت المنطقة بسبب مشروع تحويل مجرى نهر الأردن من قبل إسرائيل، وقد ظهرت مواقف مختلفة للحكومات العربية، «فالملك حسين يصر على عدم ذكر الكيان الفلسطيني، بينما الرئيس السوري أمين الحافظ يطالب بإعطاء الضفة الغربية وقطاع غزة للكيان الفلسطيني، بينما اقترح الملك سعود إنشاء حكومة فلسطينية، وكان الرئيس الجزائري أحمد بن بيللا والتونسي بورقيبة يقترحان قيام جبهة تحرير وطنية».^(١)

استطاع أحمد الشقيري المدعوم بقوة من الحكومة المصرية وبعد تنازلات ملموسة قدمها للملك حسين كي يطمئن على أن الكيان الجديد لن ينافس الأردن على الضفة الغربية، «استطاع أن يدعو لعقد (المؤتمر القومي الفلسطيني) في ١٤ / ٥ / ١٩٦٤م في مدينة القدس بحضور ٣٥٠ مندوباً فلسطينياً، حيث أعلنت هناك منظمة التحرير الفلسطينية»^(٢)، وفي مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد في مدينة الإسكندرية من نفس العام، حصلت المنظمة على الشرعية العربية.

تقدمت المنظمة خطوات إلى الأمام في إنشاء تنظيماتها الشعبية وتأسيس جيش التحرير الفلسطيني، وافتتاح مكاتبها في العواصم العربية، في أواخر سنة ١٩٦٤م قرر الاتحاد العام

(١) أحمد الشقيري، (من القمة إلى الهزيمة)، بيروت: دار العودة، ١٩٧١م، ص ٥.

(٢) عيسى الشعيبي، ص ١٠٣.

لطلبة فلسطين اعتبار نفسه قاعدة من قواعد المنظمة، وكذلك قرر الاتحاد العام لعمال فلسطين الذى عقد مؤتمره الأول فى مدينة غزة فى أبريل ١٩٦٥م، كما تأسس فى ظل المنظمة الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية واتحاد الكتاب الفلسطينيين العرب، وهكذا التفت الجماهير الفلسطينية حول منظمة التحرير الفلسطينية وحول رئيسها أحمد الشقيرى، فلطالما حلمت هذه الجماهير بقيادة تتحدث باسمها.

مواقف القوى السياسية الفلسطينية؛

أجمعت كل القوى السياسية الفلسطينية على الترحيب بالكيان الفلسطينى باعتبار أنه مطلب وطنى، لكنها تحفظت على الطريقة التى نشأ فيها الكيان، وكانت «الهيئة العربية العليا» التى يرأسها الحاج أمين الحسينى أكثر الجهات هجوماً وتشكيكاً على المنظمة وقيادتها من خلال تمسكها بضرورة إجراء انتخابات للفلسطينيين تمهيداً لاختيار ممثليهم^(١)، قد أكد الحاج أمين الحسينى فى مؤتمر صحفى عقده فى بيروت «أن مشروع الكيان كما قدر السيد الشقيرى يسهل تصفية قضية فلسطين، وأن أمريكا والدول الاستعمارية الأخرى تشرف على تنفيذ هذه الصفقة»^(٢)، كما أصدرت الهيئة بياناً بعد انتهاء مؤتمر القدس وصفته بأنه مؤامرة صهيونية استعمارية تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية.

أما حزب البعث العربى الاشتراكى فقد طالب أن يكون الكيان تنظيمياً ثورياً، كما طالب باختيار القيادة من المناضلين الحقيقيين، وأكد بيان القيادة القومية لحزب البعث على أن هذا الكيان يجب أن تتوفر فيه المقومات الأساسية لكل كيان حقيقى وهى الأرض والشعب والسلطة^(٣). كما ألقى الحزب ظلالاً من الشك على أهداف إنشاء المنظمة فقال: «إن الظروف التى أنشأتها والقوى التى تدعمها والعناصر التى تقودها تعبر جميعاً عن الغاية غير الثورية التى دفعت لإنشاء المنظمة»^(٤).

أما حركة القوميين العرب فقد أصدرت مع منظمات أخرى تابعة لها عدة بيانات طالبت بتمثيل إرادة الشعب عن طريق المنظمات الثورية، وفى بيان آخر عقب انتهاء المجلس الوطنى

(١) المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ١١١ - ١١٢.

(٤) (البعث والقضية الفلسطينية، بيانات ومواقف ١٩٥٤ - ١٩٦٥م)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥م، ص ٢١٩.

الفلسطيني الأول المنعقد بالقدس عددت تنازلات الشقيرى أمام الضغوط العربية، وحملته مسئولية قبوله انعقاد المؤتمر فى القدس حيث خرجت منظمة لا علاقة لها بالجماهير^(١). ومع ذلك فقد انخرط الجهاز الفلسطينى فى حركة القوميين العرب فى صفوف منظمة التحرير. أما حركة «فتح» فقد أعلنت عبر مجلة «فلسطيننا» عن إصرارها أن يكون الكيان ثورياً، وأن يكون مرتكزاً للثورة المسلحة وليس بديلاً عنها، كما تحفظت على فكرة إجراء انتخابات عامة لعقد المؤتمر الوطنى التأسيسى بحجة أن الانتخابات ستنبش الأحقاد والتحزب الأعمى وستبعد العناصر الثورية الأصلية لأنها لا تملك وسائل التأثير المادية^(٢).

موقف الإخوان المسلمين؛

لم نستطع العثور على موقف للإخوان المسلمين من منظمة التحرير الفلسطينية وقت إنشائها، ولعل ذلك يعود إلى الضعف الذى اتصفت به الحركة فى ذلك الوقت، ولعلها عدم الرغبة الناشئة عن الاعتزال عن القضايا السياسية الراهنة، خصوصاً أنه بدأت تشيع فى أوساط الإخوان المسلمين فكرة المؤامرة عليهم من جميع الأطراف مما جعلهم يتوجسون من منظمة التحرير التى أنشأها عبدالناصر، ومع ذلك تقول مصادر الإخوان إن بعض أفراد من الإخوان فى الأردن حضروا مؤتمر القدس. ولعل الدعوة قد وجهت إليهم بصفاتهم الفردية كشخصيات معروفة^(٣).

ولعل الإخوان رأوا فى منظمة التحرير الفلسطينية منافساً جديداً لهم على الساحة مضافاً للمنافسين الكثر الذين ملأوا الساحة ضجيجاً، لكن المنافس الجديد يملك إمكانيات لم تتوفر لأحد من قبله.. الدعم الرسمى العربى والدعم الدولى وخاصة من دول الكتلة الشرقية والصين وبعض دول عدم الانحياز، كما أنه يملك المؤسسات الكبيرة التى تحظى بحرية الحركة، وحرية العمل داخل أوساط الشعب الفلسطينى بالإضافة إلى الميزانية الكبيرة نسبياً التى أتاحت للمنظمة ●

(١) عيسى الشعيبي، ص ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢) مجلة (فلسطيننا)، عدد ٢٦، نيسان ١٩٦٤م (الافتتاحية)

(٣) لقاءات شخصية مع كل من: الأستاذ محمد شمة ٣/٦/١٩٩٣. والأستاذ بيل البشتاوى ٤/٦/١٩٩٣م.

الباب الثانى
الإخوان المسلمون
من ١٩٦٧م - ١٩٨٧م
«البناء»

- الفصل الأول : الإخوان المسلمون خارج الأرض المحتلة .**
- الفصل الثانى : الإخوان المسلمون داخل الأرض المحتلة .**
- الفصل الثالث : العلاقات مع القوي الأخرى .**

الفصل الأول

الإخوان المسلمون خارج الأرض المحتلة

المبحث الأول

الساحات الإخوانية

بعد هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧م بدأ الإخوان المسلمون يضمّدون جراحهم ويستعيدون قوتهم بالتدريج فقد هزم عبدالناصر عدوهم اللدود وتراخت قبضته، ثم جاء السادات ليخرجهم من المعتقلات أملاً في أن يكونوا معه ضد خصومه من الناصريين واليساريين، وهو الذي قرر أن يدير ظهره للكتلة الشيوعية، ووجد الإخوان المسلمون ما يقولونه للجماهير عن فشل الأنظمة العلمانية والثورية والاشتراكية في مواجهة العدو الصهيوني، وبدأت الدعوة لفكر الإخوان تزدهر شيئاً فشيئاً على أساس أن الإسلام وحده هو الحل لجميع مشكلات الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما أنه الوحيد القادر على مواجهة الهجمة الصهيونية على فلسطين وعلى الأمة.

وعادت الدعوة تنتشر من جديد في أوساط الفلسطينيين، وكانت أبرز الساحات التي عمل فيها الإخوان الفلسطينيون، والتي سيكون لها أثرها الواضح على مسيرة الحركة الإسلامية وحركة حماس - بالإضافة إلى ساحة الأرض المحتلة ومركزها غزة - هي ساحة الخليج والجزيرة العربية ومركزها الكويت.

وكانت هناك ساحة أخرى مهمة، عملت كساحة وسيطة ومغذية للساحات الأخرى، ألا وهي طلاب الإخوان الذين درسوا في الجامعات المصرية، والذين كانوا في غالبيتهم يأتون من قطاع غزة، ثم توزعوا على الساحات الأخرى ليدفقوا في شرايين الحركة دماً شبابياً جديداً، ساهم في تقوية الحركة في غزة، وكانت له مساهمته الجوهرية في ساحات أخرى، وخاصة الساحات الجديدة مثل الإمارات العربية المتحدة ثم الولايات الأمريكية بالتعاون مع القادمين من ساحات أخرى مثل الكويت والأردن ولبنان والسعودية وغيرها.

الساحة الطلابية في مصر

كان «التنظيم الطلابي الفلسطيني للإخوان المسلمين» في مصر يقوم أساساً على الطلاب القادمين من قطاع غزة، والذين ظلوا يقدون إلى مصر بالمشاة في الفترة ما بين ٦٩ - ١٩٧٧ م، وكان معظم أعضاء التنظيم قد التزموا بالحركة من غزة، وتعلموا على يد الشيخ أحمد ياسين وغيره من شيوخ الإخوان. وكانت لهم أسرهم التنظيمية في الإسكندرية والقاهرة وأحياناً في الزقازيق والمنصورة وطنطا وغيرها من أماكن تجمع الطلاب الجامعيين الفلسطينيين^(١).

كان تنظيمًا طلابياً محضاً، كانت له لجنته القيادية من الطلاب أنفسهم، فهم لا يتصلون بالإخوان المصريين لدواعي أمنية، ولا يتصلون بقياداتهم في غزة لصعوبة الاتصال، ولم تكن لهم صلة بمن هم أكبر منهم درجة أو خبرة أو عمراً، اللهم إلا خيط سري للغاية يربط قياداتهم بأحد الإخوان القدامى الذي يقيم بمصر، والاحتكاك ببعض الإخوة القادمين من الأردن للدراسات العليا مثل د. أحمد نوفل وراجح الكرد وغيرهما ممن هم أكبر سناً وتجربة، لكنهم كانوا يتبعون تنظيم الإخوان في الأردن، يضاف إلى ذلك مشاعر الولاء والحب والارتباط لدى الكثيرين منهم لشيخوهم ومربيهم في غزة، ثم يتوج ذلك كله أثناء الإجازة الصيفية حينما يعودون إلى غزة ويقدمون التقارير عن أنشطتهم وأحوالهم خلال العام الدراسي السابق، كما يتلقون بعض النصائح والتوجيهات، وينخرطون في أنشطة إخوانهم في مساجد القطاع، يستفيدون منهم وينقلون إليهم خبراتهم التي اكتسبوها في الساحة المصرية التي تعج بالتطورات^(٢).

هؤلاء الطلاب اكتسبوا من تجربتهم الجامعية نضجاً وخبرات جديدة واستفادوا من احتكاكهم بقضايا الإسلام والصحو الإسلامية التي كانت قد بدأت تنتشر في الجامعات المصرية، ثم انطلقوا بعد ذلك إلى غزة ودول الخليج ليساهموا في تكثير عنصر الشباب في هياكل الحركة التي ضعف كسبها واستقطابها للشباب في مراحل سابقة.

ومن جهة أخرى كان لهذه الساحة الفضل الأول في نشأة «حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين» سنة ٧٨ أو ٧٩ على يد عضو جماعة الإخوان المسلمين وطالب الطب في الزقازيق

(١) د. م. م. (أحد أعضاء التنظيم الطلابي الإخواني في الجامعات المصرية في تلك الفترة) مقابلة شخصية، لندن: ١٢/٧/١٩٨٩ م.

(٢) المرجع السابق.

فتحى إبراهيم الشقاقى ومعه بشير نافع وبعض الشباب من الإخوان ، فقد دخل فتحى فى نقاش طويل مع الإخوان منذ أيام غزة حول العمل السياسى ومركزية القضية الفلسطينية ، وكان أخطر ما طرحه فتحى فى ذلك الوقت مرجعية الإمام الخمينى ، مما أدى إلى المفاصلة بينه وبين الإخوان .

وينضم إلى فتحى ومن معه فى غزة الشيخ عبدالعزيز عودة القادم من الإمارات والذى خرج أو أخرج من الإخوان سنة ١٩٧٣م فى مرحلة الدراسة الجامعية حيث كان عضو اللجنة القيادية للإخوان الطلاب وأبرز من فيها .

تعاقد عدد من طلاب الإخوان فى مصر بعد تخرجهم للعمل فى دول الخليج وخاصة الإمارات العربية المتحدة واستطاعوا أن يكونوا دعماً للإخوان الفلسطينيين هناك والذين كانوا يعانون من الضعف وقلة العدد .

وفى أوائل الثمانينيات ذهب عدد منهم لإكمال دراسته العليا فى الولايات المتحدة ، ليكونوا دعائم العمل الفلسطينى فى الساحة الأمريكية ، ثم ليكونوا فيما بعد مع آخرين وخاصة شباب الكويت دعائم العمل لحركة حماس .

ساحة الكويت:

يركز البحث على ساحة الكويت لأسباب جوهرية منها :

أن قيادة التنظيم الفلسطينى فى الخارج ظلت فى الكويت حتى سنة ١٩٧٥م عندما توفى عمر أبو جبرة وانتخب مجلس الشورى رئيساً جديداً للجنة التنفيذية أو مراقباً عاماً للإخوان الفلسطينيين من خارج الكويت^(١) ، وحتى بعد سنة ١٩٧٥م لم ينتقل مركز العمل إلى السعودية حيث «المراقب العام» بل ظل فى الكويت .

كذلك فإن جذور العمل الفلسطينى السياسى بدأت وترعرعت فى الكويت منذ كانت فيه أهم تشكيلات «الجهاز العام الفلسطينى» ، يضاف إلى ذلك أن التنظيم الطلابى للإخوان فى الكويت برز ونما وعمل بصورة مستقلة أو شبه مستقلة ، وولدت فى أحشائه بدايات الهياكل العاملة لفلسطين إلى أن أصبحت القيادات الطلابية تهيمن على التنظيم كله وتوجهه فى الاتجاهات التى تؤمن بها وتخطط لها ، ثم أصبح لها فيما بعد الدور الأكبر فى تشكيل الجهاز العام لفلسطين الذى نشأ أوائل سنة ١٩٨٦م ثم فى الهياكل العاملة لحماس خارج الأرض

(١) (سليمان حمد مسئول الإخوان المسلمين الفلسطينيين فى الكويت فى الفترة ١٩٧٥م - ١٩٩٠م)
محاضرة داخلية فى ١١/٥/١٩٨٩م .

المحتلة، كذلك فإن التنظيم كان في الكويت أكبر من أى تنظيم فى ساحة أخرى كما وكيلاً وتكاد أنشطته وهياكله تكون صورة متقدمة يحذو الإخوان حذوها فى الساحات الأخرى .
والكويت كانت تتميز بظروف مواتية لنشأة وقوة أية حركة فلسطينية لوجود مئات الألوف من الفلسطينيين الذين يعيشون على أرضها والذين يتمتعون بحرية نسبية فى الحركة والتعبير السياسى فيما يخص القضية الفلسطينية، فلا عجب أن يكون تأسيس فتح وقوتها من أواخر الخمسينيات فى الكويت، ولا عجب أن تبرز قوة الحركة الإسلامية الفلسطينية فى الكويت منذ أوائل الثمانينيات، حيث كانت واحدة من أهم الساحات الخارجية فى دعم الحركة الإسلامية فى الأرض المحتلة، إن لم تكن أهمها جميعاً، فقد كان الإخوان المسلمون الفلسطينيون فى الكويت قبل أغسطس ١٩٩٠م وقبل الأزمة التى حلت بالمنطقة يعدون بالمئات وأنصارهم بالآلاف على الرغم من التحرى والتدقيق الشديد على من يتم اختيارهم للعضوية، كما كان الكثير من لجان الجهاز العام لفلسطين يتخذ الكويت مقراً له .

التنظيم الطلابى:

منذ أوائل السبعينات بدأ المدرسون الفلسطينيون من الإخوان ينشطون فى مدارس الكويت ذات الأغلبية الفلسطينية، ويكونون الجماعات الإسلامية فى المدارس الثانوية، واستقطبوا أعداداً من الطلاب النابهين الذين سيكون لهم شأن فى مسيرة الحركة الإسلامية فيما بعد، كما بدأ دعائهم وخطبائهم ينشطون فى المساجد ويؤسسون جماعة شبان المسجد فى كل المساجد التى يصلون إليها فى مناطق سكن الفلسطينيين، وبدأ جيل من الشباب يدخل دعوة الإخوان المسلمين، وكانوا يوجهون فى البداية إلى التنظيم الكويتى ليقوم بعملية التربية والتكوين .

ووصل من بيروت إلى الكويت فى أغسطس ١٩٧٠م عبدالله أبو عزة حيث كان يمثل الإخوان الفلسطينيين فى «المكتب التنفيذى لإخوان البلاد العربية» بعد أن انفرط عقده سنة ١٩٦٩م^(١) وكان أبو عزة يشغل منصب نائب المراقب العام للإخوان المسلمين الفلسطينيين ثم أصبح المراقب العام بعد استعفاء المراقب السابق، وطبقاً لما نص عليه النظام الأساسى للإخوان المسلمين تولى عمر أبو جبارة عن رئاسة التنظيم المحلى للإخوان، ليصبح الدكتور عبدالله أبو عزة مسئول التنظيم فى الكويت بالإضافة إلى كونه المراقب العام للتنظيم فى

(١) عبدالله أبو عزة، (مع الحركة الإسلامية فى الدول العربية) الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ١٠٨٦م، ص ٢٠٥.

الدول العربية^(١). ويذكر بعض الإخوان^(٢) أن عبدالله أبو عزة كان صاحب فكر وتخطيط وكان شخصية كبيرة، فقد فكر منذ ذلك الوقت في العمل الفلسطيني السياسى وفى التنظيم الطلابى كأساس للعمل، ولم يعجبه أن يتوجه الشباب إلى التنظيم الكويتى.

نشأت فكرة التنظيم الطلابى ما بين سنتى ١٩٧١م - ١٩٧٢م كما يقول أحد أول من عملوا فيه^(٣) حيث وضع أبو عزة تصوراً مكتوباً عن ضرورة العمل فى الأوساط الطلابية فى المدارس والجامعات، وأنه يرى فى ورقته أن الحركة ستضعف وتتقلص إذا بقيت محصورة بين الكبار، وأن المدد الشبابى ضرورى لضخ الدماء فى أوصال الحركة. غادر أبو عزة الكويت فى صيف ١٩٧٢م، كما غادر حركة الإخوان أيضاً فى نفس الوقت دون أن ينجز ورقته فى العمل الطلابى، «فقد كان البعض يبدى تخوفه من الاندفاع فى العمل فى أوساط الطلاب لأنه سيشتغل الحركة، ويحتاج إلى كوادر كثيرة وسيكون سبباً فى انكشاف الشخصيات الإخوانية وغير ذلك»^(٤).

فى دورة مجلس الشورى للإخوان الفلسطينيين فى البلاد العربية والتي عقدت فى الكويت عام ١٩٧٣م، تم اختيار المرحوم عمر أبو جبارة مراقباً عاماً للإخوان وبالتالى أصبح هو المسئول الأول عن التنظيم المحلى فى الكويت، وكان من أبرز قرارات مجلس الشورى تشكيل قسم الطلاب فى جامعة الكويت^(٥)، وفى ديسمبر ١٩٧٤م كلف المجلس التنفيذى أحد الإخوة ليكون مسئولاً عن الطلاب يعاونه إخوان آخرون، والتأم قسم الطلاب لتضم جلسته الأسبوعية إلى جانب المسئولين الثلاثة خمسة طلاب هم المسئولون المباشرون عن العمل الطلابى بكافة فروعهم^(٦) ترك اثنان منهم جماعة الإخوان فيما بعد لأسباب مختلفة، وسوف يصبح أحد الثلاثة الآخرين فيما بعد عضواً للمكتب السياسى لحماس، أما الآخر فيصبح أحد الوجوه البارزة للعمل الإسلامى الفلسطينى فى أوروبا. كان كل واحد من أولئك الطلبة يشرف على مجموعة من المدارس، وكان أبرزهم قد سافر لإكمال دراسته فى أوروبا والحصول على الدكتوراه، بينما تسلم الآخر مسئولية المجموعة.

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٦.

(٢) (م.ع) مقابلة شخصية، صنعاء ٩/٦/١٩٩٤م و(م.ف) مقابلة شخصية، صنعاء ٢٢/٥/١٩٩٤م.

(٣) المرجع السابق (م.ف).

(٤) المرجع السابق.

(٥) سليمان حمد (المحاضرة)، مرجع سابق.

(٦) (م.ف)، مرجع سابق.

بعد سفر عبدالله أبو عزة بدأ يسطع نجم سليمان حمد «أبو محمد» الذي كان أكبر سناً من إخوانه، والذي بدأ حياته السياسية عضواً في «عصبة التحرر الوطني» الشيوعية في غزة لمدة قصيرة، ثم تركها وانضم للإخوان المسلمين منذ سنة ١٩٥١م، غادر غزة مبكراً ليصل الكويت سنة ١٩٥٣م ويعمل مع الإخوان المسلمين حتى فتنة «فتح» في أوائل الستينيات، حيث قاطعه الإخوان فترة من الزمن لاتصاله بخليل الوزير وياسر عرفات^(١) ثم عاد إلى الإخوان وأصبح له موقع وأثر لما تمتع به من حكمة وتجربة وثقافة، أصبح عضواً في القيادة الثلاثية لإخوان الكويت سنة ١٩٧٣م مع عمر أبو جبارة، ثم أصبح الرجل الأول في التنظيم المحلي منذ سنة ١٩٧٥م بعد وفاة أبو جبارة وحتى يناير ١٩٩٠م كما كان الرجل الثاني للإخوان المسلمين في البلاد العربية بعد المراقب العام.

كان للأخ سليمان حمد دور بارز وأثر كبير على مسيرة التنظيم في الكويت، والتي سيكون لها أثرها الكبير على الحركة الإسلامية الفلسطينية عموماً، وعلى مسيرة حركة حماس على وجه الخصوص، كان الرجل ميالاً للعمل الفلسطيني وتشجيع بذور العمل السياسي للحركة، ولعل أبرز آثاره اهتمامه بالطلاب وبجيل الشباب، وانتصاره الدائم لهم كلما اختلفوا على أمور مع الكبار وقد كان وراء قرار مجلس الشورى العام لسنة ١٩٧٦م في دعم قسم الطلاب بالجامعة، وتخصيص ٧٥٪ من ميزانية تنظيم الكويت للعمل الطلابي.

ظهرت بعد ذلك بوادر المشاركة الإخوانية في الساحة الطلابية العلنية بظهور «قائمة الحق» الإسلامية في انتخابات الاتحاد العام لطلبة فلسطين - فرع الكويت، ثم بعد ذلك «الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين» في جامعة الكويت حيث كانت نموذجاً يحتذى للطلاب الدارسين في الخارج، حيث تأسست روابط طلابية إسلامية أخرى في جامعات أوروبا والهند وباكستان، وفي سنة ١٩٧٦م تأسس «قسم الخريجين» بإشراف «أبو هيثم» الذي أصبح بهذا رابع القيادة الثلاثية، كان الرجل مثابراً ومخلصاً وكان يعمل طيلة ساعات الليل والنهار، كما كان قريباً من الطلاب وقيادتهم، وقد أفاد الشباب من هذا القسم الذي وجدوا فيه إطاراً يستوعب الطلاب بعد تخرجهم وعملهم فلا يعودون إلى الهيكل الأم.

ثم تأسس قسم «المغتربين» ليتابع الطلاب الذين انتظموا داخل الكويت وسافروا إلى الخارج لمتابعة دراستهم الجامعية حتى تظل صلتهم قائمة بالتنظيم في الكويت، كان القسم يرسل لهم مبعوثين إلى الهند وباكستان وأوروبا وأمريكا والأردن وغيرها بين الحين والآخر، كما كان

(١) سليمان حمد، مقابلة شخصية، الكويت ٢٦ / ٢ / ١٩٩٠م.

يستقبلهم فى الإجازات الصيفية، وينظم لهم الأنشطة لتبقى الصلة والولاء والتبعية.

وفى انتخابات ١٩٨٢م حسب اللائحة الأردنية تم انتخاب القيادة المكونة من ثلاثة أشخاص هم: أبو محمد - المسئول - ومعه أبو أحمد وأبو هيثم، وتم تجاوز اللائحة فاختير الرابع فى الأصوات ليكون عضو الهيئة القيادية، وكان مسئول العمل الطلابى، كما تم أيضاً تجاوز اللائحة مرة أخرى فيما بعد حينما أضيف خامس للهيئة القيادية نظراً لمكانته وكفاءته^(١).

أما فى انتخابات سنة ١٩٨٦م والتى جرت حسب اللائحة القطرية، فقد أصبح عدد أعضاء المجلس التنفيذى تسعة بما فىهم المسئول ونائبه اللذان يقفان مع الشباب وطموحاتهم، وقد استكمل الشباب سيطرتهم على جميع المفاصل الهامة فى التنظيم حيث تسلم أحدهم مسئولية «قسم فلسطين» الذى تم انشاؤه ليجمع كل الأطر واللافئات والأنشطة العاملة لفلسطين فى المجالات السياسية والإعلامية والخيرية والنقابية وغيرها، وتسلم عضو اللجنة التنفيذية الآخر مسئولية «قسم التخطيط» ومعه آخرون من الشباب، حيث قاموا بإعادة هيكله التنظيم حسب ما يخدم خططهم وأفكارهم، وكان قد تأسس فى ذلك الوقت «الجهاز العام لفلسطين» الذى كان لشباب الكويت فيه دور جوهري وأساسى، وازدادت أهميته فى أوائل عام ١٩٩١م بعد إخراج الجالية الفلسطينية من الكويت، وانفراط التنظيم الإخوانى فيها، مما سهل على قيادات «حماس» فى الخارج عملية توظيف طاقات الكثيرين من شباب الكويت الذين كانوا أعضاء فى التنظيم الطلابى.

صراع الأجيال:

اتسع العمل الطلابى، وكثرت أعداد الطلاب ومن ثم الخريجين والمغتربين، وبدأت منذ بداية العمل تتسع الخلافات بين مسئولى الطلاب من جهة والمسئولين الذين تم تعيينهم للإشراف على العمل الطلابى، كان الكبار ثلاثتهم معروفين بالانضباط الشديد والحزم مما جعلهم يصطدمون بطموح الشباب واندفاعهم، وبعض الغرور الذى يمكن أن يصيب شباباً تعدوا العشرين بسنوات قليلة، وكان الشباب دائماً يجدون لهم مناصراً ومدافعاً قوياً، ألا وهو رأس التنظيم، مما جعل مسئولى الشباب كثيراً ما يتجاوزون المشرفين عليهم ويتصلون بالمسئول الأول، ويأخذون كل ما يريدون.

وتم تغيير المشرفين على الطلاب، وفى كل الأحوال استطاع مسئولو العمل الطلابى، أن

(١) (م.ع)، مرجع سابق.

يقودوا الطلاب كما يريدون ، ويحجبوا ما يشاءون عن القيادة، وفي أحسن الأحوال يقومون بإطلاع المسئول الأول عن عملهم، كانت شكاوى المشرفين على الطلاب - والتي لم يؤخذ بها - تأخذ طريقها إلى زملائهم من الكبار، وكانت تتلخص في عدم انضباط الشباب واندفاعهم وضيقهم بالمسئولين عنهم وضعف الجرعة التربوية عندهم.

أما شكاوى مسئولى الطلاب - والتي كان يؤخذ بها دائماً - فلأنها تصل إلى القواعد الطلابية وكأنها مقرر تنظمى منذ ١٩٧٤م، كانت تصل إلى القواعد بصورة أن الكبار «مترهلون»^(١) ولا يعيشون عصرهم، وثقافتهم محدودة، وأقصى ما يرتجى منهم تلك الدنانير التي يدفعونها كاشتراكات شهرية أو يتبرعون بها ويصرفها الشباب على الأمور المفيدة، كما أنه يمكن الاستفادة منهم بطريقة أخرى، وهى كسب أبنائهم للحركة.

كانت شكاوى بعض الكبار لإخوانهم تصطدم بحواجز متعددة، منها التقوى الغالبة التى تبدو مظاهرها على الكبار، وعدم حب الدخول فى القيل والقال والنجوى وغير ذلك، ومنها زهد بعض الكبار وإحساسهم بالشيخوخة ورضاهم بحملة جدد للراية يكونون أكثر شباباً وقدرة، ومنها السمة الغالبة لجماعة الإخوان فى كل زمان ومكان من طاعة واحترام رأى القيادة والولاء لها كجزء من الولاء للجماعة الذى هو ولاء لله وللإسلام فى نظرهم.. عموماً لم يكن موضوع الطلاب يمثل قضية عند الكثيرين من الكبار، فإذا ما طرح سؤال فى أحد الجلسات عن الطلاب وتكلم «أبو محمد» موضحاً تراتج النفوس وتطمئن وتستجيب لكلام المسئول، أما شكاوى مسئولى الطلاب التى تصل إلى قواعدهم كأنها مادة فى البرنامج التنظيمى الثقافى، فإنها تسرى فيهم كواحدة من المسلمات لا تجد أمامها حاجزاً واحداً؟

توج الشباب انتصارهم فى معركة خاضوها من جانب واحد عام ١٩٨٢م حينما انتخب أبرزهم عضواً فى المجلس التنفيذى، أعلى هيئة قيادية للتنظيم فى الساحة، وأصبح المسئول الأول عن قسم الطلاب، وبدأ الطلاب الخريجون والمفتربون يعملون بخطى واسعة، ويترجمون طموحاتهم أعمالاً ولجاناً وأقساماً، وأدخلوا الكثير إلى العمل التنظيمى.

وكان أكثر الإخوة الكبار راضين بما ألفوه من العمل واعتادوا عليه من لقاء الأسرة الأسبوعى ولقاء الكتبية وزيارة المقابر والاجتماع على الطاعات أو الرحلات وأنشطة التكافل والزيارات، كما كانوا راضين عن أنشطة الشباب المتزايدة طالما أن القيادة راضية عنها، كما كانوا مستعدين دائماً وبإخلاص لتقديم العون للشباب كلما طلب ذلك منهم من تبرع بأموال

(١) (م. ف)، مرجع سابق.

إضافية أو حث أولادهم وبناتهم للانخراط فى أعمال الشباب فى الجامعة والمدارس والمساجد والبيوت ، أو تسخير بيوتهم وسياراتهم لخدمة لقاءات الشباب وأنشطتهم.

وكان البعض من الكبار لا يرضيه استقلال الشباب ومحاباتهم فى العمل والميزانية، وإهمال شعب الكبار كما يصورون، فلما جاء موعد انتخابات ١٩٨٦م حاول هؤلاء أن يؤسسوا تكتلاً يهدف إلى إزاحة أبو محمد عن رأس التنظيم وضم الشباب وخلطهم فى هياكل الكبار حتى لا يحدث شرخ فى التنظيم.

لم تنجح المحاولة، لأن أصحابها لم يريدوا لها النجاح، كانت دعوة خجولة، فالذين قاموا بها ينتابهم شك فى صلاحية هذه الأساليب فى دعوة الإخوان المسلمين «المباركة»، فهم يقولون أنهم يحبون إخوانهم وقيادتهم ويحبون الشباب الجديد، وهم مقتنعون أن الحملات الانتخابية داخل صفوف إخوانهم مرفوضة، لكنها ربما كانت محاولة للتعبير عن الرأى الذى تصوروا أنه لم يسمع لهم أبداً، لم يكن لهم برنامج، ولم يكن عندهم البديل، ولم تكن بينهم شخصية يمكن أن تقود التنظيم.

أما فى الجانب الآخر فقد كان كل شىء مرتباً ومدرّساً، كانوا يرفعون ما يريدون، فأعيد انتخاب «أبو محمد» رئيساً للتنظيم، ولم يعد فى المجلس التنفيذى من رموز الكبار سوى اثنين جرى تهميش دورهما، أو أنهما آثرا العزلة داخل المجلس أو الاثنين معاً، أما السبعة الآخرون منهم فهم إما من الشباب أو من الكبار الذين يؤيدونهم^(١).

لقد استطرد البحث فى هذا الموضوع لما له من أهمية مستقبلية فى تحليل السياسة التى سيكون لها أثر كبير على هيكل «حماس» وتشكيلاتها وأسلوبها فى العمل، لصراع الأجيال ظاهرة طبيعية فى كل عمل سياسى، لكنه فى داخل حركة الإخوان المسلمين يمر فى أكثر أحواله بصورة طبيعية، كأنه داخل الأسرة الواحدة، حينما يتسلم الابن الراية من أبيه، فالوالد يحب لولده التوفيق والنجاح ويساعده بكل إمكانياته لتحقيق ما عجز هو عن تحقيقه، والولد يحمل لوالده مشاعر الحب والاعتزاز والولاء ويطلب النصيحة منه، وفى داخل الإخوان يتربى الصغار على أيدي الكبار كما فى الأسرة الواحدة.

فى قطاع غزة مثلاً أصبح أكثر الإخوان من الشباب، لكن لم تحدث مثل ظاهرة الكويت، لأن التربية كانت طبيعية، كان الشباب يتربون على أيدي الكبار، فهم شيوخهم وآباؤهم الروحانيون، كان الشباب يجدون فى الشيخ أحمد ياسين أستاذهم وقائدهم، لا بنفسه فقط،

(١) يرجع الباحث إلى عدد من المقابلات التى أجراها مع بعض أعضاء التنظيم، كما يعود فى كثير من المعلومات إلى تجربته الشخصية.

ولكن مثلاً لكل الجيل الكبير، ففي المؤسسات لجد الشيوخ والشباب وكذلك في العمل السياسي، وحتى في الكتل الإسلامية في الجامعات يرجع الشباب إلى شيوخهم في كل الأمور المهمة، وكان الشيوخ دائماً في المقدمة.

وفي مدن الضفة الغربية وقراها، كانت عودة الشباب بعد تخرجهم من الجامعات العربية، رافداً ومدداً للعمل الإخواني في الضفة الغربية، وإن حدثت أحياناً بعض الاختلافات، فإنها تكون حالات خاصة ولها أسبابها، فلم تكن هناك ظاهرة صراع.

وكذلك في الساحة الطلابية في الجامعات المصرية، حيث كان الشباب وحدهم رغباً عنهم، ومع ذلك كان أكثرهم نموذجاً معبراً عن الإخوان وعلاقات بعضهم ببعض، فمن رجع منهم إلى غزة أو سافر إلى غيرها استأنف عمله الإخواني بصورة طبيعية.

أما في الكويت فقد ربي الشباب أنفسهم بأنفسهم، فإذا ما سألت أحدهم من مربيكم أو شيخك يقول لك بكل اعتزاز فلان الذي يكبره بسنتين أو ثلاث وأحياناً يكون في مثل سنه، وانقطع عندهم الحبل الممتد من حسن البناء، فلم يعد عمر الواحد بعمر دعوته، سبعين سنة، كان ولاؤهم لقيادتهم، وكانت الجندية عند قواعدهم في أكثر الأحوال خوفاً من المسئول أكثر منها حباً له، كانت قيادات الشباب في تعاملها مع المعارضين من القواعد تفتقر إلى عطف الكبار وتقبلهم للرأي الآخر، فيواجه المعارض قسوة أو إبعاداً أو إهمالاً أو تشويهاً.. فنشأت أجيال من الشباب هدفها الأول إرضاء مسئوليتهم حتى لا يفضبوا عليهم، نشأوا أيتاماً وآباؤهم أحياء يرزقون، وكان لسان حالهم يقول: لم لجد مع الجيل السابق راية نتسلمها وكأنهم الذين بدأوا كل شيء مما ولد عند قياداتهم نوعاً من الفرور والعناد وحب الرياسة والتخطيط للاحتفاظ بها.

كان للكبار إيجابياتهم وسلبياتهم، وكانتنا معاً عوامل ضعف لهم إذا ما أراد بعضهم أن يواجه الشباب، فمن إيجابياتهم التقوى والورع والزهد والولاء والمحبة، وهذه كلها تمنعهم من تصعيد المواجهة، ومن سلبياتهم الجمود على الماضي وعدم امتلاك أساليب الإدارة والتخطيط، وهذه أيضاً تمنعهم من النجاح في مواجهة الشباب.

وكان للشباب أيضاً إيجابياتهم وسلبياتهم، وكانتنا معاً عوامل قوة لهم في مواجهة الكبار، فمن إيجابياتهم النشاط والحركة والتخطيط والحماسة والطموح والتطوير والتجديد، ومن سلبياتهم المناورة واتباع أساليب لا يحسن استخدامها داخل الحركة الإسلامية، وكأنهم يواجهون حزباً منافساً بالإضافة إلى الفرور والاعتداد بالنفس.

المبحث الثاني الهيكل التنظيمية

عاش التنظيم الفلسطيني للإخوان المسلمين لمدة خمس عشرة سنة منذ أن فك ارتباطه مع التنظيم المصري في أوائل الستينيات وعقد أول مجلس شورى له عام ١٩٦٣ م، وانتخب له لجنة تنفيذية ومراقباً عاماً أشرف على المكاتب الإدارية في الساحات المختلفة، وظل ذلك حتى عام ١٩٧٨ م حيث أكمل خطوات التنسيق والوحدة مع الإخوان المسلمين في الأردن^(١).

أما ما ينسبه الدكتور زياد أبو عمرو للأستاذ يوسف العظم، أحد القيادات التاريخية للإخوان في الأردن «أن الإخوان في قطاع غزة والضفة الغربية والأردن انضوا تحت لواء تنظيمي إخواني فلسطيني أردني موحد يخضع لقيادة واحدة ويطلق عليه اسم «الإخوان المسلمون في الأردن وفلسطين»، وقد تشكل هذا التنظيم بعيد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ م^(٢)، فهو يؤكد الاندماج بين الطرفين لكنه لا يحدد التاريخ بدقة، ولم تتغير الأمور كثيراً بعد الاندماج حيث ظلت المكاتب الإدارية للإخوان في الساحات المختلفة تعمل بنفس أسلوبها في شبه استقلال عن قيادة التنظيم في عمان.

المؤسسات التنظيمية:

١- مجلس الشورى: ويتكون من حوالي خمسة عشر عضواً يمثلون الإخوان الفلسطينيين في مختلف الساحات حسب أعدادهم، وكانت مدته أربع سنوات ويجتمع كل سنتين، وكان من مهماته اختيار المكاتب الإدارية للأقطار في كل من الكويت والسعودية وقطر ومصر وليبيا وسوريا وغيرها، كما أنه يختار اللجنة التنفيذية ورئيسها (المراقب العام) كل أربع سنوات، وقد عقد خمس دورات بعد حرب ١٩٦٧ م، وكانت آخر دورة له عام ١٩٧٧ م حينما تبنى اقتراح الدمج مع الأردن^(٣).

٢- اللجنة التنفيذية: وهي أعلى هيئة تنفيذية للتنظيم ويرأسها المراقب العام وتعقد جلسة كل ستة أشهر، وقد كان أول رئيس لها المرحوم هاني بسيسو، وقد حلت بعد قرار الدمج عام ١٩٧٨ م.

(١) سليمان حمد (المحاضرة)، مرجع سابق.

(٢) زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ص ٢٨.

(٣) سليمان حمد (المحاضرة).

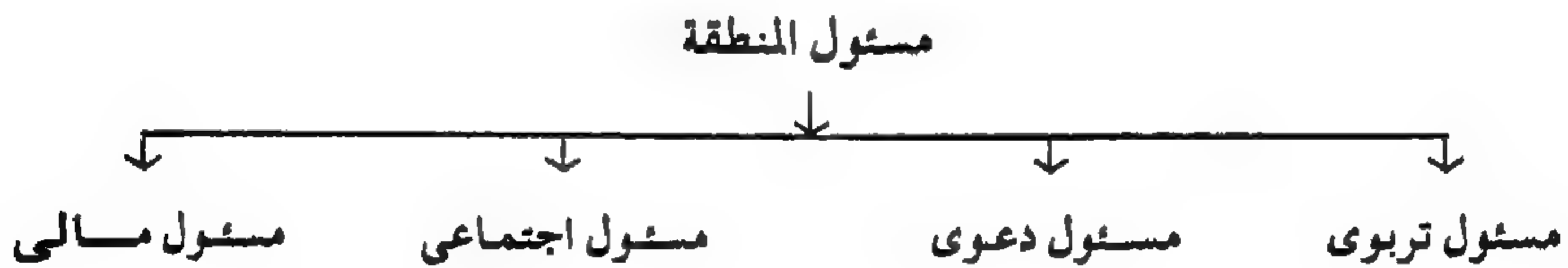
٣- المكاتب الإدارية: حيث يوجد مكتب إدارى للإخوان الفلسطينيين فى كل ساحة يقود العمل الإخوانى فيها، وقد كان مجلس الشورى يختار المكتب الإدارى لكل قطر فى الكويت والسعودية وقطر وسوريا وليبيا وغيرها، وبقيت المكاتب الإدارية على حالتها بعد قرار الدمج، إلا أنها أصبحت فيما بعد مكاتب منتخبة يقوم الإخوان فى كل ساحة بانتخابها .

المكتب الإدارى (المجلس التنفيذي):

تشابه هياكل التنظيمات المحلية فى كل الساحات ويقف على قممها المكتب الإدارى الذى يقود العمل فى الساحة، وكان يزداد أعضاء المكتب الإدارى مع الزمن ومع تنامى « الجسم التنظيمى وزيادة مهماته، فقد كانوا فى البداية ثلاثة أعضاء بمن فيهم الرئيس، الذى يوكل مسؤولية الأسر والمنهج التربوى لأحدهما ويوكل مهمة الإشراف على الأعمال الأخرى للآخر، ويمكن أن تعطى مسؤوليات أخرى لآخرين من خارج المكتب الإدارى كمسؤولية الطلاب أو المالية أو غيرها.

وكانت الهياكل تختلف أحياناً من قطر لآخر نظراً لاختلاف الحجم أو الظروف الأمنية، وإذا أخذنا الكويت كنموذج متقدم، فإن المكتب الإدارى أصبح عدد أعضائه أربعة عام ١٩٨٢م حيث انضم إليه مسئول العمل الطلابى، ثم وبعد فترة قليلة أصبحوا خمسة أعضاء ثم تسعة أعضاء إثر انتخابات ١٩٨٦م، يشرف كل عضو منهم على قطاع كامل من العمل .

مجلس المنطقة: وكانت الساحة تنقسم إلى عدة مناطق أو شعب جغرافية بالإضافة إلى شعبة اعتبارية أخرى هى شعبة الطلاب، ولكل منطقة أو شعبة مسئول يعينه المكتب الإدارى ومعه مجلس المنطقة المعين أيضاً من قبل المكتب الإدارى.



١- المسئول المالى: وهو المسئول عن ميزانية الشعبة ومصروفاتها، كما يقوم بجمع الاشتراكات من أفراد الشعبة وتسليمها إلى المسئول المالى فى المكتب الإدارى.

٢- المسئول الاجتماعى: ومعه لجنة اجتماعية مهمتها تلقي الأخبار الاجتماعية وتوزيعها على باقى الأفراد والقيام بالزيارات الاجتماعية فى الأفراح أو الأحزان وتنظيم احتفالات

التخرج أو التوديع عند السفر أو غير ذلك .

٣- المسئول الدعوى: وهو مسئول عن كل أعمال الدعوة والاستقطاب فى المنطقة وتكوين الأسر المفتوحة أو الحلقات التنظيمية الأولية لتأهيل المتقدمين للتنظيم.

٤- المسئول التربوى: وهو المسئول عن الأسر التنظيمية ومناهجها التربوية وأنشطتها.

الأسرة: وهى تتكون من ثلاثة إلى ستة أفراد يرأسهم «نقيب» الأسرة، ويلتقون مرة واحدة على الأقل كل أسبوع فى بيت أحدهم، لقاء سرياً تتخذ له كل الاحتياطات الممكنة، ويتكون لقاء الأسرة من عدة فقرات دينية وثقافية منها فقرة القرآن الكريم حفظاً وتفسيراً، بالإضافة إلى الحديث الشريف والفقه والفكر وفقرة تنظيمية عن أحوالهم، وأضيف إلى ذلك فيما بعد فقرات سياسية تخص القضية الفلسطينية، وكانت تلتقى الأسرة لقاءات أخرى لقيام الليل أو الإفطار الجماعى، أيام الاثنين أو الخميس أو لزيارة مريض أو غير ذلك، ويختلف ذلك من أسرة إلى أخرى حسب ظروف أفرادها الوظيفية وحسب نشاط النقيب وقدراته، وفيما بعد ومع تطور العمل التنظيمى أصبح يطلب من كل أسرة نشاطات كهذه.

والأسرة هى النواة الأولى والأساسية فى التنظيم، وفيها يتم التعرف على الأفراد وإمكاناتهم ومحاولة تطوير هذه الإمكانيات والارتقاء بها، وفيها يميز الأخ النشط والمتقدم عن الأخ الضعيف على أساس الانتظام والطاعة وحضور الجلسات والالتزام الدقيق بالمواعيد وحفظ الآيات المطلوبة ودراسة الموضوعات المقررة ودفع الاشتراكات بانتظام والتقييد بالأوامر التنظيمية وعدم إفشاء أسرار الأسرة حتى للإخوان وعدم تجاوز النقيب فى الاتصالات.. إلخ.

النقباء: يكاد يكون النقيب أهم وظيفة تنظيمية، لذلك يتم اختيار النقيب بعناية وحسب شروط معروفة من العمر التنظيمى والانضباط والثقافة، كما تجرى دورات للنقباء أو من يتم اختيارهم ليكونوا نقباء، ويجتمع النقيب فى مجلس لهم يرأسه المسئول التربوى فى المنطقة بصورة دورية لمتابعة أوضاع الأسر حيث تصعد أخبار الأفراد إلى أعلى من النقيب وتنزل توجيهات القيادة من مسئول المنطقة إلى الأفراد عن طريق النقيب.

الرقباء: وبعد ازدياد الأسر وبالتالى النقيب وتعذر اجتماع المسئول التربوى بهم جميعاً، قسمت المنطقة إلى عدة أقسام، حيث يلتقى كل خمسة نقباء أو أقل أو أكثر مع مسئول لهم يسمى «رقيب» وهؤلاء الرقباء يكونون المجلس التربوى المسئول فى المنطقة، أى أن الدرجات التنظيمية فى الإخوان هى: فرد، نقيب، رقيب.

شعبة الطلاب : كانت شعبة الطلاب بالإضافة لما سبق من أعمال وتشكيلات فى المناطق تضم إلى هكلها العمل فى الجامعة والرابطة الإسلامية واللجان الإعلامية وغير ذلك من أعمال .

تطور الهيكل التنظيمى :

استطاع التنظيم بعد انتخابات سنة ١٩٨٦م أن يطور كثيراً من هياكله بعد دخول الدم الشاب إلى القيادة، وكانت قيادات الشباب قد اتصلت فيما مضى بالساحات الإخوانية فى الدول العربية وأوروبا وأمريكا، وبالجماعات الإسلامية الأخرى فى تركيا وباكستان والسودان وشمال أفريقيا، فاكسبوا الخبرة والعلاقات وتأثروا بما يجرى هنا وهناك .

أصبح المكتب الإدارى أو «المجلس التنفيذى» تسعة أعضاء: الرئيس ونائبه وأمين السر ومسئولى الأقسام: التربوى والدعوى والاجتماعى والتخطيط والطلاب وفلسطين وأصبح المجلس التنفيذى مجلس مهمات وخطط وأهداف توضع، وعقدت حلقات بحث فى كثير من الأمور التنظيمية مثل الاستدراك والفقر التنظيمى وغير ذلك .

واتسعت أعمال قسم الدعوة، وأصبحت أكثر تنظيماً وجدوى، ووضعت الأسس الدقيقة لقبول الأعضاء الجدد، كما اتسعت أعمال القسم التربوى وقسم الطلاب، إلا أن أهم إضافة هيكلية كانت هى استحداث قسم التخطيط وقسم فلسطين .

١- قسم فلسطين: لم يكن العمل للقضية الفلسطينية جديداً على التنظيم، فقد كانت هناك اللافتات واللجان العاملة، ولكن استحداث القسم جاء ترجمة لتوجهات الحركة تجاه العمل السياسى والعسكرى للقضية الفلسطينية، فجمع القسم كل هذه اللجان الموزعة بين الطلاب والمناطق والمجلس التنفيذى وطورها وأضاف إليها، وأصبح للقسم مجلس من الأعضاء المختصين يضعون الخطط، ويشرفون على تنفيذها، وسوف نفصل ذلك فى المبحث القادم عن العمل لقضية فلسطين .

٢- قسم التخطيط: تسلم قسم التخطيط أحد قادة الشباب ومعه ثلاثة آخرون من قيادات الشباب، وكان من مهماته مراقبة تنفيذ الخطط فى جميع الأقسام، ومضى عمله فى اتجاهات متعددة:

(أ) فرز الطاقات: قام القسم بعملية واسعة شملت المئات من أعضاء التنظيم بغرض التعرف على الطاقات والإمكانات باستخدام الطرق العلمية من استبيانات واختبارات

ومقابلات شخصية، وأصبح لكل أخ في التنظيم استمارة توضح طاقته وقدراته ومواهبه وخبراته وعلاقاته ومواطن القوة ومواطن الضعف.

(ب) **الدورات والتأهيل:** وبناء على فرز الطاقات، عقدت الدورات التأهيلية للارتقاء بمستوى الأفراد، وأصبح النقيب درجة تنظيمية لا تنال إلا باجتياز دورة طويلة للنقباء تستمر تسعة أشهر، يتلقون فيها المحاضرات المتخصصة ويمارسون فيها التطبيق العملي، ويقدم كل واحد منهم في نهايتها بحثاً بالإضافة إلى الاختبار، كما عملت دورات تنشيطية للنقباء القدامى للارتقاء بمستواهم، كما قام القسم بعمل دورات أخرى مثل الدورة السياسية ودورة قياديين وغيرها.

(ج) **التعبئة والمحاضرات الداخلية:** ينسق قسم التخطيط مع الأقسام الأخرى ذات العلاقة لعمل محاضرات داخلية تطوف على جميع الإخوان لاستكمال ما يراه القسم ضرورياً وخاصة تلك المحاضرات الخاصة بفلسطين والمنظمات الفلسطينية.

(د) **الكمبيوتر:** أدخل القسم الكمبيوتر في عمله، وقام بتخزين نتائج الفرز والدورات والمحاضرات بالإضافة إلى الوثائق التنظيمية واللوائح وغيرها.

(هـ) **هيكلة التنظيم:** أصبحت هناك قناعة بأن الهيكل التقليدي للتنظيم لم يعد قادراً ولا مناسباً للتطور التنظيمي والمهام المطلوبة وخاصة في مجال العمل الفلسطيني السياسي وغيره، لذلك وضع القسم خطة متقدمة للهيكل التنظيمي المقترح كانت أكثر عملية وجراًة في تاريخ أي تنظيم، وهي إعادة هيكلة التنظيم الذي يزيد عدد أفراده العاملين عن ستمائة عضو، فلم تعد الأسرة التربوية هي البنية الأساسية في التنظيم، وأصبحت هناك أسر عمل ولجان عمل.

كانت الخطة إلى جانب جراتها تتميز بالذكاء وكانت ضرورية للارتقاء بالعمل التنظيمي، لكنها لكونها تفتقر إلى حكمة الكبار، تعثرت ولم تنجح إلا بالولادة القيصرية. ولعل استعجال الشباب في التنفيذ قبل أن تنتهي دورة المجلس التنفيذي، وتمشياً مع متطلبات عمل «الجهاز العام لفلسطين» ورغبة في فرضه كأمر واقع على المجلس التنفيذي القادم، جعلهم ينفذون هذه الخطة في شهرين أو أربعة شهور مع أنها تحتاج لأكثر من سنة حتى تمر بمرونة ويسر واستيعاب، فبسبب إشكالات الاتصال والتوصيل (لأن التنظيم في أقصى درجات السرية)، ظل العشرات من الإخوان شهوراً لا يعرفون لهم مكاناً في الهيكل الجديد، وأصيب الكثيرون بالإحباط والشعور بالإهمال، ولو أضيف لطموح الشباب وذكائهم حكمة الكبار

وحسن تصرفهم، ولو تخلى الشباب عن عنادهم واعتدادهم بآرائهم لتمت العملية بنجاح وسهولة.

الشورى والانتخابات؛

كانت تجرى الانتخابات لاختيار أعضاء مجلس الشورى وأعضاء المجلس التنفيذى، أما المراتب التنظيمية الأخرى فى المناطق والأقسام فيجرى تعيينها من قبل المجلس التنفيذى، وكان يشترط فيمن يحق له الانتخابات أن يكون قد مضى على بيعته أربع سنوات بالإضافة إلى دفعه للاشتراكات وغير ذلك، ثم أصبحت المدة سبع سنوات على الأقل فى انتخابات ١٩٨٦م، ولما كثر عدد الإخوان وأصبح اجتماع كل من تنطبق عليهم الشروط فى مكان واحد متعذراً، فقد قرروا انتخاب هيئة وسيطة سميت «الهيئة المنتخبة» تقوم كل شعبة بانتخاب عدد يحدد لها، متناسباً مع حجمها، ثم يجتمع هؤلاء المنتخبون الذين وصل عددهم فى آخر انتخابات خمسة وخمسين فرداً، ثم تقوم الهيئة المنتخبة باختيار أعضاء مجلس الشورى فى اقتراع سرى، وتنتخب رئيس المجلس التنفيذى ثم نائبه ثم أعضاء المجلس التنفيذى.

والانتخابات دائماً فى التنظيمات السرية تكون لصالح القيادة القديمة، لأن المناطق غير متصلة بعضها ببعض، فإن برز عضو قيادى فى منطقة فإنه يأخذ أصوات منطقته، لكنه لا يأخذ شيئاً من المناطق الأخرى، بعكس القيادة القديمة المعروفة لجميع المناطق، فإنها تأخذ الأصوات من كل المناطق، وهى وإن قلت تكون فى مجموعها أكثر من أصوات الآخرين.

وشد عن ذلك الطلاب، لأنهم على صلة ببعضهم فى جميع المناطق، فيحصل مرشحوهم على أصوات كثيرة، كما تؤثر أصواتهم فى الكبار الذين يتفق الطلاب فيما بينهم على إعطائهم الأصوات، كما شد عن ذلك أيضاً القليل من الشخصيات العامة والمعروفة من الجميع.

مجلس الشورى: وكان فيما مضى يسمى «مجلس الرقباء»، وهو الهيئة التشريعية الرئيسية التى تراقب عمل المجلس التنفيذى، وتجتمع مرة كل ثلاثة شهور، كان أداء المجلس ضعيفاً لأسباب منها: أن جميع أعضاء المجلس التنفيذى هم أعضاء فى مجلس الشورى البالغ واحداً وعشرين عضواً، فقد كان دائماً من السهل على المجلس التنفيذى أن يأخذ كل القرارات التى يريدونها خصوصاً إذا علمنا أن رئيس مجلس الشورى هو رئيس المجلس التنفيذى، بالإضافة

إلى ضعف الأصوات المعارضة في العادة.

أما في انتخابات ١٩٩٠م - وبعد أن انسحبت معظم القيادات من المجلس التنفيذي لانهماكها في عمل «الجهاز العام لفلسطين» - فقد نجحت في تكريس وضع جديد أكثر تطوراً وشورية، حيث أصبح لمجلس الشورى رئيس آخر غير رئيس المجلس التنفيذي، كما أصبح أعضاء المجلس التنفيذي خارج مجلس الشورى ما عدا الرئيس ونائبه. ولم تكن هذه المجموعة تستهدف تكريس الديمقراطية والشورى بقدر ما أرادت أن تحتفظ بنفوذها السابق بعد أن ترك معظم أفرادها المجلس التنفيذي وحافظوا على وجودهم في مجلس الشورى بالإضافة إلى تفرغهم التنظيمي في أعمال الجهاز العام لفلسطين بعد أن كثرت الأعباء الملقاة على عواتقهم بعد عامين من تأسيس حركة حماس.

المبحث الثالث العمل لقضية فلسطين

كان لابد من العمل للقضية الفلسطينية، لما تمثله أرض فلسطين من موقع روحي في قلوب المسلمين، ولما يمثلها تاريخ الإخوان على أرض فلسطين الذي كتبوه بدماء الشهداء.. ولقد أثبتت تجربة الخمسين سنة الماضية أن الإخوان المسلمين وخاصة الفلسطينيين منهم إذا انخرطوا في الجهاد والعمل لخدمة فلسطين، قويت شوكتهم وكثرت أعدادهم وازدادت شعبيتهم، وإذا انزلوا عن هذه الدائرة ضعفوا وتقلصوا، وقلت شعبيتهم، وكثرت الاتهامات لهم. تفجر الإسلام السياسي في الجامعات المصرية، وانتصرت الثورة الإيرانية، وبرز الجهاد الأفغاني، وكثرت الاتهامات بالاهتمام بأفغانستان وإهمال فلسطين، كل هذا مع ازدياد عنصر الشباب في جماعة الإخوان المسلمين الذين استطاعوا في تلك الفترة أن يصلوا إلى مواقع القرار والتأثير في التنظيمات الفلسطينية الإخوانية خارج الأرض المحتلة، ونفوسهم تمور بالآمال والطموحات والحماسة، تشجعهم أخبار إخوانهم في الأرض المحتلة الذين فرضوا مكانتهم منذ ١٩٨٠م على المجتمع والجامعات.

كان الجيل القديم خارج الأرض المحتلة غير قادر على تحمل أعباء هذا العمل، فحركة «فتح» أخذت منهم معظم العناصر القيادية والطموحة والقادرة على الفعل والمبادرة، أما ما تبقى في نفوسهم من رغبة التصدي والمواجهة فقد أخذته السجون وملاحقة الأنظمة، وظلوا يتجمعون

حول بعضهم مخافة الأخطار، تستحوذ عليهم فكرة تأمر جميع الأطراف عليهم دون أن يفعلوا شيئاً يذكر، فهم يفعلون مع أحداث سوريا والقتال في أفغانستان ولا يفعلون مع فلسطين إلا انفعال أضعف الإيمان، لأن التفاعل مع فلسطين يتطلب قدرات وإمكانات وتبعات.

ولم يستطع الجيل القديم خارج فلسطين أن يوقف زحف الأجيال الشابة تجاه العمل لفلسطين، فعواطف الكبار وإخلاصهم المتميز وحبهم لوطنهم ودينهم أمر لا شك فيه، لكنهم لا يعرفون ماذا يفعلون ولا من أين يبدأون، لذلك شجعوا الجيل الجديد ووقفوا معه ورضى الكثيرون منهم أن يكونوا جنوداً في هذه المعركة، لقد مل الشباب ترديد قصص وجهاد الإخوان في الأربعينيات وفي معسكرات الشيوخ في الأردن ما بين ٦٨ - ١٩٧٠م، وأرادوا أن يصنعوا القصص بأنفسهم فبدأ النشاط في الجامعات في الكويت وبريطانيا وأمريكا وغيرها، ثم تطورت هياكل العمل الفلسطيني في الخارج، لكنها ظلت أقل حماسة وخبرة ومعاناة من مثيلاتها التي تتشكل وتنمو وتتطور داخل الأرض المحتلة، وخاصة في مركزها - قطاع غزة.

معسكرات الشيوخ:

يردد الإخوان المسلمون وخاصة في محاضراتهم الداخلية قصص البطولات التي سطورها ما بين ١٩٦٩م و ١٩٧٠م ذلك في معرض حديثهم عن مشاركة الحركة في مواجهة الصهيونية، ولتفنيد الاتهامات التي توجه إليهم بالابتعاد عن القضية الفلسطينية، فقد أسس الإخوان أربع قواعد فدائية تحت اسم «فتح»، وكان الناس يطلقون عليها «قواعد الشيوخ»^(١)، وقد قاموا بعدة عمليات عسكرية مثل معركة المشروع روتنبرغ ومعركة حزيان ١٩٧٠م و عملية «سيد قطب» و عملية «الحزام الأخضر».

وقد شارك الإخوان في المعسكرات من مختلف الجنسيات من مصريين وسوريين وأردنيين وسودانيين ويمنيين وغيرهم، واستشهد لهم ١٣ شهيداً^(٢) منهم محمد سعيد باعباد اليمنى ورضوان بلعة الدمشقي وصلاح حسن المصري وزهير قيشو الحموي وإبراهيم عاشور الفلسطيني وغيرهم.

كانت معسكرات الشيوخ بالتأكيد تجربة تاريخية للإخوان المسلمين في إطار القضية

(١) عبدالله عزام، (حماس: الجذور التاريخية والميثاق)، بيشاور (باكستان): ١٩٨٩م، ص ٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٦ - ٨٧.

الفلسطينية يمكن أن تضاف إلى تجاربهم السابقة واللاحقة، لكنها لم تكن بالصورة التي يبالغ فيها بعض الإخوان، وخاصة في إطار ردهم على الاتهامات التي توجه إليهم بعدم المشاركة في مواجهة الاحتلال في سنواته العشر الأولى، لقد كانت تجربة ناقصة وغير مكتملة وذلك لأسباب ثلاثة:

الأول: أنها لم تكن تجربة مستقلة، فلم يؤسس الإخوان حركة فدائية لها أهدافها واستراتيجيتها وقياداتها وهيكلها التنظيمية، بحيث تمثل وجهة نظر الإخوان في الصراع مع اليهود، وتعمل على تعبئة جماهيرها والجماهير عامة حول مشروع جهادي أو سياسي تتحمل الحركة أعباءه، بحيث تقوى هذه الحركة وتنجح، أو تضعف وتفشل، مثلما عمل غيرهم عندما أسس القوميون العرب «الجهة الشعبية» أو أسس البعثيون المواليون لسوريا منظمة «الصاعقة» أو «الأنصار» أو غيرهم، كانت مجرد معسكرات وقواعد تعمل تحت اسم «فتح» وتحت حمايتها أيضاً، «فقد كان الإخوان المصريون المهاجرون خارج مصر، وكذلك الإخوان الكويتيون والسودانيون يرون في فتح حركة إخوانية، ويحتفظون لقاداتها بكل مشاعر الأخوة»^(١).

الثاني: وكانت أيضاً تجربة ناقصة لأن الإخوان الفلسطينيين - وهم الطرف الأهم في هذا الموضوع - لم يوافقوا على الفكرة أصلاً ولم يشاركوا فيها، «فقد اعترض الفلسطينيون على الفكرة لأسباب عملية وموضوعية شرحوها في مذكرة طويلة جرى توزيعها على قيادات الإخوان في البلاد العربية»^(٢).

كان أهم ما جاء في المذكرة «أن الإخوان لا يعترضون على إقامة المعسكر ولا على مباشرة القتال من حيث المبدأ، ولكن إمكانيات الإخوان من حيث المال والسلاح وحرية الحركة لن تسمح لهم بالقيام بأي دور فعال، لأن القوى المسيطرة على الدول العربية وكذلك القوى الفلسطينية الموجودة على الساحة الأردنية معادية للإخوان، كما أن الإخوان الفلسطينيين أدركوا أن المعركة وشيكة بين السلطة الأردنية والمنظمات الفلسطينية»^(٣) بالإضافة إلى موقف الإخوان الفلسطينيين من «فتح» والمفاضلة التي تمت بينهما على اعتبار أن «فتح» حركة علمانية.

الثالث: أن التجربة لم تستمر، فعندما بدأت الحرب بين الجيش الأردني والمنظمات

(١) المرجع السابق، ص ٩٠.

(٢) عبدالله أبو عزة، ص ١٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص ص ١٥١ - ١٥٢.

الفلسطينية، جمع الإخوان أسلحتهم، ووقفوا على الحياد بين الطرفين، لتنتهى هذه التجربة نهاية كاملة بعد حوالى سنتين من بدايتها.

الجهاز العام لفلسطين

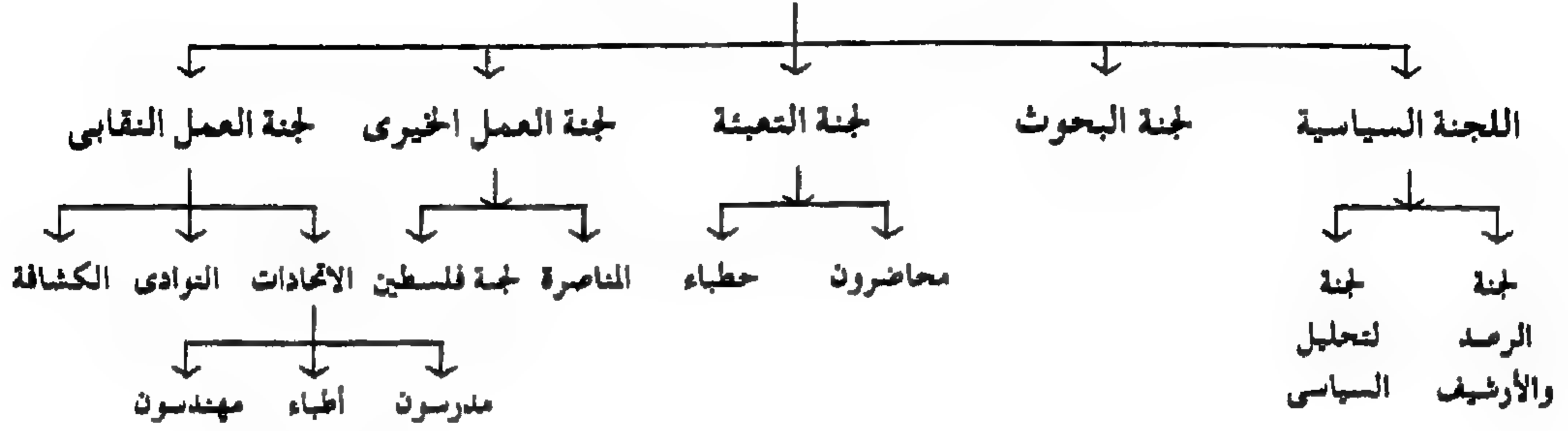
كانت سنوات السبعينيات العشر - منذ نهاية تجربة «معسكرات الشيوخ» عام ١٩٧٠م إلى انعقاد أول مؤتمر تنظيمى حول القضية الفلسطينية عام ١٩٨٠م - حافلة بالعمل وتزايد أعداد الشباب، وحوارات دائمة عن العمل الفلسطينى، ونشوء لافئات وروابط طلابية إسلامية فى الشرق والغرب تدخل المجال الإعلامى والسياسى وتنشئ لها صحفاً ومجلات بسيطة تعبر عنها هنا وهناك.

فى أوائل الثمانينات عقد فى عمان مؤتمر إخوانى سمي «مؤتمر فلسطين»، حضره ممثلون عن الإخوان من مختلف الساحات، من الكويت وقطر والسعودية والأردن وغيرها بالإضافة إلى مندوبين جاءوا من قطاع غزة ومن الضفة الغربية. وقد ناقش هذا المؤتمر عدة أوراق حول القضية الفلسطينية وضرورة مبادرة الإخوان وكان أهم قرارات هذا المؤتمر دعوة الإخوان إلى المشاركة الفعلية والجادة فى العمل لفلسطين وتأسيس جهاز خاص لذلك، وفى عام ١٩٨٤م صدر قرار عن المجلس التنفيذى بتأسيس «جهاز فلسطين العام»، وكلف آخر مراقب للإخوان المسلمين الفلسطينيين باختيار مساعديه، ووضع خطة لهذا العمل الذى أصبح واقعاً حياً وفاعلاً منذ بداية ١٩٨٦م، حيث تشكلت اللجنة التنفيذية التى ضمت خمسة من الكويت وثلاثة من الأردن وعضوين من السعودية وعضواً واحداً من كل من أمريكا وبريطانيا، وكان مركز ثقل الجهاز فى الكويت حيث استقرت فيه أمانة السر ولجنة التخطيط ولجنة الأرض المحتلة واللجنة السياسية ولجنة العمل الخاص، وفى نفس السنة تم إنشاء قسم فلسطين فى الكويت ليكون قسماً رئيسياً ينفذ خطط الجهاز، ثم نقلت تجربة هذا القسم إلى الساحات الأخرى، وكانت للجهاز خطة مدتها عشر سنوات تهدف إلى جعل الحركة الإسلامية عنصراً أساسياً وفاعلاً فى ساحة العمل الفلسطينى، وتندلع الانتفاضة فى ديسمبر ١٩٨٧م وتشارك فيها من يومها الأول الحركة الإسلامية داخل الأرض المحتلة تحت اسم «حركة المقاومة الإسلامية - حماس» التى تنفذ خطتها بدماء الشهداء ومئات المعتقلين والمبشرين لتختصر خطة الجهاز كل سنة فى شهر، لتصبح «حماس» فى عدة شهور أهم فصيل فلسطينى بعد حركة «فتح».

قسم فلسطين

رئيس القسم

عضو اللجنة التنفيذية في الجهاز العام
عضو المجلس التنفيذي في التنظيم المحلي



كان القسم يعقد جلسة أسبوعية على الأقل بحضور رئيسه وأعضائه الخمسة رؤساء اللجان، حيث يتابع أعماله في الساحة وأخبار الساحات الأخرى، ويناقش أعمال اللجان التابعة له ولجانها الفرعية.

١- اللجنة السياسية:

وتتبعها لجنة «الرصد والأرشيف» التي يقوم أعضاؤها من الشباب بالاستماع إلى الإذاعات، ومتابعة أخبار القضية الفلسطينية في الصحف والمجلات العربية، كانت هذه اللجنة تزود القسم بالأخبار أولاً بأول، كما بدأت بإصدار «النشرة المصورة»، وهي مقتطفات من الأخبار والمقالات السياسية في الصحف العربية يتم توزيعها على أعضاء اللجنة التنفيذية للجهاز والمجلس التنفيذي للتنظيم المحلي وأعضاء قسم فلسطين وبعض الإخوة البارزين، كما كانت ترسل نسخاً منها إلى الساحات الأخرى.

كما يتبع اللجنة السياسية أيضاً لجنة «التحليل السياسي» التي كانت تعد المقالات والتحليلات للنشر في الصحف أو للتوزيع الخاص والمحدود، وقد ترأس اللجنة السياسية واحد من الإخوان المختصين في الشؤون السياسية، وكان من أسر الكبار، لكنه يرتبط بعلاقات طيبة مع قيادات الشباب، أما المجموعة العاملة معه والتي زاد عددها عن ستة أعضاء فكانوا كلهم من الشباب.

٢- لجنة البحوث :

وكانت مكلفة بإعداد بحوث تتعلق بالقضية الفلسطينية بغرض النشر أو التوزيع على الإخوان واهتمت اللجنة برفع المستوى البحثي عند أعضائها، وأعدت عدة بحوث عن الاقتصاد الصهيوني ومشكلة المياه وغيرها، طبع منها كتابا «الانتفاضة» و«التطبيع» لغسان حمدان، وقد ترأس هذه اللجنة أخ ينتمى لأسر الكبار، لكنه فى سن الشباب .

٣- لجنة التعبئة :

وقد عملت فى مجالى التعبئة التنظيمية الداخلية والتعبئة الجماهيرية العامة، وكانت تشرف على تنظيم المحاضرات الداخلية فى الأمور الفلسطينية ثم الانتفاضة فيما بعد، كما أشرفت على تنظيم المحاضرات العامة فى القاعات وساحات الجامعة وغير ذلك، بالإضافة إلى اهتمامها بخطبة الجمعة والخطباء الذين كانت تزودهم بالمعلومات والموضوعات والنشرات، كما أعدت عدداً من الخطب الجماعية التى وزعت على معظم خطباء المساجد، وكانت تخص الشيخ أحمد القطان بالمعلومات وقصص الشهداء والأشعار عن الانتفاضة وحماس. وقد ترأس هذه اللجنة كاتب هذا البحث الذى كان من أسر الكبار، لكنه كان أقرب سناً إلى الشباب، أما أعضاء اللجنة فكلهم جاءوا من الشباب .

٤- لجنة العمل الخيرية :

وكانت تشرف على الأعمال الخيرية وجمع التبرعات، كما أشرفت على عدد من اللجان الخيرية العاملة فى الساحة مثل لجنة «المناصرة» وغيرها. وقد ترأس هذه اللجنة أحد الشباب، ثم اشترك معه شاب آخر.

٥- لجنة العمل النقابى :

والتي تكونت فى وقت لاحق فى أواخر سنة ١٩٨٨م لتواكب عملية التطور الهيكلى والرغبة فى دخول ساحة العمل النقابى، وقد كان من عملها الإشراف على الكشافة والنوادرى مثل «نادى القدس» و«نادى الكرامة» وغيرهما، وكانت لها خططها فى العمل النقابى مع المدرسين والأطباء والمهندسين وقد ترأس هذه اللجنة أحد الإخوة الشباب الذى كان عضواً فى قسم التخطيط، تمهيداً لتسليمه رئاسة قسم فلسطين بعد شهور قليلة نظراً لانسحاب رئيس القسم لكثرة أعبائه فى «الجهاز العام لفلسطين» .

كان «قسم فلسطين» يصدر نشرة شهرية يخبرها أعضاء القسم، وتوزع على جميع أفراد التنظيم المحلي، وهي نشرة سرية خاصة تقرأ وتناقش داخل الأسر ثم يتم التخلّص منها، كما كانت ترسل نسخ منها إلى جميع الساحات الخارجية. كانت فقراتها الرئيسية تتكون من التحليل السياسي والأخبار الهامة والمصطلح السياسي لرفع المستوى السياسي لدى الإخوان، بالإضافة إلى فقرة عملية سميت «بالتحريك» لحث أفراد التنظيم على العمل، مثل جمع ألوم لصور الانتفاضة، أو جمع التبرعات من البيت والأقارب وزملاء العمل، أو كتابة ما يعرفه من معلومات عن الاتجاهات الأخرى، أو المشاركة في حل أسئلة مسابقة سياسية توزع داخل التنظيم •

الفصل الثاني

الإخوان المسلمون داخل الأرض المحتلة

المبحث الأول مراحل العمل

بداية العمل (١٩٦٧م - ١٩٧٠م):

وَحْدَ الاحتلال الإسرائيلي الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد أن انقطعت بينهم الصلات مدة تسعة عشر عاماً (٤٨ - ١٩٦٧م)، حيث عاش الفلسطينيون في كل من المنطقتين ظروفًا سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة، كما مر الإخوان بتجربتين مختلفتين كلياً: منع ومطاردة وملاحقة واعتقالات في قطاع غزة، وعمل علني مسموح ومقررات مفتوحة في الضفة الغربية.

تغير الحال على الإخوان في الضفة الغربية الذين كانوا قد اعتادوا على العمل العلني من خلال دورهم ومكاتبهم القانونية في المدن وبعض القرى والمخيمات، فأغلقت سلطات الاحتلال دور الإخوان المسلمين، واستولت على بعض الأوراق الموجودة في بعضها كما في نابلس^(١)، واقتصر دور الإخوان على اللقاءات الفردية، وكانوا في أحسن الأحوال يجلسون في حلقات دراسية علمية دون أن يكون هناك تنظيم^(٢) وإذا استدعت السلطات العسكرية المحتلة أحد رموز الإخوان لاستجوابه، كان يقول لهم: نعم كنت من الإخوان، أما الآن فقد أغلقت دور الإخوان وانتهى كل شيء^(٣) وفي الخليل أصبحت الهيئة الإدارية لـ «الجمعية الإسلامية الخيرية» تشكل في معظمها من أعضاء الهيئة الإدارية لشعبة الإخوان المسلمين في الخليل، حيث التقى الإخوان من خلال الجمعية على الزيارات والمناسبات، إلى أن بدأت

(١) قيادة منطقة نابلس (نبيل البشتاوي، أحمد الحاج علي، جمال سليم، جمال منصور)، مقابلة شخصية، مخيم «مرج الزهور» بجنوب لبنان ٤/٦/١٩٩٣م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) من مخطوط كتبه مبعدون من منطقة الخليل في «مرج الزهور».

التشكيلات السرية تأخذ طريقها للوجود منذ عام ١٩٧١م^(١).

أما فى قطاع غزة حيث اعتاد الإخوان على العمل السرى وأجواء الملاحقة والمتابعة، فإنهم كانوا أقدر على التعامل المبكر مع هذه الظروف، ومما سهل الأمر عليهم أنهم لم يعودوا لوحدهم، فمئات الألوف من المواطنين يتعرضون للقمع والملاحقة من سلطات الاحتلال، بل إن الملاحقة تركزت فى هذه المرحلة على المنظمات الفدائية التى تشكل الخطر الراهن على جنود الاحتلال، وتقوم بأعمالها ضد الاحتلال مثل فتح والجبهة الشعبية وقوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطينى.

وسرعان ما تداعت قيادات ورموز الإخوان إلى لقاء تأسيسى للتعامل مع الوضع الجديد، وقد تم اللقاء فى أغسطس أو سبتمبر ١٩٦٧م^(٢) فى منزل المرحوم محمد خليل الغرابلى بحى الشجاعية فى مدينة غزة، اختار الحاضرون هيئة إدارية لقيادة الإخوان تمثل مختلف مناطق القطاع، كما اختاروا منهجاً تربوياً للعمل به فى الأسر الإخوانية^(٣) ونتيجة لشعورهم بقلّة عددهم، فقد قرروا كسب الأعضاء الجدد عن طريق الزيارات الفردية والدروس فى المساجد، إلا أن مهمتهم كانت عسيرة فالناس لازالوا مشدودين لعبد الناصر^(٤).

وضع الإخوان فى هذا اللقاء خطة لتحركهم، وكانت أهدافها كما يلى^(٥):

١- محو الصورة الإخوانية التى رسمها العهد الناصرى فى أذهان الناس، وتجلية صورة جديدة مشرقة.

٢- الانتشار فى المجتمع بعد ذلك الانكماش الطويل.

٣- تحديد الموقف من الاحتلال وتحديد مسيرة الإخوان ورأيهم فيما يجرى.

٤- ربط إخوان القطاع بإخوان الضفة الغربية حيث يتم ذلك لأول مرة.

وقد ناقش الإخوان فى ذلك الاجتماع القضية الملحة والمطروحة منذ ذلك الوقت، وهى الدعوة للقيام بأعمال عسكرية فى مواجهة الاحتلال، وقرروا عدم القيام بأى عمل عسكري وذلك للأسباب التالية^(٦):

(١) المرجع السابق.

(٢) حماد الحسنات (أحد قادة الإخوان فى قطاع غزة) من مخطوط كتبه فى «مرج الزهور».

(٣) محمد حسن شمعة (أحد مؤسسى حماس) مقابلة شخصية، فى «مرج الزهور» ٣/٦/١٩٩٣م.

(٤) عبدالفتاح دخان (أحد مؤسسى حماس)، مقابلة شخصية فى «مرج الزهور» ٣/٦/١٩٩٣م.

(٥) حماد الحسنات، مرجع سابق.

(٦) المرجع السابق.

١- كان الإخوان في حالة من الضعف كماً وكيفاً لا تمكنهم من القيام بأي عمل ناجح ومستمر في ذلك الوقت، واتفقت الآراء على أن الهدف الرئيسي يجب أن يكون إعادة البناء.

٢- ضعف الإخوان في البلاد العربية في ذلك الوقت وخاصة التنظيم الأم في مصر، مما سيحرم المقاومة الإسلامية في الأرض المحتلة من عمق ومساعدات ضرورية.

٣- إن أي عمل عسكري ضد اليهود دون الإعداد النفسي والروحي والمادى سيكون مصيره الفشل.

٤- العمل ضد اليهود الآن ودون مشاركة الشعب (المهزوم والمخبط) سيكون لا طائل من ورائه.

قرر المجتمعون أن إمكانياتهم تساعدهم فقط في نشر الدعوة والتوجه إلى المساجد للعمل فيها بما يتوفر من إمكانيات، وفي نفس الشهر توجهت مجموعة من القياديين لزيارة الضفة الغربية بهدف بناء العلاقات مع الإخوان هناك وربط الخيوط مع مناطق الضفة الغربية التي لم تكن مرتبطة بعضها ببعض لأنها كانت جميعاً تتصل بقيادة الإخوان في الأردن قبل ١٩٦٧م، واستمرت الزيارات إلى الضفة الغربية بالتعاون وتبادل الخبرات حيث بدأ الإخوان في الضفة الغربية يمارسون العمل السري، كما تم الاتفاق على لقاء شهري يجمع مسئولى جميع المناطق، حيث ظهر إلى الوجود المكتب القطري أو «مكتب فلسطين»، وفي عام ١٩٦٨م سافر بعض أعضاء الهيئة الإدارية للإخوان في القطاع إلى عمان، واتصلوا بالقيادة هناك حيث بدأ التنسيق مع الإخوان في الأردن منذ ذلك الوقت^(١). وقد تكون في قطاع غزة إلى جانب الهيئة الإدارية، «مجلس الشورى العام» الذي اجتمع لأول مرة عام ١٩٦٨م^(٢) ويذكر الأستاذ حسن شمعة أن عدد الإخوان في قطاع غزة ١٩٦٩م كان حوالى خمسين شخصاً.

مراحل العمل:

تجمع المصادر الإخوانية^(٣) على أن الحركة الإسلامية تحت الاحتلال وفي العشرين سنة الأولى من بداية الاحتلال إلى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية قد مرت في مراحل ثلاث:

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

(٣) «حماس بين الحقيقة والوجود»، مخطوط، ص ص ٤-٦ و خليل القوقا، مقابلة شخصية، الكويت

١٩٨٨/٨/١١م.

- مرحلة الدعوة والكسب والانتشار.

- مرحلة بناء المؤسسات .

- مرحلة النفوذ السياسى واستكمال الأجهزة واختبار القوة.

ولا توجد خطوط فاصلة دقيقة تفصل بين هذه المراحل حيث كانت لابد من بعض التداخل، ولكن السمة العامة لكل مرحلة كانت واضحة.

(أ) مرحلة الدعوة والانتشار (١٩٦٧م - ١٩٧٦م):

يطلق كراس «حماس بين الحقيقة والوجود»^(١) على هذه المرحلة اسم «التعريف وبناء الأنوية الصلبة» ويجعل مهمتها الأساسية بناء الأنوية الصلبة التى تحملت أعباء الدعوة وبناء الهياكل وزيادة الانتشار، وإزالة آثار الحملة التى شنّها عبدالناصر على الإخوان المسلمين، ويؤكد أن النشاط فى هذه المرحلة استمر بصعوبة بالغة.

كان أبرز سمات هذه المرحلة عمل الشيوخ والوعاظ فى المساجد فى نشر الدعوة الإسلامية بين الناس وخصوصاً الشباب، حيث يقوم المختصون بالعمل التنظيمى بتجنيد الشباب الصالح والذى تنطبق عليه الشروط. وقد ساهم فى نجاح العمل عدد من الشيوخ المعروفين مثل الشيخ حامد البيتاوى والأستاذ أحمد الحاج على فى نابلس والشيخان فضل صالح وإبراهيم أبو سالم فى منطقة رام الله حيث قاما بنشر الدعوة أيضاً فى القرى، بالإضافة إلى محاضرات الشيخ بسام جرار الفكرية المتميزة فى رام الله والبيرة.

وقد ظهر الاهتمام المبكر فى نشر الدعوة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة حيث أرسل الشيخ أحمد ياسين إلى هناك محمد أبو هانى سنة ١٩٧٠م لينشر الدعوة فى مدينة الناصرة، إلا أن هذا العمل قام بصورة مكثفة على أيدي شيوخ الضفة الغربية حامد البيتاوى ومحمد فؤاد أبو زيد وأحمد الحاج على.

كان الشيخ أحمد ياسين فارس هذه المرحلة، كما كان فيما بعد الفارس الأول لجميع المراحل فقد برع الشيخ فى استقطاب الفتيان والشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ - ٢٠ سنة وكون له قاعدتين دعويتين: الأولى فى مسجد الخيم الشمالى، والثانية فى مسجد العباس بحى الرمال فى مدينة غزة^(٢). وكانت الجلسات الأسبوعية بداية لتنظيم هؤلاء الشباب الذين سيحملون على عاتقهم مهمة العمل الإسلامى فى الجامعات المصرية وفى دول

(١) المرجع السابق، المخطوط، ص ٤.

(٢) خليل القوقا، مرجع سابق.

الغرب ، كما سوف يصبحون قادة حركة حماس داخل الأرض المحتلة ، ويشارك بعضهم في قيادتها في الخارج .

ومع التقيد بالعمل الدعوى في هذه المرحلة ، إلا أن إشارات ذات مغزى ، كانت تظهر أحياناً تكشف عن نوايا الإخوان وتطلعاتهم ، وفي مقدمتهم الشيخ ياسين الذي سمي ولده الأول «عائد» قبل حرب ٦٧ ، ولما توفي وجاءه الثاني سماه أيضاً عائد الذي توفي أيضاً ، وجاءت البنت الأولى ليسميتها عائدة ، هذه الإشارات تجلت في أوضح صورها عام ١٩٧٠م عندما أسندت سلطة الاحتلال قيادة قطاع غزة والمنطقة الجنوبية إلى الجنرال «شارون» الذي استخدم كل أساليب القمع والإرهاب للقضاء على العمل الفدائي في قطاع غزة والذي وصل إلى قمته في ذلك الوقت . . «حوصر مخيم الشاطئ للاجئين عدة أسابيع ، فوقف الشيخ أحمد ياسين على منبر مسجد العباس في خطبة الجمعة ليلهب حماس الناس ، وتخرج المظاهرة الحاشدة عقب الصلاة من المسجد إلى المخيم ، تتحدى جبروت الاحتلال ، وتطالب بكسر الطوق عن المخيم ، فيأمر الاحتلال بمنع الشيخ عن الخطابة»^(١) .

(ب) مرحلة العمل المؤسسي (١٩٧٦م - ١٩٨٢م) :

بدأ الإخوان المسلمون يدخلون مرحلة جديدة بعد اطمئنانهم لنجاح المرحلة السابقة ولو بصورة جزئية ، وقد ساعدهم على ذلك مواكبة هذه المرحلة للمد الإسلامي الذي أصبح ظاهرة عالمية بنجاح الثورة الإسلامية في إيران وبداية الجهاد الأفغاني وانتشار الجماعات الإسلامية في مصر وغيرها .

أنشأ الإخوان المسلمون مؤسساتهم الجماهيرية ابتداء من «المجمع الإسلامي» في غزة الذي تأسس عام ١٩٧٣م ، وحصل على ترخيص من السلطات الإسرائيلية عام ١٩٧٩م كجمعية عثمانية تقوم بالأعمال الخيرية^(٢) ثم أسسوا «الجمعية الإسلامية» عام ١٩٧٦م ، كما يمكن اعتبار «الجامعة الإسلامية» التي تأسست عام ١٩٧٨م واحدة من هذه المؤسسات ، كما حاول الإخوان اختراق المؤسسات الوطنية الأخرى ، بالإضافة إلى نشاط شبابهم البارز في الساحة الجامعية حيث تأسست الكتل الإسلامية في الجامعات ، وخاضت انتخاباتها وحصلت على نتائج متقدمة فاجأت الجميع بما فيهم الحركة الإسلامية نفسها ، كما لا ننسى أن هذه الفترة كانت المرحلة الذهبية لنشاط «الجامعة الإسلامية» داخل السجون والمعتقلات وقد تميزت هذه

(١) محمد حسن شمعة ، مرجع سابق .

(٢) (نشرة المجمع الإسلامي) ، غزة : مطبعة النصر ، بدون تاريخ .

المرحلة بالانتشار والتوسع في القاعدة التنظيمية وزيادة المؤيدين والأنصار، كما تميزت أيضاً بالاحتكاك والتنافس والصدام مع التيارات الأخرى.

وكانت أهم المؤسسات مؤسسة «المسجد» الذي يدير المنطقة، ففيه جماعة المسجد والمكتبة والأنشطة الرياضية ودروس تحفيظ القرآن ودروس الفقه ودروس النساء ولجنة الزكاة ومعرض الكتاب الإسلامي ودروس التقوية لطلاب المدارس والمسابقات الثقافية والاحتفالات الدينية وتنظيم الزيارات الجماعية للمسجد الأقصى المبارك، كما برزت في شهر رمضان ظاهرة الإفطارات الجماعية وظاهرة الاعتكافات التي عمت الكثير من مساجد الضفة الغربية وقطاع غزة. ولأهمية هذه المرحلة وأثرها الكبير فسوف نتوسع فيها ونناقشها في المبحث القادم.

(ج) مرحلة النفوذ السياسي واستكمال الأجهزة واختبار القوة (١٩٨٢م - ١٩٨٧م):

دخل الإخوان هذه المرحلة أكثر عدداً وأفضل تنظيمياً وأكثر قوة، كما استمرت أيضاً أعمال المرحلتين السابقتين والتي ساعدت بدورها في إنجاح أهداف هذه المرحلة، «كانت مرحلة غنية في حياة الدعوة.. وقد تميزت في التوسع في البناء التنظيمي واستكمال الإعداد الجدي وإنشاء أجهزة مختصة.. وأصبح للحركة ثقل سياسي واضح»^(١).

وقد تم في هذه المرحلة تطوير الهياكل التنظيمية وترسيخ العلاقة بين قطاع غزة والضفة الغربية كما كان من أهم مميزات المرحلة اختبارات القوة التي دخلتها الحركة بإرادتها أحياناً، ومضطرة أحياناً أخرى، «فكان لابد من اختبارات لسلامة الطريق والتثبت من متانة التنظيم عن طريق تسخين الجو بإعداد المظاهرات وإصدار البيانات والاشتباكات مع الجيش وجهاً لوجه»^(٢).

كما بدأت في هذه المرحلة الاستعدادات للعمل الجهادي المسلح بجمع السلاح وإجراء التدريبات مما أدى إلى اعتقال الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٤م ومعه مجموعة من قيادات الحركة، وضبط معهم أكثر من أربعين قطعة سلاح، كما تأسس الجهاز العسكري «المجاهدون الفلسطينيون» والجهاز الأمني «مجد».

(١) (حماس بين الحقيقة والوجود)، مرجع سابق، ص ٥-٦.

(٢) المرجع السابق.

المبحث الثانى المؤسسات والجامعات

المؤسسات:

(أ) المجمع الإسلامى فى غزة:

لقد أثبتت السنوات التى تلت تأسيس «المجمع الإسلامى» أن تلك الخطوة كانت عملية ثورية وتغييراً جوهرياً فى نمط التفكير لدى قيادة الإخوان المسلمين فى قطاع غزة، فلم يكن سهلاً الخروج من قوقعة الانعزال ومن الإحساس بتآمر جميع الأطراف على الإخوان بعد سنوات من الملاحقة والضعف والدعاية ضد الإخوان وأهدافهم، لقد كانت عملية جريئة أن يخرج الإخوان إلى الشارع، يخوضون العمل الشعبى والاجتماعى، ويتعاملون مع الناس جميعاً على اختلاف أفكارهم، لقد استفاد الإخوان من تجربة المجمع فائدة عظيمة «فقد وفر المجمع الذى تأسس بشكل قانونى نمطاً وشكلاً من أشكال الحماية لنشاطات جماعة الإخوان المسلمين فى القطاع، وأصبح الإخوان يمارسون كافة نشاطاتهم من خلال المجمع»^(١).

وقد تعددت نشاطات المجمع من تنظيم المحاضرات وإقامة المكتبات الإسلامية وإقامة المعرض السنوى للكتاب الإسلامى، وإعادة طبع بعض الكتب الإسلامية محلياً، وإنشاء رياض الأطفال التى تهتم بالتنشئة الإسلامية، كما تم إنشاء مدرسة تحفيظ القرآن عام ١٩٧٦م، وعقدت دورات تقوية فى المساجد للطلاب، وأسس المجمع لجنة لجمع الزكاة والصدقات، وأسس بجانبها صندوقاً لمساعدة الطالب الفقير فى إكمال دراسته داخل القطاع أو خارجه، كما قام بمساعدة طارئة للعائلات التى تتعرض لنكبات مثل نسف البيوت أو اعتقال العائل الوحيد للأسرة، كما اهتم المجمع بالعمل التطوعى وخصوصاً فى الإجازات الصيفية للطلاب من إقامة أسبوع للنظافة والمساهمة فى نشر الوعى الصحى ومساعدة الأسر التى تعرضت بيوتها للأضرار الجسيمة نتيجة المطر الشديد عام ١٩٨١م، مما ترك أثراً طيباً فى نفوس الناس، كما ركز المجمع على الخدمات الصحية وتقديم الأدوية بأسعار رمزية وأحياناً بالمجان وأسس عدة عيادات فى أنحاء القطاع، بل قام بإنشاء بنك الدم الذى قدم المساعدات للعديد من المرضى حيث يطلب من الشباب التبرع بدمائهم عند الحاجة، بالإضافة إلى ذلك كله اهتم المجمع

(١) زياد أبو عمرو (الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة)، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٤.

بالأنشطة الرياضية المختلفة كالسباحة وركوب الدراجات وألعاب القوى وألعاب الكرة، وكذلك بالنشاط الكشفي وتنظيم رحلات الشباب إلى داخل فلسطين لتعريفهم بوطنهم المغتصب، كما أقام المعسكرات الصيفية على شاطئ البحر، وأسس المجمع فرقة فنية لتنظيم حفلات الزواج غير المختلط وتقديم النشيد الإسلامي والمسرحية الهادفة، كما اهتم بالمرأة فأقام لها الدروس ومعارض النزي الإسلامي، وإنشاء عام ١٩٨٢م «مركز تأهيل الفتاة المسلمة» حيث تقام دورات الحياكة والتطريز^(١).

وقد اعتمد المجمع في تمويله على الهبات والتبرعات المالية أو العينية بالإضافة إلى الصدقات وأموال الزكاة من المحسنين داخل القطاع وخارجه سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات، يضاف إلى ذلك موارده الذاتية من اشتراكات الأعضاء أو أثمان الكتب والملابس والرسوم الرمزية في العيادات ورياض الأطفال.

أما عن أعضائه «فيتراوح عددهم بين ١٢٠٠ و ٢٠٠٠ عضو وذلك باختلاف المصادر»^(٢)، وما أن تحل السنوات الأولى من الثمانينيات حتى يصبح المجمع الإسلامي في غزة صرحاً مهماً له مؤيدوه وناقده من الاتجاهات السياسية الأخرى، ولقد ظل الناس يعرفون الحركة الإسلامية بـ «جماعة المجمع» إلى أن دخلت الانتفاضة وعلا نجم «حماس»، وكان قد ترأس المجمع الشيخ أحمد ياسين الذي اعتقل عام ١٩٨٤م، وخلفه الصيدلي إبراهيم اليازوري وكلاهما من مؤسسي «حماس» في ديسمبر ١٩٨٧م.

(ب) الجمعية الإسلامية في غزة:

«تأسست سنة ١٩٧٦م كجمعية خيرية من أجل تنمية الوعي الديني، وهي تشجع الطلاب على تلاوة القرآن وحفظه وتوزيع الأشرطة الدينية وأفلام الفيديو، وتدير مستوصفاً في مخيم الشاطئ وتمنح مساعدات مالية لحوالي ٦٠٠ عائلة فقيرة»^(٣) وإذا تصفحنا نشرات الجمعية الإسلامية نجدها تعمل على غرار المجمع الإسلامي من نشر الإسلام وخدمة المجتمع. وقد ترأس الجمعية الأستاذ خليل القوقا الذي تخرج من المعهد الديني في غزة ثم أكمل

(١) نشرة المجمع الإسلامي، ص ٤.

(٢) جان فرانسوا ليفران، (الإسلاميون الفلسطينيون)، إصدارم. ت. ف (مركز التخطيط)، تونس: ١٩٨٩م.

(٣) سعيد الغزالي، الحركة الإسلامية في مواجهة حركة التحرير الوطني: تعاون أم حالة حرب، (الفجر المقدسية ٦/ ٨/ ١٩٨٧م)، ص ٨.

دراسته الجامعية في جامعة بيروت العربية، وكان يعمل خطيباً للمسجد الشمالي ومدرساً في وكالة الغوث إلى أن صدر حكم عسكري بإبعاده في ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٧ م، ونفذ الحكم في ١١ / ٤ / ١٩٨٨ م على أساس أنه أحد قيادات حماس في غزة^(١).

(ج) الجامعة الإسلامية في غزة:

«نتيجة لتوقف قبول خريجي الثانوية العامة بالجامعات المصرية منذ عام ١٩٧٧ م واندفاع الكثير من الشباب إلى سوق العمل الصهيوني تحت ضغط الحاجة، قام بعض الرجال من قطاع غزة - بمساندة الحركة الإسلامية - بالتوجه إلى عمان والسعودية ودول الخليج ليروجوا لفكرة الجامعة ويجمعوا لها الأموال والدعم، وتعاون معهم بعض الشخصيات من أبناء القطاع في الخارج حيث تكونت هيئة المؤسسين للجامعة من أربعة وعشرين عضواً وأصبحت فيما بعد «هيئة المشرفين» على الجامعة^(٢) وقد تم افتتاح أول كليتين وهما الشريعة وأصول الدين في العام الجامعي ٧٨ / ١٩٧٩ م.

وقد اعتبر الجميع الجامعة الإسلامية واحدة من مؤسسات الإخوان المسلمين، لذلك خاض الإخوان المسلمون معارك وصراعات مريرة وطويلة مع كافة الاتجاهات السياسية من أجل الحفاظ على اسم الجامعة وطبيعتها، وقد شارك طلاب الجامعة في المواجهات والمظاهرات ولطالما حوصرت من الجيش الإسرائيلي حتى جاءت الانتفاضة ليكون للجامعة فيها دورها البارز ويسقط الشهداء من طلابها ويكثر المعتقلون.

(د) الجمعية الخيرية الإسلامية - الخليل:

وهي جمعية عريقة وموجودة في الخليل قبل وجود الاحتلال، حيث كان يديرها الإخوان المسلمون، وتقوم بالأنشطة الدعوية والخيرية، وكانت إدارتها من قيادات الإخوان في الخليل، وكان لها مستوصف طبي أغلقه اليهود في ٢ / ٥ / ١٩٨٠ م^(٣).

(هـ) جمعيات أخرى:

انتشرت الجمعيات الإسلامية في الضفة الغربية والقطاع، واتسعت أنشطتها، ومنها جمعية «الصلاح» في دير البلح، وبعض فروع جمعية الشبان المسلمين في الخليل والرام

(١) خليل القوقا، مرجع سابق.

(٢) (الجامعة الإسلامية - رسالة ومسيرة)، بدون تاريخ أو دار نشر، ص ٤.

(٣) مخطوط الخليل، مرجع سابق.

وغيرها، كما انتشرت لجان الزكاة في المدن والقرى والمخيمات. ومن بينها أيضاً «جمعية العلوم والثقافة» في القدس والتي كان أمين سرها الشيخ جميل حمامي «الذي زار الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف لجمع التبرعات من أجل شراء عقار في القدس لدار تحفيظ القرآن الكريم وكان للجمعية روضة أطفال ومدرسة ابتدائية...»^(١) وقد اعتقل الشيخ جميل حمامي عدة مرات بعد اندلاع الانتفاضة بتهمة قيادة حماس في الضفة الغربية والاتصال بالشيخ أحمد ياسين في غزة.

كما انتشرت دور القرآن الكريم في القطاع والضفة منذ أن بدأت عام ١٩٧٤م على يد الأستاذ شحادة ناجي حمدان بـ ٢٥ طالباً من مختلف المناطق يدرسون في ساحة المسجد الأقصى، حتى انتشرت عشرات الدور في كل المناطق، إلى أن أصبح العدد الإجمالي للطلاب يزيد عن أربعة آلاف طالب وطالبة^(٢).

الكتل الطلابية في الجامعات:

كانت الجامعات التي انتشرت في الأرض المحتلة منابر للاتجاهات الوطنية، حيث كانت الأماكن الوحيدة التي يستطيع الشباب أن يتجمع فيها بصورة قانونية، وكانت التيارات السياسية تجدد في الجامعات ساحة خصبة لنشر أفكارها واستقطاب الأنصار وتنظيم الأعضاء وتجلى ذلك في وجود الكتل الطلابية التي كانت إلى جانب نشاطها النقابي تهتم أكثر بالجانب السياسي والفكري نظراً لظروف الاحتلال.

وقد بلغ عدد الجامعات في الضفة الغربية وقطاع غزة ست جامعات: الجامعة الإسلامية في غزة وجامعة النجاح الوطنية في نابلس وجامعة بيرزيت في منطقة رام الله بالإضافة إلى جامعة الخليل وجامعة القدس وجامعة بيت لحم، يضاف إلى ذلك عدد من الكليات والمعاهد العالية والمتوسطة.

وقد نشط الطلاب الإسلاميون في الجامعات، وبرزت الكتلة الإسلامية منافساً قوياً للكتل الأخرى، «ففي عام ١٩٨١م أصبح ثمانية من عشرة معاهد تعليمية فوق الثانوية تحت سيطرة الإسلاميين»^(٣) وقد ظل طلاب الإخوان المسلمين يسيطرون على مجلس الطلبة في الجامعة

(١) جريدة الأنباء الكويتية، ١٠/٥/١٩٨٧م.

(٢) حسن يوسف داود، دور القرآن الكريم، (مخطوط)، مرجع الزهور ٧/٦/١٩٩٣م.

(٣) Sahliyah, Emile. IN Search of Ieadership, West Bank Politics since 1967. Washington

D.C. The brookings Institution, 1988. p. 126.

الإسلامية طيلة الوقت وكانت لهم الغلبة في أكثر الأحيان في جامعة الخليل والقدس وينافسون بقوة في بيرزيت، إلا أنهم كانوا أضعف في جامعة بيت لحم لطبيعة الجامعة التي تقع تحت السيطرة المسيحية.

وبالنسبة للإدارات الجامعية، ففيما عدا الجامعة الإسلامية في غزة، ظلت إدارات الجامعات الأخرى تقع تحت سيطرة الاتجاهات الأخرى، فجامعة بيت لحم لم يكن فيها تأثير إسلامي إطلاقاً فهي تقول بالكامل من الفاتيكان، أما في بيرزيت فقد ظلت مواقع الإدارة دائماً مع النصاري والعلمانيين، وفي جامعة النجاح الوطنية كانت الإدارة تحت هيمنة الحاج حكمت المصري الذي يستمد نفوذه من أمواله ونفوذه عائلته وعلاقاته مع السلطات الأردنية وقيادة فتح، وكذلك كان الحال أيضاً في جامعتي القدس والخليل حيث يختلط الولاء للأردن مع الولاء لـ (م. ت. ف).

وكانت أبرز الكتل الطلابية المتنافسة خمسة:

- ١- الاتحاد التقدمي للطلاب وهي مؤيدة للشيوعيين.
 - ٢- الجبهة التقدمية للعمل الطلابي وهي مؤيدة للجبهة الشعبية.
 - ٣- الوحدة الطلابية وهو مؤيدة للجبهة الديمقراطية.
 - ٤- حركة الشبيبة الطلابية وهي مؤيدة لحركة فتح.
 - ٥- الكتلة الإسلامية وهي مؤيدة للإخوان المسلمين.^(١)
- كان من أبرز سمات العمل الطلابي أن الكتل اليسارية وكتلة فتح التي كانت تتنافس بقوة فيما بينها تتحد جميعاً في مواجهة الكتلة الإسلامية، «أما في جامعة بيت لحم حيث الوجود الإسلامي لا يصل إلى حد المنافسة فإن الكتل الأربع لم تتحد أبداً»^(٢) وقد لوحظت هذه الظاهرة أيضاً خارج الساحات الطلابية في الانتخابات النقابية وغيرها.

(أ) الجامعة الإسلامية في غزة:

في أول عامين دراسيين لم يكن هناك وجود كتلي أو انتخابات طلابية، فقد تبلورت بشكل واضح سنة ١٩٨٠م وبرزت الكتلة الإسلامية كأقوى تجمع طلابي حيث فازت بجميع مقاعد مجلس الطلاب، وظلت تفوز بها جميعاً في كل الانتخابات بعد ذلك^(٣).

(١) Ibid .

(٢) Ibid .

(٣) إسماعيل هنية (أحد قادة حماس في غزة)، مخطوط.

وقد كان للجامعة مكانة هامة ، فهي الجامعة الوحيدة فى قطاع غزة الذى يغصّ بالسكان وبالطلاب ، وقد قامت الكتلة بنشاطات متعددة فى الاحتفالات والمهرجانات الدينية والوطنية وفى التنسيق مع الكتلة الإسلامية فى جامعات الضفة للرباط فى المسجد الأقصى المبارك بهدف مواجهة محاولات المنظمات اليهودية المتطرفة للاستيلاء على المسجد ، كما أسهم طلاب الجامعة فى المظاهرات ضد قوات الاحتلال وخاصة مظاهرات ١٩٨٢م التى سميت بـ «ثورة المساجد».

وقد تميزت علاقة الجامعة بالمجتمع حيث كان الطلاب دائماً يواجهون الدعوة إلى الجماهير لحضور احتفالات ومهرجانات الجامعة ، حيث يأتى الألوف من جميع أنحاء القطاع ، «مما جعل اليهود يضعون نقاط تفتيش فى الطرق المؤدية للجامعة ، وكانوا يعتقلون حافلات بكاملها أثناء مغادرة الحفل»^(١).

وقد امتدت علاقتها بالمجتمع إلى الضفة الغربية حيث قام أعضاء مجلس الطلاب عام ١٩٨٤م بزيارة الطالبات المتسمّيات فى «جنين» وقد تم اعتقالهم ، وحوكموا بالسجن لمدة ستة شهور ، وكان من بينهم «يحيى السنوار» الذى سيصبح فيما بعد قائداً لمنظمة «مجد» الذراع الأمنى للحركة والذى اعتقلته السلطات الصهيونية بعد أن حكمت عليه بالسجن عدة مؤبدات .

وقد قدم مجلس الطلاب المساعدات للمحتاجين فى القطاع ومن أبرزها التبرع بالدم ، كما قام شباب الكتلة ببناء بيوت كاملة بسواعدهم للأسر الفقيرة ، وأعادوا بناء بيوت تضررت من سيول الأمطار الغزيرة ، وشاركوا فى حملات قطف الزيتون فى رفح وجمع البرتقال فى بيت حانون وبيت لاهيا .

فلم يكن غريباً أن تقف معهم الجماهير عندما يواجهون الحصار من جنود الاحتلال ، ولعل أبرز مثل على ذلك ما حدث من مواجهات عنيفة عام ١٩٨٦م مع جنود الاحتلال حيث أطلق الجنود النيران ، وحاصروا الجامعة ، ومنعوا الطلاب من مغادرتها ، وحينما توجهت النداءات للجماهير عبر ميكرفونات المساجد ، هب الناس ولبوا نداء الكتلة وتحركوا بمسيرات حاشدة ومظاهرات عارمة تحاصر الجيش الذى يحاصر الجامعة ، وتشتبك الجماهير مع جيش الاحتلال مما يخفف الحصار عن الجامعة .

أما الصراعات داخل الجامعة مع التيارات الأخرى فى الجامعة الإسلامية وغيرها فإننا سنبحثها عند بحث العلاقات بين الحركة الإسلامية والتيارات الأخرى .

(١) المرجع السابق.

(ب) جامعة بيرزيت :

تأسست كمدرسة تبشيرية، عام ١٩٢٤م، ثم تطورت فيما بعد إلى كلية متوسطة ثم إلى جامعة تمنح درجة البكالوريوس، وأغلب مجلس أمنائها وإدارتها من المسيحيين، أما المدرسون فمعظمهم من النصارى أو الأجانب أو أصحاب الفكر الماركسى أو العلماني^(١). وكانت الحركة الطلابية في الجامعة تحت سيطرة الماركسيين من الشيوعيين أو الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية.

يقول أحد المؤسسين للكتلة الإسلامية في بيرزيت «إن معرضاً للكتاب أقيم في أواخر عام ١٩٧٨م، وكانت الكتب الإسلامية أكثر الكتب مبيعاً مما أعطى مؤشراً عن وجود قاعدة إسلامية في الجامعة، وفي أبريل عام ١٩٧٩م قررنا لأول مرة دخول الانتخابات بأربعة أسماء (عدد أعضاء المجلس في ذلك الوقت)، باسم «كتلة العمل الطلابي»، كان الآخرون متفرقين كعادتهم، ولم تنجح محاولات الإدارة في توحيدهم مما هيا فرصتنا في الفوز، ولكن الجامعة أغلقت لأول مرة بعد مظاهرات ضد الاحتلال، واستمر الإغلاق من ٢ / ٤ / ٧٩ إلى ١٥ / ٩ / ١٩٧٩م، في هذه الفترة استطاعت جميع الأطراف أن توحد صفوفها بما في ذلك شبيبة «فتح» التي كانت جديدة في الجامعة واعتمدت على شباب خرجوا من السجن وتم توجيههم إلى الجامعة، ولم يكتفوا بذلك بل غيروا الدستور حيث أصبح ينص على أن مجلس الطلاب يتكون من ٣٧ عضواً، وأصبح الأمر بالنسبة لنا صعباً، وجمعنا العدد بصعوبة، وواجهنا حملة من التشويه أهم بنودها النظرة المتخلفة للإسلام وموضع المرأة واتهام الإخوان أنهم خارجون على الوحدة الوطنية، وقامت أول انتخابات نشارك فيها وتحصل الكتلة على ٤٣٪ في مواجهة كل الفصائل، وفي انتخابات سنة ١٩٨٠م دخلت الكتلة باسمها الصريح وبعنصر أكثر انضباطاً وولاء^(٢)، «وحصلت على ٣٦٪ مقابل الكتلة الوطنية الموحدة»^(٣).

يقول الأستاذ بسام جرار: «أن يفوز الإسلاميون في انتخابات بيرزيت بنسبة ٤٢-٤٣٪ من مجموعة الأصوات فهذا نصر كبير ونسبة ضخمة إذا افترضنا أن نسبة النصارى ٣٠٪ في الجامعة وهي لا تقل عن ذلك أبداً، فتكون نسبة أصوات الكتلة الإسلامية ٤٢ / ٧٠ أى

(١) جامعة بيرزيت (مخطوط)، مرجع الزهور.

(١) جميل الدلو، مقابلة شخصية، هيوسن (أمريكا)، ٣ / ١٩٩٠م.

(٢) ربيع المدهون، (الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٢٨ - ١٩٨٧م)، شئون فلسطينية، العدد ١٨٧، أكتوبر ١٩٨٧م. ص ٣٦.

٦٠٪^(١)، وإذا وضعنا في الاعتبار أيضاً أن نسبة الطالبات المسلمات المتدينات في بيرزيت هي أقل منها في النجاح أو الخليل، لأن الأسر المحافظة لا تقبل عادة بإرسال بناتها إلى بيرزيت، فتكون بذلك الكتلة الإسلامية في بيرزيت هي أقوى الكتل حتى حينما حصلت في انتخابات ٨١ على نسبة ٣٦٪ من أصل ٧٠٪ فإنها حصلت على أكثر من نصف الأصوات.

لقد جاءت قوة الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت والجامعات الأخرى لعوامل أهمها:

١- انتشار الصحوة الإسلامية.

٢- صدى الثورة الإسلامية في إيران.

٣- التحدي السياسي من فصائل (م. ت. ف).

ويضاف إلى تلك العوامل عاملان لعبا دوراً مهماً في جامعة بيرزيت على وجه الخصوص، هما:

١- التحدي الأخلاقي: فقد كان العصرنة والحفلات المختلطة وسفور معظم الطالبات يمثل استفزازاً للطلاب الإسلاميين يشجعهم على مواصلة العمل.

٢- التحدي العقائدي: فمناهج التعليم في بيرزيت مضادة للتعاليم الإسلامية، «فالمواد الثقافية المقررة على كل التخصصات كان يدرسها حوالي أحد عشر مدرساً لا يوجد منهم إسلامي واحد، وكان مدرس الدراسات الإسلامية إما يساري أو حامل دكتوراه في اللاهوت»^(٢).

قام طلاب الكتلة الإسلامية بنشاطات واضحة، ففي عام ١٩٨٠م أقاموا احتفال المولد النبوي في القاعة الكبيرة للجامعة لأول مرة في تاريخها، وقد تجاوب معهم الإخوان في كل مكان فأرسلوا حافلات بالجمهور من غزة والضفة وفلسطين المحتلة، وكانت محاضرة الأربعاء في مسجد بيرزيت بعد صلاة المغرب معلماً إسلامياً رئيسياً حيث يحاضر الشيخ فضل صالح في الجانب الإيماني، ويحاضر الشيخ بسام جرار في الجانب الفكري^(٣).

كما بدأت الكتلة عملية التنسيق مع الكتل الإسلامية الأخرى في جامعة النجاح والخليل وبيت لحم لإنشاء اتحاد طلابي إسلامي عام، وعقد الاجتماع الأول في المسجد الأقصى المبارك تحت اسم «المؤتمر الأول لاتحاد الطلبة المسلمين في فلسطين» عام ١٩٨١م^(٤).

(١) الأستاذ بسام جرار، مقابلة شخصية، مرج الزهور، ٨/٦/١٩٩٣م.

(٢) المرجع السابق وجامعة بيرزيت، مرجع سابق.

(٣) جميل الدلو، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق.

(ج) جامعة النجاح الوطنية :

هي جامعة أهلية في مدينة نابلس، أنشئت كمدرسة عام ١٩٨١م، ثم تحولت إلى معهد عال متوسط، حتى عام ١٩٧٧م حيث اتخذ القرار بتحويلها إلى جامعة مع بقاء معهدها يعمل بالنظام القديم^(١). تكون مجلس أمنائها من ١٨ شخصية من الأرض المحتلة، منهم شخصيتان إسلاميتان والباقيون يلتزمون بصورة أو بأخرى بمنظمة التحرير الفلسطينية أو ارتباطاتهم العائلية، ويرأس المجلس السيد حكمت المصري نائب رئيس مجلس الأعيان الأردني سابقاً والمعروف بعلاقاته القوية بالأردن ومنظمة التحرير أيضاً فيما بعد.

أما بالنسبة للكتل الطلابية فكانت الكتل الثلاث الرئيسية هي: الكتلة الإسلامية وكتلة الشبيبة وكتلة اليسار بكل فئاته وهي أضعف الكتل^(٢)، بدأ نشاط الكتل الطلابية منذ العام الدراسي الثاني، ٧٨ / ١٩٧٩م، حيث برزت كتلتا «فتح» واليسار، وكان الإسلاميون قليلي العدد، تجمع بينهم صلاة الظهر في أحد أروقة الجامعة، تبلورت منهم مجموعة تطالب بإنشاء الكتلة الإسلامية، وكان أول عمل لها المطالبة بوجود مصلى في الجامعة، وكانت هذه المطالبة صراعاً أدى إلى تنامي الشعور الإسلامي، وانتهت بالحصول على غرفة صغيرة للصلاة، وكانت بمثابة مقر الكتلة، وانطلق العمل منذ يناير ١٩٧٩م بصلاة الجماعة والأذان ودرس المسجد ولوحة الحائط، وتحرك نفر من الشباب الإسلامي وأصحاب الفطرة السليمة من شباب القرى وخاضوا الانتخابات باسم «الكتلة المستقلة»، وقد نزلت الكتل الأخرى منفصلة، وكانت المفاجأة أن فازت الكتلة بعشرة مقاعد من أحد عشر مقعداً.

وفي انتخابات عام ٨٠ / ١٩٨١م فازت «الكتلة الطلابية الموحدة» بستة مقاعد بينما فازت «الكتلة الإسلامية المستقلة» بخمسة مقاعد، مما أتاح الفرصة للإسلاميين في العمل المشترك والتعرف على الآخرين، وفي انتخابات عام ٨١ / ١٩٨٢م شعرت كتلة الشبيبة - فتح - بالثقة فلم تتوحد مع الكتل اليسارية الأخرى ونزلت منفردة باسم «كتلة الزيتون»، بينما نزل الإسلاميون لأول مرة باسمهم الصريح «الكتلة الإسلامية»، وكانت النتيجة أن اكتسحت الكتلة الإسلامية جميع مقاعد المجلس الأحد عشر، وفي انتخابات ٨٢ / ٨٣ توحدت الفصائل الوطنية واستفادت من مشاعر التعاطف بسبب اجتياح لبنان، حيث حصلت الكتلة الإسلامية على أدنى نسبة لها حتى الآن، ٣٨٪^(٣).

(١) جامعة النجاح الوطنية، مرجع سابق.

(٢) جمال منصور، مقابلة شخصية، مرجع الزهور، ٩ / ٦ / ١٩٩٣م.

(٣) جامعة النجاح الوطنية، مرجع سابق.

قامت الكتلة بنشاطات واضحة حيث احتفالاتها بالحشد الكبير، كما كان لها معرضها الدائم للكتاب والقرطاسية ولها فرقها الرياضية وصيامها وإفطارها الجماعي وأعمالها الطوعية في موسم قطاف الزيتون. كما كان لها حضورها الدائم في الأنشطة المناهضة للاحتلال، واعتقل الكثيرون من أعضائها وجرح آخرون، وكان أبرز إسهام لها تلك المواجهات العنيفة مع المستوطنين عام ١٩٨٦م داخل مدينة نابلس. ولا ننسى هنا أن الكتلة أصدرت مجلة إسلامية شهرية سياسية متميزة «المنطلق» والتي صدرت لمدة ١٨ شهراً حيث أصبحت مرجعاً سياسياً لمواقف الحركة الإسلامية.

المبحث الثالث

تجربة السجون - الجماعة الإسلامية

تجربة السجون تجربة غنية في حياة الحركة الوطنية الفلسطينية، اكتسبت منها الخبرة بالعدو وأساليبه، وتعرفت فيها على كثير من الأخطاء ومواطن الخلل في عملها، كانت السجون مدرسة نضالية، يدخلها الشاب غرضاً بسيطاً في كثير من الأحيان، ويخرج منها ناضجاً مثقفاً صلباً، نتيجة لتبادل التجربة والخبرات، وللمناقشات الفكرية والسياسية داخل التنظيم الواحد أو بين التنظيمات التي تختلف في أفكارها أو أساليب عملها. بدأت السجون تغص بالرجال والشباب الذين رفضوا الاحتلال منذ بدايته، وقاوموه بالمنشور السياسي والمظاهرات والإضرابات أو بالقنبلة والكلاشنكوف، وكان نزلاء السجون واحداً من أربعة:

أولئك الذين ينتمون إلى حركة «فتح»، ثم الذين ينتمون إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قبل أن تصبح جبهتين في عام ١٩٦٩م، بالإضافة إلى الوطنيين الذي يعتقلون ويحاكمون لمواقفهم الوطنية أو امتلاكهم السلاح، وهناك فريق رابع من الذين يعتقلون من الشوارع إثر كل عملية عسكرية أو أولئك الذين يشتبه بهم، وغيرهم الذين يدخلون الأرض المحتلة للعمل بدون تصاريح.

وكان هناك تنظيم لعب دوراً مهماً في قطاع غزة، وقد تخصص بالعمل العسكري واعتقل منه الكثيرون، هو «قوات التحرير الشعبية» التي تشكلت من بقايا جيش التحرير الفلسطيني أو الذين تدربوا على السلاح بإشراف الجيش قبل هزيمة ١٩٦٧م، وقد قاموا

بعمليات عديدة وناجحة أوجعت جيش الاحتلال ، وقد حوكم الكثيرون منهم ، ونقلوا إلى سجون الداخل : المجدل ، بيت ليد ، الرملة ، وبير السبع الذى أنشئ فيما بعد .

كانت المنافسة الشديدة داخل السجون تجرى بين «فتح» والجبهة الشعبية ، كانت سباقاً شديداً وأحياناً عنيفاً ، على استقطاب المعتقلين المحايدين الذين لا ينتمون لأى تنظيم ، كما كانت المنافسة فكرياً ، خاصة أنه وبعد وقت قصير أعلن في الأردن عن حل قوات التحرير الفلسطينية ، بل وأكثر من ذلك وصلت المنافسة إلى حد محاولة كل تنظيم استقطاب عناصر من داخل التنظيم الآخر .

كانت عناصر الجبهة الشعبية أكثر نشاطاً ، كانوا يستغلون ما يتمتعون به من ثقافة سياسية وقدرة على الإقناع ، بالإضافة إلى انتشار الأفكار الماركسية فى ذلك الوقت بصورة سريعة بين الشباب الذى فقد الأمل ووجد عزاءه وقودته فى جيفارا وكاسترو وهوشى منه ، أما عناصر فتح فقد كانت تستغل كثرتها وقيادتها لمنظمة التحرير واستقلاليتها عن القوى العربية والدولية وتمثيلها للأمال الفلسطينية فى مواجهة العدوان الصهيونى والظلم العربى والدولى ، بالإضافة إلى إمكانياتها المادية وبطولات رجالاتها وكثرة عملياتها فى استقطاب الشباب .

كان السجناء يعدون النشرات ويديرون النقاش والحوار ، ولكن بصورة محدودة فقد كانت ظروف السجن يومها أكثر قسوة ، ولم يتمتع السجناء بأية حقوق إلا بعد صراع طويل ومرير وإضرابات عن الطعام وتضحيات قدمها الكثيرون ، فمنهم من استشهد ، ومنهم من أصيب بعاهة ظلت تلازمه .. كانت مطالب المضربين دائماً تتراوح بين تحسين المعاملة وتحسين صور المعيشة وطلب النظافة والصابون والملابس وزيادة كمية الطعام وزيارة الأهل للسجن ، بالإضافة إلى طلب الكتب والدفاتر والصحف وسماع الأخبار .. ولم يتقدم المضربون أبداً بطلبات تخص الصلاة أو الأذان أو وجبات شهر رمضان أو غيرها مما يحمل دلالات دينية ، فالإسلام كفكرة والتزام ومنهج سياسى لم يكن موجوداً فى السجن ، فالحركة الإسلامية لم تدخل السجون مدة ثلاثة عشر عاماً من عمر الاحتلال ، فقد كانت فى طور إعادة البناء ونشر الدعوة ، كما أنها قررت عدم القيام بأى عمل عسكري فى بداية الاحتلال لانعدام شروط نجاحه .

لكن الإسلام - عقيدة الأمة والمحبوة فى وعيها ، وطريقها إذا سدت فى وجهها كل الطرق - خرج من السجن نفسه ومن داخل التنظيمات الوطنية والعلمانية وفصائل (م. ت. ف) ،

فتأسست «الجماعة الإسلامية» في السجون على أيد رجال لم يكونوا في يوم من الأيام على صلة بالحركة الإسلامية، «فتأسست الجماعة الإسلامية في سجن المجدل غرفة رقم ١٦ في القسم (د) سنة ١٩٧٢م»^(١).

كانت القاعدة الأساسية التي تكونت عليها «الجماعة الإسلامية» هي عناصر قوات التحرير الشعبية التي حلت نفسها في الخارج، وانقسم أفرادها في السجن، فمنهم من دخل «فتح» ومنهم من دخل الجبهة الشعبية، والكثيرون منهم كانوا أساس الجماعة الإسلامية، بالإضافة إلى عدد جاء للجماعة من «فتح» أو من القيادة العامة أو من الجبهة الشعبية.

كان «جبر على عمار» ضابطاً في جيش التحرير الفلسطيني، دخل إلى قطاع غزة في بدايات الاحتلال متسللاً عن طريق البحر ليقود قوات التحرير الشعبية هناك، كان جبر عمار مخلصاً صادقاً متحمساً، أضيف إلى مشاعره الوطنية أنه عاش يتيماً في كفالة جدته بعد أن قتل اليهود أباه وهو طفل^(٢)، كان يحمل همة عالية وشخصية قوية وعزيمة بالإضافة إلى فطرة صافية نقية، انهمك جبر عمار في دراسة الكتب الإسلامية وخاصة تفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب حتى تمكنت أفكار سيد قطب من قلبه وعقله، وبدأ معه مجموعة من المعتقلين يدعو إلى الإسلام كمنقذ وتكونت «الجماعة الإسلامية».

خاضت الجماعة «صراعاً لإثبات وجودها، صراعاً مع إدارة السجن وصراعاً آخر مع فصائل (م. ت. ف) وقويت الجماعة وانتشرت في بقية السجون، قامت الجماعة ومنذ إنشائها سنة ١٩٧٢م بالإضراب عن الطعام مع أفراد الفصائل الأخرى احتجاجاً على سوء المعاملة والضرب والشتيم والفضين العمل الإجباري داخل السجن... وقد حضر وزير الشرطة الإسرائيلي إلى السجن واجتمع مع جبر لأنه أعلى رتبة عسكرية داخل السجن، واستجاب الوزير لأكثر مطالب المضربين»^(٣).

كما قامت الجماعة منفردة بإضراب سنة ١٩٧٣م للمطالبة بالسماح للأذان في السجن وإعفاء اللحي وغير ذلك من المطالب الدينية، وقد استجابت الإدارة بعد أن استمر الإضراب عشرين يوماً، كما شاركت الجماعة في أكبر إضراب عرفته السجون والذي بدأ في ١١/١٢/١٩٧٦م وانتهى في ٢٤/١/١٩٧٧م وفيه تشكلت لجنة للإشراف على الإضراب

(١) أبو العز القترى (من مؤسسي الجماعة الإسلامية)، مقابلة شخصية، مرج الزهور ٩/٦/١٩٩٣م.

(٢) جبر على عمار (أمير الجماعة)، مقابلة شخصية، الخرطوم: ٧/١١/١٩٩١م.

(٣) أبو العز القترى وآخرون، الجماعة الإسلامية في السجون، (مخطوط) مرج الزهور.

من مهدي بسيسو عن فتح ، وعبدالله العجرمي عن الشعبية، وجبر عمار عن الجماعة الإسلامية ورابع عن الجبهة الديمقراطية، كما شاركت الجماعة في إضراب عام ١٩٨٥م، الذي شمل معظم السجون، واستجابت الإدارة إلى مطالب السجناء بإدخال الراديو والتلفزيون والساعات والملابس الرياضية^(١).

وكان أبرز أعمال الجماعة دورها في عملية «الجليل» لتبادل الأسرى التي تمت بين السلطات المحتلة والجبهة الشعبية - القيادة العامة، فحافظ الدلقموني أحد أمراء الجماعة في السجون والذي حرر في تبادل سابق «عملية النورس» كان عضواً مسئولاً في لجنة التبادل مع الجبهة الشعبية - القيادة العامة، وكان الشيخ محمد أبو طير مشرفاً على اللجان داخل السجون، وكان أكثر أعضاء اللجان داخل السجون ممن ينتمون إلى الجماعة الإسلامية.

وتنجح أكبر وأفضل عملية للتبادل، حيث تحرر أكثر من ألف معتقل من حكم عليهم بالمؤبدات والسنوات الطويلة، ويخرج كثير من المحررين لأول مرة إلى الأرض المحتلة، ومن بينهم الشيخ أحمد ياسين الذي لم يكمل سنة من الحكم الصادر ضده، ومن بينهم أيضاً الشاب محمد نصار الذي دخل السجن بتهمة «فتح»، وتركها داخل السجن لينضم إلى الجماعة الإسلامية، ثم يلتقى داخل السجن بالشيخ أحمد ياسين ليصبح واحداً من أخلص تلامذته ومريديه، ويتفق مع الشيخ على العمل العسكري، ليكون بعد ذلك أول فرسان حماس وينفذ أخطر وأجراً وأول عملية عسكرية باختطاف جندي إسرائيلي بكامل أسلحته، ثم بعد شهور قليلة ينفذ عملية أخرى مماثلة.

ظلت «الجماعة الإسلامية» ترفع راية الإسلام الجهادي والسياسي داخل السجون حتى عام ١٩٨٠م حينما جاء إلى السجون أعضاء أسرة «الجهاد» المرتبطون بالإخوان المسلمين داخل فلسطين المحتلة بقيادة الشيخ «عبدالله نمر درويش» وهناك «استقبل هؤلاء كأبطال من قبل آلاف العرب المحكومين بأعمال «تخريبية» ضد إسرائيل.. ولقد أصبحت الجماعة الإسلامية القوة المسيطرة في سجنى المجدل والرملة من قبل وصول أسرة الجهاد»^(٢).

وفي نوفمبر ١٩٨٣م تم اعتقال أفراد من الجهاد الإسلامي التابعين للشيخ أسعد التميمي، وفي أكتوبر من نفس العام سبقهم «شباب الإسلام الثوري» التابعين لفتحى الشقافى^(٣)، ثم

(١) المرجع السابق.

(٢) توماس ماير، (صحوة المسلمين في إسرائيل) ترجمة عبدالفتاح زحالقة، الناصرة: المطبعة الشعبية، ١٩٩٨م، ص ٣٧.

(٣) أبو العز القترى وآخرون، مرجع سابق.

جاء اعتقال المجموعة القيادية للإخوان المسلمين بتهمة حيازة الأسلحة والعمل على تدمير إسرائيل عام ١٩٨٤م وكان على رأسهم الشيخ أحمد ياسين.

وضعت الجماعة الإسلامية لنفسها نظاماً وهيكلًا متقدماً، فقد حددت شروط العضوية وانتخبت مجلساً للشورى يرأسه الأمير صاحب أعلى الأصوات في انتخابات سرية، «ويتقاسم أعضاء مجلس الشورى وهم من خمسة إلى سبعة أعضاء مسؤوليات الأمن والمالية والثقافة وتمثيل الجماعة أمام الإدارة والفصائل الأخرى والقضاء وغير ذلك. كما يعين مجلس الشورى أميراً لكل غرفة، وتحدد مدة المجلس بستة شهور، أما الأمير فلا يتم تغييره إلا إذا انتقل من السجن، وقد تم انتخاب جبر عمار أميراً عاماً للجماعة الإسلامية في السجون الإسرائيلية»^(١).

ومع ذلك فقد عانت الجماعة الإسلامية داخل السجن من نقاط ضعف أساسية مما أدى إلى تفككها ثم نهايتها سنة ١٩٨٨م، كانت الجماعة وليدة السجون، ولم تستطع أن تغادر السجن، فليس لها امتداد تنظيمي خارج السجن لا في الأرض المحتلة ولا خارجها، فهي كانت تشبع حاجات أعضائها داخل السجن كرد على الفكر العلماني وكإطار يجمع الثائين أو الراجعين إلى الله، لكن لم يظهر لها أفق واستراتيجية محددة وخطة عمل تفيد في استمرارية الانتماء داخل السجن أو خارجه، وسرعان ما دخلت إلى صفوفها أفكار التيارات الإسلامية الأخرى، وآثار فكر التكفير وآثار التيار السلفي، لكن الذي عصف بالجماعة كان وصول فكر الإخوان المسلمين وحركة الجهاد الإسلامي إلى صفوفها، لم يكن أمراء الجماعة قد حددوا وجهتهم فسرت الأفكار الأخرى «وانقسمت الجماعة إلى جماعتين: واحدة تميل للإخوان وأخرى للجهاد»^(٢).

ونتيجة لخروج قادة الجماعة في عمليات التبادل ووصول أعضاء الجهاد الإسلامي - الشقاقى إلى السجون قبل الإخوان المسلمين، فقد سيطر الجهاد على الجماعة من عام ٨٥ إلى ١٩٨٨م، ثم كثر المعتقلون من الإخوان المسلمين بعد إعلان حركة «حماس»، وتقاسم الجهاد وحماس الجماعة الإسلامية منذ ١٩٨٨م، حيث انتهت «الجماعة الإسلامية» في السجون.

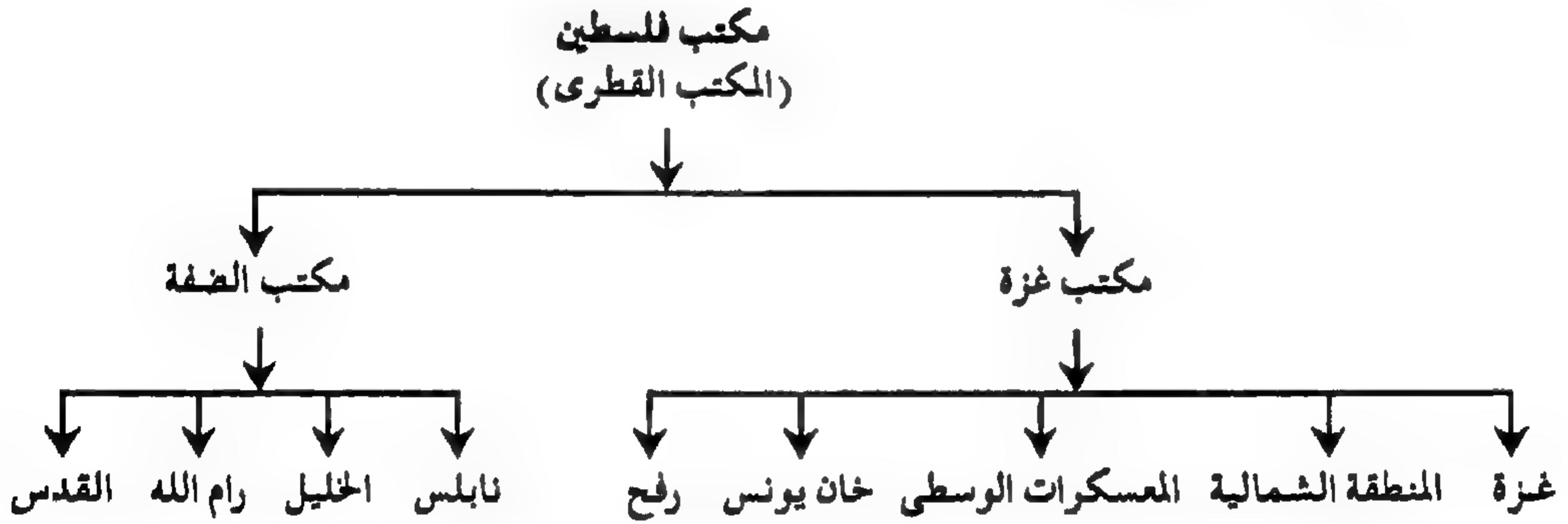
(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

المبحث الرابع الهيكل التنظيمي واستكمال الأجهزة

على الرغم من اندماج الإخوان في قطاع غزة والضفة الغربية مع الأردن تحت لواء تنظيمي واحد كما يروي زياد أبو عمرو عن يوسف العظم أحد قيادات الإخوان في الأردن^(١)، فقد ظل الإخوان في قطاع غزة والضفة الغربية يعملون حسب ما تقتضيه ظروفهم، ولم يتم تمثيلهم في مجالس الإخوان في الأردن أو في الجهاز العام لفلسطين فيما بعد، وكانت لهم خططهم وطموحاتهم التي يعملون لها باستقلال تام، اللهم إلا بعض التشاور في بعض الأحيان، وكانوا يحتفظون دائماً بمشاعر الود لإخوانهم في الخارج الذين يمدونهم بالأموال التي يجمعونها من التبرعات أو عن طريق نفوذهم في المؤسسات الخيرية في الكويت والسعودية ودول الخليج والتي تصب في دعم المؤسسات التي أنشأها الإخوان في جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة، ولعل صلتهم بالإخوان الفلسطينيين في أمريكا وأوروبا كانت أفضل بسبب سهولة الاتصالات الهاتفية ولوجود عدد من طلاب الأرض المحتلة يدرسون في الجامعات الأمريكية والأوروبية.

الهيكل التنظيمي:



مكتب فلسطين: حيث كان يعقد اجتماعاً شهرياً يحضره ممثلان عن كل منطقة وكان ممثلاً غزة يلتقيان مع ممثلين عن نابلس والخليل ورام الله والقدس، فلم يكن في بداية الأمر مكتب الضفة قد مد نفوذه وإشرافه على مكاتب مدن الضفة الغربية، كما لم يكن هناك مجلس شورى عام يمثل غزة والضفة معاً، بل لم يكن هناك مجلس شورى عام لمنطقة الضفة الغربية،

(١) زيادة أبو عمرو، مرجع سابق، ص ٢٨.

بل كانت كل منطقة من مناطق الضفة الغربية تنتخب لها مجلساً للشورى وهيئة إدارية، أما في منطقة قطاع غزة فقد كان هناك مجلس شورى عام يمثل محل مناطق القطاع وكذلك مكتب إدارى يشرف على قيادة الحركة^(١).

مكتب غزة: قسّم الإخوان قطاع غزة إلى سبع مناطق هي رفح وخان يونس والمنطقة الوسطى والمنطقة الشمالية بالإضافة إلى مدينة غزة التى قسمت إلى ثلاث مناطق، تنتخب كل واحد منها «مجلس شورى المنطقة»، ثم يقوم مجلس الشورى بانتخاب الهيئة الإدارية، أما «مجلس الشورى العام لقطاع غزة» فإن كل منطقة تأخذ حصتها فيه وفقاً لعدد المنتظمين فيها، بمعدل عضو واحد عن كل خمسين أخاً، ويقوم كل مجلس شورى محلى بانتخاب تمثليه فى مجلس الشورى العام والذي يقوم بدوره بانتخاب المجلس التنفيذى (مكتب القطاع) المكوّن من سبعة أفراد على أساس أن كل منطقة يمثلها عضو واحد^(٢). ويوزع أعضاء الهيئة الإدارية لكل منطقة فيما بينهم مهام العمل ما بين مسئول تربوى ومسئول مالى ومسئول عن الطلاب... إلخ.

مكتب الضفة: كان فى الضفة الغربية عدة مكاتب فى المدن مثل مكتب نابلس ومكتب الخليل وغيرها، وتقسم كل منها إلى مناطق حسب حجمها والقرى التابعة لها، فمثلاً قسمت نابلس إلى أربع مناطق هي: المدينة الشرقية - المدينة الغربية - القرى الشرقية - القرى الغربية، وكانت كل منطقة تنتخب مجلس الشورى المحلى والهيئة الإدارية، ثم ينتخب مجلس الشورى العام لنابلس أو الخليل أو القدس أو غيرها وينتخب مجلس الشورى العام المجلس التنفيذى^(٣). وبدخول الانتفاضة وانهماك الإخوان المسلمين فى فعاليتها باسم حركة «حماس»، تغيرت هذه الهياكل، ونشأت هياكل جديدة، وظلت تتغير وتتطور كلما ازدادت أعباء العمل، أو كلما وقعت حملة اعتقالات جديدة.

الأجهزة

لقد اتضح فيما بعد أن الشيخ أحمد ياسين وقيادات الإخوان فى قطاع غزة كانوا قد خطوا خطوات مهمة فى تأسيس أجهزة سرية خاصة، استعداداً لتصعيد نشاطاتهم فى مواجهة الاحتلال، فقد قاموا بتأسيس جناحين سريين الأول منهما عسكري باسم «المجاهدون الفلسطينيون» والثانى أمنى باسم جهاز «المجد» وظلت هذه الأجهزة سرّاً مدفوناً لا تعلم به

(١) قيادات منطقة نابلس، مرجع سابق ومحمد حسن شمة، مرجع سابق.

(٢) محمد حسن شمة، مرجع سابق.

(٣) قيادات منطقة نابلس، مرجع سابق.

السلطات العسكرية المحتلة، كما أن الباحث لم يجد إشارة واحدة لا في اللقاءات ولا في تحقيقات السجون تدل على أن الإخوان في الضفة أو الأردن أو الخارج كانوا يعلمون بذلك، إلى أن انكشف الأمر في تحقيقات السجون بعد حملة الاعتقالات التي جرت في مايو ١٩٨٩م، وتم التحقيق مرة أخرى مع بعض أعضاء هذه الأجهزة السرية الذين كانوا في السجون بسبب تهم أخرى أقل خطورة.

(أ) الجهاز العسكري - المجاهدون الفلسطينيون:

أسس الشيخ أحمد ياسين هذا الجهاز عام ١٩٨٢م بهدف جمع السلاح والتدريب عليه والقيام بأعمال عسكرية ضد جنود الاحتلال، وبعد انكشاف أمر الأسلحة واعتقال الشيخ أحمد ياسين وعدد محدود جداً من قيادات الحركة عام ١٩٨٤م، توقف عمل الجهاز إلى أن خرج الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٥م بعد عملية تبادل الأسرى ليعيد بناء الجهاز على أسس جديدة، ولعل اعتقال الشيخ وعدد قليل معه من القيادات وتوقف الأمر عند هذا الحد، حيث ظل التنظيم محافظاً على هيكله وأمنه ووجوده، يدل على درجة السرية الكبيرة التي عومل فيها هذا الجهاز، لذلك جاء في بعض المصادر الإخوانية نفسها أن الجهاز تأسس عام ١٩٨٥م^(١)، وجاء في بعضها الآخر أنه تأسس عام ١٩٨٦م مستنديين على لوائح الاتهام رقم ٨٩ / ١١٥ الموجهة ضد صلاح شحادة الذي كان قائد الجهاز عند دخول الانتفاضة^(٢). لكن الأقرب إلى الصحة أن الجهاز تأسس عام ١٩٨٢م بدليل اعتقالات ١٩٨٤م وبدليل آخر وهو ما جاء في البند الرابع من الاتهامات الموجهة للشيخ أحمد ياسين في المحكمة العسكرية المنعقدة في غزة «أن المتهم المذكور في المنطقة ومنذ بداية عام ١٩٨٢م أسس تنظيم المجاهدين الفلسطينيين، وفي سنة ١٩٨٧م سوية مع صلاح شحادة أعاد بناءه من جديد^(٣)»، وقد قام الجهاز بعدة عمليات طعن وإطلاق نار قبل الانتفاضة لم يعلن عنها^(٤).

(ب) الجهاز الأمني «منظمة الجهاد والدعوة»:

تتفق المصادر^(٥) على أنه تأسس عام ١٩٨٦م ذلك الذي عرف باسم «مجد» الحروف

(١) (دراسة عن حماس)، (مخطوط)، إصدار معتقلي حماس في سجن غزة المركزي، ص ٢.

(٢) (حماس بين الحقيقة والوجود)، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٣) لائحة الاتهام الموجهة للشيخ أحمد ياسين، ملف المحكمة رقم ٨٩ / ١١٥٢٥.

(٤) لوائح الاتهام إلى الشيخ أحمد ياسين، صلاح شحادة، محمد الشرايحة.

(٥) لوائح الاتهام، مرجع سابق ومخطوطات السجون و(ف.خ) أحد أعضاء الجهاز، مقابلة شخصية (مرج الزهور) في ٦ / ٦ / ١٩٩٣م.

الأولى من منظمة الجهاد والدعوة، حيث قام بتأسيسه أيضاً الشيخ أحمد ياسين نفسه، وأوكل مهمة قيادته إلى يحيى السنوار من خان يونس.

كان «مجد» بمثابة جهاز استخبارات وردع وكانت أهدافه ما يلي: (١)

- ١- حماية صفوف الحركة من الاختراق سواء من قبل العدو أو التنظيمات الأخرى.
 - ٢- رصد تحركات العدو العسكرية والمدنية والوجود الاستيطاني.
 - ٣- جمع معلومات عن ظواهر الفساد في المجتمع من خلال المشبوهين أو تجار المخدرات والصوص وبيوت الدعارة والفساد.
 - ٤- نشر الوعي الأمني العام داخل المجتمع عن طريق إصدار النشرات توضح فيها أساليب العدو.
 - ٥- التحقيق مع العملاء وتأديبهم أو تصفيتهم.
- وقد تبين فيما بعد أن الجهاز قام بتنفيذ بعض الأعمال قبل دخول الانتفاضة مثل قتل عملاء خطرين أو مهاجمة أماكن مشبوهة.

المبحث الخامس

مقارنة بين العمل في الداخل والعمل في الخارج «ملاحظة ختامية»

بعد دراستنا لتجربة الإخوان المسلمين في العشرين سنة الأولى من عمر الاحتلال في كل من الأرض المحتلة وخارجها، نستطيع أن نقول إن معظم الظروف والمؤثرات والعوامل جعلت الحركة في داخل الأرض المحتلة أكثر نضجاً وقوة وتأثيراً وتماسكاً.

لقد توفرت للحركة في الداخل عوامل حُرمت منها الحركة في الخارج، فقد ولدت وكبرت في تربتها وعلى أرضها، فلم يكن لها ارتباط بمشاكل خارجية ولا التزامات إدارية مع آخرين اللهم إلا المشورة وتلقي الأموال، لكنها تدير عملها باستقلال حسب وضعها هي مع تحديات الاحتلال والتيارات المنافسة، وقد كانت المعاناة والمكابدة والاحتكاك مع الآخرين والصراع معهم على الجامعة في الانتخابات الطلابية والنقابية ومواجهة الحملات الضارية والاتهامات العنيفة بالإضافة إلى مواجهة الاحتلال والاشتراك في المظاهرات، كان كل ذلك تجربة غنية

(١) (حماس بين الحقيقة والوجود) مرجع سابق، ص ص ٢٠ - ٢١.

واختبارات قوة ودوافع لتصحيح المسار وتقوية الصف، ثم تجربة السجون في السنوات الأخيرة التي سبقت الانتفاضة، كل هذه الأشياء لم تتوفر للحركة الإسلامية في الخارج التي لم تعرف معاناة ولا صراعاً ولا سجوناً.

أصبح الإخوان المسلمون في الأرض المحتلة رقماً سياسياً مهماً ينافس فصائل (م.ت.ف) على الشارع وال جماهير والجامعات والنقابات ويفوزون مرة ويفوز مرة ويحتدم الصراع بينهم ويصل إلى حد الاعتداء الجسدي المتبادل، أما الإخوان الفلسطينيون في الخارج فلا يسمع بهم أحد ولا أثر لهم إطلاقاً في الخريطة السياسية الفلسطينية في الخارج، ولا في مداولات الفصائل داخل (م.ت.ف) أو خارجها، حتى أنه وبعد الانتفاضة حينما اضطرت قيادة (م.ت.ف) أو بعض الفصائل فيما بعد أن تجلس مع الإخوان المسلمين في الخارج، بفعل قوة الإخوان في الداخل، لم تكن تعرف طريقها إلى الإخوان، وذهب ياسر عرفات يتباحث مع الإخوان في مصر مرة وفي الكويت مرة أخرى، وفي كل مرة يسأل أين الإخوان الفلسطينيون، وكانت قيادات «فتح» تبحث في ذاكرتها عن رجال الإخوان الذين كانوا زملاءهم قبل ثلاثين سنة وهم لا يعرفون هل بقي هؤلاء في الإخوان، وإذا بقي أحدهم داخل الإخوان فهل له صلة بقيادتهم؟

لقد أعطت تجربة الداخل والعمل في المؤسسات للإخوان المسلمين قيادات ورموزاً شعبية قوية كان لها الأثر الكبير في قيادة الشارع وقيادة الحركة ودفع مسيرة «حماس» فيما بعد، وبينما لم يتهياً ذلك للإخوان خارج الأرض المحتلة حيث لم يبرز لهم رمز واحد.

وكان عمل الأجهزة في الداخل، العسكرية والأمنية إضافة أخرى لتجربة الأرض المحتلة، وهذه الأجهزة وإن وجد مثيلها في الخارج قبل الانتفاضة إلا أن وجودها كان نظرياً دون أن يلامس الخطر كما في الأرض المحتلة، كما أن خطة العمل الفلسطيني كما قلنا في السابق كانت طويلة المدى حيث افترضت عشر سنوات للإعداد والتجهيز.

هكذا كانت قيادات الإخوان المسلمين الفلسطينيين في الخارج ممن فوجئوا باشتراك الإخوان في الانتفاضة وإنشاء حركة «حماس»، وظلوا عدة أسابيع يستبعدون ذلك، إلى أن جاءت الأخبار والبيانات والرسائل، وعندها تبنى الإخوان الانتفاضة وبدأوا يوزعون أخبارها على الأسر التنظيمية؛ نشط خطبائهم في المساجد في تأييد الانتفاضة وجمع التبرعات.

تجربة المؤسسات وآثارها:

كان الاتجاه إلى عمل المؤسسات الشعبية والعامة مفيداً للحركة الإسلامية بصورة كبيرة، مكّنها من التطور وتراكم الخبرات والاحتكاك بال جماهير والعمل من أجلها ومن ثم كسبها واستقطاب جزء مهم منها، كما جعلها بمنأى عن كثير من المشاكل والأمراض التي تفتك بالتنظيمات المعزولة الجامدة، ولعل أفضل ما يوضح هذه المسألة هي نظرية الشيخ أحمد ياسين في الماء الجاري والماء الراكد حيث كان يقول: «نحن حركة إما أن نكون كالماء الراكد يجمدنا الخوف ولا نتحرك بحجة المحافظة على أمن التنظيم، وحينها نتعرض كالماء للعفن والأمراض، وإما أن نتحرك كالماء الجاري والمتجدد فنتطور وننتشر». كان يرد الشيخ على أصوات محافظة تتذرع بالمحافظة على سلامة الدعوة بينما رأى الشيخ أن سلامة الدعوة في حركتها وظهورها^(١)، وقد استفادت الحركة الإسلامية من هذه التجربة على المستويين التنظيمي الداخلي وعلى المستوى الخارجي.

٩- على المستوى التنظيمي الداخلي:

أعطى العمل الشعبي عن طريق المؤسسات، فرصة ذهبية للتنظيم للاحتكاك بالناس والتعرف عليهم واختيار العناصر الملائمة وإعدادها وتهيئتها، مما يسر على التنظيم زيادة أعضائه كماً وكيفاً. كما وفر هذا العمل المؤسسي الإمكانية للعناصر القيادية وذات الكفاءة أن تجد لها أدواراً فعالة تكشف عن بعض قدراتها ومواهبها، كما تساعد على تطويرها، بالإضافة إلى أن العمل الشعبي نفسه ساعد على إبراز قيادات جديدة وأتاح لها الفرصة للمشاركة المناسبة وأصبح المجال مفتوحاً لكل أصحاب المواهب والطاقات والقدرات القيادية أن تجد لها دوراً.

كما وفر هذا العمل أيضاً إحساساً بالرضا لدى العاملين، فهم يعملون لتحقيق أهداف مرحلية ملموسة يعلمونها، ورغم العقبات والمشاكل يشعرون بالانتصار لتحقيق هذه الأهداف أو بعضها، ومن ثم يسعون لتحقيق أهداف جديدة.

بينما نرى في التنظيمات المنعزلة والتي لا تملك مؤسساتها الشعبية ولا تحتك بال جماهير ولا تنهمك في العمل العام نموذجاً لما سماه الشيخ أحمد ياسين « بالماء الراكد » حيث تنتج عنه الأمراض الكثيرة، فالتنظيمات الإخوانية الفلسطينية التي يعد الواحد منها بالمشات في

(١) محمد حسن شمة، مرجع سابق.

بعض الساحات لا تجد سوى البرامج التربوية فى الغرف المغلقة والتي ترضى رغبات المنتظمين الجدد لسنة أو سنوات قليلة لتعرفهم على الجديد، ثم يبدأ القادمون الجدد بالتساؤل: وماذا بعد؟ وتبدأ المطالبة بالعمل والحركة من القواعد، لكن القيادة التي لا تملك سوى البرنامج الداخلى تحاول فى أحسن الأحوال أن تضيف إلى المنهج الثقافى شيئاً جديداً أو تكثر من تنظيم الرحلات الجماعية ودروس الصبر والابتلاء وتآمر الدنيا على المسلمين.

وتبرز مشكلة «الفتور» التي تعاني منها كل التنظيمات الراكدة، ويبدأ التنظيم فى دراسة هذه الظاهرة وأسبابها ومظاهرها وعلاجها، لكن دون جدوى، وتبدأ معظم العناصر الجديدة تتعايش مع الوضع التنظيمى والفكرى والتربوى، وتصبح كمأ مضافاً إلى المجموع التي رضيت بهذا المجتمع الجديد من اللقاء على الطاعات والعلاقات الأخوية الخاصة والتكافل الاجتماعى والإحساس بالرضا، واللقاء الأسبوعى على منهج دينى وفكرى مكرر لا يحسن التعامل معه فى معظم الأحوال، يساعد على ذلك كله ما يتصف به الإخوان المسلمون من صفات التعاون والتزاور والطاعة للقيادة والولاء للجماعة.

والكثير من الشباب الطموح المتفتح الموهوب والمخلص ينجذب للحركة الإسلامية، لما تمثله فى خاطره من حل شامل لمشكلات الإنسان والمجتمع والعالم كله، يتحول أكثرهم فى سنوات قليلة إلى أدوات طيعة لا تتحرك ولا تبادر إلا بالأوامر التنظيمية، أما القليل منهم الذين يحافظون على حماسهم وطموحهم يصبحون واحداً من أربعة:

- إما يجهرن دائماً بما يحلمون به، ويطالبون بالعمل والحركة وغير ذلك، وتكون النتيجة أن يوصفوا بالتطرف أو عدم التوازن أو الغرور وحب القيادة وحظ النفس أو أنهم يجيدون الكلام ولا يقومون بأعمالهم، فهم إما ينسحبون من التنظيم أو يتم تهميشهم وعزلهم جانباً.

- والنوع الثانى يتعايش مع الواقع دون التخلّى عن حماسه وطموحه ومطالبه مستخدماً أسلوب التصحيح من الداخل وبالوسائل المعقولة غير المرفوضة، مبرراً لنفسه أن جماعته مع كل ما فيها هى أفضل الجماعات، وأن الخروج منها خسارة، والدخول فى غيرها خسارة أكبر.

- أما النوع الثالث فإنه يفقد الانتماء الحقيقى للجماعة فى نفسه وأحاسيسه، ويظل انتماءه شكلياً فى المشاركة ببعض الأنشطة ودفع الاشتراكات وحضور اللقاءات والمجاملات التنظيمية، يربطه بالكثير من الإخوان مصاهرة أو عمل أو صداقة، ومجتمع الإخوان مجتمع مريح من حيث الأخلاق والتعاون والعلاقات.

- أما النوع الأخير، وهم قليل، فهو كلما رأى سلبيات يزداد مدحه للتنظيم، وكلما رأى تجاوزاً أو قسوة من القيادة ازداد تقرباً لها، يكون أكثر الناس طاعة، لكن داخله يمتلئ بالنقد الذى لا يُطلع عليه أحداً، إلا فى أضيق الحدود أو للتقرب إلى قيادى يختلف مع قيادى آخر، فتمضى السنوات القليلة ليصل إلى أعلى الدرجات دون استحقاق.

فى التنظيم الساكن المنعزل عن المجتمع وقضاياه لا تجد جموع الشباب مجالاً للتعبير عن ذاتها لا فى برامج الحركة ولا فى هياكلها، فيكثر القيل والقال وينشغل الناس بأنفسهم، أما فى التنظيم الذى ينطلق فى العمل العام، ويقىم المؤسسات ويتفاعل مع المجتمع وقياداته السياسية والاجتماعية، عملاً وبناءً وخصومة وتنافساً وعداءً - كما فى الأرض المحتلة - فلا يكون الفتور مشكلة، وتصبح المشكلة أن الأعمال أكثر من الأوقات، ولا تصبح المواهب مشكلة، لأن مشكلة الحركة حينذاك ستكون قلة الطاقات والعناصر القيادية اللازمة لتلبية حاجات الحركة فى قيادات المناطق والمؤسسات والنقابات والكتل الطلابية وغير ذلك.

وهكذا كان الخروج للعمل العام وبناء المؤسسات نعمة على الصف التنظيمى الداخلى، ومحركاً له فى اتجاه التطوير واستفزاز الطاقات وأصبح مجلس إدارة مؤسسة أو جمعية أو كتلة طلابية أو لجنة زكاة أو غير ذلك يجد لنفسه برنامجاً حافلاً وأهدافاً متعددة ورضا نفس فى أنه يقدم خدمة لدينه ووطنه وشعبه وحركته. لقد كان التنظيم أحياناً - فى التنظيمات الجامدة - لا يستطيع ولا يريد استيعاب بعض العناصر ذات المكانة الاجتماعية أو النقابية، لكن العمل الشعبى والمؤسسات الجماهيرية أوجدت لكل النوعيات مكانها.

٢- على المستوى الخارجى:

كان أهم ما فى العمل المؤسسى أنه جعل الحركة الإسلامية جزءاً مهماً من الشعب يتفاعل معها وتتفاعل معه، بدلاً من أن تكون طائفة منعزلة، صورتها فى أذهان الناس مشوشة، ترسمها حكايات وأقلام الخصوم أو المعادين، وأصبح الناس يعرفون الجماعة بالجمع والجمعية والجامعة، وأصبحت الجماهير حرة فى موقفها من الحركة الذى تبنيه بناء على ممارسات الحركة الظاهرة والمعروفة، وكان على الحركة أن تقدم للناس نفسها بالصورة الحسنة الجميلة، التى تتفق مع مبادئها، بالخدمات الخيرية، والتعليمية، بالرجال المحترمين ذوى السمعة الحسنة، بالطبيب المتدين الذى يخدم الناس ويقدم الخدمات الطبية مجاناً إلى الفقراء، بإمام المسجد الذى يتابع أبناء منطقته ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم، بالوجه الاجتماعى الذى يصلح بين

المتخصصين، بالسياسي الذي لا يهادن المحتلين ويقاوم مهما كانت التكاليف، بالشباب الخلق المتفاني في خدمة المنطقة، بالمحسنين الذين يقدمون الأموال للمحتاجين، بالطلاب المتفوقين، بالصيدلي، بالتاجر، بالمدرس، بالمعتقل.

ولم يعد رجال الحركة وقياداتها يخضعون للمعايير الداخلية الخاصة في التقويم فقط، وإنما أضيفت إليها معايير مهمة وحاسمة، وهي حكم المجتمع ورأي المجتمع، لقد ولت المرحلة التي كانت فيها قيادات الحركة في التنظيم الجامد لها كلمتها النافذة واحترامها داخل التنظيم، وقد تكون داخل المجتمع شخصيات عادية لا يؤبه لها، وقد لا تستطيع التأثير حتى في البيت أو مجال العمل.

وفي التنظيمات الجامدة تؤول القيادة إلى أشخاص حسب سابقتهن التنظيمية أو علاقاتهم الودية مع أعضاء التنظيم وهدوء طبيعهم وغير ذلك.. أما في زمن المؤسسات، في زمن العمل العام والخروج إلى الجماهير، فإن الرموز والقيادات تفرض نفسها في المجتمع على الجماهير وحتى على التنظيم، رموز وقيادات تأخذ مكانتها حسب نشاطها وحماستها وجرأتها وصدقها يتابعها المجتمع ويراقبها فيما أن يفرضها أو يرفضها.

في الماضي لم يكن للحركة الإسلامية رموز شعبية وسياسية، لذلك كان الخصوم هم الذين يختارون رموزاً كثيراً ما تكون كاريكاتيرية وسيئة التعبير عن الحركة، وهي إما لا تمت للحركة بصلة، أو أنها قطعت صلتها بالحركة منذ سنوات، أو أنها لا تزال داخل الحركة دونها مسئولية، لكن لم يكن باستطاعة الحركة أبداً مواجهة مثل هذه الادعاءات، فمن الذي سيعلم أن هؤلاء لا يمثلون الإخوان؟ لأنه سيكون مضطراً للإجابة على السؤال الأكثر صعوبة: ومن هم قادة الإخوان؟ وهذا لم يكن ممكناً في فترات الركود والجمود والعزلة، وبوجود المؤسسات والعمل الشعبي أصبحت الجماهير رقيباً على نشاط الحركة وعلى رموزها، تؤيد وتعارض، تتحفظ وتهاجم، ترفع وتخفض، مما ساهم في تسديد العمل، وأصبح النقد والذي يتعذر كثيراً في أغلب الساحات الإخوانية، أصبح متاحاً بصورة مجانية لأنه يجري على ألسنة الناس في المسجد والحارة والمدرسة والجامعة والبيت.

وقد أفاد هذا العمل الحركة الإسلامية داخل الأرض المحتلة بصورة أخرى مهمة، فقد أتاح للحركة فرصة التعرف والاحتكاك بالتيارات السياسية الأخرى ومعرفة أساليبها وأفكارها والرد عليها، كما أتاح للآخرين وبمرور الزمن التعرف بصورة أفضل على الحركة الإسلامية، فقد كان كل من الطرفين قد كوّن صورة عن الآخر رسمها بنفسه وحسب خلفياته الفكرية

وليست صور الآخر الحقيقية، مما جعل الحركة الإسلامية مستقبلاً قادرة على التعامل مع الآخرين : فمن الخصومة والاقتتال الدامى والتجريح المتبادل إلى إمكانيات اللقاء والحوار، بل والتحالف .

وهكذا تدخل الحركة الإسلامية داخل الأرض المحتلة مرحلة الانتفاضة وهى تملك مقومات القوة والاستمرار، بنضج تنظيمى، والتفاف جماهيرى، وقيادات مجربة، ورموز شعبية وسياسية ناجحة، وشباب وأعضاء تم اختبار صلابتهم وولائهم فى مناسبات كثيرة، ومؤسسات تخدم الحركة، وسلامة الصف التنظيمى الداخلى، وزعماء صنعتهم التجربة كالشيخ أحمد ياسين والدكتور عبدالعزيز الرنتيسى وغيرهما كثير، بينما يدخل الإخوان الفلسطينيون فى الخارج مرحلة الانتفاضة وهم غير مستعدين لها، غير مناسبين لها، اللهم سوى تشكيلات الجهاز العام لفلسطين وقسم فلسطين الذى لم تختبر أعماله تحت ضوء الشمس، بل ظلت حبيسة الغرف المغلقة ●

الفصل الثالث

العلاقات مع القوى الأخرى .

اتسمت علاقة الإخوان المسلمين بجميع القوى السياسية والدينية - منذ بروز الحركة في أواسط السبعينيات وحتى اندلاع الانتفاضة في أواخر ١٩٨٧م - بالعداء والتناحر والتشويه المتبادل والذي بلغ إلى حد الاقتتال والضرب، وكان الاختلاف الفكري والمنهجي في التعامل مع القضايا المطروحة واحداً من أهم أسباب ذلك العداء: فالإخوان المسلمون لهم رأيهم الخاص في القضية الفلسطينية، وفي أسباب التعامل معها، والإعداد لخوض معركتها، وتحقيق الأهداف الكاملة من إنهاء الدولة اليهودية وتأسيس الدولة الإسلامية في فلسطين، وهم لا يكتفون قناعتهم بفشل وعجز وأحياناً تأمر القوى الأخرى، بينما لجّد القوى الوطنية الفلسطينية بشقيها العلماني واليساري، وقد واجهت الإحباط نتيجة للمآسي المتكررة التي واجهتها، وآخرها الخروج من لبنان، ترى رأياً مختلفاً بصورة كلية، فحواه أنه لا بد من التعامل مع الواقع والانخراط في العملية السلمية وما تجرّه من مفاوضات وصلاح، وكانت خلال ذلك تطرح تساؤلاتها حول الإخوان المسلمين الذين يريدون تحرير كل فلسطين، ولا يحملون السلاح، ولم يشاركوا قط في الكفاح المسلح. وكانت حركة الجهاد الإسلامي بما مثلته من شق إسلامي للحركة الوطنية، تعلن عن اختلافها مع الإخوان المسلمين في فهم حقيقة الصراع، وتعلن رفضها لأساليب الإخوان وطريقة الإعداد وتأجيل المشاركة المسلحة في مواجهة الاحتلال.

وكان الصراع على النفوذ في الجامعات والمؤسسات سبباً مهماً ثانياً من أسباب ذلك العداء، مع ما يولده من الشك المتبادل وافتراض كل طرف سوء النية لدى الطرف الآخر، حيث كان يرى فيه عدواً يريد أن يزيحه نهائياً من الساحة.

يضاف إلى ذلك سبب مهم ثالث وهو الصورة المشوهة التي يحملها كل طرف عن الآخر، فكل فريق يعرف الفريق الآخر من خلال خلفيات وقناعات سياسية كونها في داخله عن الآخر، لا يستند أكثرها إلى المعرفة والتجربة والموضوعية، حتى أن كل طرف حرم الطرف الآخر من الوطنية، وكثرت الشائعات والالتهامات، حتى الاحتلال الذي يستهدف الجميع ويلاحق الجميع ويضرب الجميع، لم يشكل عاملاً للوحدة والتحالف أو على الأقل لتناسي

الخلافات أو تأجيلها، بل إن المعتقلات فيما بعد والتي جمعت بين أبطال الانتفاضة من جميع الأطراف لم تمنع الصراعات وحوادث الاقتتال والضرب داخل السجون تحت مرأى ومسمع العدو، والذي كان بلا شك يعمل لإشعال الصراع كلما هدأ.

المبحث الأول العلاقة مع المنظمات اليسارية

الخلافات الفكرية:

لم يوجد في تلك الفترة ما يجمع بين الإخوان المسلمين الذين يعتنقون الإسلام ويعملون به وله حسب فهمهم، وبين التنظيمات اليسارية التي اعتنقت الفكر الماركسي اللينيني الذي يتعارض كلية مع مبادئ الإسلام، بل ويعادى كل منهما الآخر.

كان الإخوان المسلمون يأخذون على فتح عدم تبنيها النهج الإسلامي، يأخذون عليها تحالفها مع اليسار الذي يعمل لتغيير وجه منظمة التحرير ووجهتها، ومع ذلك ومع شعور الكثيرين من قيادة فتح وقيادة الإخوان بإمكانيات التقارب بينهما، إلا أن هذا لم يحدث إلا في حالات نادرة وقصيرة العمر، أما علاقة الإخوان بالتنظيمات الماركسية كالحزب الشيوعي والجهة الشعبية والجهة الديمقراطية، فلم تعرف تقارباً أو لقاءً أو حواراً.

يتهم الإخوان المسلمون الشيوعيين بالكفر، ويعيدون إلى الأذهان مواقف الشيوعيين المؤيدة لقيام «دولة إسرائيل»، ويصرّحون في خطبهم ونشراتهم أن التخلص من هذا الفكر الإلحادي ومن معتنقيه لابد أن يسبق التخلص من الكيان الصهيوني، بل هو شرط من شروط عودة الشعب إلى دينه وعقيدته التي لن ينتصر بدونهما.

أما الشيوعيون والماركسيون فيتهمون الإخوان بالرجعية والتخلف والعمالة وشق الصف الوطني، ويجيرون صحفهم وأقلامهم في الداخل والخارج للهجوم على الإخوان المسلمين، ومثال ذلك ما كتبه مجلة يسارية عربية^(١) تحت عنوان «الإخوان في الداخل: ممارسات مشبوهة ودعم متعدد الجهات»، كما نشرت في نفس العدد بياناً باسم المؤسسات الوطنية في الداخل تحت عنوان «جماهير الداخل ومؤسساتها الوطنية تستنكر ممارسات عصابة الإخوان».

(١) مجلة (الطلعة) الكويتية، عدد ٧٩٩ في ٢٩/٦/١٩٨٣ م.

وفى بيان صادر عن «جبهة العمل الطلابي» المؤيدة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فى جامعة بيرزيت، وبعد أن رفض البيان حجج الإخوان فى عدم التحالف مع (م. ت. ف) مع أنهم يدخلون برلمانات الأردن ومصر يقول: «أليس كل هذا دليل على عمق ارتباط هذه الجماعة المستسلمة والخائنة بأنظمة الخيانة العربية وتوثيقها برباط التبعية للمخابرات الإمبريالية»^(١).

وتقول صحيفة يسارية أخرى: «لقد رفعت جماعة الإخوان المسلمين رايتها ضد (م. ت. ف) بتغذية مباشرة من الأنظمة الرجعية العربية وخاصة السعودية ومصر والأردن وبعض دول الخليج العربى، وتتواطؤ من قبل سلطات الاحتلال، حيث مارس هذا الاتجاه عملية تخريب منهجية منظمة بلغت ذروتها فى بعض الأوقات عبر الاعتداءات المباشرة على المؤسسات والشخصيات الوطنية»^(٢).

انتخابات الهلال الأحمر الفلسطينى:

كانت انتخابات الهلال لسنة ١٩٧٩م أول مواجهة عملية وديمقراطية يشارك فيها الإخوان ضد الشيوعيين، كما كانت أول محاولة تحالف بين الإخوان و«فتح» ولعلها الأخيرة، حيث اندلع الصراع سريعاً عام ١٩٨٠م بين «فتح» والإخوان المسلمين على الجامعة الإسلامية فى غزة. جاءت مبادرة التحالف من حركة «فتح» على يد واحد من أهم رجالها فى قطاع غزة، حيث اتصل بالإخوان أسعد السقطاوى أحد مؤسسى «فتح»، والذي كان عضواً فى جماعة الإخوان المسلمين فى النصف الأول من الخمسينيات، «أخبرهم أنه ينسق معهم بناء على طلب من ياسر عرفات نفسه، فليس من المعقول أن يظل الهلال الأحمر تحت سيطرة الشيوعيين»^(٣).

كان الشيوعيون ولا زالوا يسيطرون على الهلال، يستخدمونه كمقر لهم ولأنشطتهم الأدبية والثقافية، وكان ولا يزال يرأس مجلس إدارته الدكتور حيدر عبدالشافى الذى رأس الوفد الفلسطينى المفاوض فى مدريد وواشنطن فيما بعد.

(١) زهاد أبو عمرو، (الحركة الإسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩م، ص ٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٠ - ٧١.

(٣) محمد حسن شمة، مرجع سابق.

اتفق الإخوان المسلمون و«فتح» على قائمة مشتركة تضم بالإضافة إليهم عدداً من المستقلين في مقابل القائمة اليسارية المشكلة من تحالف الشيوعيين والجهتين الشعبوية والديمقراطية، وكان يقوم بالتنسيق من جانب الإخوان كل من إبراهيم اليازوري ومحمد حسن شمعة، ومن جانب «فتح» أسعد السفطاوى^(١)، تنافست القائمتان على واحد وعشرين مقعداً، حصل اليساريون منها على سبعة عشر بينما حصل تحالف «فتح» والإخوان على أربعة مقاعد فقط احتلها كل من: «إبراهيم اليازوري مرشح الإخوان الوحيد وأسعد السفطاوى من «فتح» ووفاء الصايغ، بعثى، وسامى أبو شعبان، مستقل»^(٢).

كانت هذه أول المشاكل، فالإسلاميون و«فتح» لم يقبلوا بالنتيجة واعتبروها مزورة، ويؤكد الدكتور محمود الزهار - أحد أبرز قادة حماس - أن التزوير لم يحدث في الصناديق، فقد كان هو عضواً في اللجنة الانتخابية التي كانت نزيهة، لكن التزوير جاء حينما كان رئيس مجلس قروى جباليا يجلس خارج القاعة ومعه بطاقات عضوية وختم الهلال يعطيها لأنصار الكتلة اليسارية الذين جاءوا دون أن يكونوا أعضاء^(٣). انتبه الإسلاميون وبدأوا التسجيل في عضوية الهلال استعداداً للجولة القادمة، التي لم تحدث أبداً، حيث عطلت الإدارة أية محاولة انتخابات جديدة، وظل مجلس ١٩٧٩م هو الذى يدير الهلال حتى الآن^(٤).

الصدام:

كان حادث الهجوم على مقر الهلال الأحمر في مدينة غزة وإشعال النار فيه، الذى قام به الإخوان المسلمون ومناصروهم في مساء ٧ / ١ / ١٩٨٠م، أول حادث عنف يحمل مدلولاً سياسياً، وقد كانت له آثاره الكثيرة على مجمل العلاقات بين الإخوان من جهة والقوى السياسية الأخرى من جهة ثانية.

جاءت الأحداث نتيجة الصراع على إسلامية الجامعة، كانت القوى السياسية الأخرى تريد لها جامعة علمانية، وتحالفت قوى اليسار مع «فتح» ومع بعض الشخصيات العامة، وأثمرت جهودهم وضغوطهم دعوة لاجتماع مجلس أمناء الجامعة، وطلب من الشيخ محمد

(١) المرجع السابق.

(٢) د. محمود الزهار (أحد قادة حماس في غزة)، مقابلة شخصية في (مرج الزهور)، ٣٠ / ٦ / ١٩٩٣م.

(٣) المرجع السابق، (لم يكن الزهار في ذلك الوقت عضواً في جماعة الإخوان المسلمين).

(٤) المرجع السابق.

عواد رئيس المجلس أن يستقيل، لإعادة تكوين المجلس، وقف الإخوان المسلمون مع الشيخ محمد عواد، وظل الطلاب معتمدين في الجامعة إلى أن أجبروا المجلس أن يعلن سحب استقالة الشيخ بعد غروب الشمس، كان الشباب متحمسين للدفاع عن إسلامية الجامعة، يطلقون الهتافات ويرددون الأناشيد الإسلامية ويستمعون إلى الخطب الحماسية، وثارت في نفوسهم عداوة الشيوعيين «المتآمرين على الإسلام»، وكانت لاتزال آثار انتخابات الهلال في نفوسهم واتهامهم للشيوعيين بالتزوير، فبدأت الدعوة إلى مهاجمة «مقر الأوثان» و«منبع الكفر والشر والفساد». وقام القادة الميدانيون من الشباب بدور كبير في تهيج المشاعر الهائجة أصلاً وانطلقت المظاهرة الحاشدة باتجاه مقر الهلال الأحمر وأشعلت النار فيه وأتلفت محتوياته، وعُرج البعض على دور السينما وأماكن اللهو بغرض «تغطية الهجوم على الهلال»^(١) أو بسبب من المشاعر الدينية الهائجة.

استغل الشيوعيون وكل خصوم الإخوان المسلمين هذا الحادث استغلالاً كبيراً، وكانوا يملكون وسائل إعلام كثيرة ومتعددة، بالإضافة إلى خبرتهم في العمل السياسي، وبدأت الحملة الإعلامية في الداخل والخارج تتهم رجال «المجمع» بالإرهاب، وبدأت تتوافد إلى مقر الهلال الأحمر وفود المتعاطفين من الضفة الغربية ومن فلسطين المحتلة بالإضافة إلى القطاع، وبدأ الشيوعيون يعرضون المصاحف المحروقة التي كانت في مقر الهلال^(٢).

يقول أحد قادة الإخوان المسلمين في قطاع غزة: «لقد وقعنا في الحرج، ولا ندرى كيف نخرج من الورطة، ليس لنا تجربة، وبدأت عناصرنا وقياداتنا تنكشف بسبب التقدم لعضوية الهلال والاشتراك في الانتخابات ثم الصراع مع الشيوعيين»^(٣). والحقيقة أن هناك كثيرين من الإخوان المسلمين فيما بعد رأوا في ذلك فائدة وخبرة للحركة، فهذه الحادثة - في اعتقادهم - وصدمات بعدها في الجامعات، أعطت الإخوان المسلمين مهابة ومكانة، وأصبح الجميع يعمل لهم ألف حساب^(٤).

أما الدكتور حيدر عبدالشافى فقد أجاب إجابة ذكية حينما نسب العمل إلى المخابرات الإسرائيلية^(٥)، فهو من جهة يظهر حرصه على الوحدة، كما أنه لا يريد أن يصبح الصراع

(١) محمد حسن شمة، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) كثير من الإخوان تحدثوا مع الباحث بهذا الخصوص.

(٥) جريدة (الفجر) المقدسية، ٧/١٠/١٩٨٠.

بين الدين والشيوعيين، فيكونوا هم الخاسرين، بالإضافة إلى أن ذلك اتهام للطرف الآخر بخدمة الأهداف الصهيونية.

وتذكر مصادر التيار الوطني أنه في ١٩ / ٢ / ١٩٨٤م هاجمت عناصر إسلامية عدداً من الطلاب في جامعة النجاح الوطنية في نابلس أثناء احتفال أقاموه بمناسبة الذكرى الثانية لتأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني كما تم في سبتمبر من العام ذاته اختطاف إمام مسجد مخيم «الدهيشة» بسبب خطبة ألقاها^(١)، وحدثت صدامات عديدة - سنتناولها في المبحث القادم - شاركت فيها التيارات اليسارية إلى جانب عناصر حركة «فتح».

كما جرت حوادث عنف من يونيو إلى أكتوبر عام ١٩٨٦م بين الإخوان المسلمين والجهة الشعبية لتحرير فلسطين، تقول مصادر الإخوان المسلمين^(٢) أن الاستفزازات بدأت من بنات الجهة، وتلخصت بالتهجم على إدارة الجامعة وتجاوز القوانين الجامعية بترتيب حفلات واستدعاء شخصيات من خارج الجامعة دون إذن، وقد تزعمت هذه الحركة طالبة من «بيت حانون» تم طردها من الجامعة بعد التحقيق معها، فقامت زميلاتها ومعهن نساء من خارج الجامعة بمظاهرات واعتصامات كانت نتيجتها أن طُردن من الجامعة، وقامت عناصر من الجهة الشعبية رداً على ذلك بضرب طالبة إسلامية من جباليا بسكين في وجهها، تصاعدت الأحداث حيث قام شباب الكتلة الإسلامية في الجامعة بمحاصرة طلاب الجهة وملاحقتهم وضربهم، وخرج الصراع من الجامعة حيث هاجمت عناصر من الجهة الدكتور إبراهيم اليازوري، وقام نفر من شباب الإخوان بمهاجمة الدكتور رباح مهنا في غزة حيث نقل إلى المستشفى للعلاج من كسور في عظامه.

وقد قامت الجهة الشعبية بعد ذلك بمحاولة لاغتيال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي في خان يونس أثناء عودته متأخراً إلى البيت^(٣). وقد ظلت هذه الأحداث المؤسفة والمشاعر المتوترة حتى ديسمبر ١٩٨٧م حينما اندلعت الانتفاضة، وقام الجميع بمهاجمة جنود الاحتلال.

(١) ربيع المدهون، (الحركة الإسلامية في فلسطين، ١٩٢٨ - ١٩٨٧م)، (شئون فلسطينية)، العدد ١٨٧، أكتوبر ١٩٨٧م، ص ٣٢.

(٢) إسماعيل هنية، مقابلة شخصية (مرج الزهور)، ٥ / ٦ / ١٩٩٣م، ومحمود الزهار، مرجع سابق.

(٣) د. عبدالعزیز الرنتیسى، مقابلة شخصية في مرج الزهور، ٩ / ٦ / ١٩٩٣م.

المبحث الثاني العلاقة مع «فتح» ومنظمة التحرير الفلسطينية

الخلافات الفكرية والتنافس على النفوذ:

اختلف الإخوان المسلمون مع حركة «فتح» التي تقود (م. ت. ف) وتشكل العمود الفقري لها على مسائل كثير فيما يخص القضية الفلسطينية، اختلفوا على الأهداف وعلى وسائل تحقيقها، على طريقة التعامل مع الدول العربية واليسار الفلسطيني والحلول الدبلوماسية المطروحة وأشياء أخرى، وكان ذلك طبيعياً، فالإخوان المسلمون يريدون أن تكون المنظمة إسلامية ولا مساومة في ذلك، و«فتح» تريد علمانية تشمل جميع التيارات الفلسطينية في مرحلة التحرير الوطني، ولا تراجع في ذلك.

رفض الإخوان منهج (م. ت. ف)، واعتبروا «أن عدم تبني المنظمة للفكر الإسلامي أفقدها انخراط ملايين المسلمين في الجهاد»^(١) وكما يعارض الإخوان دعوة المنظمة لقيام دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين على اعتبار أن أرض فلسطين إسلامية خالصة وأن اليهود جاءوها مغتصبين من أوروبا وآسيا وأفريقيا، كما يعارض الإخوان إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، يكون ثمنها الصلح مع اليهود والاعتراف بدولتهم والتنازل عن الحقوق الثابتة للفلسطينيين في وطنهم، كما يعارض الإخوان انخراط (م. ت. ف) في محاولات التوصل إلى حل دبلوماسي عن طريق المفاوضات، «ويعارض الإخوان (م. ت. ف) لأنهم يعتقدون أنها من صنع الأنظمة العربية حيث قام كل نظام حكم بتشكيل فصيل تابع له أيديولوجياً ومالياً وسياسياً، ثم عمل على ضمه إلى جهاز المنظمة.. وبذلك أصبح قرار المنظمة قراراً نابعاً من سياسات الأنظمة وتابعاً لها»^(٢).

وقد حدد الإخوان موقفهم بأنه «لا يجوز بعد الآن احتكار العمل الفلسطيني من قبل التيارات التي أثبتت فشلها خلال العشرين عاماً الماضية على ساحة العمل الفلسطيني، ولا يجوز كذلك إبعاد الإسلام بفاعليته الحية عن ساحة الصراع»^(٣).

(١) Emile Sahliyah. op. cit., 151.

(٢) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص ٥٦، عن (م. ت. ف. من محنة إلى محنة)، (النطلق)، العدد ١٦، تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٨٦م، ص ٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٥ عن (الحقيقة الغائبة)، كتاب أصدره الإخوان في الأرض المحتلة، بدون مؤلف أو ناشر أو تاريخ، ص ٥٤.

ولم يتوقف الأمر عند حد الاختلافات السياسية والفكرية، فقد «اتهم مؤيدو الحركة الإسلامية أنصار المنظمة بمحاولة إجهاض العمل الإسلامى وتشويه الحركة... وأن المؤسسات العلمانية تحرمهم حق التعبير عن النفس»^(١) كما اشتكى الإسلاميون من طريقة توزيع الأموال التى أقرها مؤتمر قمة بغداد عام ١٩٧٨م، وأن اللجنة الأردنية الفلسطينية المشتركة تستغل ذلك فى شراء النفوذ السياسى بدلاً من صرفها على المحتاجين وعلى المشاريع الاقتصادية والثقافية.^(٢)

أما حركة «فتح» داخل الأرض المحتلة ومعها فصائل (م. ت. ف) فقد اتهمت الإخوان المسلمين بعدم الشرعية لأنهم خارج مؤسسات (م. ت. ف) التى كرست شرعيتها بالبندقية، وأنهم يعملون فى نفس الاتجاه الذى تعمل فيه القوى المعادية للشعب الفلسطينى، والتى تريد إضعاف (م. ت. ف) وإيجاد بديل عنها يرضى بالحلول التى لا تحقق أدنى المطالب الفلسطينية، كما «اتهموهم بالعمالة وأمريكا وإسرائيل».^(٣)

وكانت حركة «فتح» كغيرها من الفصائل تعقد المقارنات بين الإخوان فى مصر الذين وجدوا حرية العمل فى عصر السادات لضرب القوى الوطنية والناصرية وبين الإخوان فى الأرض المحتلة الذين أتاحت لهم إسرائيل حرية العمل لإضعاف (م. ت. ف)، ويقول كتيب أصدرته «حركة الشبيبة الطلابية» التابعة لـ«فتح»: «فتح السادات فى مصر حرية العمل للإخوان لأنهم الوحيدون القادرون على الحد من خطر خصومه فى الحركة الوطنية المصرية التى تهدد نظامه...»^(٤)

نقلت مجلة التايمز فى وقت مبكر عن أحد كوادر (م. ت. ف) فى القدس «أن هذا النمو الفجائى لحركة الجماعات الإسلامية يشكل تهديداً خطيراً لنا»^(٥)، وتطورت هذه الاختلافات الفكرية والسياسية ثم الاتهامات المتبادلة لتصل إلى مرحلة التنافس على النفوذ فى الجامعات والمؤسسات والذى وصل إلى حد إسالة الدماء، وقد كانت جامعات الأرض المحتلة أبرز ساحات التنافس الشديد بين الإخوان المسلمين من جهة والفصائل الفلسطينية بقيادة «فتح» من جهة أخرى، وكانت أوضح ما تكون فى الصدامات التى جرت فى أكبر ثلاث جامعات - الإسلامية والنجاح وبيرزيت.

(١) Emile Sahliyah, p.167.

(٢) Ibid.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٤) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص ٦١.

(٥) جريدة (القبس) الكويتية ٢٢/٢/١٩٨٢م.

محاولات التقارب بين «فتح» والإخوان:

كانت تجمع بين «فتح» والإخوان عوامل تقارب تدفع كل فريق باتجاه الآخر، أو على الأقل تمنعه من التوغل في العداوة، فأغلب قيادات «فتح» ومؤسسيها كانوا من الإخوان المسلمين، وقد ظل الكثير منهم يحتفظ بعلاقة ود شخصية مع رموز الإخوان الفلسطينيين وكبارهم في الخارج وخاصة كل من ياسر عرفات و خليل الوزير وسليم الزعنون، كما كانت قيادة «فتح» على علاقة طيبة بالإخوان المصريين والكويتيين وبالجمعة الإسلامية في السودان.

وكان الإخوان دائماً يقولون في دوائرهم الخاصة أن «فتح» هي أقرب الفصائل إلى الإخوان، لدرجة أن الشيخ أحمد ياسين وفي سنة ١٩٨٨م يوصي خليل القوقا بعد الحكم بإبعاده ألا يهاجم «فتح»^(١)، فالإخوان يرون في «فتح»، وإن لم تنتهج الإسلام، ضماناً في هذه المرحلة لمنع سيادة الفكر اليساري، كما كانت «فتح» تعمل لتوظيف قوة الإخوان المتزايدة في صراعها مع قوى اليسار.

أما عوامل التباعد بين الفريقين فقد كانت أكثر جذرية، فالإخوان لا يقبلون سوى الإسلام فكراً وقائداً لمنظمة التحرير، ويبدو أنهم صمموا على إدخال الإسلام بقوة ليقود الشعب كله لا أن يكون واحداً من تياراته، أما حركة «فتح» فإنها تتمسك بقيادة الشعب الفلسطيني وتصر على علمانية المنظمة لتكون إطاراً لكل الاتجاهات يمينية أو يسارية.

أما الجيل الجديد عند كل من الطرفين فقد كان يدفع باتجاه التباعد، فشباب الإخوان المسلمين الذين تشجعهم أخبار الصحوة الإسلامية في كل مكان وتلهمهم نجاحات الثورة الإسلامية في إيران وبطولات الجهاد الأفغاني ضد السوفيت، كانوا يصرون على التمييز، كانوا لا يرون في «فتح» إلا نموذجاً للسلطة العربية المتمسكة بسيطرتها على الجماهير.

وكان شباب «فتح» أيضاً يرون في الإخوان المسلمين نموذجاً للقوة الدخيلة التي بعثت للحياة مرة ثانية لتعرق مسيرة العمل الوطني، وكانوا يسترجعون كل الأدبيات الناصرية واليسارية في الهجوم على الإخوان، عملاء الإمبريالية والسعودية والأردن، ولم تقم قياداتهم أبداً بمحاولة الدفاع عن الإخوان أمام القواعد، وليس دقيقاً قول أحد الباحثين عندما وصف العلاقة بين «فتح» والإخوان «بعلاقة الحب والكراهية في آن واحد»^(٢) فقد ظلت الغلبة في معظم الأحيان لعوامل التباعد.

(١) خليل القوقا، مقابلة شخصية، الكويت ١١/٨/١٩٨٨م.

(٢) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص ٥٤.

ومع ذلك فقد أسفرت عوامل التقارب عن بعض المحاولات والدلالات، وكان أولها محاولة أسعد السفطاوى وبطلب من ياسر عرفات عام ١٩٧٩م للتنسيق مع الإخوان فى انتخابات الهلال الأحمر فى مواجهة الشيوعيين واليساريين، حيث دخل الإخوان و«فتح» فى قائمة انتخابية واحدة، ولعل قول الإخوان له «إننا نخشى أن تنقلبوا علينا بعد ذلك»^(١)، يظهر مدى الشكوك المتبادلة، ولم تمض شهور بعد ذلك التحالف، حتى دخلت «فتح» مع اليسار فى تحالف ضد الإخوان من أجل السيطرة على الجامعة الإسلامية.

وفى سنة ١٩٨١م وفى أعقاب الصدمات العنيفة بين أنصار «فتح» وأنصار الإخوان فى جامعة النجاح بنابلس، طلبت قيادة «فتح» فى الخارج من أتباعها عدم حرق الجسور مع الإخوان، لأن «فتح» بحاجة إليهم كورقة ضاغطة على سوريا^(٢)، وفى يونيو ١٩٨٢م وبعد اجتياح لبنان، وقف خطباء الإخوان فى جميع مساجد الأرض المحتلة مع المقاومة الفلسطينية، وقاموا بتعبئة الجماهير وإقامة صلاة الغائب على أرواح الشهداء.

وفى عام ١٩٨٣م وبعد الانشقاق داخل حركة «فتح» فى لبنان، وقف الإخوان المسلمون مؤيدين لقيادة (م. ت. ف)، وقد نظمت جمعية الإصلاح الاجتماعى فى الكويت مهرجاناً خطابياً حاشداً لتأييد «فتح» واستنكار المواقف السورية ومواقف المنشقين، وقد تحدث فى المهرجان سليم الزعنون نائب رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى، «وقد تجلّى موقف الإخوان المسلمين المتعاطف مع «فتح» فى إدانتهم لعملية الانشقاق، ووصفها بأنها عمل إجرامى، وفى اتهام المنشقين بأنهم أدوات تحركها سوريا وليبيا للسيطرة على القرار الفلسطينى... كما وصفوها بأنها تعود إلى تأمر القوى اليسارية الفلسطينية والماركسيين العرب.. بهدف تقويض «فتح» من الداخل وتصفية القضية الفلسطينية وإلغاء الخيار العسكرى.. كما ناشدوا «فتح» أن تظهر صفوفها من العناصر الماركسية.. وأن تتعاون مع الجماعات الإسلامية»^(٣).

قد قامت «فتح» من جانبها بمحاولات جادة لاحتواء الاتجاه الإسلامى، «ووصلت محاولات الاحتواء أوجها عندما قامت «فتح» بإدخال ثلاثة أعضاء جدد، اعتبرتهم من ممثلى الإخوان، إلى المجلس الوطنى الفلسطينى الذى عقد فى الجزائر فى شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٧م»^(٤).

(١) حماد الحسانات، مخطوط كتبه فى مرج الزهور.

(٢) زياد أبو عمرو، ص ٧٦.

(٣) Emile Sahliyah, op., cit., p. 154, from "Al-Muntalaq", Sep. 1983 Em.

(٤) زياد أبو عمرو، ص ٧٧.

والواقع أنه لم يتم الاتفاق مع الإخوان المسلمين على ذلك، ويؤكد زياد أبو عمرو أن الثلاثة لم يكونوا من الإخوان المسلمين، ودخلوا المجلس كشخصيات إسلامية، وهم جميعاً أعضاء في «هيئة المؤسسين» للجامعة الإسلامية في غزة.^(١)

كانت حركة «فتح» تريد الاستفادة من جهد الإخوان في مسيرة العمل الوطني كما تراه قيادة (م. ت. ف) وتعمل له، وكانت أيضاً تريد إضعاف التيارات اليسارية التي كانت تشاغب عليها وفوق ذلك كله كانت «فتح» تريد تأكيد قيادتها للشعب الفلسطيني كله باتجاهاته السياسية جميعاً، وكان هناك دائماً خط أحمر لا تتعداه وهو هيمنة «فتح» وهيمنة أسلوبها على مسيرة العمل.

وكان الإخوان المسلمون يريدون إضعاف التيارات اليسارية، ودفع «فتح» باتجاه الإسلام، فقد كان بعض قيادات الإخوان يأمل أن تعود «فتح» إلى النهج الإسلامي بعد أن تفشل كل المحاولات السياسية، فحركة «فتح» في تركيبها تمثل جميع شرائح الشعب الفلسطيني ولم تنتهج نظرية أيديولوجية محددة.

كانت محاولات الطرفين إما مصلحة آنية أو عاطفية، لذلك كانت الغلبة للتباعده والتناحر، خاصة أن التنافس بين «فتح» والإخوان يأخذ وجهة خطيرة في تصور «فتح» وهو التنافس على قيادة الشعب الفلسطيني، وهو أخطر من كل مظاهر التنافس مع المنظمات القومية واليسارية طيلة عشرين سنة مضت، لذلك كان لابد من الصدام والذي كان أكثر عنفاً من صدام الإخوان المسلمين مع الشيوعيين واليساريين.

الصدام:

وقعت الصدامات ومعارك الأيدي والقضبان الحديدية بين أنصار الإخوان المسلمين وأنصار «فتح» منفردة، كما وقعت أيضاً مع «فتح» متحدة مع الفصائل اليسارية الأخرى، وقد وصلت ذروتها حينما أقدمت عناصر من حركة «فتح» على اغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب المحاضر في الجامعة الإسلامية في غزة طبقاً لمصادر الإخوان.

وقد انتشرت الصدامات في كثير من المناطق، لكننا هنا سنركز على أهمها وأخطرها والتي حدثت في أكبر ثلاث جامعات في الأرض المحتلة: الجامعة الإسلامية في غزة وجامعة بيرزيت في قضاء رام الله وجامعة النجاح الوطنية في نابلس.

(١) زياد أبو عمرو، ص ٧٧.

(أ) الجامعة الإسلامية في غزة:

بدأ الصراع على الجامعة الوحيدة في قطاع غزة بين الإخوان المسلمين الذين أسسوها ويصرون على إسلاميتها من جهة وبين كافة الاتجاهات السياسية وخاصة «فتح» التي تريد أن تسميها «جامعة غزة» من جهة أخرى، وقد فشلت المحاولة الأولى عام ١٩٨٠م كما ذكرنا من قبل، وبدأ الجميع يعمل ألف حساب للقوة الإسلامية، لكن «فتح» التي ترى نفسها ممثلة الشرعية الفلسطينية تعتبر الجامعة مؤسسة وطنية لا بد أن تدخل حظيرة الشرعية، لذلك بدأت تخطط للاستيلاء على الجامعة وخاصة حينما أجبر طلاب الجامعة مجلس الأمناء على طرد أول مدير لها والذي كان قريباً من «فتح»، وبقدوم د. محمد صقر لرئاسة الجامعة انسحمت الإدارة مع مجلس الطلاب في ترسيخ إسلامية الجامعة.

في شهر يناير عام ١٩٨٢م عبر الإخوان عن استيائهم لقيام «فتح» بالتحالف مع الفصائل الوطنية الأخرى في الأرض المحتلة والتوقيع على بيان سياسي يدين الإخوان المسلمين^(١)، وجاء عام ١٩٨٣م ليحمل في طياته أكثر الاشتباكات عنفاً، حينما تحالفت جميع التنظيمات بما فيها «الجهاد الإسلامي»^(٢) ضد جماعة الإخوان المسلمين، وأراد التحالف الاستيلاء على الجامعة من خلال «لجنة العاملين» التي أنشأوها على أساس أن الغالبية فيها لهم، ولكن إدارة الجامعة رفضت الاعتراف بهذه اللجنة التي «نظمت إضراباً استمر ثلاثة أسابيع، وقد قام عدد من العناصر ينتمى إلى الجماعات الإسلامية بالتعاون مع الحراس بمهاجمة المضربين والاعتداء عليهم»^(٣).

ولما لم تنجح هذه المحاولة، اتفقت جميع القوى الأخرى على مهاجمة الجامعة والاستيلاء عليها بالقوة وذلك بهجوم مباغت في صباح يوم السبت ٤ / ٦ / ١٩٨٣م، وساندهم حافلات تحمل الطلاب العلمانيين من جامعة بيرزيت في الضفة الغربية، ناموا في القطاع ليلة الحادث، وفي الصباح هاجموا الجامعة «بقنابل المولوتوف وصفائح البنزين وأجهزة الأكسجين»^(٤) والسلاسل والقضبان الحديدية. وتقول مصادر الإخوان^(٥) إنهم علموا بالخطة واستعدوا لها وكمنوا لهم في المساجد المجاورة مثل مسجد السلام ومسجد الكتبية وتصعدوا لهم وضربوهم

(١) المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢) إسماعيل هنية، مرجع سابق.

(٣) إسماعيل هنية، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٤) بيان صادر عن المؤتمر الشعبي المنعقد في ١٥ / ٦ / ١٩٨٣م في مدينة خان يونس.

(٥) محمود الزهار، مرجع سابق وإسماعيل هنية، مرجع سابق.

وأخذوا منهم بعض الأسرى وحققوا معهم فعرفوا أن بعضهم من بيرزيت، «وطبقاً لبيان صادر عن الاتجاه الوطني فإن أكثر من ٢٠٠ طالب أصيبوا بجروح»^(١)، وقد تبادل الطرفان الاتهامات فيما عرف بيوم «السبت الأسود».

أحداث عام ١٩٨٤م (اغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب):

بعد خروج أبو علي شاهين من سجون الاحتلال إلى قطاع غزة، أصبح مشرفاً على لجان الشبيبة في الأرض المحتلة ومسئولاً لحركة «فتح»، وقد بذل ومن معه جهوداً كبيرة للسيطرة على الجامعة الإسلامية، «ابتداءً بالانتخابات التي أعدوا لها إعداداً جيداً وتحالفوا مع الجميع وكانوا يأملون بالفوز، وكانت نتيجة الانتخابات صدمة لهم»^(٢) حيث فاز الإخوان المسلمون بجميع المقاعد. «ومع بداية العام الدراسي قامت الشبيبة بتوزيع العديد من النشرات دون استئذان مجلس الطلبة منها (اليقين) و(الإسراء) و(الإدارة)، وكلها طعن وتشويه وتشهير بالاسم بقيادات الإخوان من هيئة التدريس، كما قام أبو علي شاهين بزيارة الجامعة وعمل ندوات فيها دون إذن من أحد ولما تصدى له إسماعيل الخطيب بصفته القائم بأعمال رئيس الجامعة، رفض الاستئذان بحجة أن الجامعة مؤسسة وطنية وهي بالتالي واحدة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية»^(٣).

كانت الجامعة تغلى وكذلك القطاع حتى أقدمت عناصر من «فتح» ١٦ / ١١ / ١٩٨٤م على اغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب أمام زوجته وأبنائه التسعة كما تقول مصادر الإخوان، وأشاعوا أنه يتعاون مع المخابرات الإسرائيلية وأنه اشترك مع الشيخ حسن الترابي في مؤامرة تهريب (الفلاشا)^(٤).

وقد أقام الإخوان المسلمون للخطيب أكبر جنازة في تاريخ القطاع، حيث استنفروا أعضاءهم ومناصريهم من جميع أنحاء الأرض المحتلة في مسيرة طويلة بالسيارات من الجامعة الإسلامية في غزة إلى مدينة خان يونس بمسافة أكثر من ثلاثين كيلو متر، وقد صورت الجنازة وكلمات التأبين في شريط فيديو وزعه الإخوان^(٥) ألقت السلطات القبض على الفاعلين وقيل إنهم اعترفوا أنهم تلقوا الأوامر من «أبو جهاد»، بينما أنكرت قيادة منظمة التحرير

(١) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٢) ردود على افتراءات، ص ٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) حصل الخطيب على درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية.

(٥) شهادات عدد من الإخوان بالإضافة إلى شريط فيديو يصور الجنازة والتأبين.

مستوليتها عن الحادث المؤسف، وفتحت له بيت عزاء في عمان، وصرفت لأسرته بعض المال. استمرت الاتهامات والتهديدات والصدامات في عام ١٩٨٥م حيث ضربت عناصر الإخوان أسعد السفطاوي في ٥ / ٣ / ١٩٨٥م^(١)، أحد قادة حركة «فتح» في قطاع غزة.

(ب) جامعة بيرزيت:

لقد كان حصول الكتلة الإسلامية في انتخابات عام ٧٩ على نسبة ٤٣٪ في هذه الجامعة التي يسيطر على إدارتها النصارى ويسيطر على طلابها الشيوعيون والجهتان الشعبية والديمقراطية مفاجأة مذهلة، طبعت الحياة الطلابية فيها بطابع التشهير المتبادل.

ولعل أهم أحداث بيرزيت كانت تلك الصدامات التي حدثت في الخامس من يونيو حزيران عام ١٩٨٣م، حيث طلبت الكتلة الإسلامية الإذن من مجلس الطلبة بعمل مسيرة تعبر عن سخطهم على الهزيمة والاحتلال، يقول أحد قادة الكتلة: «اشترك في المسيرة حوالي ثلاثمائة شاب يتقدمهم شعار الكتلة الإسلامية وسط خريطة فلسطين، وكان الآخرون قد استعدوا وجهزوا القضبان الحديدية والهرات وبدأوا بمهاجمة المسيرة من كل جانب، وحوصرت بنات الكتلة الإسلامية في الكافيتريا واشترك في الهجوم عدد من أهالي بيرزيت لينتقموا لأبنائهم الذين عادوا من غزة مضروبين بعد هجومهم الفاشل على الجامعة الإسلامية»^(٢)، وقد اتهم بيان الكتلة الإسلامية إدارة الجامعة وأهالي البلدة المسيحية بالتواطؤ مع الاتجاه الوطني في هذا الهجوم.^(٣)

(ج) جامعة النجاح الوطنية^(٤):

تصاعدت الخلافات داخل الجامعة إثر فوز الكتلة الإسلامية بجميع مقاعد مجلس الطلبة في انتخابات ٨١ / ٨٢، فالتقت الكتل الأخرى وأعلنت تشكيل «اللجنة الطلابية الموحدة» التي أعلنت أن مجلس الطلبة الإسلامي لا يمثلهم، وأنها هي الجهة الشرعية التي تمثل الطلاب لأنها تمثل فصائل (م. ت. ف) الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، استولت اللجنة على مقر لها في أحد بنايات الجامعة وبدأت تمارس الأنشطة العامة مخالفة بذلك نظام مجلس الطلبة.

(١) محمود الزهار، مرجع سابق.

(٢) جميل الدلو، مقابلة شخصية، هيوسن (أمريكا) في ٢، ٣ / ٧ / ١٩٩٠م.

(٣) زياد أبو عمرو، مرجع سابق.

(٤) جمال منصور، «جامعة النجاح الوطنية» (مخطوط)، مرجع الزهور، يونيو ١٩٩٣م.

وحدثت مشاكل وصدامات كان أهمها أحداث يوم ٩ / ١ / ١٩٨٢م حينما دخلت عناصر الكتلة الإسلامية غرفة المدرس محمد صوالحة، الذى قفز من الطابق الثانى مما سبب كسراً فى رجله، فقامت قيامة القوى الوطنية، وعملت المؤتمرات، وبدأت بالهجوم الإعلامى على الكتلة الإسلامية.

المبحث الثالث العلاقة مع الجهاد الإسلامى

نشأة حركة الجهاد:

تقول حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين: «نحن لم نخرج من «فتح» رغم أن قليلاً أو بعضاً من إخواننا عاشوا التجربة الوطنية بكامل أبعادها، كما لم نخرج من تنظيم (الإخوان المسلمين)، كما ظن الكثيرون، رغم أن بعض كوادرننا الهامة عاشت التجربة...»^(١) لقد تكونت حركة الجهاد فى الثمانينيات من عناصر خرجت من الإخوان المسلمين وبدأت تروج لفكرتها بين الشباب فاستقطبت عدداً من المعتقلين ممن كانوا ينتمون إلى «الجماعة الإسلامية» أو فتح أو قوات التحرير الشعبية أو غيرها، وخاصة حينما اعتقل عام ١٩٨٣م مؤسس الحركة ومفكرها، الدكتور فتحى الشقافى، كما نشطت الحركة فى قطاع غزة، فضمت إليها الكثير من الشباب الذين لم يسبق لهم الانتماء لأى تنظيم.

ولعل أكثر ما يهمنى فى بحث العلاقة بين الجهاد والإخوان هو إلقاء الضوء على أهم شخصيتين فى الجهاد، واللذين كانا عضوين نشطين فى جماعة الإخوان المسلمين، تركا الجماعة غاضبين عليها وغاضبة عليهما.

كان عبدالعزيز عودة طالباً فى كلية دار العلوم بالقاهرة، وكان مسئول القيادة الطلابية للإخوان المسلمين هناك، كان معروفاً بذكائه وسعة اطلاعه وقدرته على الحوار، وقد رأى بعض الطلبة الإخوان «أن قيادة التنظيم قد شطت بعيداً عن الناحية الروحية إلى الناحية الفكرية، فقد كانوا يسهرون حتى الفجر فى حوارات ونقاشات كما كانوا بالإضافة إلى ذلك يتساهلون فى بعض الأمور مثل التدخين»^(٢) وكانت هناك مشاكل شخصية مع عبدالعزيز عودة،

(١) (مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين)، من منشورات حركة الجهاد الإسلامى، بيروت: بيت المقدس للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص ٦.

(٢) م.م.د مقابلة شخصية، (لندن) ١٢/٧/١٩٨٩م.

وتفاقت الأمور حتى استطاع بعض الطلاب أن يصلوا إلى حلقة الوصل مع الكبار وينقلبوا على قيادتهم الطلابية التي تم تنحيتها عن قيادة العمل الطلابي عام ١٩٧٣م، ليخرج من ذلك الوقت بشير نافع الذى أصبح فيما بعد واحداً من الكتاب الفلسطينيين الإسلاميين القلائل الذين يتناولون المشكلة الفلسطينية بوعى إسلامى متقدم، كما يغادر عبدالعزيز عودة جماعة الإخوان المسلمين، ثم يغادر مصر إلى الإمارات العربية والتي لم نعرف نشاطه فيها، إلا أنه بالتأكيد تعرف فيها على الفقه الشيعى، والفكر الثورى الشيعى عند شريعنى والخمينى، ويعود إلى غزة ليعمل محاضراً فى الجامعة الإسلامية حوالى عام ١٩٨٠م ليصبح أبرز رجال الجهاد الإسلامى، وأكثرهم حركة فى المساجد والمنتديات، داعياً إلى فكرته منتقداً جماعة الإخوان المسلمين حتى وصف «بالمُرشد الروحى» لجماعة الجهاد.

أما الدكتور فتحى إبراهيم الشقاقى، مؤسس الحركة ومفكرها والأمين العام لها، فقد كان واحداً من شباب مخيمات اللاجئين فى رفح الذين صدمتهم هزيمة يونيو / حزيران عام ١٩٦٧م، وقد شغلته أزمة الأمة فوجد ضالته فى فكر الإخوان المسلمين، فى حركية حسن البنا وشجاعته واستشهاده، وفى إبداع سيد قطب الذى رسم للشباب المسلم معالم الطريق، مميزاً بين الإسلام وعزته والجاهلية وأنظمتها التى تسببت فى ضعف الأمة وتفككها، تعرف الشقاقى على الشيخ أحمد ياسين وأصبح مبكراً من أوائل الشباب الذين انضموا للجماعة بعد الحرب، ودرس فى بيرزيت وتعرف على الأفكار السياسية لحزب التحرير، كما اطلع على تجربة الأحزاب اليسارية الأخرى، وكثرت تساؤلات فتحى ومطالبته للإخوان بالاهتمام بالوعى السياسى والعمل للقضية الفلسطينية.

ويصل الشقاقى إلى مصر سنة ١٩٧٤م ليدرس الطب فى جامعة الزقازيق، وكانت لاتزال آثار الانقلاب الطلابى الذى أطاح بعبدالعزیز عودة وبشير نافع وغيرهما، لم يكن يعلم أن توصية سبقت من قيادة الإخوان فى غزة إلى قيادة الطلاب فى القاهرة بألا يعطى مرتبة قيادية، لأنه ليس مأموناً من الناحية الفكرية^(١)

كان الشقاقى أكبر من سنه بأربع سنوات لتأخره فى بيرزيت وفى الوظيفة كمدرس، كما كان أكبر من سنه من حيث ثقافته الواسعة وقدرته على الحوار، كما كان أسبق فى التنظيم من قيادة الطلاب فى القاهرة، ولم تجد قيادة الطلاب مبرراً لإسناد مسئولية الزقازيق لغيره، فلم يكن غيره هناك سوى طالبين اثنين. كان تعامله مع قيادة الطلاب يتم بهدوء، ولكنه كان

(١) المرجع السابق.

دائماً يعبر عن آرائه فى التركيز على قضية الوعي السياسى والنشريات السياسية وضرورة أن تكون الحركة الإسلامية حركة سياسية وضرورة أن تكون فلسطين هى القضية المركزية للحركة الإسلامية^(١).

حاول الإخوان كثيراً معه، وكانت تدور المناقشات بينه وبين الشيخ أحمد ياسين فى الإجازات الصيفية، أما فى مصر فقد كان أقوى حجة من شباب الإخوان الذين استعانوا لمحاورته بالشيخ أحمد نوفل والشيخ راجح الكرد وخاصة فى موضوع تأييد الثورة الإيرانية. وكان الموقف من الثورة الإيرانية هو العامل الحاسم الذى جعل فتحى الشقاقى يترك الجماعة، لقد استبشر شباب الإخوان بالثورة الإسلامية وأيدوها، أما هو فقد ابتعد كثيراً عن الإخوان فى تأييده للخمينى، ومطالبته بالبيعة للإمام الخمينى، ألف كتاباً بعنوان «الخمينى، الحل الإسلامى البديل» فاعترض الإخوان على نشره، لكن فتحى نشره فى القاهرة، مما جعل الإخوان يصعدون قراراً بتجميد فتحى عن العمل التنظيمى - ولم يصله هذا القرار حتى الآن - لأن سلطات الأمن المصرية كانت قد اعتقلته، وبعد خروجه من المعتقل يزداد نشاطه، ويتصل بالجهاد الإسلامى المصرى، ويبدأ فى تجميع الشباب فى مصر حول أفكاره، فينضم إليه عدد منهم، كما يصل إلى مصر فى نفس الفترة الدكتور بشير نافع لإكمال دراسته العليا فيلتقى مع فتحى الشقاقى زميله وصديقه من أيام الدراسة فى بيرزيت، وتلتقى الأفكار بين فتحى المغادر لجماعة الإخوان، وبين بشير الذى كان واحداً من القيادة الثلاثية لطلاب الإخوان والتى أطيح بها عام ١٩٧٣ م.

ويتمكن فتحى الشقاقى من مغادرة مصر إلى غزة عام ١٩٨٠ م، ويبدأ هناك بالتعاون مع عبدالعزيز عودة ومن كان معهم فى مصر فى الدعوة المتحمسة لأفكارهم بين الشباب فى المساجد وفى الجامعة، ودخلوا تنافساً مع الإخوان المسلمين زاد فى اشتعاله ما يعتمل فى النفوس من خلفيات الماضى القريب.

الاختلاف فى الفكر والأسلوب:

اختلفت رؤية الجهاد الإسلامى للمشكلة الفلسطينية، عن رؤية الإسلاميين السائدة والتى مثلها الإخوان المسلمون وغيرهم، فبينما يرى الإخوان المسلمون أن المشكلة الأساسية التى تواجه الأمة هى غياب الدولة الإسلامية الواحدة «الخلافة»، وأن مشكلة فلسطين هى إحدى

(١) المرجع السابق.

المشاكل الفرعية لهذا الغياب ، سيتم حلها بعد قيام الدولة الإسلامية ، فإن حركة الجهاد الإسلامي اعتبرت قضية فلسطين القضية المركزية للمسلمين .

ويورد فتحى الشقافى نصاً من كتاب « حيران وعمر التلمسانى » نشر فى الوطن المحتل فى ١٩٨٢ / ١٩٨٣ م جاء فيه : « عندما نقول هذه القضية (أى فلسطين) فرعية لهذا يعنى أن هناك قضية كلية أصلية ، لا تجدد القضية الفرعية لها حلاً إلا بعد حل القضية الكلية .. والتي هى قيام حكم الله فى الأرض ، وبالأخص فى الأرض المجاورة لفلسطين » .^(١)

ويؤكد الشقافى أن الحركة الإسلامية لم تحقق أهدافها فى إقامة الدولة الفلسطينية ، بل تراجعت كثيراً من مقارعة الحكام والطفة إلى الصمت فى أحسن الأحوال أو مشاركة الحكام فى برلماناتهم ووظائفهم وسلطتهم ، على أمل إحداث تغيير إسلامى ، من خلال هذه المشاركة^(٢) ويعزو الشقافى ذلك إلى أن الحركة الإسلامية لم تستطع أن تحدد بدقة معنى « الظاهرة الإسرائيلية » وأبعادها الشاملة وعلاقتها الجدلية بغياب الخلافة ، فاعتبرت أن إسرائيل مشكلة فرعية عارضة كعشرات المشاكل التى تواجه المسلمين هنا وهناك^(٣) .

وهكذا كانت المسألة الفلسطينية وعدم وجود إجابات شافية لدى جماعة الإخوان المسلمين حول الموقف منها هى الدافع الأساسى لتفكير هؤلاء الشبان وقراراتهم بالخروج من الجماعة^(٤) ، وهكذا تنالت انتقادات الجهاد واتهامها للحركة الإسلامية « التقليدية » بالعجز وعدم الرعى لحقيقة الصراع ، فحركة الإخوان فى وجهة نظرهم : « تفتقد الرؤية الحية والصائبة للتاريخ وتتعامل معه كأنه أجزاء مبشرة لا يملكها إطار أو قانون ... كما أنهم يركزون على التربية والإعداد فى مواجهة التيار الوطنى الذى يركز على الكفاح المسلح ، وكما يقول عبدالعزيز عودة ، لقد اختار الإخوان « طريق الهدى » ، ولم يختاروا طريق الجهاد ، بينما اختار الاتجاه الوطنى « طريق الجهاد » وابتعد عن طريق الهدى ، وتكمن خصوصية الجهاد الإسلامى فى التركيز على العلاقة الجدلية بين طريق الجهاد وطريق الهدى^(٥) .

ويرى الشقافى أنه إذا كان غياب الحركة الإسلامية مفهوماً ومبرراً فى فترة الخمسينيات والستينيات .. فإنه لا يمكن فهم أو تبرير هذا الغياب المذهل للحركة الإسلامية الآن عن

(١) فتحى إبراهيم (المنهج : مقدمة حول مركزية فلسطين) ، بيروت : دار الفكر العربى ، ١٩٨٩ م ، ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١-٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٤) زياد أبو عمرو ، ص ١١٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

احتلالها موقعها الحقيقي في قيادة المرحلة وتوجيه أحداثها^(١) ويعتقد قادة الجهاد الإسلامي أن هذا التأجيل لعملية الانخراط في المقاومة كان سبباً مهماً في ضعف الحركة وجمودها، «ذلك لأن مناهج التكوين التي تبناها الإخوان كانت معظمها سكونية تقريرية، حسابية، منخلعة عن الواقع الموضوعي المحيط»^(٢) كما تسبب هذا الجمود في وجهة نظرهم إلى غياب روح النقد وتشجيع الفكر والانفتاح الثقافي مما أسماه عبدالعزيز عودة «إفلاس أخلاقي أصاب الجماعة»^(٣).

كما تختلف وجهات النظر حول الحركة الوطنية وطريقة التعامل معها، وحول الأنظمة العربية والثورة الإسلامية في إيران، فحركة «فتح» عند الجهاد الإسلامي «وليدة محاولة إسلامية للإجابة على أزمة التيار الإسلامي في مرحلة (١٨٥٥م - ١٩٥٨م) .. وهي ليست فقط كبرى الحركات الفلسطينية، وليست فقط أم الثورة المسلحة المعاصرة، وإنما هي أساساً نموذج مصغر للشعب الفلسطيني في الداخل والخارج، بكل ماضيه وحاضره، تفاعلاته وحساسياته وتناقضاته، وهي بسبب من ذلك كانت على الدوام في قلب اهتمامات الشعب الفلسطيني في كل مواقعه وانتماءاته»^(٤).

وهكذا فإن طريقة التعامل مع «فتح» اختلفت فلم تصطدم الجهاد معها في تلك الفترة، بل حدث أحياناً بينهم نوع من التحالف، ويوضح ذلك قول عبدالعزيز عودة، والذي ربما يغمز من قناة الإخوان المسلمين الذين دخلوا صراعات طويلة ومريرة مع «فتح» والفصائل الأخرى فيقول: «إن خلافاتنا السياسية والعقائدية مع (م.ت.ف) لا يبرر العنف ضد أعضاء الحركة الوطنية، إننا نحترم آراء كل التنظيمات الوطنية، نظراً لأننا نؤمن بالحوار كأسلوب وحيد من أجل التوصل إلى تفاهم مشترك»^(٥).

وقد دارت أحاديث كثيرة عن صلة الجهاد الإسلامي بـ«فتح»، أنكرتها مصادر الجهاد، وروجتها مصادر «فتح»، «إلا أن الجهات الأمنية الإسرائيلية تؤكد هذه الصلة»^(٦)، وقد أبدت

(١) (معركة بيروت: التجربة الفلسطينية من منظور إسلامي)، (بدون مؤلف أو تاريخ أو دار نشر)، ص ٤

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) زياد أبو عمرو، ص ١١٤.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣٥-١٣٦.

(٥) سعيد الغزالي (التيار الإسلامي في الأرض المحتلة)، الفجر، المقدسية ٦/ ٨/ ١٩٨٧م، ص ٨.

(٦) خالد عايد، (الانتفاضة الثورية في فلسطين - الأبعاد الداخلية)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع،

١٩٨٨م، ص ٧٥ نقلًا عن صحيفة (دافار) الإسرائيلية ٢٦/ ٨/ ١٩٨٧م.

المصادر الإسرائيلية عموماً تخوفها من هذا التعاون المحتمل، فقد نشرت (يديعوت أحرونوت) العبرية في ١٨ / ١٠ / ١٩٨٧م مقالاً مطولاً عن الجهاد تحت عنوان (جهاد الآن)، تحدثت فيه «عن الدمج الخطير بين التعصب الديني والتطرف الوطني كمثال الصيغة الكيماوية المضمونة الانفجار بطاقة شديدة لم يعرف مثلها حتى الآن»^(١).

أما بالنسبة للأنظمة العربية، فقد ظلت حركة الجهاد ترى في «نظام التجزئة» وجهاً آخر للدولة الصهيونية لا بد من محاربتها معاً، وتعيب على الإخوان المسلمين مهادنتهم لأنظمة الحكم ومشاركتهم في مجالسها النيابية، أما بالنسبة للموقف من الثورة الإسلامية في إيران، فقد اعتبرتها حركة الجهاد الإسلامي مركز الثورة الإسلامية العالمية التي يتوجب بيعتها والاندماج فيها واعتبار الخميني إمام المسلمين، بينما تحفظت جماعة الإخوان المسلمين على ذلك.

ومن جهة أخرى فقد اتهم الإخوان المسلمون حركة الجهاد بأن أفرادها تنقصهم التربية الروحية والالتزام الدقيق بالمنهج الإسلامي والسلوك الإسلامي، مما جعل أفكار الجماعة تخلط الإسلام بغيره، ولا تميز الموقف الإسلامي الصحيح، فهي تلتقي مع «فتح» حتى أطلق عليها بعض الإخوان «فتح إسلامية»، وهي تلتقي بالشيوعيين - من وجهة نظر الإخوان - كما اعتبروهم أداة إيرانية في المنطقة، وأطلقوا عليهم لفظ الشيعة والخمينيين.

التنافس والصدام:

لم تعرف العلاقة بين الإخوان المسلمين وجماعة الجهاد الإسلامي إلا الخصومة والعداء والتشهير المتبادل طيلة الفترة من بداية الثمانينيات - تأسيس الجهاد - وحتى الانتفاضة في ديسمبر ١٩٨٧م، فقد بدأ شباب الجهاد نشاطهم، يملؤهم الحماس لترويج ما آمنوا به، وفي نفوسهم شيء من الخصومة لجماعة الإخوان المسلمين، «فلقد كان هناك شبه ثار بين عبدالعزيز عودة والإخوان، لطبيعته البدوية فليس من السهل أن ينسى»^(٢)، أما الإخوان المسلمون فقد رأوا في هذه المجموعة خطراً يشوش على مسيرتهم ويكشف أعضائهم و«منافساً خطيراً على الشرعية الإسلامية»^(٣).

وبدأت الاتهامات للإخوان المسلمين بالتقاعس عن العمل الوطني والعمالة وتلقي الأموال

(١) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، السنة الرابعة عشر، العدد ١١، نوفمبر ١٩٨٧م، ص ٨٥١-٨٥٢.

(٢) د.م.م، مرجع سابق.

(٣) صالح عوض، (الانتفاضة الثورة، دراسة الداخل)، تونس: الزيتونة للإعلام والنشر، ١٩٨٩م، ص ٤٩.

من السعودية والأردن بالإضافة إلى التخلف الفكري والجمود التنظيمي، وأصبح عدد من المساجد ساحة لهذا الصراع الذي انتقل أيضاً إلى الجامعة الإسلامية في غزة. وبدأت هذه المجموعة تعمل تحت أسماء مختلفة مثل «شباب المؤسسة» و«المستقلون» و«الجماعة الإسلامية»^(١)، و«حركة النضال الإسلامي» و«الشباب الإسلامي الثوري»^(٢) و«جماعة الطليعة» كما وقعت بعض بياناتها باسم «حركة أبناء القرآن» و«أبناء الأقصى»^(٣) وجاء اسم «الجهاد الإسلامي في فلسطين» متأخراً أي بعد عام ١٩٨٥ م.

بدأ الصراع على «مؤسسة الإصلاح» التي أنشأها الحاج صادق المزيني - من قدامى الإخوان - وأعطاهما للمجمع، وبدأ الشيخ عودة ينتقل بين المساجد لإلقاء الدروس التي يتهم فيها على الإخوان أحياناً، ويقوم شباب الإخوان بمنعه من الحديث، وتحدث المشاكل في المساجد^(٤). كما حدث نزاع آخر على مسجد في «بيت لاهيا» بين الإخوان ويمثلهم خليل القوقا وبين الجهاد ويمثلهم عبدالعزيز عودة، واستطاع عودة ومن معه أن يحصلوا على قرار لجنة تحكيم محلية بإعطائهم المسجد^(٥)، ليصبح مسجد «عز الدين القسام» ذلك المجاهد الذي جعلته جماعة الجهاد رمزاً للإسلام والوطنية، ثم حدث عراك بالأيدي في الشارع بين الشيخين خليل القوقا من الإخوان وعبدالعزیز عودة من الجهاد، ويبدو أن سبب النزاع كان على مسجد بيت لاهيا.

ويأتي الحادث الذي يمثل أعلى درجات الصراع، حينما اعتدى بعض شباب الإخوان بالضرب على الشيخ عبدالعزيز عودة، الذي رقد بالمستشفى عدة أيام، وكان الاعتداء مخططاً وبناء على قرار من الإخوان للانتقام للشيخ خليل القوقا، وقد استغلت جماعة الجهاد ومعها فصائل (م. ت. ف) هذا الحادث أحسن استغلال في تشويه صورة الإخوان^(٦)، يضاف إلى ذلك مصادمات متفرقة بين شباب الإخوان وشباب الجهاد داخل الجامعة الإسلامية في غزة.

كان الإخوان يتهمون جماعة الجهاد بأنهم شيعة، وأنهم يمثلون جسراً لإيران في المنطقة، ويتلقون الدعم من الحكومة الإيرانية، ولذلك بدأ الإخوان في قطاع غزة يوزعون الكتب

(١) محمد حسن شمة، مرجع سابق.

(٢) إبراهيم سربل، (حركة الجهاد الإسلامي)، عمان: دار النشر والتوزيع، ١٩٩٠ م، ص ١٩.

(٣) مسيرة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ص ١٧.

(٤) محمد حسن شمة، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

السلفية التى تكفر الشيعة بهدف تطويق جماعة الجهاد، كما كانوا يتهمونهم بأنهم لا يهدفون إلى الجهاد ضد اليهود بقدر ما يعملون لعرقلة مسيرة الحركة الإسلامية التى يحملون لها الحق الشخصى، وكان الإخوان كثيراً ما يشيرون إلى عدم مصداقية الجهاد بسرقتها أعمال الغير، فقد كان هناك مجموعة «الجهاد الإسلامى» فى الضفة الغربية وغزة تنفذ العمليات العسكرية وتنسبها لمجموعة عودة - الشقاقى لنفسها^(١).

كما اتهموها بالتحالف مع القوى العلمانية ضد الإخوان المسلمين، والحقيقة أن الاتجاهات الوطنية استفادت كثيراً من هذا الخلاف، فالنقد والهجوم الذى يشنه رجال الجهاد على الإخوان والمجمع هو أكثر تأثيراً من هجوم المنظمات العلمانية، لأنه ينطلق من أساس الإسلام، فهو هجوم من داخل البيت. وكانت المنظمات الوطنية واليسارية تمتدح جماعة الجهاد - الصغيرة نسبياً - فى معرض التعريض والطعن بالإخوان المسلمين - المنافس القوى - والذين ينتشر أنصارهم فى كل مكان، فهذا كاتب من حركة الجهاد يقول: «ظلت العلاقة بين حركة الجهاد الإسلامى وفصائل (م. ت. ف) ولاسيما الشبيبة (فتح) تتسم بالاحترام المتبادل طيلة فترة ما قبل الانتفاضة»^(٢).

الخلاصة:

إن الدراسة الموضوعية للعلاقات بين الطرفين تنتهى إلى تحميل كل منهما مسؤولية الصراعات والصدامات والتجريح المتبادل، ولعل كل طرف كان مدفوعاً بعوامل كثيرة فى اتجاه الخصومة، فقد كان الطرفان هما الخاسرين الوحيدين من هذا الصراع الذى استفادت منه التيارات المنافسة، كما استفادت منه سلطات الاحتلال من جهة أخرى.

فالإخوان يرون أن هذا الصراع قد عرقل مسيرتهم، وأثار المتاعب داخل الجماهير المتوجهة إلى الإسلام، كما كشف أعضائهم وهتك سرية الكثير من أعمالهم فى المساجد والمؤسسات والمناطق، مما أضر مسيرتهم وعرقل تنفيذ خططهم^(٣). أما حركة الجهاد «فإنها تعزو تأخرها فى مباشرة العمل المسلح إلى حملة المحاصرة التى شنّها الإخوان المسلمون ضد حركة الجهاد والتى بدأت بعد عام ١٩٨١م»^(٤).

(١) إبراهيم سربل، ص ص ١٨-٢٥.

(٢) صالح عوض، ص ٤٩.

(٣) محمد حسن شمعة.

(٤) زياد أبو عمرو، ص ص ١٥٧-١٥٨.

وأخيراً ماذا سيحدث بعد الانتفاضة، حينما تسقط كثير من المسلمات عن عدم مشاركة الإخوان في الجهاد، وتتقدم حركة حماس في أعمال الانتفاضة والمواجهات والمظاهرات ثم في العمل العسكري المتميز والمتواصل.

وحتى في الجانب النظري تصبح حركة حماس، قريبة جداً من فهم التيار الجهادي للقضية الفلسطينية، وتركز حماس على مركزية القضية الفلسطينية وضرورة قتال اليهود، بل وتقوم بالعبء الأكبر في ذلك، مما يثير تساؤلات داخل الجهاد نفسها وخارجها: هل هناك مبرر لوجود الجهاد واستمرارها بعيداً عن حماس.

المبحث الرابع شبهات حول الإخوان المسلمين

إسرائيل ساعدت الإخوان المسلمين.

كانت هذه أخطر وأهم شبهة روجها خصوم الإخوان المسلمين فترة طويلة، لكننا وبالمبحث الموضوعي لم نجد دليلاً واحداً على صحة هذه الشبهة، خاصة أن كل الحجج والمبررات التي سيقَّت لإلصاق هذه التهمة بالإخوان، انطبقت على جميع التيارات السياسية، فهل قامت سلطات الاحتلال بتقديم العون والمساعدة والتشجيع لجميع المنظمات والتيارات الوطنية؟ بالإضافة إلى أن الأيام فيما بعد أظهرت تهالك هذه الشبهة وعدم مصداقيتها، خاصة بعد تأسيس حركة المقاومة الإسلامية - حماس - ومشاركتها في الانتفاضة منذ ساعاتها الأولى، ثم تواصل العمليات العسكرية لكتائب عز الدين القسام ضد الأهداف الصهيونية، ثم انخراط غالبية خصوم حماس في العملية السلمية من مدريد إلى واشنطن إلى الحكم الذاتي في غزة وأريحا، ومع ذلك فإن خصوم التيار الإسلامي ظلوا يرددون أن الاحتلال أتاح الفرصة للإخوان المسلمين كي يضعفوا التيارات الوطنية، لكن الإخوان انقلبوا أخيراً على الاحتلال، بالضبط كما فعل السادات الذي شجع التيار الإسلامي وقتل على يديه.

أول هذه الحجج أن «إسرائيل» أتاحَت للحركة الإسلامية حرية التعبير والحركة وإنشاء المؤسسات، وهي بالتالي لم تطاردتهم أو تعتقلهم كما فعلت مع التيارات الوطنية الأخرى. والمعروف أن الحركة الإسلامية بدأت عملها بالدعوة إلى الالتزام بتعاليم الإسلام والعودة إلى

الله بواسطة الوعظ والدروس في المساجد، والعمل على انتشار الظاهرة الإسلامية من تشجيع الكتاب الإسلامي والزى الإسلامي ونشر دور تحفيظ القرآن الكريم، ثم إقامة المؤسسات الاجتماعية والخيرية.. ولم يشكل هذا كله خرقاً للقوانين الإسرائيلية التي تسرى على الجميع دون استثناء، فلم يكن باستطاعة الاحتلال - حتى لا يتيح الفرصة للصعود الإسلامي - أن يغلق المساجد، وأن يمنع الخطب والدروس المسجدية وحلقات تحفيظ القرآن ومشروعات التكافل التي تقوم بها المؤسسات الخيرية من كفالة الأيتام والأرامل وتوزيع الزكاة والصدقات على المحتاجين، وليس بمقدوره أن يغلق رياض الأطفال الإسلامية أو بعض المستوصفات التي تقدم الخدمات العلاجية.

وأبرز الأمثلة التي يقدمها خصوم التيار الإسلامي، أن الاحتلال سمح بقيام «المجمع الإسلامي» و«الجمعية الإسلامية» في غزة، والحقيقة أن المجمع الإسلامي والذي تأسس سنة ١٩٧٣م حسب القوانين السارية، لم يحصل على الترخيص من السلطات العسكرية إلا في سنة ١٩٧٩م، أما الجمعية الإسلامية فقد ظلت في صراع مرير مع الإدارة العسكرية التي استدعت الشيخ خليل القوقا الأمين العام للجمعية في ٣ / ١ / ١٩٨٥م^(١)، وطالته بإخلاء مباني الجمعية، وهددت بهدمها اعتباراً من يوم ٦ / ١ / ١٩٨٥م^(٢)، كما قامت السلطات بإغلاق مستوصف الجمعية الخيرية الإسلامية في مدينة الخليل واستولت على المكان في ٢ / ٥ / ١٩٨٠م علماً بأنه رُخص من دائرة الصحة^(٣).

لقد سمحت إسرائيل بقيام الكثير من الجمعيات والنوادي والمؤسسات والجامعات والكليات والاتحادات والنقابات والمكاتب الصحفية المنتشرة في كل مكان، وكلها تحت إشراف رجال (م. ت. ف) أو الفصائل الوطنية، وكلها تمارس العمل السياسي العلني وتعلن تأييدها لمنظمة التحرير، يضاف إلى ذلك الصحف والمجلات التي تصدر في القدس وكثير منها يعبر عن تأييده للمنظمة، ويتلقى منها الدعم المالي، وبعضها يعبر عن الحزب الشيوعي الذي تأسس في الضفة الغربية بصورة علنية، ولم يكن للحركة الإسلامية صحيفة واحدة، كما أن شخصيات ورموز حركة «فتح» والمنظمات اليسارية معروفة في الأرض المحتلة، وتمارس نشاطها في عمل الندوات والتحدث إلى وسائل الإعلام المحلية والخارجية.

(١) جريدة (القدس)، ٦ / ١ / ١٩٨٥م.

(٢) جريدة (القدس)، ٢١ / ١ / ١٩٨٥م.

(٣) قيادات منطقة الخليل، مخطوط كتب في «مرج الزهور».

ولعل أبرز مثال هنا على «تسامح» السلطات المحتلة مع التيارات الوطنية، هو إنشاء «حركة الشبيبة» التابعة لـ«فتح» عام ١٩٨٠م، وقيامها بالعمل السياسي والاجتماعي العلني وإشرافها على كثير من المؤسسات والنوادي. كما جاء ذلك على لسان إحدى مجلات منظمة التحرير الفلسطينية: «منذ تأسيسها في بداية عام ١٩٨٠م، بمبادرة من نشيطي حركة «فتح» الذين أمضوا فترات اعتقال مختلفة داخل السجون الإسرائيلية، عمدت حركة الشبيبة إلى تطوير آلاف الفلسطينيين وعملت على ضمهم إلى أطرها المختلفة...» وتقول أيضاً «أنه بمجرد الإعلان عن لا قانونية حركة (الشبيبة) وحظر نشاطاتها في ١٩ / ٣ / ١٩٨٨م، والتهديد باعتقال ومحاكمة كل شخص يستمر في عضويتها، سارعت سلطات الاحتلال الإسرائيلية إلى إغلاق العديد من نوادي الحركة، ومؤسساتها ومقراتها الاجتماعية ومراكزها الشبابية والرياضية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (مركز الشباب الاجتماعي في مخيم بلاطة، جمعية الشبان المسلمين في أبو ديس - شرقى القدس، مراكز الشباب التابعة لوكالة الغوث في طولكرم ونقابة عمال طولكرم أيضاً)، وتوسع مؤسسات ونواد أخرى، حسب تأكيدات راديو العدو الإسرائيلي»^(١).

ولعل السبب الذي يكمن وراء هذه الاتهامات غير الموضوعية، هو ذلك النجاح الذي حققته المؤسسات الإسلامية إذا قورن بعمل المؤسسات الأخرى، يؤكد ذلك باحث محسوب على التيارات الوطنية فيقول في معرض حديثه عن مؤسسات حماس الخدمية: «لقد وفرت بدائل عالية التنظيم والفاعلية لمثيلاتها (الوطنية) وتميزت عن معظمها في نوعية الخدمة المقدمة، والمتسمة بقلّة التكاليف المطلوبة من المواطن من جهة، والممزوجة بدمائة في خلق العاملين وحسن معاملتهم للمواطن من جهة أخرى، وابتدأ الكثيرون من الفلسطينيين، ولاسيما من عامة الشعب، يجد في مؤسسات (حماس) متنفساً للحصول على الخدمة والرعاية غير الممزوجة بالفئوية والتناحر السياسي أو الاستعلاء العقائدي، أو التكسب والارتزاق المستشري في الظاهرة (الدكاينية) الملازمة للكثير من المؤسسات الوطنية»^(٢).

ويتساءل أنصار الحركة الإسلامية: إذا كان الاحتلال قد قام بتشجيع الإخوان المسلمين وتشجيع مؤسساتهم، فلماذا ظلت الإدارة العسكرية لا تعترف بشهادة الجامعة الإسلامية في

(١) «سلطات الاحتلال تحظر نشاط حركة الشبيبة» (صوت البلاد)، العدد ١٥٠، ١ / ٤ / ١٩٨٨م، ص ٣٢.

(٢) على الجرباوي «حماس: مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية»، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، عدد ١٣، ص ص ٧٤-٧٥.

غزة منذ تأسيسها وحتى قبيل تسليم غزة لإدارة الحكم الذاتي، وبالتالي تحرم خريجيهما من الوظائف في الإدارات التعليمية وفي وكالة الغوث أيضاً، بينما تعترف بشهادات الجامعات الأخرى في الأرض المحتلة.

الواقع أن الخصومة والمكائدات والتعصب هو الذى أنشأ هذه الاتهامات، فالاحتلال ينفذ سياسة تخدم مصلحته أولاً وأخيراً، وهو لم يتسامح مع الحركة الإسلامية ولا مع منظمة التحرير بكافة فصائلها، فإسرائيل ليست معنية بمصلحة (م. ت. ف) أو غيرها، وهى لن تعمل على تنامي قوة (م. ت. ف) أو الحركة الإسلامية، بل هى أرادت أن تضعف الجميع، لتسهل سيطرتها على الأرض المحتلة طبقاً لسياسة «دايان» المشهورة «أن دع العرب يتكلمون فإنهم لن يعملوا وإذا عملوا سنحاسبهم»، كانت سلطات الاحتلال لا تريد أن تحشر التيار الوطنى فى الزاوية حتى لا تفجر الخزون لدى الجماهير، وكانت أكثر حرصاً بالنسبة للاتجاهات الدينية التى تعلم أن انفجار المشاعر الإسلامية لدى الجماهير أكثر خطورة.

يقول أحد أقطاب الحركة الإسلامية وأبرز مفكرىها فى الداخل: حينما تفتح إسرائيل الباب للكلام، يبرز المستور فوق السطح ويصبح أولئك لا يمثلون خطورة حيث تجرى متابعتهم، وتظل الخطورة فيمن هم تحت السطح، كانت إسرائيل تريد أن تكشف الجميع ومن بينهم الحركة الإسلامية التى كانت لغزاً يريدون حل طلاسمه، فقد كانت إسرائيل تدرك أنه يتوجب عليها ألا تمس الجانب الدينى لأن انفجاره سيكون مدمراً^(١).

أما عن عدم اعتقال الإسلاميين، فالمعروف أن سلطات الاحتلال تعتقل ذوى النشاط العسكرى أو النشاط التنظيمى السرى الموجه للاحتلال، بينما ركزت الحركة الإسلامية فى تلك المرحلة على الدعوة وأسلمة المجتمع، ولكن فى الأحوال التى كانت ترى فيها مخالفة من الإسلاميين فإنها تعتقلهم، فقد نسبت «رويتز» إلى ضابط إسرائيلى عام ١٩٨١م أن إسرائيل اعتقلت خمسة رجال دين من جماعة الإخوان المسلمين الذين تراقب السلطات نفوذهم المتزايد عن كئيب، لكنه قال إن إسرائيل لا تفكر فى اتخاذ أية إجراءات ضد جماعة الإخوان المسلمين^(٢).

وكانت إسرائيل قبل ذلك فى عام ١٩٨٠م قد اعتقلت أعضاء «أسرة الجهاد» التابعة للإخوان المسلمين داخل فلسطين المحتلة، ثم اعتقلت الشيخ أحمد ياسين وآخرين سنة ١٩٨٤م

(١) الشيخ بسام جرار، مقابلة شخصية، مرج الزهور، ٦/٦/١٩٩٣م.

(٢) جريدة (الوطن) الكويتية، ٧/٢/١٩٨١م.

فى قضية الأسلحة، ويقول الشيخ بسام جرار: «إن إسرائيل كانت تتعامل بحذر مع التيار الإسلامى وتعاملت مع هذه الحالة على اعتبار أنها تجاوزت الخط العام ولم يكن تحولاً فى وجهة نظرها»^(١)، ويستطرد قائلاً: «هل سيعتقلوننى بتهمة أنى رجل متدين؟ ومع ذلك جاءت الانتفاضة والشيخ فضل صالح فى السجن، وقبل سجنه فرضت عليه الإقامة الجبرية فى بلدته (دورا)، وكذلك الشيخ إبراهيم أبو سالم اعتقل إدارياً ولم يكن لهما أى طرح سياسى».

كما كان من بين هذه التهم «أن سلطات الاحتلال تسمح للإسلاميين بجلب الأموال من الخارج، لتغطية نشاطهم فى الوقت الذى منع فيه الآخرون من هذا الامتياز»^(٢)، وترد مصادر الإخوان المسلمين قائلة: «أين هى المؤسسات الإسلامية التى يفض الاحتلال الطرف عنها.. إننا نشير بأصابع الاتهام إلى ذلك الإغضاء الذى تمارسه السلطة عن المؤسسات الحزبية الصريحة لكل الفئات عدا الإسلاميين، مع علم السلطة الكامل بمصادر تمويلها واتصالاتها الدائمة.. بل إن الاحتلال يسهل وصول الأموال إليها، فهى عشرات المكاتب الصحفية ومؤسسات البحث والإقراض والمعاهد والجامعات الخاصة والمصانع المدعومة والجرائد والمجلات التى تسبح بحمد بعض الجهات صراحة (يقصد م. ت. ف) وتنال مباركة السلطة أو تسهيلات»^(٣).

وتزداد حدة الاتهامات لتصل إلى أن إسرائيل تقدم دعماً مالياً للحركة الإسلامية، وينقل د. زياد أبو عمرو عن ديفيد شبلر قوله: «لقد ذكر لى البريغادير جنرال إسحق سيحيف - الحاكم العسكرى لقطاع غزة - ذات مرة، كيف أنه مولّ الحركة الإسلامية كقوة مناهضة لمنظمة التحرير والشيوعيين، فإن الحكومة الإسرائيلية تعطينى ميزانية، والحكم العسكرى يعطى للمساجد»^(٤) ويضيف أبو عمرو: «أن دائرة الأوقاف فى قطاع غزة تخضع لإشراف (الإدارة المدنية) التابعة للحكم العسكرى الإسرائيلى، وهذه الإدارة هى التى تقوم بالإلفاق على «دائرة الأوقاف» من أموال الأوقاف نفسها»^(٥)، فكيف يمكن اعتبار ذلك تمويلاً إسرائيلياً للحركة الإسلامية.

ومن الحجج التى يسوقها خصوم الحركة الإسلامية أيضاً للتدليل على مساندة إسرائيل

(١) بسام جرار، مرجع سابق.

(٢) ربيعى المدهون، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٣) «شبهات وردود»، نشرة صادرة عن الكتلة الإسلامية بجامعة النجاح الوطنية، تموز (يوليو) ١٩٩٢م، ص ٣.

(٤) زياد أبو عمرو، ص ٦٤.

(٥) المرجع السابق.

للحركة الإسلامية، أن السلطات العسكرية كانت تقف دائماً مع الإخوان المسلمين في الاشتباكات التي تدور بينهم وبين الفصائل الوطنية، «وأن سلطات الاحتلال وقفت مكتوفة الأيدي، وهي ترى بأم عينها عناصر إخوانية تطعن وطنيين وتقدميين فلسطينيين بالمدى والسكاكين... وفي مثل هذه الحالة، كان جنود الاحتلال يكتفون بمحاصرة مكان الاشتباك خشية وصول نجدة للعناصر الوطنية والتقدمية»^(١)، فهل سمحت سلطات الاحتلال بوصول نجدة للإسلاميين ولو في حادث واحد؟ كما ينتقد خصوم الإخوان وصول عدة باصات من غزة إلى بيرزيت ويعتبرونه دليلاً على تواطؤ إسرائيل وإعطاء حرية الحركة للإسلاميين، ولكنهم لا يفسرون كيف وصلت إلى غزة ثلاثة باصات محملة بالشباب من بيرزيت ورام الله من أنصار التيار الوطني بهدف مهاجمة الجامعة الإسلامية في غزة مع رفاقهم من القطاع في حادث «السبت الأسود»، كما أن السلطات العسكرية لم تتدخل حينما حوشر شباب الكتلة الإسلامية وبناتها داخل جامعة بيرزيت من قبل طلاب الفصائل الوطنية ومواطنين من قرية بيرزيت.

كانت سلطات الاحتلال تتفرج على هذه الأحداث وتنظر إليها بعين الرضا، فهي المستفيد الوحيد من هذا الانحدار والخطأ الذي شارك فيه ويتحمل مسئوليته الطرفان. وكانت هي الفائزة دائماً أياً كان المغلوب الوطنيون أم الإسلاميين.

السعودية والأردن ودول الخليج تدعم الإخوان المسلمين؛

ومن الشبهات المهمة التي أثارها التيار الوطني واليساري حول الإخوان المسلمين، أنهم يتلقون الدعم والمساعدات المالية من السعودية والأردن ودول الخليج العربي، وهم بذلك يريدون إحياء وتأكيد الاتهامات القديمة التي وجهها النظام الناصري وغيره إلى الإخوان بارتباطهم مع الأنظمة الرجعية والإمبريالية العالمية، وقد تكررت هذه الاتهامات في كثير من أدبيات الفصائل الفلسطينية التي تؤكد على «الدعم المادي والمعنوي الذي حصل عليه التيار الديني المحافظ وخاصة جماعة الإخوان المسلمين من أطراف خارجية متعددة يعتقد أن الأردن والسعودية من ضمنها»^(٢).

(١) عبد القادر ياسين (حماس، حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين)، القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٠م، ص ٣١-٣٢.

(٢) علي الجرباوي (الانتفاضة القيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة - بحث في النخبة السياسية)، بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٠٨٠م، ص ٥٣.

الذين يروجون هذه الاتهامات لا يستندون إلى أدلة، فإذا كان «لأردن مصلحة في إضعاف نفوذ (م. ت. ف) في الأراضي المحتلة»^(١) فليست له مصلحة في تنامي قوة الحركة الإسلامية، وإذا «كانت الأردن قد قدمت مساعدات مالية وسياسية للفعاليات الإسلامية (ويفسرون ذلك) بأن الأردن مولت إدارة الوقف الديني الإسلامي في القدس»^(٢) ومع أن الحكومة الأردنية استمرت طيلة فترة الاحتلال ولأكثر من عشرين سنة في إرسال الرواتب للموظفين في الضفة الغربية في جميع الإدارات إلى أن أعلنت الأردن فك ارتباطها الإداري بالضفة الغربية عام ١٩٨٨م، لكنها أبقت على ارتباطها وتمويلها لإدارة الأوقاف في الضفة، وللمؤسسات الإسلامية في القدس لأسباب تخص الحكومة الأردنية وحدها، من التزامات دينية وتاريخية، ولأجل تقوية نفوذها داخل الأرض المحتلة، وللأردن هناك رجاله وأنصاره الذين يرتبطون به برباط التاريخ والمصالح.

إن الإشراف على إدارة الأوقاف وتمويلها وإعطاء الرواتب للموظفين لا يعتبر دعماً للإخوان المسلمين، فموظفو الأوقاف والشئون الدينية فيهم من يوالون الأردن، ومنهم من يوالون (م. ت. ف) كما فيهم من يوالون الإخوان المسلمين، وفيهم الكثيرون دون ولاءات أو انتماءات سياسية، كما أن الإشراف على الإدارات الأخرى، تعليمية وصحية واجتماعية وغيرها، وإعطاء الرواتب لموظفيها الذي استمر حتى سنة ١٩٨٨م ليس مساعدة ودعماً لمنظمة التحرير وفصائل اليسار التي لها موظفون كثيرون في تلك الإدارات.

ويضيف باحث آخر: «أن وزارة الأوقاف الأردنية التي تشرف على تعيين الوعاظ لمساجد الضفة تعطى الأفضلية في المعاملة للإخوان لأنها تريد إضعاف منظمة التحرير»^(٣)، والواقع أنه ليس عند الشيوعيين واليساريين من يمكن أن يعملوا وعاظاً، أما الإخوان فإنهم يتقدمون كغيرهم لهذه الوظائف بصفاتهم الفردية وبمؤهلاتهم الشرعية. ومن الطبيعي أن يكون منهم الكثيرون المؤهلون لهذه الوظائف التي يحصلون عليها دون تنسيق أو اتفاق، بل إن الإخوان في العادة يحافظون على سرية انتمائهم، كما أنه ليس من المستبعد أن يكون أحد المسؤولين في الإدارة من الإخوان فإنه بالتأكيد يسهل توظيف إخوانه.

أما عن دول الخليج وخاصة السعودية فإنها قد مولت عدداً من المؤسسات الإسلامية في

(١) Sahliyah, p.143 .

(٢) Ibid .

(٣) Mohammad Shadid, "The Muslim Brotherhood Movement in the West Bank and Gaza Strip" Third world Quarterly, VI. 10, No. 2, April. 1988, p.675.

الأرض المحتلة مثل المجمع الإسلامى فى قطاع غزة الذى يشرف على عدد من دور الحضارة والمدارس الإسلامية، ومع أن المجمع الإسلامى ينفى ذلك جملة وتفصيلاً ويقول فى بيان صادر عنه: «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»^(١)، فإن من المعروف أن كثيراً من المؤسسات والمستشفيات والكليات والمكتبات الجامعية فى الضفة الغربية والتي يشرف عليها أنصار (م. ت. ف) قد تم تمويلها بأموال المؤسسات السعودية والكويتية شعبية كانت أو رسمية.

وتوضح الكتلة الإسلامية فى جامعة النجاح كثيراً من الأمور فى هذه المسألة: «إننا من حيث المبدأ لا نقبل مساعدة أو تبرعاً أو منحة إلا من عضو أو صديق أو محب نعرف دينه ولا شبهة فى أمواله، ونتحدى أية جهة كانت أن تثبت تلقى الإسلاميين لمساعدات حكومية من أية جهة كانت.. فالحركة الإسلامية بامتداداتها العالمية تتكافل فيما بينها بحكم الإخوة الإسلامية، ولا ننكر تضامن الإسلاميين فى كل بقاع الأرض مع طلائع الإسلام الصاعد فى فلسطين.. ثم نشير بأصابع الاتهام إلى الأطراف الأخرى فنقول: عجيب كل العجب أن يتكلم فى المسألة المالية من بذروا المليارات من أموال الشعب الفلسطينى وأهدروا إمكانياته.. (وتضيف) أليست دول الخليج هى التى تلزم كل الفلسطينيين العاملين لديها بدفع نسبة من دخلهم لكم كضريبة تحرير.. أليست السعودية هى التى تقدم مساعدات دورية - ثابتة - تنال مدحكم المتواصل - وكذلك كل دول الخليج»^(٢). وهكذا أيضاً فإن هذه الشبهة لا تقوم على أدلة ثابتة كما أنها وإن صححت، مع إنكار الحركة الإسلامية لذلك، فإن حركة «فتح» خاصة ومنذ تأسيسها قامت على أموال السعودية ودول الخليج.

والذى لا تنكره الحركة الإسلامية أن الإسلاميين الفلسطينيين وغيرهم خارج الأرض المحتلة قد نشطوا فى جمع التبرعات وتأسيس اللجان، والجمعيات المناصرة للشعب الفلسطينى، والتأثير على الجمعيات والمؤسسات والأثرياء المسلمين من أجل دعم المؤسسات والمشاريع الإسلامية داخل الأرض المحتلة، ولعل أكثر الأموال كانت تأتى من السعودية والكويت ودول الخليج.

عدم الاعتراف بـ (م. ت. ف) والخروج عن الوحدة الوطنية؛

كانت فصائل (م. ت. ف) فى الأرض المحتلة تستند دائماً إلى شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطينى، تلك الشرعية التى أقرها واعترف بها الرؤساء العرب فى مؤتمرات

(١) بيان «المجمع الإسلامى» بدون تاريخ.

(٢) شبهات وردود، مرجع سابق، ص ٣.

القمة، كما اعترفت بها كثير من دول العالم بالإضافة إلى المحافل الدولية وخاصة هيئة الأمم المتحدة التي تمثل فيها (م. ت. ف) الشعب الفلسطيني بصفة مراقب، كما يمثلها المجلس الوطني الفلسطيني الذي يضم في عضويته ممثلين عن كل القوى التي شاركت في الكفاح المسلح إلى جانب ممثلين عن الاتحادات الشعبية والنقابية الفلسطينية وكذلك كثير من الشخصيات والكفاءات الفلسطينية باسم «المستقلين». وكانت الحركة الوطنية دائماً ترى أن الحركة الإسلامية بعدم وجودها في مؤسسات (م. ت. ف) إنما تخرج عن الوحدة الوطنية والإجماع الوطني الذي تعمّد بالدماء والدموع.

أما الإخوان المسلمون فإنهم - وطبقاً لتصريحاتهم - لا يعادون المنظمة ولا ينكرون عليها إنجازاتها ومكاسبها وشهداءها وإنما يتحفظون على بعض الأمور الأساسية، يطالب الإخوان أن تمثل المنظمة الشعب الفلسطيني أصدق تمثيل من حيث تبني عقيدة الشعب ودينه وتاريخه، ليكون الإسلام أيديولوجية المنظمة بدلاً من واقع المنظمة الذي يتبنى الأفكار العلمانية مع كثير من المؤثرات الماركسية التي تمثلها الفصائل الأخرى.

كما يرفض الإخوان طريقة تركيب المجلس الوطني الفلسطيني ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية المفروضة بناء على موازين القوى داخل المنظمة، والتي تجعل القيادة في (م. ت. ف) حرة الحركة أمام مؤسسات هي أشبه بالديكور، وهم بذلك يردون على المقولات المتكررة لدى (م. ت. ف) والتي تعجب لماذا يدخل الإخوان البرلمان الأردني والمصري، ولا يدخلون البرلمان الفلسطيني، وعلى الرغم أن القياس الذي يغفل الظروف المختلفة هو قياس غير علمي، فحركة الإخوان العالمية تلتزم كلها بخطوط عريضة لا يجوز تخطيها، أما بالأمور التفصيلية فهي أمور اجتهادية بحسب ظروف كل قطر، وقد تتغير في القطر الواحد بتغير الظروف، فما يجوز هنا قد لا يجوز هناك، وما قد جاز في الماضي قد لا يجوز في الحاضر ولا نستطيع أن نقطع الآن بجوازه أو عدم جوازه في المستقبل. وعموماً فإن الإخوان المسلمين أجازوا دخول رجالهم في المجالس النيابية حسب ما يراه الإخوان في كل قطر.

والإخوان المسلمون في الأردن وفي غيرها حملهم إلى البرلمان أصوات الناخبين من الشعب، فلم يدخلوه بقرار أو بناء على صفقة، ولم يكونوا مطالبين بتقديم مقابل، وطالما أن الأمور تعود إلى الشعب (بغض النظر عن تفاوت درجات النزاهة في الانتخابات) فإن المسؤولية تقع على الشعب، فإن كان الإخوان في البرلمان أقلية فإنهم يقولون كلمة الحق التي يؤمنون بها ولا ذنب لهم إذا أرادت الأغلبية غير ذلك أما في الحالة الفلسطينية فإن المجلس

الوطني الفلسطيني لم يأت أبداً عن طريق الانتخاب، وسوف يُلام الإخوان إذا رضوا أن يكونوا ديكوراً وأقلية عند اتخاذ القرارات الجذرية والجوهرية التي يرى فيها الإسلاميون وغيرهم تناقضاً مع العقيدة ومع مصالح الشعب.

وبذلك تكون معارضتهم من خارج مؤسسات (م. ت. ف) أكثر أثراً وأبعد شبهة. وتأكيداً لتمثيلهم قطاعاً من الجماهير الفلسطينية في رفضها لمسيرة المنظمة وسياساتها، قلت هذه الجماهير أو كثرت، وبذلك لا تكون قرارات المنظمة «الجذرية» ملزمة للشعب الفلسطيني كله.

وبناء على ذلك، يرفض الإسلاميون وبشدة الفكرة التي تقول أن من يخالف المنظمة يخالف الشعب الفلسطيني، «ترفض الحركة هذا المنطق الذي يشبه النهج التقليدي للمنظمة العربية الديكتاتورية في مصادر الحقيقة واحتكار الصواب بادعاء أن من يخالف الحزب الحاكم أو الرئيس الفرد فإنما يعادي الشعب، ونحن فلسطينياً نرفض تمرير هذه السياسة بادعاء أن من يخالف المنظمة فهو في صف الاحتلال»^(١).

كما يرفض الإخوان المسيرة السياسية لمنظمة التحرير وجنوحها نحو الحل السياسي منذ الدورة الثانية عشر للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة عام ١٩٧٤م والتي أقرت مشروع السلطة الوطنية إلى الاعتراف بقرارات الأمم المتحدة ثم مؤتمر مدريد والاعتراف بإسرائيل وتطبيق اتفاقية الحكم الذاتي. ويضيف الإخوان المسلمون إلى تحفظاتهم رفضهم لتلك النزعة القطرية التي غذتها (م. ت. ف) في الفلسطينيين بالمشاركة مع الأنظمة العربية التي لاحقت الفلسطينيين وأساءت معاملتهم في السفر والإقامة والعمل والدراسة، ويرى الإخوان أن المنظمة بذلك تحرم قضية فلسطين من تأييد ومناصرة ومشاركة مئات الملايين من المسلمين بل إن مواقف المنظمة الدولية في وجهة نظر الإخوان كانت كثيراً ما تسيء إلى مشاعر المسلمين كموقفها من الحكم الشيوعي في أفغانستان ومن الجهاد الأفغاني، ومن النزاع بين الهند وباكستان، والصراع على قبرص بين الأتراك واليونان.

«ومع ذلك فإن الإخوان المسلمين يعتبرون منظمة التحرير كإطار ومؤسسة مكسباً فلسطينياً هاماً إلا أنهم يرفضون النهج الأيديولوجي والنهج السياسي وأسلوب تشكيل المنظمة»^(٢). ويأتي في أغسطس ١٩٨٨م ميثاق حركة حماس ليؤكد «أن منظمة التحرير

(١) المرجع السابق، ص ٢.

(٢) (ميثاق حركة المقاومة الإسلامية)، (مادة ٢٧).

الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية.. ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كنهج حياة، فنحن جنودها...»^(١).

وعلى هذا كان موقف الإخوان المسلمين من منظمة التحرير يتلخص بأنهم لا يعلنون اعترافهم بها كممثل للشعب الفلسطيني، وفي نفس الوقت لا يعلنون عدم اعترافهم بها، على اعتبار أن المستقبل قد يبعد بينهما أو يقرب بينهما، وكانوا يأملون في الثانية.

ويلاحظ أن الخلاف لم يكن حواراً فكرياً بقدر ما تسببت عوامل كثيرة في جعله اتهامات متبادلة وصراع وصل إلى حد الاقتتال بالأيدى والآلات الحادة، ووصل إلى حد اتهام الحركة الإسلامية بالعمالة لإسرائيل على أساس الأهداف المشتركة التي تجمع بينهما، «وهكذا حدد الطرفان (الإخوان وإسرائيل) موقفيهما انطلاقاً من العداء المشترك للمجموعات الوطنية، وتطور مستوى درجة هذا العداء في كل مرحلة، وقد أدى هذا التوافق «المؤقت» في الأهداف إلى ظهور تعاون غير معلن بين الطرفين...»^(٢)، ووصل الأمر بكاتب شيوعي أن جعل إسرائيل تشجع الدعوة إلى مكارم الأخلاق التي تدعو إليها الجماعة بعيداً عن مقاومة الاحتلال^(٣)، بل وصلت الاتهامات التي لا تقوم على أساس إلى درجة «أن تشيع بعض الأوساط الوطنية أن الشيخ أحمد ياسين، زعيم الجمع الإسلامي في القطاع كان قد أقسم على المصحف أمام المحقق الإسرائيلي أن ما ضبط في حوزته من أسلحة عام ١٩٨٤م كان سيستخدم ضد القوى اليسارية.. ويرد الإخوان: «هل إلى هذا الحد تحرص السلطات الإسرائيلية على حياة وسلامة الشخصيات الوطنية حتى تعتقل من يريد قتلهم»^(٤). وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ أحمد ياسين تعرض لضغوط شديدة من قبل سلطات الاحتلال، وساوموه كثيراً على أن يقول أن هذه الأسلحة ليست بهدف قتال إسرائيل، من أجل أن يخففوا عنه الحكم أو يفرجوا عنه.. لكن الشيخ قاوم التعذيب ورفض هذه المساومات^(٥).

واستمر الحال كذلك حتى بعد اندلاع الانتفاضة، بدلاً من الحوار والحجة ومحاولة البحث عن التفاهم والتكامل استخدم كل من الطرفين أساليب الاتهام والتجريح وذلك بسبب

(١) المرجع السابق.

(٢) ربيع المدهون، مرجع سابق، ص ٣٠-٣١.

(٣) عبدالقادر ياسين، (حماس - حركة المقاومة الإسلامية)، ص ٤٦.

(٤) زياد أبو عمرو، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٥) د. عبدالعزيز الرنتيسي، مرجع سابق.

الحساسية الشديدة لدى قيادات (م. ت. ف) وخاصة حركة «فتح» في موضوع قيادة الشعب الفلسطيني وبسبب الموقف المتشدد للحركة الإسلامية والذي لا يخلو أحياناً من التعصب وسوء التقدير ومشاعر الاستعلاء الفكرى والتي يشجعها الكسب الواسع على مستوى الجماهير، وفوق هذا كله أيدى الاحتلال التي لا تغيب في مثل هذه الأحوال.

التأخر عن الجهاد وتأجيله وإهمال العمل السياسى؛

كانت هذه الشبهة من أكثر الشبهات التي تخرج الإخوان المسلمين، وخاصة شبابهم في الجامعات في النصف الأول من الثمانينيات الذين كان عليهم أن يواجهوا يوماً سؤالاً محدداً: «أين كنتم في الستينيات والسبعينيات، وأين أنتم الآن من مواجهة الاحتلال؟» ومع أنهم كانوا يجادلون في ذلك ويتحدثون عن القمع الناصرى لهم وتآمر القوى الدولية والمحلية عليهم، ويجدون في بطولات الإخوان في حرب ١٩٤٨م وتشكيلاتهم الفدائية بعد الحرب، دليلاً على وطنية الإخوان وقتالهم، كما يضيفون إلى ذلك تجربة معسكرات الشيوخ في الأردن في سنتى ١٩٦٩م، ١٩٧٠م إلا أن عدداً كبيراً منهم كانوا في قرارة أنفسهم غير مقتنعين في ذلك ويشعرون بالتقصير.

ثم جاءت من بعد ذلك مساهمة حركة الجهاد الإسلامى فى التعرض المستمر لهذه القضية، لتزيد من انتشار هذه الشبهة وتعطيها فهماً إسلامياً جديداً، وتشيع بين الناس «أن جماعة الإخوان المسلمين بعد مؤسسها البنا وبعد مفكرها الكبير سيد قطب انتهت إلى الجمود والتفوق ومهادنة الأنظمة»^(١).

ولعل من أهم الأسباب التي جعلت الإخوان يتأخرون عن المشاركة الفعلية والشاملة مدة عشرين سنة من عمر الاحتلال، بالإضافة إلى ما آمنوا به من ضرورة الإعداد والتهيئة وتكوين جيل مؤمن يضمن استمرار المواجهة ونجاحها، هو قوة منظمة التحرير الفلسطينية، والتفاف الفلسطينيين حولها، وتعليق آمالهم عليها، فمنذ هزيمة حزيران والجماهير الفلسطينية ومعها العربية قد أكبرت حركة المقاومة الوطنية، تلك القوة الصاعدة التي تواجه العدو لوحدها بعد هزيمة أقوى الجيوش، وجه الشعب الفلسطيني طاقاته وشبابه وآماله باتجاه حركة المقاومة التي كانت بانتصاراتها تقرب الشعب منها أكثر، وحتى بهزائمها يقترب الشعب أكثر وأكثر،

(١) فتحى إبراهيم، (مقدمة حول مركزية فلسطين)، مرجع سابق، ص ٦٤.

وكل ما يمكن أن يكون سلبيات فإنه يدفع بالتعاطف نحو منظمة التحرير وقيادتها، فالخروج من بيروت تراه الجماهير تقصيراً بل تأمراً عربياً، والاقتتال المسلح بين الفصائل الفلسطينية يجعل الجماهير تلتف حول (م. ت. ف) ضد التدخلات العربية. وهكذا كان يصعب على الناس أن يسمعوا صوتاً آخر أو خطاباً سياسياً مختلفاً عن صوت (م. ت. ف) وصوت من يؤيدها ويساندها.

ولقد كان أهم أسباب نجاح الإخوان المسلمين في الأرض المحتلة في فترة الإعداد والكسب أن خطابهم كان دينياً بحتاً، ولم يظهر خطابهم السياسي واضحاً إلا في السنوات الخمس الأخيرة قبل الانتفاضة، في الفترة التي بدأت فيها مظاهر الضعف على منظمة التحرير وسياساتها ومؤسساتها وصراعاتها الداخلية، وبدأ كثير من الناس ييأس منها، ويبحث عن مخرج وطريق جديد، وكانت الصحوة الإسلامية، لا في فلسطين وحدها بل في العالم الإسلامي كله، ويضاف سبب مهم ثالث لتأخر الإخوان عن الجهاد ألا وهو الصراعات والمعارك الكلامية واليدوية التي نشأت بين الإخوان المسلمين من جهة والفصائل الوطنية جميعها من جهة أخرى، كذلك ما دار بين الإخوان والجهاد من صراعات أخرى. ونخلص إلى القول أن الإخوان تأخروا فعلاً، وهم أكثر من يتحمل مسؤولية ذلك ويشاركهم في هذه المسؤولية جميع التيارات الوطنية سواء كانت علمانية أو إسلامية.

العنف والإرهاب:

كل من يطلع على أدبيات التيارات الوطنية ومنشوراتها وأحاديثها وحتى بعض كتابات وأبحاث المتعاطفين معها، يخرج بتصور واحد، هو أن الحركة الإسلامية هي التي تبدأ العدوان دائماً، وهي التي تنتهج العنف والإرهاب أسلوباً دائماً في مواجهة القوى الوطنية الديمقراطية. أما من يستمع إلى أنصار الحركة الإسلامية، ويقرأ منشوراتها فيخرج أيضاً بانطباع واحد، هو أن كل القوى وأكثرها ملحدة أو حاقدة تعادى الإسلام كدين ولا تريد للحركة الإسلامية أن تنطلق في مسيرتها، لذلك يقلبون الحقائق ويروجون الأكاذيب، ويحاصرون الحركة ويعتدون عليها.

والواقع أن التصورين بعيدان عن الحقيقة، وأن الطرفين مسئولان عن هذه الأحداث المؤسفة، ويمكننا أن نشير بأصابع الاتهام إلى الطرفين في أربعة حوادث هامة جرت كلها في

مدينة غزة يتقاسم فيها الطرفان المسؤولية في البدء بالاعتداء. لقد أخطأت التيارات الوطنية حينما قامت بعض عناصر من «فتح» باغتيال الدكتور إسماعيل الخطيب، المحاضر بالجامعة الإسلامية، والقائم بأعمال رئيس الجامعة في غيابه، فقد أدخلت «فتح» في الصراع أسلوباً خطيراً كان من الممكن أن يؤدي إلى مأساة وطنية لو بدأ مسلسل الاغتيالات المتبادلة. كما أخطأت التيارات الوطنية حينما جمعت عناصرها من القطاع وآخرين من الضفة الغربية لتهاجم الجامعة الإسلامية، فيما عرف بيوم «السبت الأسود» ٤ / ١ / ١٩٨٣ م.

أما الإخوان المسلمون فقد أخطأوا حينما أقدم بعض شبابهم على الاعتداء بالضرب على الشيخ عبدالعزيز عودة، أحد أهم قادة الجهاد الإسلامي، في عملية كان الأحرى بالمسلمين أن يتعدوا عنها مع الجميع وخاصة مع داعية إسلامي أيضاً، مهما كانت المعاذير. أما الخطأ الثاني فهو الهجوم على مقر الهلال الأحمر الفلسطيني في غزة في أول عام ١٩٨٠ م وإحراقه وتخريبه بحجة أنه مقر الحزب الشيوعي، فقد كانت خطورة هذا العمل تتمثل في أنه أول أعمال العنف الكبيرة التي لا مبرر لها ومع أن بعض المصادر الشيوعية واليسارية تشير إلى أن لـ«فتح» يداً في هذا الحادث^(١) إلا أنه ظل ملتصقاً بالإخوان المسلمين كدلالة على عدم إيمانهم بالحوار الديمقراطي وجنوحهم للعنف، ولا ينفع في ذلك تبرير بعض الإخوان للدوافع والأسباب وتحميلهم مسؤولية ذلك العمل لقيادات الشباب الميدانية^(٢).

عموماً لقد أخطأ الطرفان حيث كان ميدان التنافس الحقيقي لكسب الجماهير وزيادة النفوذ هو مقاتلة الاحتلال من جهة، وخدمة الجماهير من جهة أخرى، من دون صدام أو احتكاك إلا بالحوار والجدال بالتى هي أحسن.

تضخيم الإعلام الغربى للظاهرة الإسلامية:

لقد تجاهلت وسائل الإعلام العربية والفلسطينية الظاهرة الإسلامية في الأرض المحتلة تجاهلاً كاملاً، فإعلام (م. ت. ف) أو الفصائل الأخرى صمت صمتاً مطبقاً عن النشاط الإسلامى فى الداخل، كأنه يريد أن يقول أنه لا يوجد عند الفلسطينيين سوى منظمة التحرير، أما الإعلام الغربى فله أسبابه الداخلية الخاصة فى مواجهة الإسلاميين، بالإضافة إلى علاقاته مع منظمة

(١) عبدالقادر ياسين، ص ٣١ (والفجر) المقدسية، ٦ / ٩ / ١٩٨٧ م.

(٢) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

التحرير، فلم يتطرق مطلقاً إلى الصحوة الإسلامية في فلسطين، وحتى بعد انطلاقة الانتفاضة وانطلاقة حماس ظل الإعلام العربى والفلسطينى يتجاهلها لشهور طويلة إلى أن فرض التيار الإسلامى نفسه على وسائل الإعلام الغربية بصورة يومية، مما جعلنا نرى أحياناً فى بعض الصحف العربية أخباراً عن حماس أو ترجمات عن الصحف الغربية.

ولما فرض التيار الإسلامى نفسه ولم تستطع وسائل (م. ت. ف) تجاهله، بدأت تعترف بوجوده مؤكدة أن حجمه صغير تضخمه وسائل الإعلام الغربية بهدف إضعاف (م. ت. ف)، والحقيقة أننا لو عدنا لباحث فرنسى متميز وجاد فإنه يؤكد أنه «حتى عام ١٩٨٦م كان عدد المقالات عن التيار الإسلامى فى فلسطين فى الصحافة الدولية عدداً هزياً»^(١). وقد أرجع هذا الباحث «تحفظات وتكتم» عدد من المراقبين الغربيين حول التيار الإسلامى إلى «رغبتهم بالحفاظ على مثال جسد التقدمية الثورية والكفاح التحررى الوطنى الذى يقوم به بصورة ممتازة شعب مسلح»، ويؤكد الباحث «أن اهتمام الصحافة الدولية بالإسلاميين بدأ يظهر فقط فى خريف ١٩٨٦م، بعد سلسلة العمليات المذهلة التى وقعت ضد الإسرائيليين تحت «الجهاد»، وهكذا اكتشفت الصحافة بافتتان وذهول، وجود الإسلاميين فى المجتمع الفلسطينى»^(٢).

ملاحظات ختامية:

يتضح لنا أن مجمل العلاقات بين الإخوان المسلمين من جهة وكافة الفصائل الوطنية والجهاد الإسلامى من جهة أخرى كانت غير صحيحة، وأضرّت بالأطراف جميعها، ولم يستفد منها سوى الاحتلال كان دور التعصب والتشنج والإثارة أكثر كثيراً من دور العقل والحكمة والمصلحة الوطنية، وتحمل كافة الأطراف مسئولية ذلك بنسبة أو أخرى، الغريب أننا لم نجد محاولة واحدة، من أى طرف كان، للنقد الذاتى فى تعامله مع الأطراف الأخرى، فكل طرف يمثل الحق كله وخصمه يمثل الباطل كله، ولم نعثر على إنصاف واحد من طرف لآخر، ولا على مساندة، اللهم إلا حينما وقفت الحركة الإسلامية فى الأرض المحتلة وخارجها مع حركة «فتح» ومنظمة التحرير فى نزاعها مع المنشقين وسوريا وفى حرب المخيمات بالتأييد

(١) جان فرانسوا ليفران (الإسلاميون الفلسطينيون) (م. ت. ف)، مركز التخطيط، تونس: ١٩٨٩م ص ٢.

(٢) المرجع السابق.

بالنشرات والخطب والمهرجانات ، فى نفس الوقت الذى حدث فيه تحالف فى لبنان بين «فتح» والإخوان المسلمين الفارين من سوريا ، أو تحالف «فتح» مع «حركة التوحيد الإسلامى» ، ويستطيع البعض أن يعزو هذه الوقفة لأسباب أخرى منها العداء لسوريا وليبيا ، ومنها العداء الدينى لـ «الكثائب» ، والخلاف المذهبى مع الشيعة وبالتالى مع «حركة أمل» ، ومع ذلك لا نستطيع أن نجردها من المشاعر الوطنية فقد كان الإخوان يرون فى «فتح» أقرب الفصائل إليهم .

ويجدر بنا حينما نتحدث عن الإخوان المسلمين أو غيرهم من التنظيمات الإسلامية ، أن نؤكد على أن الإسلام كدين خاتم منزل لإصلاح شأن الدنيا والآخرة ، وأن التزام مبادئه والعمل على هداه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً هو أمر لا شك فيه خير المسلمين ونجاحهم ، ولكن هذا لا يعطى كل العاملين باسم الإسلام شهادة الصواب فى كل عمل يعملونه ، فلا شك أن كل عمل أو قول بشرى قابل للصواب كما أنه قابل للخطأ والانحراف : خطأ فى فهم المطالب الدينية وتفسيرها ، خطأ فى تنزيل هذا الفهم - إن صح - على أرض الواقع ، خطأ فى التنفيذ ، وأخطاء ميدانية هنا أو هناك ، وكذلك الحال بالنسبة للتنظيمات التى لا تتخذ الإسلام منهجاً أو تلك التى تتخذ منهجاً يناقض الإسلام ، فلعل احتمالات الخطأ تكون عندها أكثر .

لقد أخطأ الإخوان وأخطأت «فتح» حينما تمادى الطرفان فى العداوة ، وأخطأ الإخوان وأخطأت حركة الجهاد حينما لم يلتقوا على القواسم المشتركة الكثيرة وتواجهوا على أسباب الاختلاف القليلة ، وأخطأ الإخوان وأخطأ الشيوعيون حينما لم يجدوا فى الاحتلال سبباً للتعاون مع أنهم تحالفوا سنة ١٩٥٥م لإسقاط مشاريع التوطين ، كما أخطأ الإخوان وأخطأ اليسار ممثلاً بالجهة الشعبية والجهة الديمقراطية حينما لم يبحثوا عن خطوط تلاق ، مع أنهم وجدوا هذه الخطوط فيما بعد فى تحالف «الفصائل العشرة» .

وأصبح الهدف الأساسى لكل طرف تشويه الطرف الآخر دون تحرى الدقة والموضوعية ، حتى وقعت فى هذا الشرك بعض الأبحاث بل أكثرها . فكل الأعمال التى يمكن أن تسمى للحركة الإسلامية يتهم بها الإخوان المسلمون ، فالاعتداء على الأعراس المختلطة وعلى النساء اللواتى لا يلبسن الزى الإسلامى كانت تقوم بها جماعات سلفية لا تكتم خلافها ولا تجريحها للإخوان ، أما انتقاد الإخوان لتأجيلهم الجهاد بحجة اعتقادهم أنهم يعيشون «الفترة المكينة» وأن الجهاد يأتى بعد مرحلة الخلافة ، فهذا خلط واضح لأنه اعتقاد «حزب التحرير» الإسلامى

وليس الإخوان، ولما كانوا يريدون أن يشوهوا فهم الإخوان للوطنية فإنهم يستعيرون أيضا وجهة نظر لم يقل بها الإخوان، انظر ما يقوله أحد الكتاب: «وبحسب أحد كتاب الإخوان في الضفة، صبرى أبو ذياب فى كراس أصدره قبل زهاء ثمانى سنوات، فإن الأرض، كل الأرض، إما أن تكون أرض كفر أو أرض إسلام، ولا وجود لأرض عربية، أو فلسطينية، أو يهودية، أو ما شابه ذلك».. وبعد أن نسف أبو ذياب أوليات الوطنية وبديهااتها، يتوجه بالسؤال إلى القارئ، قائلا: «فما بالك لو أمعنت النظر بنقطة لا تكاد ترى على الخريطة (يقصد فلسطين) ويُتعصب لها وتجعل آلهة تعبد من دون الله من قبل المتشدين بالوطنية؟»^(١). والمعروف أن هذا ليس من فكر الإخوان ولا نظرتهم إلى الوطنية عامة وإلى فلسطين خاصة، كما أن من المعروف أن الكاتب المذكور هو من شيوخ حزب التحرير الإسلامى والذى يرى فى الإخوان ما رآه مالك فى الخمر.

والأمثلة على ذلك كثيرة، لكن المهم أن كل كاتب أو متحدث بعد ذلك ينقل ما قاله الآخرون كحقائق دون التثبت منها، ومن مظاهر عدم الموضوعية أيضاً أن خصوم الإخوان المسلمين يريدون أن يجردونهم من أى عمل وطنى ولو كان كالشمس، فهذه المؤسسات الناجحة التى تخدم الناس بصورة لا محسوبة فيها، هى نتاج أموال مشبوهة تأتى من أعداء الشعب الفلسطينى، واعتقال الشيخ ياسين فى قضية الأسلحة ليس عملاً وطنياً لأن هذه الأسلحة كانت ستوجه للزعامات الوطنية والديمقراطية.. وإن قام الإسلاميون بعمل بطولى لا يستطيع أحد تحويره فإنه ينسب للجهاد الإسلامى التى لا يخشون منافستها فى ذلك الوقت، وقد كانت معظم الشبهات تخرج من مصادر إسرائيلية ويتم ترويجها دون النظر إلى المصدر، فالصحيفة التى تنتقد الفصائل الوطنية هى صحيفة معادية أو عميلة، لكن نفس الصحيفة حينما تنتقد التيار الإسلامى تصبح مرجعاً يؤخذ عنه.

وهكذا أيضاً كان موقف الإخوان المسلمين.

وكان لابد من حدث كبير، زلزال يرج الأرض، حتى تصحو جميع الأطراف وتغير منهجها وأسلوبها، فجاءت انتفاضة الجماهير فى ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م، فهل تغيرت الأساليب وانشغل الجميع بالعدو المشترك؟ هذا ما سنراه فى فصول قادمة ●

(١) عبد القادر ياسين، ص ص ٣٢-٣٣.

الباب الثالث

حركة المقاومة الإسلامية «حماس»

الفصل الأول : الانتفاضة وانطلاقة «حماس» .

الفصل الثاني : حركة «حماس» والإعلام .

الفصل الثالث : حركة «حماس» والمواقف السياسية .

الفصل الرابع : هياكل حركة «حماس» .

الفصل الأول الانتفاضة وانطلاقة «حماس»

المبحث الأول «الانتفاضة»

أسباب الانتفاضة:

لقد كُتب الكثير في هذا الموضوع، وتكاد تتفق جميع المصادر على الخطوط العريضة للأسباب التي أدت إلى الانفجار، وما يهمنا هنا هو ما يتصل بموضوع البحث ويمهد له، ويوضح الصورة العامة، مما يربط بين التفاصيل في لوحة واحدة وشاملة ومتراصة.

إن عملية بهذا الشمول والاستمرار، يشارك فيها الشعب كله بمختلف الأعمار والفئات والشرائح الاجتماعية والتوجهات السياسية، لا يمكن أن تكون نتيجة لأسباب بسيطة فجائية لم تكن في الحسبان، فصحيح أن حادث المقطورة الإسرائيلية التي صدمت سيارتي أجرة على حاجز «إيرز» الفاصل بين قطاع غزة وفلسطين المحتلة، وأدت إلى استشهاد أربعة من العمال الفلسطينيين وجرح تسعة آخرين في يوم ٨ / ١٢ / ١٩٨٧ م، كانت شرارة البداية للانتفاضة عارمة وشاملة وعنيفة ستستمر عدة سنوات، لكنها بالتأكيد لم تكن لوحدها كافية، لولا أنها كانت عود الثقاب الذي أحرق أكواماً متراكمة من القهر عمرها عشرون سنة، فقد سبق هذا الحادث عدة حوادث مماثلة كان أكبرها ما حدث قبل الانتفاضة بأربع سنوات حيث صدمت شاحنة إسرائيلية حافلة عمال كبيرة، وأدت إلى مقتل ثلاثة عشر فلسطينياً وجرح آخرين ومرت تلك الحوادث قضاءً وقدرًا، ولم تحدث ردود فعل ذات بال.

ولأن الانتفاضة هي انتفاضة الشعب كله، قادها بنفسه ونفذها بأيدي أبنائه وبناته ورجاله ونسائه في كل المخيمات والمدن والقرى، وليست من فعل أو قيادة أو تخطيط تنظيم واحد أو عدة تنظيمات - مع إقرارنا بالدور الكبير الذي قامت به جميع التنظيمات السياسية في الأرض المحتلة - فكان لابد أن تأتي إشارة البداية من الشعب نفسه، الشعب الذي أدمته جروح الاحتلال المستمر منذ عشرين سنة، وفجعت أرواح الضحايا الذين سقطوا على نقطة تفتيش

«إيرز» فانطلق الشعب كله فى انتفاضته واضعاً الأسس لجميع القوى السياسية كى تضع برامجها لاستمرار الانتفاضة وتصعيدها، معلناً استعداداته الكامل لكل ما يطلب منه وأكثر، من بذل وتضحية وصمود ومواجهات مع العدو. ولقد كانت وراء الانتفاضة أسباب خارجية وأخرى محلية، استمرت تراكماتها بطول سنوات الاحتلال.

(أ) الأسباب الخارجية :

تتلخص الدوافع الخارجية بكلمة واحدة، وهى «اليأس»، اليأس من كل ما يأتى من خلف الحدود، فقد كان قدر الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال أن ينتظر الفرج يأتى من الخارج، صحيح أن الشعب لم يظل ساكناً منتظراً، فقد قاوم وقاتل وتظاهر وأضرب وواجه واحتج وعانى من البطش والسجون ومصادرة الأراضي وهدم البيوت وحظر التجول وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، لكنه كان يؤمن أن الفرج الكامل والحل النهائى لا يأتى إلا مع الجيوش القادمة من خلف الحدود.. وماتت أكثر آماله بموت جمال عبدالناصر، وتعلقت الآمال والأحاسيس بأبنائه الذين يشكلون حركات المقاومة المسلحة، وينفذون الأعمال البطولية، ويرفعون رايته، ويؤكدون على هويته الوطنية فى مواجهة محاولات الطمس والإفناء.

ولكن الأزمات بدأت تعصف بحركة المقاومة، فمن مأساة الأردن عام ١٩٧٠م، إلى مآسى أخرى متكررة ومتنوعة فى لبنان، انتهت بإخراج المقاتلين وتوزيعهم على أماكن تبعد آلاف الكيلو مترات عن الوطن، بالإضافة إلى ما صاحب ذلك أو تبعه من انشقاقات واقتتال فلسطينى داخلى، خلف فى النفوس الكثير من المرارة واليأس.

كان الشعب الفلسطينى دائماً فى الأرض المحتلة وخارجها يزداد التفافاً حول أبنائه ومنظماته ومقاتليه، محملاً مسئولية هذه الانتكاسات المتلاحقة للأنظمة العربية التى انشغلت بمصالحها القطرية الضيقة، أو ارتبطت بالدوائر الأجنبية، فلاحقت الحركة الفلسطينية بالضرب والحصار والتشويه، أو الاستقطاب والاستدراج.. ومع ذلك فقد كانت النتيجة أن الجماهير فى الداخل قد يئست أيضاً من الحل الذى يأتى عن طريق فلسطينى الخارج.

يضاف إلى ذلك أن الجماهير لمست أن معظم الحكومات العربية تسعى فى اتجاه الصلح مع العدو، والتضحية بالفلسطينيين وقضيتهم من أجل الحفاظ على بقاء الأنظمة الحاكمة، وكان أكثر ما سبب اليأس والإحباط، اتفاقية «كامب ديفيد» ومعاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل، فقد ظل الفلسطينيون ينظرون إلى مصر بمثابة الأخ الأكبر والأمل بالخلاص، مقدرين لها الدور الكبير الذى قامت به لنصرتهم وما تحمّلتته فى سبيل ذلك من أعباء، ومسترجعين دورها فى

تحرير فلسطين من التتار ثم من الصليبيين.

ويأتى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى عمان قبل شهر واحد بالضبط من اندلاع الانتفاضة، ليضع النقاط كلها على الحرف، فلم تعد فلسطين وشعبها هى القضية الأولى للدول العربية، ولو على موائد المؤتمرات، وأصبحت الأولوية عند الحكومات العربية لمواجهة إيران وتدعيم أركان الأنظمة.

وجد الشعب الفلسطينى نفسه تحت الاحتلال أنه بين خيارين لا ثالث لهما، خيار مستحيل وآخر ممكن، أما المستحيل فهو أن ييأس ويستسلم، وأما الممكن والذى ينسجم مع طبيعته وتاريخه أن يأخذ الدور كاملاً، ونياية عن الحكومات العربية لعلها تراجع حساباتها، ونياية عن الشعوب العربية لعلها تنتفض هى الأخرى، فتغير أوضاعها، وتسهم فى معركة الخلاص، ونياية عن منظمة التحرير الفلسطينية المحاصرة، لعلها تفك قيودها وتستمد القوة من شعبها.

أما هيئة الأمم المتحدة ومواقف الدول العظمى فقد يئست منها الجماهير قبل ذلك بكثير... يئس الشعب من الجميع وامتلاً ثقة فى نفسه، فهو صاحب الثورات المتصلة منذ سبعين عاماً، لقد نظم أكبر إضراب عرفه التاريخ عام ١٩٣٦م ضد بريطانيا العظمى، ودحر الاحتلال الصهيونى عن قطاع غزة عام ١٩٥٧م، وقبر كل مشاريع التوطين، وفجر الثورات والانتفاضات طيلة العشرين سنة الماضية من الاحتلال، ومع كل هذا فقد كان يرى فى بطولات المقاومة الإسلامية اللبنانية والعمليات الاستشهادية التى أخرجت الأمريكان والإسرائيليين من لبنان، مثلاً مضيئاً يأتية من الخارج.

(ب) الأسباب الداخلية:

كانت العشرون سنة تحت الاحتلال سبباً كافياً لاندلاع الانتفاضة، فقد لعب الاحتلال - رغماً عنه - دوراً مهماً فى التحضير للانتفاضة، وذلك بسياسة القمع والإذلال والإبعاد والتهجير ومصادرة الأراضى، والاستيطان الذى يسحب الأرض من تحت أقدام أصحابها، بالإضافة إلى محاربة التعليم والاقتصاد الوطنى، وفرض الضرائب الخيالية وتقييد حرية الانتقال والسفر، ومحاربة القيم والعمل على نشر الفساد.. وثقلت وطأة الاحتلال فى الفترة الأخيرة حتى أصبح - كما يقول الشيخ خليل القوقا : «جائماً كله على كل فرد من الشعب على حده».^(١)

(١) خليل القوقا، مقابلة شخصية، الكويت: ١٩/٨/١٩٨٨م.

وكانت الحركة الوطنية قد اكتسبت خبرة طويلة في التعامل مع الاحتلال والتعرف على نقاط ضعفه، وازدادت أعداد الشباب المثقف، وانتشرت المؤسسات الوطنية، بشقيها العلماني والإسلامي، مما سبب رقياً في تنظيم الجماهير، وأسهم في إبراز قيادات شعبية لها كلمتها المسموعة، كما كان لعملية تبادل الأسرى التي نفذتها «الجهة الشعبية - القيادة العامة» عام ١٩٨٥م أثراً مهماً حيث أطلق سراح ألف معتقل من ذوي الأحكام العالية وذوى الخبرة التنظيمية والنضالية وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين، توزعت خبراتهم على جميع مناطق الأرض المحتلة.

وكان حضور الغائب أو المغيّب، أى الحركة الإسلامية، وبروزها الفاعل في السنوات العشر التي سبقت الانتفاضة سبباً قوياً في إضافة البعد الأكثر أهمية للصراع مع الاحتلال، وأصبح الإسلام يحرك القطاعات الكبيرة من الجماهير، ودخلت جماعة «الإخوان المسلمين»، الساحة السياسية بكل قوة، بما تملكه من تاريخ، وما تستند إليه من مفردات تجمع الناس عليها، وما تعتمد عليه من أنصار يتواجدون في كل مكان من الأرض المحتلة، بالإضافة إلى امتداداتها الكثيرة والمتعددة من الإخوان المسلمين الفلسطينيين والعرب وأنصارهم في كل مكان في هذا العالم، وكانت الانتفاضات وثورات المساجد والمواجهات في المدن والجامعات والخيّمات بمثابة تدريب للشعب وللتنظيمات السياسية جميعها، أعطتهم الخبرة والثقة.

والشعب الفلسطيني الذي حرم طويلاً - ولا يزال - من السلاح والتدريب، وكان عليه دائماً أن يقدم الشهداء والضحايا، يعطى أهمية بالغة واحتراماً أبلغ للعمليات العسكرية البطولية التي تترك فيه أبلغ الأثر. لذلك تعلق عواطفه بأبنائه في قطاع غزة والضفة الغربية الذين يضربون أروع الأمثلة في القتال والاستشهاد تحت الراية الإسلامية، فقد كانت عمليات «حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين»، تبث روحاً جديدة في شعب الأرض المحتلة لقوتها وجراتها وحجم الخسارة التي سببتها في صفوف العدو، وكانت أبرز هذه العمليات «عملية البراق» في ١٥ / ١٠ / ١٩٨٦م حيث هاجم الشباب المسلم مئات الجنود الصهاينة الذين كانوا يحتفلون بتخرجهم عند «حائط المبكى» في القدس الشريف وأصابوا العشرات منهم، كما نفذ أبطال «حركة الجهاد» في مايو ١٩٨٧م أجراً عملية خروج من السجن في تاريخ الاحتلال، حيث استطاع ستة منهم أن يحرروا أنفسهم من أكثر السجون تحصيناً «سجن غزة المركزي»، ولم يحاول هؤلاء مغادرة الأرض المحتلة بحثاً عن السلامة، إنما اتخذوا قطاع غزة قاعدة لهم يضربون قوات الاحتلال ويشتبكون معها إلى أن سقط أربعة شهداء منهم في

«معركة الشجاعية» الشهيرة، وكان أحدهم مصباح الصوري الذي يحفظ كتاب الله، فالتهمت الأرض المحتلة وصدرت البيانات الملتهبة ونفذت الإضرابات، مما جعل جميع مصادر وأدبيات حركة الجهاد الإسلامي تؤرخ للانتفاضة من تاريخ ٦ / ١٠ / ١٩٨٧م، يوم استشهاد المجاهدين الأربعة في الشجاعية، وقبل الموعد المعروف والمتفق عليه للانتفاضة بشهرين. وهكذا كانت أسباب الانتفاضة وأدواتها وإمكانياتها وروحها المتحفزة جاهزة تنتظر فقط إشارة البداية، لتأتي حادثة المقطورة ويحدث الانفجار.

الانفجار

وقعت الحادثة على مرأى ومسمع من آلاف العمال الذين ينتظرون دورهم في التفتيش كما يحدث لهم كل يوم، هؤلاء العمال عادة يعودون إلى بيوتهم في كل مدينة وقرية ومخيم في قطاع غزة، وفي هذا المساء ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م الذي يخبئ فجراً جديداً، حمل العمال إلى أهلهم أخبار الحادث «التمعد» فليس معروفاً كيف شاع بين الناس أن سائق المقطورة اليهودي افتعل الحادث بصورة متعمدة انتقاماً لليهودي الذي طعن بالأمس في «غزة»، لم يكن أحد في قطاع غزة مستعداً للتحقق من كون الحادث مدبراً أو جاء قضاء وقدرًا، فالكُل كان ينتظر هذه الشرارة التي تفجر في نفسه مخزون الغضب.

ونام القطاع كله والغليان يسرى في كل أوصاله، إلا مخيم «جباليا» للاجئين الذي لم ينم تلك الليلة، كما أنه خطف النوم من عيون جنود الاحتلال الذين يتمركزون فيه، شيع المخيم شهداءه في مسيرات حاشدة ملتهبة خرج إليها الناس جميعاً، «كان الإخوان المسلمون قبل ذلك بسنوات خمس قد أعطوا تعليماتهم لجميع أعضائهم بالمشاركة في أى فعالية ضد الاحتلال، أما في عام ١٩٨٥م فقد قرر مجلس الشورى أن يبادر الإخوان في مناطقهم في صنع المظاهرات والمواجهات مع الاحتلال، علاوة على مشاركتهم لأية مواجهة يبادر بها أى فصيل وطني آخر»^(١).

وانطلقت جماهير جباليا في مسيرتها وفي مقدمتهم شباب المساجد، الذين سقط أحدهم شهيداً، لينضم «حاتم السيسى»^(٢) ابن الحركة الإسلامية إلى الشهداء الأربعة على أثر مواجهة دامية مع جنود الاحتلال بالحجارة والزجاجات الحارقة، وفي صباح اليوم الثانى

(١) محمد حسن شمعة، مرجع سابق.

(٢) أعلنت الجبهة الديمقراطية عدة مرات أن الشهيد حاتم السيسى من عناصرها.

٩ / ١٢ / ١٩٨٧ م تشرق على مدينة غزة شمس جديدة، ويتدافع طلاب الجامعة الإسلامية بناء على نداء من مجلس الطلبة، الذي علق الدراسة، يتوجهون إلى مستشفى «الشفاء» بغزة للتبرع بالدماء لإسعاف عشرات الجرحى والمصابين، ولما كان المستشفى محاصراً من قوات الاحتلال، فقد اندلعت الاشتباكات والمواجهات بين الطرفين لتسقط أعداد جديدة من الجرحى، ويسقط شهيد غزة الأول، الطالب، «رائد شحادة» أحد النشيطين العاملين من الشباب المعروفين بانتمائهم إلى الإخوان المسلمين»^(١).

عاد طلاب الجامعة الإسلامية - بعد إغلاقها في اليوم الأول - إلى مدنهم وقراهم ومخيماتهم في جميع أنحاء القطاع ليقودوا التظاهرات والمواجهات في كل مكان، وليجعلوا مع إخوانهم من الشباب من المساجد إذاعات شعبية تبث الأناشيد الحماسية، والنداءات إلى الناس وهتافات «الله أكبر» التي لا تنقطع، ولتصبح المساجد قواعد انطلاق للشباب يصممون فيها الشعارات واللافتات، وتعم الانتفاضة كل مناطق القطاع، وتصل بعد أيام قليلة إلى مدينة نابلس ومخيمات «بلاطة» و«الدهيشة» ثم كل الضفة الغربية.^(٢)

وقد أصدرت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بيانها الأول في الانتفاضة بتاريخ ١١ / ١٢ / ١٩٨٧ م، ودعت إلى إضراب شامل في اليوم الثاني^(٣)، كما وزع الإخوان المسلمون بيانهم الأول في الانتفاضة في جميع مساجد قطاع غزة في يوم ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧ م بتوقيع «حركة المقاومة الإسلامية»^(٤)، كما قاموا بتوزيع بيانهم الثاني في قطاع غزة والضفة الغربية في الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر نفسه.^(٥)

وبدأت الأنباء تنقل عن الانتفاضة طابعها الإسلامي، فرئيس دولة «إسرائيل» حاييم هرتزوغ صرح في ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧ م: «أن الانتفاضة مجرد حركة تقودها عناصر دينية متزمتة بتأييد من الخارج»^(٦) وبدأ مراسلو وكالات الأنباء والصحافة الغربية يرسلون

(١) زئيف شيف واهود يعارى (انتفاضة: الانتفاضة الفلسطينية - الجبهة الإسرائيلية الثالثة) - ترجمة دافيد سجييف، القدس: دار شوكن، ١٩٩٠ م، ص ١٢٢.

(٢) غسان حمدان (الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد) الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٨ م (أحداث الأسبوع الأول، ص ص ٣٦-٥٥).

(٣) (مسيرة الجهاد الإسلامي في فلسطين)، من منشورات حركة الجهاد الإسلامي - فلسطين، بيروت: بيت المقدس للصحافة والنشر، ١٩٨٩ م، ص ٣٢.

(٤) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية - حماس) الجزء الأول - إصدار المكتب الإعلامي، ص ١٧.

(٥) المرجع السابق، ص ١٩.

(٦) (فجر الإسلام في فلسطين)، الانتفاضة، بيروت: ١٩٨٨ م، ص ص ٧٩-٨٠.

بتقاريرهم عن هذا الزلزال المفاجئ، فقد أفادت وكالة الأسوشيتدبرس للأنباء في ١٧ / ١٢ / ٨٧ «أن الحمى الإسلامية المتصاعدة في قطاع غزة هي التي أوقدت الاشتباكات في كانون أول (ديسمبر)، وأن الموجة الأصولية تستفحل كالفطر على الأشجار، وتجعل الشباب العربى وبشكل متزايد أقل خوفاً من مواجهة رصاص الإسرائيليين»^(١)، أما وكالة الأنباء الفرنسية في تقرير لها بتاريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٨٧م فقد أكدت أن «الأصوليين المسلمين، ورثة حركة الإخوان المسلمين المصرية، الأكثر عدداً والأكثر نشاطاً في قطاع غزة، هم وراء الانتفاضة، وهم وقودها الحقيقي»^(٢)، أما «التايمز» البريطانية فتقول: «إن الإسلام بدأ يحل بسرعة محل الوطنية كقوة موحدة يعتقد الفلسطينيون أنها قد تساهم في التحرك نحو النصر»^(٣).

ويقول «جون لافين» الخبير بشئون الشرق الأوسط والمؤرخ العسكرى المعروف: «إننى أعتقد أن الانتفاضة كانت تلقائية تماماً، مهما كان السبب المعجل لحدوثها... ثم أصبحت ذات طابع دينى بعد فترة قصيرة جداً، حسب ما شاهدت بنفسى وأخبرتني بذلك مصادر أخرى من الضفة الغربية وغزة.. وقد كان لحركة «حماس» الحركة الأصولية المحلية يد في ذلك فأصبحت الانتفاضة جزءاً من حرب مقدسة ضد إسرائيل»^(٤).

وفي الأسبوع الخامس من الانتفاضة ظهر المنشور الأول باسم «القيادة الوطنية الموحدة»^(٥)، ومع بداية الشهر الثانى للانتفاضة، كانت الأحداث والمواجهات قد عمت الأرض المحتلة جميعها وانخرطت في نشاطاتها جميع التنظيمات السياسية.

التسابق فى تبني الانتفاضة؛

وعلى الرغم من المساهمة الفعالة التى قام بها الجميع فى الانتفاضة، وعلى الرغم من أن ميدان التسابق الفعلى كان يجب أن يكون فى مواجهة اليهود، إلا أن كل طرف أراد أن ينسب الانتفاضة لنفسه، ويشيع عن تأخر الأطراف الأخرى عن الانتفاضة... وتمادت جميع

(١) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٢) خالد عز الدين، (الانتفاضة الفلسطينية فى الصحافة العبرية)، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات والبحوث، ١٩٩١م، ص ٤٨.

(٣) جريدة (الوطن) الكويتية، عدد ٤٩١٨، ٢٩ / ١٢ / ١٩٨٧م.

(٤) خالد عز الدين، ص ٤٨.

(٥) قيل أن البيان الأول للقيادة الموحدة صدر فى ٨ / ١ / ١٩٨٨م، وقيل فى ١٠ / ١ / ١٩٨٨م.

الأطراف فى عدم موضوعيتها وخاصة عند تناول مشاركة الأطراف الأخرى ودورها وفعاليتها.

(أ) حركة حماس:

تؤكد المقاومة الإسلامية - حماس - وعلى لسان قادتها وفى أدبياتها أنها هى التى أشعلت الانتفاضة وقادتها من لحظاتها الأولى، بل إنها حددت ساعة الصفر فى بعض التصريحات، يقول الشيخ أحمد ياسين فى أحد اللقاءات الصحفية بعد مرور أربعة أشهر على الانتفاضة: «إن العنصر الفعال فى الانتفاضة والأساسى هو العنصر الإسلامى مع مشاركة التوجهات الأخرى فيها بشكل أو بآخر»، ويستدل على ذلك بتصريحات القيادات اليهودية والتهافتات والشعارات ودور المسجد، وكذلك بهوية الشهداء والجرحى والمعتقلين حيث تؤكد غالبيتها الساحقة على انتمائهم الإسلامى.^(١)

وفى مقابلة أخرى يقول الشيخ ياسين عن القوى المحركة للانتفاضة فى القطاع، بأن «الكل موجود لكن التيار الإسلامى فى الأول، ويؤكد أنه هو الذى بدأ الانتفاضة، ثم دخلت بعد ذلك الجهات الوطنية»^(٢)، ويؤكد مصدر آخر من مصادر الحركة الإسلامية «أنه لم يكن للقيادة الموحدة أى دور فاعل فى إشعال الانتفاضة، وأن أول بيان لها صدر بعد أسبوعين ونصف من البيان الأول لقيادة حماس»^(٣)، ويقول الشيخ خليل القوقا: «إن الانتفاضة ليست وليدة لحظة ولا شهر ولا سنة واحدة.. إنما هى وليدة تجربة عاشتها الحركة الإسلامية.. كل العوامل اجتمعت لتضع الإنسان الجديد.. عبر حركة «حماس» التى أعلنت راية الجهاد وأخذت على عاتقها زمام التفجير منذ صباح ٨ / ١٢ / ١٩٨٧ م».^(٤)

وفى كتاب صدر فى الخارج عن أحد الإخوان الفلسطينيين لعله جاء متسرعاً وعاطفياً يقول: «لقد اعتبرت الحركة الإسلامية هذا الحادث (المقطورة) ساعة الصفر المنتظرة لتنفيذ قراراتها المتخذة سابقاً باعتباره فرصة مواتية»^(٥) ويقول فى مكان آخر: «إن الجهة التى اتخذت

(١) أحمد بن يوسف (أحمد ياسين الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدى)، دبی: دار الأمة للنشر والتوزيع ١٩٩٠ م، ص ٩٣-٩٤، نقلاً عن مجلة «إلى فلسطين» العدد (٣٠)، ٢٥ / ٣ / ١٩٨٨ م.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٢، عن مقابلة شخصية مع التليفزيون الإسرائيلى.

(٣) أحمد بن يوسف، (حركة المقاومة الإسلامية - حماس - خلفيات النشأة وآفاق المسير)، شياغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٨٩ م، ص ٦٠.

(٤) خليل القوقا، مجلة (الإصلاح) الاماراتية، العدد ١٢٩.

(٥) جهاد محمد جهاد، (الانتفاضة المباركة ومستقبلها)، الكويت مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٨٨ م، ص ٤٢.

قرار المبادرة وأعدت له عدته وحددت أى طرف فلسطينى آخر، ويستطرد قائلاً: «تكاد تكون حركة «حماس» هى الحركة الوحيدة الفاعلة والقادرة على قيادة الجماهير فى قطاع غزة، وتتواجد عدة قوى أخرى إلى جانبها، غير أن حجم جماهيرها لا يكاد يذكر»^(١).

أما أبرز مظاهر عدم الموضوعية فى مصادر الإخوان المسلمين، فى الداخل والخارج، فهو تجاهلها التام لحركة الجهاد الإسلامى ودورها فى الانتفاضة وما قبل الانتفاضة، لدرجة أن مصادر الإخوان تنسب عمليات حركة الجهاد التى سبقت الانتفاضة إلى (الإسلاميين) أو إحدى المجموعات الإسلامية^(٢)، فبعد أن يشرح مصدر آخر مراحل العمل التى قام بها الإخوان المسلمون فى الأرض المحتلة، هذا العمل الذى «أسس هذا البناء المتين القواعد الشامخ الأهداف» والذى كان «هو الذى دفع الشباب المسلم لخوض عمليات جهادية بطولية كعملية «حائط البراق» وعملية «الشجاعية»^(٣)، يقول نفس الكاتب فى موضع آخر فى الكتاب: «هذا الاتساع (فى المد الإسلامى) دفع بمجموعات شبابية إسلامية - ربما لا تنتمى لتنظيمات عريقة.. لتقوم بعمليات عسكرية نوعية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً»^(٤)، وهكذا لدرجة أن بعض الإسلاميين أراد أن ينسب لنفسه دوراً أساسياً فى الانتفاضة بالتركيز على الدور القيادى الذى قامت به الجامعة الإسلامية فى غزة حيث يعمل فى إدارتها.^(٥)

(ب) حركة الجهاد الإسلامى:

أما حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين فهى بدورها - وعلى حد قولها - الوحيدة التى فجرت الانتفاضة وقبل موعدها المعروف بشهرين إذ تجمع مصادر الجهاد جميعاً على أن أول أيام الانتفاضة هو يوم ٦ / ١٠ / ١٩٨٧ م يوم استشهاد المجاهدين الأربعة فى معركة «الشجاعية»، ويقول أحد هذه المصادر: «فمنذ ذلك التاريخ حتى منتصف يناير ١٩٨٨ م وبيان حركة الجهاد الإسلامى هو البيان السياسى الوحيد الذى يوجه الانتفاضة بالأرض المحتلة»^(٦) وهو يتجاهل تماماً بيان حركة حماس الأول الصادر بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧ م،

(١) المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٢) غسان حمدان، ص ٣٠.

(٣) جهاد محمد جهاد، ص ٢٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٥) تقرير خاص، الانتفاضة، حقائق وأرقام، أرشيف الحركة، ص ٢٥.

(٦) صالح عوض، (الانتفاضة الثورة: دراسة من الداخل)، تونس: دار الزيتونة للإعلام والنشر، ١٩٨٩ م، ص ٤.

وبعد اندلاع الانتفاضة بخمسة أيام، «فحركة المقاومة الإسلامية (حماس) اسم جديد انبثق في النصف الثاني من شهر يناير ١٩٨٨م أى بعد مضي ثلاثة أشهر على الانتفاضة»^(١).

أما الكتاب الصادر عن الحركة فهو يتحدث عن البيان الأول في الانتفاضة فيقول: «إن كان على البعض أن يؤرخوا لها منذ ٨ / ١٢ / ١٩٨٧م، فإن بيان الجهاد كتب يوم الأربعاء ٩ / ١٢ / ١٩٨٧م، وتمت طباعته وتوزيعه بكميات هائلة يوم ١٠ / ١٢ / ١٩٨٧م واليوم الذى يليه»^(٢)، كما قامت مصادر الجهاد بنسبة شهيد الجامعة الإسلامية «رائد شحادة» إليها^(٣)، مع أن حركة حماس قد نسبتها أيضاً إليها.

وهناك أيضاً حركة الجهاد الإسلامى - بيت المقدس - التى تحتكر الانتفاضة لنفسها، وتتهم بقية الأطراف بالتأخر، وأنها دخلت الانتفاضة مجبرة، تقول هذه الحركة: «فعندما يكتب التاريخ بعيداً عن الأهواء.. سيكون الفضل فى إشعال فتيل الانتفاضة (ثورة المساجد) لحركة الجهاد الإسلامى»^(٤) وتضيف وبعد أن شعرت حركة الجهاد الإسلامى بقبول كافة تيارات شعبنا لفكر الثورة ومؤازرته، أعطيت الإشارة إلى الإخوة فى مدن ومخيمات وقرى الضفة الغربية»^(٥) أما الحركات الأخرى «فبعد شهرين من الانتفاضة تقريباً شاركت معظم التنظيمات الفلسطينية رسمياً فى موجة الانتفاضة، منها لكى يلحق بركب الشعب، ومنها من كان دخوله مجبراً حتى لا يسحب البساط من تحت قدميه ويكون فى الطرف المناقض للشعب الفلسطينى المجاهد، وبدأت بياناتهم تنزل باسم القيادة الوطنية الموحدة (أى فصائل م. ت. ف) وباسم حركة المقاومة الإسلامية التابعة للإخوان المسلمين.. علماً بأن بعض هذه الجهات فى بداية الأمر كان يصر على اتهام الانتفاضة بأنها من صنع أمريكا واليهود»^(٦).

نخلص إلى القول أن الانتفاضة كانت من صنع الشعب الفلسطينى كله تحت الاحتلال، وأن الشعب هو صاحب الفضل الأول فى اندلاعها واستمرارها، فمن هو التنظيم الذى يمكن

(١) المرجع السابق.

(٢) مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين، ص ٢٣ (البيان، ص ص ٣٢-٣٦).

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٤) إبراهيم سربل، (حركة الجهاد الإسلامى)، عمان: دار النشر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص ٤٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٦) المرجع السابق.

أن يحرك النساء والأطفال والرجال وحتى كبار السن^{١٤} أما الشمول والاستمرار فكان لا يمكن أن يحدث دون مشاركة القوى السياسية المنظمة ومن اللحظات الأولى، وتبنيها للانتفاضة ووضع البرامج لها. بل والتنافس على إبراز حجم كل قوة مما زادها اشتعالا واستمرارا. ولما شارك الشعب كله في كل مناطقه فقد كان من الطبيعي ألا يتخلف أكثر الشباب المنتمين للحركات والفصائل، وأن يشاركوا في الفعاليات قبل أن تصلهم الأوامر التنظيمية، فهم جزء من الشعب، بل ويعتبرون أنفسهم قادته وطيئته.

أما الحركات والمنظمات السياسية. فمن الواضح أنها شاركت جميعاً بجهداتها وعلى قدر إمكانياتها، منها من شارك منذ اللحظات الأولى ومنها من تأخر قليلاً.. لكن الجماهير جذبت الجميع، فالمعتقلون والمصابون والشهداء في الأيام الأولى للانتفاضة دليل واضح على مشاركة الجماهير غير المنضوية تحت أية حركة، وكذلك دليل على توقيت دخول كل حركة لساحة الانتفاضة

لقد كانت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وحركة المقاومة الإسلامية - حماس - هما الحركتين اللتين شاركتا في الانتفاضة منذ لحظاتها الأولى، كل حسب قدرته وإمكانياته وانتشاره وخبرته السياسية، وكان هذا أمراً طبيعياً ينسجم مع مسيرة الحركتين وتصادم الخط الجهادي لدى كل منهما، كما أن كلا منهما يملك حرية اتخاذ القرار، ويقود تنظيمه دون الرجوع لأوامر من الخارج.

وكان طبيعياً أن تتأخر فصائل (م. ت. ف) أياماً في محاولة لاستيعاب المفاجأة، ودراسة أبعادها وإمكانيات استمرارها، تقيدها التحركات الدبلوماسية التي عولت عليها والاتصالات الأمريكية العربية لإيجاد حل سلمي للصراع، ولكنها من جهة أخرى تجد نفسها مدفوعة باتجاه الانتفاضة تحت ضغط الوجه الإسلامي البارز للانتفاضة وضغط بعض شبابها الذين نزلوا إلى الشوارع قبل صدور التعليمات، وتحت ضغط الإعلام العالمي الذي أشعل إلى عدم وجود (م. ت. ف) ولا صور زعمائها في الانتفاضة.. وكان على القيادات المحلية أن تتشاور مع القيادات في الخارج فأنشئت «القيادة الوطنية الموحدة» في بداية الشهر الثاني للانتفاضة، لكنها ومع الاختلافات في صفوفها برزت بقوة وانتظام هادفة لقيادة الانتفاضة وجعلها تسير في المسارات التي تتفق مع السياسة العليا لـ (م. ت. ف).

المبحث الثاني تأسيس حماس ودورها في الانتفاضة

تأسيس «حماس»

من الطبيعي لأية حركة سياسية لها تشكيلاتها العسكرية والأمنية وفي ظل الاحتلال الذي يمتلك وسائل أمنية متطورة وعيوناً مبثوثة في كل مكان، وخاصة في مرحلة الإعداد والبناء وقبل أن تدخل في صراع شامل ومكشوف مع العدو، أن تستخدم أسماء مستعارة من أجل المحافظة على أمن وتنظيم وسرية أعمالها، وإرباك أجهزة الأمن المضادة، حتى لا تتجه أجهزة الأمن المضادة بكل قواتها للبحث عن الحركة المعنية... من هنا فقد قام الإخوان المسلمون في فترة ما قبل الانتفاضة بتوقيع بياناتهم بأسماء مختلفة مثل «المرابطون على أرض الإسراء» و«الاتجاه الإسلامي في فلسطين» و«حركة المقاومة الإسلامية»، بل إنهم «لم يعلنوا مطلقاً عن عمليات لهم قام بها الجهاز الأمني من قتل بعض العملاء أو الاشتباك مع جنود الاحتلال»^(١) تقول بعض المصادر أنه في ١٦ / ١٠ / ١٩٨٦م وزع الإخوان المسلمون في قطاع غزة بياناً بتوقيع «المرابطون على أرض الإسراء» دعوا فيه إلى إضراب عام وليوم واحد احتجاجاً على مظاهر الإهانة والتنكيل التي تمارسها سلطات الاحتلال في قطاع غزة^(٢)، وقد علقت مجلة «المنطلق» الصادرة عن الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية، على لجاح الإضراب قائلة، «من الواضح أن المحتلين شعروا بمقدار التحدي الذي يمكن أن يدفع الأخوة في غزة إلى إعلان انتفاضة لا يستطيع اليهود تحمل نتائجها»^(٣).

وقد ظهر اسم «حركة المقاومة الإسلامية» قبل الانتفاضة مرتين طبقاً لما أورده زئيف شيف الذي يستقي معلوماته من أجهزة الأمن الإسرائيلية، «كانت المرة الأولى في آذار (مارس) ١٩٨٧م في منشور أنذر فيه الصيادلة بوجوب مد يد العون لمكافحة المخدرات، والثانية في منشور وزع في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٧م ودعا فيه إلى اتقاء مناورات مصلحة الأمن العام»^(٤).

(١) (ف. خ) أحد الذين عملوا في الجناح الأمني لحماس، مقابلة شخصية (مرج الزهور) ٦ / ٦ / ١٩٩٣م.

(٢) خالد عز الدين، ص ٤٦.

(٣) المنطلق، العدد ١٦، تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٨٦م، ص ١٥.

(٤) زئيف شيف، ص ٢٥٨.

ويؤكد أحد كوادر «حركة المقاومة الإسلامية» مشاركة الإخوان في الانتفاضة ومواجهة الاحتلال قبل شهرين من اندلاعها على الرغم أنه حاول أن يحرم قيادات الإخوان المسلمين من هذه المبادرة فيقول: «كان واضحاً أن قطاعاً واسعاً من (جماعة الإخوان) قد انخرط في الانتفاضة منذ السابع من أكتوبر عام ١٩٨٧م، ولكن ذلك كان يتم دون قرار رسمي»^(١).

وفي صباح اليوم التالي لحادث المقطورة قام مجلس الطلاب في الجامعة الإسلامية بتعليق الدراسة والطلب من الطلاب التوجه إلى مستشفى «الشفاء» بغزة للتبرع بالدم ثم العمل على استمرار المواجهات ضد الاحتلال، كل في منطقته، وفي نفس اليوم أي ٩ / ١٢ / ١٩٨٧م اجتمعت الهيئة الإدارية للإخوان المسلمين (مكتب قطاع غزة) في منزل الشيخ أحمد ياسين وبحضور كامل الأعضاء وهم:

١- الصيدلي إبراهيم اليازوري، الأمين العام للمجمع الإسلامي منذ اعتقال الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٤م، وهو من قدامى الإخوان ومن مواليد قرية «بيت دراس» المحتلة منذ ١٩٤٨م.

٢- الأستاذ محمد حسن شمة، وهو أيضاً من قدامى الإخوان، والذي سيكون واحداً من أهم قيادات المبعدين في «مرج الزهور» بجنوب لبنان، وهو أيضاً من مواليد مدينة «المجدل» التي احتلها اليهود عام ١٩٤٨م.

٣- الأستاذ عبدالفتاح دخان، وهو من الرعيل الأول ومن مفكرى الحركة وقاداتها الأساسيين، ويعتقد أنه كان الرجل الثاني في الحركة، ويمتاز بسعة اطلاعه وقدرته على الكتابة، فهو الذي وضع ميثاق الحركة، بالإضافة إلى صلابته المعروفة، فقد كان أحد قادة المبعدين في مرج الزهور وهو أيضاً من مواليد قرية «عراق سويدان» التي احتلت عام ١٩٤٨م.

٤- الشيخ صلاح شحادة، عميد شئون الطلاب في الجامعة الإسلامية، وهو من الجيل الثاني الذي أعدته الحركة للقيادة، وقد سبق أن اعتقل مع الشيخ أحمد ياسين ١٩٨٤م في قضية التنظيم العسكري وحياسة السلاح، وهو المتهم بقيادة الجناح العسكري للحركة، وهو من مدينة يافا المحتلة عام ١٩٤٨م.

٥- المهندس عيسى النشار، وكان يعمل مهندساً في بلدية رفح، وهو من الجيل الثاني أيضاً في القيادة وكان مسئولاً عن منطقة رفح التي ولد فيها.

(١) صالح عوض، ص ٤٠.

٦- الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، يحمل شهادة الماجستير في طب الأطفال، وهو أيضاً من الجيل الثاني الذي أعدته الحركة للقيادة، فهو إلى جانب ملكاته القيادية في الإطار التنظيمي، يمتلك قدرات خطابية، كما أنه نموذج في الصلابة والقوة يقتدى به الشباب، حتى أنه قام بضرب ضباط المخابرات الذين اقتحموا غرفة نومه لاعتقاله، اتهم بصياغة البيان الأول لحركة المقاومة الإسلامية، كما أنه أصبح معروفاً على المستوى العالمي «كناطق رسمي باسم المبعدين»، وقد أدار معركة المبعدين بنجاح فائق، ولعله صاحب الفضل الأكبر في الصمود والتحدى حتى تحقق لهم النصر والعودة وهو أيضاً من مواليد قرية «يبنا» المحتلة عام ١٩٤٨م.

دارت المداولات في هذا الاجتماع كلها حول استغلال حادث المظتورة وما تسبب عنها من غليان شعبي في تصعيد المواجهات وانخراط الإخوان بالكامل في أعمال الثورة الشعبية، وتحويل الجسم التنظيمي وما حوله من الأنصار والمؤيدين إلى هيكلية مناسبة، فقرر المجتمعون إنشاء جهاز خاص بالانتفاضة أطلق عليه اسم «جهاز الأحداث»، يضطلع بمهمة وضع الحواجز والمتاريس وقذف الحجارة وإدارة المصادمات وكتابة الشعارات وتوزيع البيانات ومنع العمال من التوجه إلى العمل داخل فلسطين المحتلة، كما قرروا توصيل التعليمات إلى جميع أعضاء الحركة في كل قطاع غزة بالمشاركة في تشجيع الشهداء، وإلى الخطباء بوجه خاص لتعبئة المشاعر ضد الاحتلال والحث على مواصلة الانتفاضة.

ويذكر الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي أن من الأفكار التي طرحت للمناقشة في هذا اللقاء تخوف البعض من أن هذه الأحداث قد تساعد (م. ت. ف)، وتقوى موقفها الذي ضعف كثيراً في الآونة الأخيرة، كما أنها قد تحاول أن تستثمر الانتفاضة لتقوية موقعها في العملية السلمية، لكن الشيخ أحمد ياسين كان يرى أننا بحاجة إلى (م. ت. ف) قوية، كما أن علينا أن نرحب ونعمل على مشاركة المنظمات كلها في هذه الانتفاضة لتوزيع الأعباء، حتى لا نتحملها لوحدها فإن المنظمة القوية التي تستمد القوة من شعبها المنتفض سوف ترفض الحلول الاستسلامية الهزيلة.

وهكذا تقرر في هذا الاجتماع العمل تحت اسم «حركة المقاومة الإسلامية» كجناح سياسي وإعلامي يختص بالانتفاضة وتطويرها والإشراف على فعاليتها من خلال «جهاز الأحداث» بالإضافة إلى الجهازين السابقين اللذين تم تأسيسهما قبل ذلك والمتصلين مباشرة بالشيخ أحمد ياسين، وهما:

- الجناح العسكري «المجاهدون الفلسطينيون» الذي أسسه الشيخ ياسين في عام ١٩٨٣م،

ثم أعاد تشكيله فى أواخر عام ١٩٨٦ م مسنداً مسؤوليته إلى الشيخ صلاح شحادة .
- والجناح الأمنى «مجد» والذى أسسه الشيخ ياسين ١٩٨٥ م، وكان من أهم من عمل فيه الأخ يحيى السنوار الذى يقضى حكماً بالسجن مدى الحياة^(١) .

وهنا تجدر الإشارة إلى سر لعله ينشر لأول مرة، ففى اجتماع مجلس الشورى للإخوان المسلمين فى قطاع غزة فى نهاية عام ١٩٨٥ م، وعند دورته الجديدة لانتخاب «مكتب القطاع»، ألح الشيخ أحمد ياسين على إخوانه وبإصرار أن ينتخبوا رجلاً غيره ليكون مسئولاً عن التنظيم، ولم يتسن لنا معرفة الدوافع الحقيقية وراء هذا الطلب، لأن ذلك يحتاج إلى توضيح من الشيخ ياسين نفسه، المعتقل منذ مايو ١٩٨٩ م، كما أن الشيخ معروف بصمته وتكتمه الشديد وحسابه لكلماته .

فلعله كما قال يريد أن يتفرغ للدعوة العامة بين الشعب كله، فقد كانوا يطلبونه فى كل مكان للاستماع إلى مواعظه وأحاديثه، كما كانوا يأتونه فى كل وقت من الليل والنهار للفصل بين المتخاصمين، ولهذا كان يريد أن يتحلل من تفاصيل العمل التنظيمى المرهق .

ولعله كان يريد أن يتفرغ للعمل العسكرى والعمل الأمنى، فخيوط هذه الأعمال كلها بين يديه، ولقد ثبت لى من طرق كثيرة ومختلفة أن الشيخ أحمد ياسين كان أكثر الإخوان اندفاعاً باتجاه مواجهة الاحتلال بجميع الأشكال وخاصة العسكرية، وقد روى لى أحد الإخوان القدامى أن الشيخ قال أمامه سنة ١٩٦٨ م، «سأقاتل إسرائيل عندما أمتلك مسدساً واحداً» .

ولعله كان يريد أن يطمئن على مسيرة الحركة فى حياته، وأن يسلم الراية للجيل الثانى الذى أشرف بنفسه على تنمية القدرات القيادية عندهم، ووجد فيهم ما يرضيه من عقيدة وإصرار على مواجهة الاحتلال، وانطلاق متحرر من أثقال الماضى، وانفتاح وتعامل مع كل مستجد .. ولكن لطبيعة الشيخ الأبوية والأخوية للجميع، فقد كان أكثر الناس حرصاً حتى على مشاعر الطفل الصغير، فلم يكن ليبر عن رغباته بوضوح للمحافظة على سلامة الصدور، فترك الأمر للإخوان وهو بين صفوفهم يشرف ويراقب ويرشد .

انتخب مجلس الشورى أحد الإخوة القدامى المعروف بصلايته وتشده وذكائه، وظل الشيخ معهم أحد الأعضاء الستة إلى جانب الرئيس، وعلى الرغم مما يتمتع به الشيخ عبد

(١) تفاصيل الاجتماع مأخوذة من مقابلات شخصية مع كل من د. عبدالعزيز الرنتيسى وعبد الفتاح دخان ومحمد حسن شمعة فى «مرج الزهور» فى الفترة من ٣-٩ يونيو ١٩٩٣ م.

الفتاح دخان - المسئول الجديد - من قوة ودراية وخبرة، فقد ظل الإخوان، قواعدهم وقياداتهم يعودون للشيخ أحمد ياسين في كل أمورهم.

وعندما اندلعت الانتفاضة عادت الأمور كلها إلى الشيخ بصورة تلقائية وبدون قرار، فقد كان هو الرجل الأول دائماً، حتى عندما تخلى عن مسئولية التنظيم، وباندلاع الانتفاضة تحقق للشيخ ما كان يعمل له بصبر وحسن تخطيط من تهيئة الإخوان للدخول في مواجهة شاملة مع الاحتلال، كما تحقق له بروز أعداد من القيادات الجديدة التي أفرزها العمل الميداني.

بدأت «حركة المقاومة الإسلامية» في توزيع بيانها الأول في فجر ١٤ / ١٢ / ٨٧ في جميع أنحاء القطاع، وجاء بيانها الثاني في الأسبوع الأخير من نفس الشهر ووزع في الضفة الغربية إلى جانب قطاع غزة، وفي البيان الثالث أضافت الحركة إلى التوقيع كلمة «فلسطين»، وظهرت الحروف المختصرة للاسم في البيان الرابع على هذه الصورة (ح.م.س)، أما كلمة حماس فقد ظهرت لأول مرة في البيان السابع المؤرخ في شباط (فبراير) سنة ١٩٨٨م، واستقر هذا التوقيع منذ البيان السابع طيلة الانتفاضة ليصبح على هذه الصورة:

حركة المقاومة الإسلامية «حماس»

فلسطين

أما الإعلان عن انتماء حركة حماس لجماعة الإخوان المسلمين فقد ظهر في البيان السادس بتاريخ ١١ / ٢ / ١٩٨٨م وتكرر ذلك في البيان رقم (١٥) بتاريخ ١٥ إبريل (نيسان) ١٩٨٨م، وثم جاء تأكيد ذلك في «الميثاق» الذي صدر بتاريخ ١٨ / ٨ / ١٩٨٨م.

حركة «حماس» في الضفة الغربية:

كانت البداية في نابلس ومخيم «بلاطة» للاجئين، فقد كان الأستاذ عبدالفتاح دخان، أحد أبرز قادة الإخوان المسلمين، يحضر جلسات مكتب نابلس منذ شهور بصفته ممثلاً «لمكتب فلسطين»، يشرف على اجتماعاته ليطمئن على سير العمل وحسم الخلافات السابقة داخل الساحة النابلسية، وقد أشرف على الانتخابات التي أفرزت الهيئة الإدارية الجديدة، وفي أول اجتماع لهم بعد الانتفاضة وضعهم في صورة الأحداث التي تجرى في قطاع غزة، فقد كانوا لا يعرفون حقيقة ما يحدث، وحقيقة دور الإخوان المسلمين في الأحداث هناك، شرح لهم «أبو أسامة»، وانتهى بمطالبة الإخوان المسلمين في نابلس والضفة الغربية عموماً بالمشاركة، وكان مما قاله «أن إخوانكم في غزة يقولون لكم إن لم تكن عندكم حجارة فسيرسلونها لكم من غزة».

اجتمع «مكتب نابلس» وقرر المشاركة في فعاليات الانتفاضة وتقاسم العبء مع إخوانهم في غزة، كانوا لا يملكون الخبرة الكافية في هذه الأمور، وتوصلوا إلى فكرة استخدام المساجد، فهم ينشطون في حوالى أربعين مسجداً في نابلس، ولكل مسجد لجنة، فأصدروا أوامرهم إلى الشباب بإشعال الانتفاضة في المساجد، وفي أول جمعة ١١ / ١٢ / ١٩٨٧ م بدأ الإخوان بالتكبير من داخل مسجد مخيم «بلاطة»، وخرج كل المصلين وهم يكبرون، وحدثت اشتباكات مع الجيش استشهد على أثرها وأصيب حوالى ستين شخصاً، فتكهرب الجو في المدينة والمخيم وأعلنت البلدية إضراباً مدته ثلاثة أيام مما أشرك الناس جميعاً في الفعاليات. تقول قيادات الإخوان في نابلس إن كل هيكلية الإخوان من المكتب الإدارى إلى القواعد شاركت في الانتفاضة بقوة، «كان الهيكل جاهزاً، كل ما عملناه أن أعطينا الإشارة وغيرنا الاسم ووزعنا المهمات وأنشأنا جهازاً خاصاً للانتفاضة سميناه «جهاز الطوارئ» شبه «بجهاز الأحداث» في غزة^(١).

وبالنسبة لمنطقة رام الله يقول الشيخ إبراهيم أبو سالم، أحد قادة الإخوان هناك، إن «الأمور كانت هادئة نسبياً حتى جاءنا الأمر بالمشاركة، فانخرط الإخوان بالكامل في أنشطة الانتفاضة»^(٢)، وكان الشيخ أحمد ياسين قد التقى مع الشيخ جميل الحمami في بداية عام ١٩٨٨ م، وكلفه بإنشاء جهاز حركة في الضفة الغربية^(٣)، وقد جاء موعد الاجتماع الدورى للمكتب القطرى «مكتب فلسطين» والذي يحضره قادة العمل في قطاع غزة ومناطق الضفة الغربية، والذي انعقد في مدينة القدس بتاريخ ٨ / ١ / ١٩٨٨ م حيث استعرض الإخوان مسيرة الانتفاضة ومشاركة الإخوان فيها في مختلف المناطق وقرروا العمل على أن تصل الانتفاضة إلى كل المدن والقرى في الضفة الغربية^(٤).

ولعلنا نستطيع أن نستخلص أن تأسيس حركة حماس ودخولها الانتفاضة بقوة كان إعلاناً بأن مرحلة جديدة قد بدأت في مسيرة الإخوان المسلمين في الأرض المحتلة، وكان الفضل في ذلك يعود إلى الشيخ أحمد ياسين شخصياً، ثم غالبية القيادات التاريخية للإخوان التي ساهمت مساهمة فعالة في أنشطة الانتفاضة وقاست التعذيب والسجون على الرغم من كبر السن والأمراض، كما يعود الفضل إلى الجيل الجديد من الإخوان المسلمين الذي يتحرق لهذا

(١) قادة نابلس، مقابلة شخصية (مرج الزهور) ٤ / ٦ / ١٩٩٣ م.

(٢) إبراهيم أبو سالم - أحد قادة منطقة رام الله - مقابلة شخصية في مرج الزهور ٥ / ٦ / ١٩٩٣ م.

(٣) لوائح الاتهام الموجهة للشيخ أحمد ياسين وملف التحقيق مع الشيخ جميل حمami (أرشف الحركة).

(٤) مخطوط كتبه بعض قادة مبعدى الخليل في مرج الزهور.

اليوم، والذي انتمى لحركة الإخوان المسلمين تحت الاحتلال إيماناً من أن طريق الإسلام وسبيل الجهاد هي الكفيلة لتحقيق النصر، كانوا ينتظرون الأمر بالمواجهة تصديقاً لهتافهم الدائم «الموت في سبيل الله أسمى أمانينا»، كما كانوا يريدون أن يظهروا لخصومهم من التيارات الأخرى كيف يقاتل المسلم وكيف يواجه المسلم وخاصة أنهم طاماً اتهموا شباب الحركة بعدم مقاومة الاحتلال، وحول هذه النقطة تقول صحيفة «دافار» الإسرائيلية في عددها الصادر في ٥ / ٥ / ١٩٨٩ م: «إن هذا التغير الحاصل في موقف الإخوان المسلمين لم يكن معبراً عن الحاجة للجهاد الإسلامي فقط بل عبر أيضاً عن التغير الاجتماعي الذي حصل في صفوف الإخوان المسلمين في سنوات الثمانينيات، إذ أصبح الذين يرفعون راية الحركة في القطاع هم من الطبقات المثقفة... فحركة «حماس» لم تكن ظاهرة نتجت عن الانتفاضة، وإنما تعبير عن التغير الذي حدث في صفوف الإخوان المسلمين»^(١).

أما بالنسبة للأجيال الجديدة وآلاف الشباب الذين انخرطوا في صفوف الحركة الإسلامية من خلال الانتفاضة وفعاليتها، فقد جذبهم في الأساس الإحساس الوطني والرغبة في مواجهة اليهود، وشجعهم على ذلك أكثر، أن هذا النضال وهذه المواجهة تتم تحت الراية الإسلامية بما يكمن تحتها من الصدق والتضحية ومعاني الأخوة في الله والتكافل وعدم المحسوبية والتمييز، بالإضافة إلى ما يستقر في قلوبهم من أنهم يكسبون الأجر والثواب أو الشهادة فيفوزون في الآخرة.

ولعل الدكتور على الجرباوي أصاب كثيراً حينما تحدث عن المكاسب الاستراتيجية التي حققتها جماعة الإخوان المسلمين بتأسيس حماس والانخراط بالانتفاضة حيث أعطى تشكيل حماس دفعة تنظيمية قوية مما أردف الإخوان المسلمين بعناصر يصعب تقدير حجمها، كما ساهم في الانتشار المنظم للجماعة في مختلف أرجاء الأرض المحتلة من مدن وقرى ومخيمات، بالإضافة إلى أنه كان إسهاماً رئيسياً في عملية بلورة قيادة مركزية للإخوان على صعيد الأرض المحتلة، ولعل أهم هذه المكاسب جميعاً على أهميتها أن تشكيل حماس فتح المجال واسعاً أمام حركة الإخوان المسلمين لفرض شرعيتها السياسية داخل الحلقة السياسية الفلسطينية^(٢).

(١) خالد عز الدين، ص ٤٤.

(٢) على الجرباوي (الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة، بحث في النخبة السياسية)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٩ م، ص ص ١٢٤ - ١٢٥.

دور الحركة في الانتفاضة وتنامي قوتها:

قامت حركة حماس بدورها الكبير في فعاليات الانتفاضة وفي العمل على استمرارها وانتشارها وقد كان ذلك واضحاً لكل مراقب، ومع الوقت لم يعد أحد يستطيع أن يتجاهل دورها أو ينكره، ظهر ذلك في تواجدها في جميع أرجاء الأرض المحتلة وفي بياناتها المستمرة ودعوتها للإضرابات الناجحة، وبروز دور المسجد الأساسي في حركة الانتفاضة، وكذلك في دورها الاجتماعي البارز بالإضافة إلى العمليات العسكرية التي نفذها شبابها، مما أعطى الانتفاضة روحاً جديدة من التحدي، كما أن الحجم الكبير للاعتقالات في صفوف الحركة يعطى دلالة واضحة على دورها الفاعل ومشاركتها الرئيسية.

ومما يعطى الدلالة أيضاً على قوة حماس وأنها أصبحت قوة سياسية لا يمكن تجاهلها، تصريحات المسئولين الإسرائيليين وتقارير الصحف الإسرائيلية والأجنبية بالإضافة إلى ذلك تصريحات المسئولين الفلسطينيين حول حركة حماس والتي اتسمت بالتضارب الواضح من عصبية وغضب إلى محاولات التقرب والاحتواء، ومن التشويه والتهام ومحاولة تقليل دورها، إلى الاعتراف بجهداتها الوطني ومحاولة ضمها إلى المؤسسات الرسمية الفلسطينية.

ولما كانت حركة «حماس» محرومة من وسائل الإعلام في الداخل والخارج، فقد مثل المسجد بالنسبة لها وسيلة الإعلام الناجحة على المستوى المحلي، ولم يقتصر دوره على ذلك، بل تعداه ليصبح المسجد محورياً أساسياً في حركة الانتفاضة يقوم بدوره بالتعبئة الحماسية، بل إن أكبر المظاهرات وأعنف الصدامات كانت تبدأ من المسجد، حيث كانت أيام الجمع خصوصاً تضيف للانتفاضة زخماً وحرارة جديدة، كما قام المسجد أيضاً بدوره الاجتماعي من التكافل وتوزيع المواد التموينية عن طريق لجان الإغاثة الإسلامية التي شكلتها حركة «حماس»، وقد لعب المسجد وبجدارة دور التعليم البديل بعد إغلاق المدارس والجامعات، كما أن ظاهرة توبة العملاء والجواسيس كانت تشير إلى قوة المسجد ونفوذ حركة «حماس» حيث كان العملاء يختارون المساجد لإعلان توبتهم، وهكذا لم تسلم المساجد من القمع والاقتحام والإغلاق واعتقال الأئمة.^(١)

كما كان انتظام بيان الحركة الدوري رغم كل الاعتقالات يدل على قوة الحركة والتي

(١) إبراهيم محمد، (الأذان الحزين: المسجد في ظل الانتفاضة والاعتداءات الصهيونية)، لندن: مركز الدراسات المعاصرة ١٩٩٠م، (للتفاصيل انظر ص ١٠-١٤).

ملأت شعاراتها الجدران في كل مكان، كما كانت أول حركة سياسية تصدر نشرات خاصة عن الانتفاضة، حيث ظهرت نشرة «حماس» السرية في مارس سنة ١٩٨٨ م.^(١)

ومما يدل على قوة حركة حماس وانتشارها وثقة الجماهير بزعمائها ورموزها أنها كانت الطرف الأهم في تكريس العدالة وحل المنازعات بين الناس وخاصة بعد استقالات رجال الشرطة العرب، فقد ذكرت جريدة الأنباء الكويتية نقلاً عن مراسل «فرانس برس» تحت عنوان (حركة حماس قاضى وشرطة في غزة) أن «جميع النزاعات بين الأشخاص والخلافات العقارية والمالية بين سكان قطاع غزة تمر الآن بين أيدي قادة حماس».. ونقل المراسل عن الدكتور حيدر عبدالشافى - أهم شخصية يسارية في القطاع - «إن حماس كانت في الأيام الأخيرة فاعلة جداً في توليها زمام العدالة».^(٢)

ولعل لا أجنب الحقيقة إذا جعلت شهر آب (أغسطس) ١٩٨٨ م، أى الشهر التاسع للانتفاضة نقطة فاصلة في تاريخ حركة «حماس» وعلاقاتها بالأطراف الأخرى وخاصة (م. ت. ف)، والاحتلال، فقد أضافت حركة «حماس» لقيظ الصيف في أغسطس حرارة جديدة ومن لون جديد، فقد أجبرت جميع الأطراف على عدم التماهى في تجاهلها وإنكار دورها، وصعدت من وجودها وفعاليتها المتنوعة في الداخل والخارج.

ففى أغسطس أعلنت حركة «حماس» عن إضراب منفرد في جميع الأرض المحتلة بمناسبة ذكرى محاولة إحراق المسجد الأقصى^(٣)، وعلى الرغم من محاولات التيارات الوطنية، وخاصة حركة فتح، المستميتة لإفشال الإضراب في الضفة الغربية، إلا أنه نجح بصورة كاملة، مما ساهم في كشف زيف الادعاءات التي تقول إن حركة «حماس» موجودة فقط في قطاع غزة، وأن الضفة الغربية بالكامل تقع تحت سيطرة (ق. و. م).

وفى أغسطس هذا أيضاً دعت الحركة إلى مواجهات وصدّامات مع قوات الاحتلال في ذكرى الهجرة النبوية، كانت الأعنف في تاريخ الانتفاضة، وخاصة في الضفة الغربية، كما نفذت مجموعة من شباب حماس هجوماً على الجيش الإسرائيلى في مدينة نابلس^(٤) قذف الرعب في قلوب السلطات المحتلة وجعلها تراجع حساباتها من جديد.

(١) صالح عبدالجواد، ص ١٢٩.

(٢) «حماس قاضى وشرطة»، (الأنباء) الكويتية، ٢٧ / ١٠ / ١٩٨٨ م.

(٣) خالد عز الدين، ص ١٩٥.

(٤) المرجع السابق.

وفي أغسطس أيضاً صدر في الأرض المحتلة «ميثاق حركة المقاومة الإسلامية» ليحدث دويماً هائلاً، تتناقله وسائل الإعلام الأجنبية، وتكثر حوله التحليلات، فقد كان صدور الميثاق صدمة للعدو الصهيوني، كما كان صدمة أخرى لـ (م. ت. ف)، فقد كرس «الميثاق» مقولة إسلامية فلسطين من البحر إلى النهر، وأنها أرض وقف إسلامي لا يجوز لأحد التنازل عن ذرة من ترابها، كما أكد رفضه للدولة العلمانية والفكر العلماني، وطالب (م. ت. ف)، الالتزام بالمنهج الإسلامي للتحرير.

كان «الميثاق» بعد تسعة أشهر من الانتفاضة وتأسيس «حماس» إيذاناً بأن هذه الحركة ولدت لتبقى وتكبر، وأنها مصممة على الاستمرار، مما جعل سلطات الاحتلال تدرك أن محاولاتها لتحييد الإسلام عن الصراع، وحذرهما الشديد في التعامل مع الظاهرة الإسلامية، حتى لا تمتد وتتسع قد باءت كلها بالفشل، مما جعلها تبدأ خطواتها القاسية وغير المحسوبة في مواجهة حركة «حماس»، أما (م. ت. ف) فقد استشعرت الخطر الحقيقي الذي ينافسها على قيادة الشعب الفلسطيني.

وفي أغسطس هذا أيضاً، ظهر صوت «حماس» لأول مرة مدوياً خارج الأرض المحتلة، على لسان الشيخ خليل القوقا، أحد قادة حماس الذي أبعده السلطات الصهيونية، كما نشطت اللجان الخيرية الإسلامية في الخارج في جمع التبرعات للأرض المحتلة وظهرت في الشهر نفسه لجان جديدة، مما جعل (م. ت. ف) تشعر أن حركة «حماس» بدأت تفتح على مناطقها المغلقة.

عمليات «حماس» العسكرية:

كانت العمليات العسكرية وعمليات الطعن ذات أثر كبير في دفع الانتفاضة وإشغالها كما كانت عوامل قوة أخرى لـ حماس أسهمت في زيادة شعبيتها وانتشارها، يقول الدكتور زياد أبو عمرو: «وبالإضافة إلى الفعاليات المعتادة للانتفاضة، كانت حركة «حماس» الجهة الأكثر انخراطاً في أعمال مسلحة ضد أهداف إسرائيلية»^(١).

ففي مدينة نابلس وفي صباح يوم ١٤ / ٨ / ١٩٨٨ م، ذكرى الهجرة النبوية - هاجم أربعة شباب من حركة حماس مركز الشرطة في المدينة، حيث يتجمع حوالى خمسين جندياً إسرائيلياً، وبدأوا يقذفونهم بالزجاجات الحارقة التي أصابت جنديين وأحرقت ثلاث خيام

(١) زياد أبو عمرو، حماس: خلفية تاريخية سياسية، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، العدد ١٣، ص ٩٦.

وانسحبوا بسلام وسط ذهول وذعر الجنود^(١) وفي بيت لحم قام شاب آخر بطعن جندي إسرائيلي عدة طعنات سببت له الموت^(٢) وفي عملية الثأر لشهداء مسجد الرضوان في غزة توجه عضو حماس، طلال قويدر لمهاجمة دورية إسرائيلية قتل ثلاثة من الجنود قبل أن يستشهد^(٣)، وفي ١٤ / ١١ / ١٩٨٩م هاجم مسلحون من حماس بالأسلحة الأتوماتيكية دورية صهيونية في منطقة الشيخ عجلين في غزة أسفرت عن مقتل جنديين وانسحب المهاجمون بسلام^(٤).

كما قام الشباب المسلم بعمليات أخرى أحدثت أثرها الهائل في النفوس وكان أبرزها عملية «ياسر الخواجا»، عضو حركة الجهاد الإسلامي الذي هاجم في ٨ / ٧ / ١٩٨٨م عدداً من الضباط والجنود على بوابة سجن غزة متسلحاً بالخنجر، أما الشاب عبدالهادي غنيم الذي لم ينتم لأي تنظيم^(٥) فقد قام بعملية نادرة في ٥ / ٧ / ١٩٨٩م حيث ركب في حافلة إسرائيلية وفي منطقة جبلية سيطر على عجلة القيادة وقذف بالحافلة إلى الوادي مما أدى إلى مقتل ١٦ إسرائيلياً وأصاب ٢٤ آخرين بجروح.

أما أبرز هذه العمليات في تلك الفترة، بل لعلها من أبرز العمليات في تاريخ المقاومة الفلسطينية لليهود فقد كانت عملية خطف الجنود الإسرائيليين بكامل أسلحتهم في داخل فلسطين المحتلة، والاستيلاء على أسلحتهم ووثائقهم وملابسهم وقتلهم ودفنهم دون أن يعلم أحد. وقد دلت هذه العمليات على خطورة الحركة والجسارة المتناهية في التنفيذ إلى جانب حسن التخطيط، مما أربك أجهزة الأمن الإسرائيلية وأشعرها بالهزيمة وزاد ثقة الجماهير بنفسها وبحركة «حماس» فقد كان مسئول المجموعة «محمد يوسف الشرايحة» والذي يقضى الآن عدة أحكام بالسجن المؤبد في سجون إسرائيل هو الذي أعد المسدسين وأبلغ منفذ العملية موافقة الحركة على خطته، كما وجه عنصرين آخرين لسرقة سيارة إسرائيلية جديدة ووضعها في المكان المتفق عليه، أما الرجلان اللذان قاما بتنفيذ العملية فهما محمود المبحوح الذي يجيد قيادة السيارات بالإضافة إلى كونه ميكانيكياً ماهراً، ليحسن التصرف في

(١) خالد عز الدين، ص ١١٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أحمد بن يوسف، حركة المقاومة الإسلامية (حماس: حدث عابر أم بديل دائم)، ص ٣٦.

(٤) خالد عز الدين، ص ١٤٣.

(٥) قامت عدة تنظيمات بالزعم أن عبدالهادي غنيم عضو فيها، وتقول مصادر حماس أن عبدالهادي ألتمز بحركة حماس داخل المعتقل.

الظروف الصعبة، ومحمد نصار صاحب الفكرة ومنفذها، ويرتدى محمد نصار ذو الملامح الغربية الشقراء ملابس حاخام يهودى ويسير به المبحوح فى السيارة الإسرائيلية الجديدة - المسروقة - على طريق يتواجد فيه الجنود العائدون من ثكناتهم فى الإجازة ينتظرون المواصلات، وفى يوم ١٦ / ٢ / ١٩٨٩م تقف السيارة ليركب خلف السائق الرقيب «آفى ساسبورتاس»، وبعد أن تبتعد السيارة يطلق محمد نصار رصاص أحد مسدسيه على رأس ساسبورتاس ويأخذونه فى داخل الغابات ويدفنونه ويعودان إلى غزة، ولم تكتشف السلطات الإسرائيلية فقدان الجندى إلا بعد عدة أيام وترتبك الأجهزة الأمنية ولا تستطيع أن تصل لشيء وخاصة أن المنفذين كانوا قد قذفوا بحذاء الجندى على الطريق المؤدى لمدينة الخليل.

وبعد هذه العملية بأقل من ثلاثة أشهر وفى تاريخ ٣ / ٥ / ١٩٨٩م يكررون نفس العملية مع الجندى «إيلان سعدون» التى لاتزال جثته مجهولة المكان حتى الآن^(١)، أما جثة الأول فيبدو أن حفرت لم تكن عميقة، فقد أظهرتها سيول الأمطار.

وبعد انكشاف العملية واعتقال محمد الشرايحة مسئول المجموعة ظل نصار والمبحوح مطاردين عدة أشهر داخل غزة حتى استطاعا مغادرة الحدود إلى مصر من وسط الأسلاك الشائكة فى عملية هى الأخرى بطولية.^(٢)

كان محمد نصار نموذجاً للشباب الفلسطينى الذى سرت فى دمه روح المقاومة والتحدى فانتضى إلى حركة فتح وعلى أثر قيامه بتفجير قنبلة يدوية على دورية إسرائيلية يتم اعتقاله ويحكم عليه بالسجن المؤبد وهو لم يكمل السابعة عشرة من عمره، وفى السجن يؤمن أن الإسلام هو طريق المقاومة الصحيح فينضم للجماعة الإسلامية التى أسسها جبر عمار، ثم يلتقى مع الشيخ أحمد ياسين فى السجن ليصبح واحداً من أقرب حواريه وينضم لصفوف الإخوان المسلمين ويدخره الشيخ لأيام قادمة.

الاعتقالات فى صفوف حركة حماس:

ومما يدل على قوة حماس ومشاركتها الفعالة فى الانتفاضة، أن الاعتقالات طالت عناصرها وأنصارها وقياداتها منذ البداية وعلى طول السنوات الثلاث الأولى (مدة البحث) من الانتفاضة، فقد اعتقل العشرات من راجمى الحجارة وكتاب الشعارات الذين يشغلهم

(١) عشر أخيراً على الجثة فى صيف ١٩٩٦م.

(٢) تفاصيل عمليات الاختطاف تعود إلى لائحة الاتهام الموجهة إلى محمد يوسف الشرايحة، ومقابلة شخصية مع منفذ العمليتين فى (فبراير ١٩٩١م).

جهاز الأحداث من الأيام الأولى للانتفاضة، كما تم اعتقال بعض القادة وأبرزهم الشيخ خليل القوقا الذي اعتقل في يوم ٢٩ / ١٢ / ١٩٨٧ م وحكم عليه بالإبعاد، لكن لمتانة التنظيم وصمود المعتقلين، كانت الاعتقالات تقف عند حدود المعتقلين أنفسهم، ولما اشتدت الانتفاضة وبرز الدور القيادي للمسجد فيها كما أعلن عن ارتباط حركة «حماس» بالإخوان المسلمين قامت السلطات باعتقال العشرات من أئمة المساجد والخطباء والوجوه الإسلامية البارزة اعتقالات احترازية، ومن أبرز هؤلاء المعتقلين الشيخ بسام جرار والشيخ فضل صالح والشيخ حسن يوسف والشيخ إبراهيم أبو سالم بالإضافة إلى الشيخ محمد فؤاد أبو زيد (أحد خطباء المسجد الأقصى) من الضفة الغربية والشيخ أحمد نمر حمدان والدكتور محمود الزهار وغيرهما من قطاع غزة.

ومع هذه الاعتقالات المستمرة إلا أن مصادر الحركة تؤرخ للضربات الجماعية الكبيرة. فالضربة الأولى حدثت في مايو ١٩٨٨ م، عندما أعلنت مصادر عسكرية إسرائيلية عن اعتقال جميع قادة حركة حماس بغزة (الستة المؤسسين ما عدا الشيخ أحمد ياسين)، كما تم اعتقال الشيخ جميل الحمامي الذي كان يمثل حلقة الوصل بين القطاع والضفة وكذلك اعتقال أعضاء الجهاز الإعلامي في غزة وعدد من مسئولى المناطق^(١) ويقول الدكتور الرنتيسي أن القيادة ضربت ولم تعترف على غيرها ولم تكن الضربة مؤثرة كما تصور البعض، فقد ظهرت قيادة جديدة واستمر العمل واتسع^(٢).

وكان من أسباب عدم تأثير الضربة الأولى على جسم الحركة وفعاليتها، أن الضربة ظلت في حدودها ولم يتم التعرف على بقية العناصر وذلك بسبب قوة هيكلية حماس وامتانة التنظيم وسريته، كما كان صمود الشباب والقادة أمام التحقيق سبباً مهماً في ذلك، يضاف إلى ذلك ارتباك أجهزة الأمن الإسرائيلية في الشهور الأولى للانتفاضة وقيامها بالاعتقال العشوائي للمئات من الشعب، بالإضافة إلى حذرهم المعروف ورغبتهم في منع الانفجار الإسلامي أو تأخيرهم على الأقل، فقد كانت لاتزال تأمل في إبعاد الإسلام عن الصراع وتطويق هذه الظواهر في مهدها.

وبعد صدور «الميثاق» في أغسطس ١٩٨٨ م لم تستطع السلطات الإسرائيلية أن تستمر في أوهامها في محاولة إبعاد الإسلام عن الصراع، «فقد جاء في النيويورك تايمز في عددها

(١) خالد أبو عز، ص ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) د. عبدالعزيز الرنتيسي، مصدر سابق.

الصادر بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٨٨م أن كل القياديين الإسلاميين في قطاع غزة اعتقلوا مباشرة بعد صدور «الميثاق» وجاء في نفس الصحيفة أيضاً أن القوات الإسرائيلية قامت باعتقال وسجن العشرات من الأساتذة والوعاظ الذين يعتقد بأنهم يكونون الصف الوسط لقيادة الحركة، كما تم اعتقال العشرات من طلاب وأساتذة الجامعة الإسلامية في غزة^(١) واستمرت الاعتقالات في جميع المناطق فعلى سبيل المثال «تم في يوم ١٤ / ١١ / ١٩٨٨م اعتقال خمسين شخصاً في منطقة نابلس ينتمون إلى حركة حماس»^(٢).

وجاءت الضربة الثانية التي أريد لها أن تكون القاضية، في مايو ١٩٨٩م، في حملة استمرت عدة أيام بلغت فيها أعداد المعتقلين ١٥٠٠ معتقل^(٣)، من جميع مناطق الأرض المحتلة، ففي يوم ١٩ / ٥ / ١٩٨٩م تم اعتقال الشيخ أحمد ياسين والدكتور محمود الزهار وجميع الرموز الإسلامية الموجودة خارج السجون، وكان أن اعتقل الشيخ بسام جرار في رام الله بتاريخ ١٣ / ٥ / ١٩٨٩م بتهمة قيادة حركة «حماس» في الضفة الغربية، وقد وصلت أعداد المعتقلين حتى يوم ٢١ / ٥ / ١٩٨٥م إلى ٩٥٠ معتقلاً حسب مصادر الأنباء في الأرض المحتلة، و ٣٥٠ معتقلاً حسب وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) و ٢٥٠ حسب المصادر العسكرية الإسرائيلية^(٤) وقد أكرت الصحف الإسرائيلية من الحديث عن الضربة القاصمة المميتة التي وجهت لحركة حماس وتوقعت عودة الهدوء إلى الأرض المحتلة.

ويعزو الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي اتساع رقعة الاعتقالات في ضربة عام ١٩٨٩م إلى عاملين اثنين، «أولهما اهتمام العدو بمواجهة حركة حماس بهذه القوة واستخدام أبشع أساليب التعذيب مع الشباب، حتى الشيخ أحمد ياسين لم يسلم من التعذيب القاسي، وقد رأيتهم وهم ينتفون لحيته ويضربونه في وجهه، أما العامل الثاني فهو التنظيم الهرمي الذي كان متبعاً بحيث إن اعتراف أي مسئول يجر ما بعده، كما أن الأجهزة كانت مفتوحة نوعاً ما وبعض الأخوة يعمل في جهازين وغير ذلك»^(٥) ورغم قوة الضربة واتساعها، إلا أن حركة حماس تستعيد قوتها بسرعة، وينزل بيانها الدوري في موعده بعد أيام قليلة من الاعتقالات وتستمر فعاليتها وأنشطتها وتزداد عملياتها العسكرية.

(١) خالد عز الدين، ص ١٥٣.

(٢) جريدة (النهار) المقدسية، عدد ٦٣٠، ١٥ / ١١ / ١٩٨٨م.

(٣) تقارير حركية.

(٤) خالد عز الدين، ص ١٥٥.

(٥) عبدالعزيز الرنتيسي، مرجع سابق.

وبعد انتهاء الفترة المحددة لهذا البحث وفي الأيام الأولى للسنة الرابعة يقوم «أشرف البعلوجي» و«مروان الزايغ» من شباب حماس بطعن ثلاثة إسرائيليين في مدينة «يافا» حيث كانت السبب المباشر في الضربة الثالثة التي طالت المئات من عناصر حماس ومؤيديها.

وخلاصة القول أن حماس أعطت الانتفاضة قوة واتساعاً وشمولاً، كما أعطتها الانتفاضة أيضاً قوة وتطوراً واتساعاً، ولم يعد أحد يستطيع أن ينكر دورها وحجمها ونفوذها السياسي، وها نحن نورد ما يقوله ثلاثة مدرسين للعلوم السياسية في جامعة بيرزيت تميزت كتابتهم بالطابع الأكاديمي مع اقترابهم الأيديولوجي من التيارات الوطنية.

يقول الدكتور زايد أبو عمرو: «إن الحركة الإسلامية أصبحت طرفاً أساسياً لا يمكن تجاهله، وأصبحت هذه الحركة تنازع الاتجاه الوطني في السيطرة على الشعب الفلسطيني وقيادته في الأرض المحتلة»^(١)، ويقول في دراسة أخرى: «إن حقيقة الأمر هي أن حماس شاركت في الانتفاضة وفعاليتها على قدم المساواة مع فصائل (م. ت. ف) ونظراً لكون «حماس» أكبر من سائر الفصائل (ماعدًا فتح) حجماً فقد اتسمت مشاركتها بالانتظام والاتساع وتعدد أشكال فعاليتها، فحماس شأنها في ذلك شأن حركة فتح، تتمتع بوجود فعلي في جميع أنحاء الأرض المحتلة.. وبسبب هذا الوجود لم تؤد حملات الاعتقالات المتكررة لأنصار حماس إلى تعطيل مشاركتها في الانتفاضة»^(٢)، ويعود ليؤكد أنه «ليس هناك من شك أن دور حماس في الانتفاضة كان من أهم عوامل استمرارها.. كما فاقت قدرة حماس على استيعاب الضربات الإسرائيلية قدرة غيرها من القوى المشاركة في الانتفاضة»^(٣)، ويضيف: «أن حماس كانت الجهة الأكثر انخراطاً في أعمال مسلحة ضد أهداف إسرائيلية»^(٤).

ويقول الدكتور علي الجرباوي: «لقد أثبتت جماعة الإخوان المسلمين عبر «حماس».. الحنكة السياسية والقدرة على إجراء التحولات التكتيكية اللازمة في ضوء المتغيرات والمستجدات على الساحة الفلسطينية»^(٥).

أما د. صالح عبد الجواد فيقول: «لدينا اعتقاد أن حركة حماس تأتي في المرتبة الثانية من

(١) زياد أبو عمرو، (الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة)، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩م، ص ٩٤.

(٢) زياد أبو عمرو، (حماس: خلفية تاريخية وسياسية)، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٦.

(٥) علي الجرباوي، حماس: مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، عدد ١٣، مرجع سابق، ص ٨٣.

حيث القوة السياسية والتأثير بعد حركة فتح، وهى القوة السياسية الوحيدة عدا (ق. و. م) التى استطاعت وماتزال تنفيذ إضرابات شاملة فى جميع أنحاء الضفة والقطاع»^(١)، وقد كتب جدعون سامت فى صحيفة (هآرتس) تعليقاً على اعتقالات مايو ١٩٨٩م يقول: «إن الحركة الإسلامية ليست رافداً صغيراً وبعيداً عن الشارع الفلسطينى... وحركة حماس هى عنصر من العناصر الفلسطينية الأساسية، ولن يقضى عليها مهما اشتدت الضربات حتى لو ألقى بكل نشيطيها فى السجون فهى حركة واسعة النطاق، جذورها ممتدة إلى الأعماق...»^(٢).

دور الإخوان فى الخارج:

غطت أخبار الانتفاضة مساحات شاسعة من الإعلام الدولى وانتشرت المواجهات البطولية التى يقوم بها شعب أعزل إلا من الحجارة والإرادة فى مواجهة جيش مدجج بأحدث الأسلحة، والتفت الجماهير العربية والإسلامية حولها مؤيدة مشجعة وفى مقدمتهم الفلسطينيون فى المنافى العربية والأجنبية.

ففى مصر صرح المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين فى ٢١ / ١٢ / ١٩٨٧م «أن الجهاد هو الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين، وأن المشكلة الفلسطينية تهم جميع المسلمين وليس الفلسطينين فحسب»... كما انطلقت مظاهرة حاشدة من الجامع الأزهر فى يوم ١ / ٨ / ١٩٩٨م بعد صلاة الجمعة تردد الهتافات الإسلامية، وقامت قوات الشرطة بتفريقها»^(٣).

أما فى لبنان فقد قامت المسيرات والاحتفالات والبيانات التى تدعم الانتفاضة وتؤكد إسلاميتها واستمرت فى تواصل منذ ١٦ / ١٢ / ١٩٨٧م إلى ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٧م بمبادرات من العلماء والخطباء السنة والشيعة، ومن حزب الله «الجماعة الإسلامية» وغيرها^(٤).

وفى إيران سارت مظاهرات حاشدة بعد صلاة الجمعة يوم ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٧م، حيث ألقى الخطبة السيد هاشمى رفسنجانى وشارك فى المظاهرة جميع مسئولى الدولة^(٥).

(١) صالح عبد الجواد، ص ١٦٠.

(٢) خالد عز الدين، ص ١٦٠.

(٣) (فجر الإسلام فى فلسطين)، ص ١٠٨.

(٤) المرجع السابق، ص ص ٩٥ - ١٢٠.

(٥) المرجع السابق.

وبدأ خطباء المساجد يشيّدون بالانتفاضة ويؤكدون إسلاميتها وقد برز منهم كل من الدكتور أحمد نوفل والشيخ عبدالمنعم أبو زنت من رموز الإخوان المسلمين في الأردن. أما الإخوان المسلمون جميعاً وخاصة الفلسطينيين منهم فقط كانوا مثل الجماهير العربية مشدودين للانتفاضة، متفاعلين معها بمشاعرهم، دون موقف تنظيمي، إلا ما صدر من تصريحات عن قادة الإخوان في مصر والأردن أو بيانات تحدث عادة في معظم الأحداث التي تهم المسلمين جميعاً، فلم يكن أحد منهم يعرف أن إخوانهم في قطاع غزة ثم في الضفة الغربية هم من الأبطال الأوائل لهذه الانتفاضة، وأن كثيراً من الشهداء الذين سقطوا في بداية الانتفاضة هم من الإخوان المسلمين، حتى «الجهاز العام لفلسطين» والذي يفترض أنه مختص بذلك وأنه على اتصال بالإخوان في الأرض المحتلة، كان مثله مثل (م. ت. ف) ينظر إلى الأحداث على اعتبار أنها هبة شعبية قد تستمر أياماً أو أسابيع، بل إن المنظمة بما تتحمله من مسؤولية لا تستطيع أن تغيب عن أحداث مهمة كهذه، فلا بد أن تدرس وترقب وتحلل وتتصل بالداخل وتبحث عن الوسائل المناسبة لاستغلال أي حدث بما يفيد خطتها وبرنامجه، أما الجهاز العام لفلسطين في حركة الإخوان المسلمين، فإنه لازال في خطواته الأولى يخطط ويعد على أمل أن يقود الشعب الفلسطيني أو على الأقل أن يشارك بقوة تحت الراية الإسلامية بعد تنفيذ خطة من عشر سنوات من الإعداد والتجهيز، ولم يتم حتى ذلك الوقت إعداد تلك الخطة، ولن يتم إعدادها أبداً، لأن الإخوان في قطاع غزة قد اختصروا هذه السنوات العشر إلى شهور عشر، فلم يكن يعلم أحد بتأسيس «حركة المقاومة الإسلامية» وانخراطها في الانتفاضة منذ بدايتها.

وبدأت في النصف الثاني من شهر يناير ١٩٨٨م تصل بعض الأخبار من الداخل تقول : إن الإخوان هم الذين أشعلوا الانتفاضة، إلى أن جاء أحد الإخوة القياديين من الأرض المحتلة، وشرح للإخوان تفاصيل الأحداث ومدى مشاركة الإخوان فيها.. تبنى الإخوان في الخارج الانتفاضة، واندفعوا بحماس ونشاط في الإطارين الداخلي والخارجي يعملون للتعبيّة ودعم الانتفاضة، ولعله من المفارقات العجيبة أن قيادات الجهاز العام في الخارج اعترضوا على التحليل السياسي الذي صدر في النشرة التنظيمية السرية والذي كتبه المؤلف لنشره ١ / ١ / ١٩٨٨م بحجة أنه يبالغ في الحديث عن دور الإسلام في الانتفاضة وضرورة تبنيها، بينما بدأوا ومنذ نشرة فبراير يبالغون فعلاً في دور حماس وتجاهل دور المنظمات الوطنية والجهاد الإسلامي.

وبدأ العمل فى الإطار التنظيمى الداخلى عن طريق النشرات الخاصة والأخبار والمحاضرات واللقاءات، وكذلك فى الإطار العام عن طريق خطب المساجد وإقامة المهرجانات والندوات والأمسيات الشعرية والأناشيد الإسلامية التى تتغنى بالانتفاضة وبحركة «حماس»، وكان من أبرز الخطباء الشيخ أحمد القطان فى الكويت والذى أطلق على منبره اسم «منبر الدفاع عن المسجد الأقصى»، وجعل كل خطبة تدور حول الانتفاضة وشهادتها وتضحياتها ودور حركة «حماس» فيها، ونشط «قسم فلسطين» فى تزويده، بالبيانات وقصص البطولة وكرامات الشهداء والتكافل الاجتماعى والقصائد الشعرية وغيره مما يشد المستمعين، وكان يحضر خطبته حوالى خمسة آلاف مصل، ويصل عدد الذين يستمعون إلى أشرطته عن الانتفاضة عشرات الألوف بل أكثر فى الدول العربية وأمريكا وأوروبا، حتى وصلت أشرطته إلى الأرض المحتلة نفسها.

وبدأ خطباء الإخوان فى الأردن ودول الخليج وفى المهاجر الأجنبية يطالبون المسلمين بدعم الانتفاضة والدفاع عن الراية الإسلامية التى ترفعها، كما نشطت حملات جمع التبرعات الشعبية لدعم الانتفاضة الإسلامية فى جميع دول الخليج وبين الجاليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا. ودبت الحياة والحماسة فى قسم فلسطين وأصبح الجهد الإعلامى والسياسى والتثقيفى له معنى وطعم جديد، وأصبح للتنظيم قضية حية يعايشها يومياً ويعمل لها ويتحرك من أجلها، بل طالبت الحركة جميع الأعضاء بالتبرع من أموالهم لدعم حركة «حماس»، وأذكر أن بعض الإخوة الأثرياء دفعوا مبالغ كبيرة، كما أن عدداً ليس قليلاً من الإخوة الموظفين دفع الواحد منهم حوالى ثلاثة آلاف دولار، بالإضافة إلى مئات الإخوان الذين دفع الواحد منهم مئات الدولارات. وكانت نفوس الإخوان متوثبة وكأنها تنتظر هذا اليوم من زمن طويل، وتبدأ الجمعيات الإخوانية فى دول الخليج والأردن والغرب والهند والباكستان تنظم المؤتمرات والندوات والأمسيات الشعرية والأناشيد الإسلامية خدمة للانتفاضة، وتحولت المؤتمرات السنوية للتجمعات الإسلامية التى يبرز فيها دور الإخوان المسلمين إلى مؤتمرات تأييد ودعم للانتفاضة الإسلامية، ويبدأ «قسم فلسطين» ينسق مع هؤلاء وأولئك ويرسل الخطباء والمحاضرين والشعراء إلى كل مكان.

ويتعاون القسم مع بعض المجلات الإسلامية لتزويدها بالبيانات والأخبار والمقالات مثل مجلة «لواء الإسلام» المصرية، «والإصلاح» الإماراتية، «والبلاغ» الكويتية، و«المجتمع» الكويتية التى يعين فيها القسم كاتباً ثابتاً يغطى الانتفاضة وأحداثها ودور حركة

«حماس» فيها... وتبدأ مجلة «فلسطين المسلمة» التي تصدرها في بريطانيا منذ سنوات «الرابطية الإسلامية للطلبة الفلسطينيين» في محاولاتها للارتقاء بأدائها شكلاً ومضموناً لتواكب الأحداث... كما قام بعض الإخوة بتشجيع من «القسم» بإصدار بعض الكتب في الكويت والتي جاء أكثرها متسرعاً وعاطفياً، إلا كتابين صدرا لغسان حمدان^(١)، ثم صدرت بعد ذلك في الولايات المتحدة كتب أفضل سدت فراغاً في المكتبة الحماسية.

وكان أغلب الخطاب الإخواني الفلسطيني في الخارج وفي كل الساحات الخارجية يعطى انطباعاً أن حركة «حماس» وحدها هي التي تقود الانتفاضة، ولعل ذلك مرده تجاهل وسائل الإعلام العربية وخاصة الفلسطينية لحركة «حماس» تجاهلاً كاملاً بالإضافة إلى ما تسببه الحزبية والتعصب عادة من إغفال دور الآخرين.

ويصل إلى الكويت في أواخر يوليو ١٩٨٨م، الشيخ خليل القوقا، أحد أبرز قيادات حماس في الداخل، بعد إبعاده خارج فلسطين، ليضيف زخماً وبعداً جديداً لعمل حركة «حماس»، في الخارج، وليقوم بدور كبير لم يستطع أن يقوم به أحد في الخارج حتى ذلك الوقت، في التعريف بالحركة، والدفاع عنها واستقطاب الجماهير حولها، فقد ظلت قيادات الإخوان الفلسطينيين في الخارج ومعها قيادات «الجهاز العام لفلسطين» تتحاشى الظهور، وتتخفى خلف الخطباء والشعراء إلى ما بعد أزمة الكويت «أغسطس ١٩٩٠م» حيث بدأ يظهر القليل منها بقدر بطيء جداً.

وانطلق صوت القوقا لأول مرة من الكويت كأول ناطق «غير رسمي» باسم حركة حماس في الخارج، وأقيمت له الندوات، وألقى الخطب الحماسية في المساجد، وعمل مؤمراً قامت بتغطيته كل الصحف الكويتية، وقد تسابقت الصحف والمجلات على عمل لقاءات صحفية معه... كما ذهب إلى دولة الإمارات العربية وقام بنفس الدور بقوة وصلابة.

في تلك الفترة لم تظهر لحركة حماس قيادات في الخارج مطلقاً على المستوى العلني، وحتى في المستوى السري واللقاءات المغلقة مع الأطراف الأخرى، فكانوا يلتقون بحركة فتح مثلاً عن طريق وسطاء ينكرون صلتهم التنظيمية بالحركة، كما تم لقاء مع قيادات حركة الجهاد الإسلامي عقد في دولة الإمارات، في أوائل عام ١٩٩٠م وكان وفد حركة حماس يحمل أسماء مستعارة.

(١) غسان حمدان: (الانتفاضة)، مرجع سابق، وكتاب (التطبيع) لسلمان الصالحى، والأسماء كلها مستعارة والمؤلف هو غسان دوعر.

المبحث الثالث حركة « حماس » و« القيادة الوطنية الموحدة »

تأسيس « القيادة الوطنية الموحدة » ودورها.

مضى شهر كامل على الانتفاضة، ولم يظهر مطلقاً أى بيان أو إشارة، للقيادة الوطنية الموحدة، ولا لأى تنظيم أو فصيل من فصائل (م. ت. ف)، كما أننا بعد ذلك لم نستطع العثور على أى شىء فى كل ما استطعنا أن نطلع عليه من أدبيات (م. ت. ف) وغيرها. ولعل أقرب تفسير لذلك هو ما وجدناه فى المجلة الصادرة عن (م. ت. ف) وبعد ثمانية شهور من الانتفاضة الذى تقول فيه: «إن التشكيل التنظيمى الموحد (القيادة الوطنية الموحدة) تم الانتقال به ومن خلاله، من النضالات العفوية المتفرقة، التى سادت فى المرحلة الأولى من الانتفاضة، إلى مرحلة العمل النضالى المنظم، وربط القيادة الجديدة، سريعاً، بالحركة الأم فى الخارج»^(١). ولئن كان هذا اعترافاً بالتأخير لمدة شهر عن الانتفاضة، فإنه يحمل إنكاراً وتجاهلاً لحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين التى كانت قد أصدرت بيانين قبل ذلك، ولحركتا المقاومة الإسلامية «حماس» التى كانت قد أصدرت ثلاثة بيانات فى الانتفاضة.

على كل حال فقط ظهر اسم «القيادة الوطنية الموحدة» (ق. و. م) لأول مرة على البيان الصادر بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٨٨ م، وحمل رقم (٢) باعتبار أن البيان الأول هو الذى صدر قبل ذلك بيومين بتوقيع «القوى الوطنية لتصعيد الانتفاضة»^(٢)، وقد تكونت القيادة الوطنية الموحدة من كل من حركة فتح، والجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية، والحزب الشيوعى الذى قيل «إنه من نيسان (أبريل) ١٩٨٨ م ابتعد عن القيادة الموحدة»^(٣).

ولعله كان من الطبيعى ألا تترك (م. ت. ف) وفصائلها المختلفة عملاً بهذا الحجم دون أن تشارك فيه، وتعمل على قيادته وهى التى قادت العمل الفلسطينى بكل جوانبه لعشرين سنة أو أكثر، وما كان للمنظمة أن تغيب عن هذه الأحداث الكبيرة وهى «الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى» فى الداخل والخارج، وقد خاضت حروباً كثيرة وقدمت ضحايا

(١) ربيع المدهون، «سنة شهور فى الاتجاه الصحيح»، مجلة (شئون فلسطينية)، العدد ١٨٤ قموز (يوليو) ١٩٨٨ م، ص ٤.

(٢) راجع، صالح عوض، ص ٤٠ وعلى الجرباوى، (الانتفاضة والقيادات السياسية)، مرجع سابق، ص ١٣١.

(٣) فرانسوا ليفران، (الإسلاميون الفلسطينيون)، تونس: (م. ت. ف) مركز التخطيط ١٩٨٩ م، ص ٢٦.

واستخدمت كل الوسائل الممكنة فى الخارج والداخل ، وكانت دائماً حريصة على إفشال كل مخططات العدو الصهيونى فى إنشاء قيادات بديلة داخل الأرض المحتلة ، سواء من الوجود والقيادات التقليدية أو من العملاء والمرتبطون بالعدو أو من الشخصيات البرجوازية المثقفة .

أضيف إلى ذلك عامل مهم آخر ، هو تنامى القوة الإسلامية وازدياد نفوذها والذى سبق الانتفاضة بسنوات وتكرس أكثر باندلاع الانتفاضة ، ومما زاد فى تحفيز (م . ت . ف) على اللحاق بالأحداث والعمل على السيطرة عليها ما تناقلته وكالات الأنباء فى بداية الانتفاضة عن الدور الإسلامى فى إشعالها وقيادتها والتركيز على غياب شعارات (م . ت . ف) وصور قادتها عن المظاهرات .

ولعل جميع الأطراف تستشعر الخطر من تنامى قوة الإسلام السياسى والجهادى لأنها ترى فيه بديلاً لها جميعاً ، وهذا ما سوف يجعل جميع أطراف القضية على ما بينهم من صراعات واختلاف فى المصالح يقتربون من بعضهم أكثر وأكثر بمرور الوقت وتنامى قوة الإسلام السياسى الذى ترى فيه الأطراف كلها بديلاً لها .

ولنفس الدوافع نرى أن جميع الاتجاهات الفلسطينية العلمانية يمكن أن تتوحد فى مواجهة التيار الإسلامى لأنها تعتقد أنه سىأخذ أدوارها جميعاً ، وهذا ما يفسر عملية تكوين « القيادة الموحدة » من حركة فتح والجهة الشعبية والجهة الديمقراطية والحزب الشيوعى ، بالرغم من الخلافات التاريخية والفكرية والتنظيمية بين جميع هذه الحركات .

ولئن كانت سمة العلاقة الدائمة بينهم هى التنافس ولم تفلح كل الجهود لتوحيد مواقفهم ما عدا الجبهة الديمقراطية التى كانت كثيراً ما تقترب من حركة « فتح » ، فإن قوة التيار الإسلامى قبل الانتفاضة هى السبب الأهم الذى كان يجمعهم جميعاً فى انتخابات الكتل الطلابية وغيرها ، وكانوا فى الأمكنة القليلة التى يكون فيها التيار الإسلامى لا يملك القدرة على المنافسة ، ويعودون إلى تنافسهم وصراعاتهم فيما بينهم ، ولعل هذا المنهج يمكن تطبيقه على معظم الحركات الوطنية والقومية واليسارية فى الدول العربية أيضاً .

كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هى التى تمثل المنافس التاريخى لحركة « فتح » فى الخارج وفى الداخل أيضاً ، ولكن الأمور ومن البداية كانت تحسم لصالح « فتح » لما تملكه من رصيد جماهيرى وفعل نضالى وعناصر وأتباع أكثر بكثير من غيرها بالإضافة إلى علاقاتها الأقوى مع معظم الحكومات العربية ، وإمكانياتها الكبيرة وتحكمها فى ميزانية (م . ت . ف) والخصص المالية للمنظمات الأخرى ، وقبل الانتفاضة بكثير وصلت الجبهة الشعبية إلى اليأس

من إمكانية منافسة حركة «فتح»، ورضيت لنفسها بالمركز الثاني، وبالمعارضة المهيمنة حيث تعلن براءتها من بعض المواقف السياسية للمنظمة. وكان اليسار الفلسطيني عموماً أكثر حساسية تجاه التيار الإسلامي للخلافات الجذرية بين الطرفين، كما كان يخشى أى تقارب بين حركة «فتح» والتيار الإسلامى لأن ذلك سيفقدهم الكثير.

وهكذا جاءت «القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة» باتفاق تام على تجاهل الحركة الإسلامية، والتغطية على دورها والعمل على إضعاف نفوذها... ولكنها عاشت فى داخلها نوعاً من الصراع والتنافس يدل عليه صدور طبعات مختلفة للبيان الواحد حيث يعمل كل فصيل على إضافة العبارات والأفكار التى لا يوافق عليها الآخرون، كما يحذف العبارات التى لا تتماشى مع منهجه، وقد ظهر هذا فى البيانات (١٠)، (١٧)، (٢٩) (١)، (٣٥) (٢)، «فقد كان الحزب الشيوعى يصر على الشرعية الدولية والتعاون مع القوى التقدمية الإسرائيلية وعلى الهجمات العنيفة ضد الأردن والرجعية العربية» (٣).

ومما سبب توترات حادة داخل القيادة الموحدة تلك النداءات التى صدرت فى مارس (آذار) إلى النواب الفلسطينيين فى البرلمان الأردنى حيث كان هذا موجوداً فى النسخ التى وزعت فى القدس من بيانى (١١، ١٠) بينما حذفت ذلك رقابة «فتح» كما رقابة الجبهة الديمقراطية فى الخارج (٤) ولم يمض وقت طويل ولأسباب متعددة حتى استطاعت حركة «فتح»، أن تفرض سيطرتها الكاملة على القيادة الوطنية الموحدة، مع أن ذلك لم يمنع الاختلافات بل الصدامات فيما بعد بين عناصر التنظيمات المشتركة فى القيادة الموحدة.

كما نشأ صراع من نوع آخر، حيث أرادت قيادات الداخل أن تركز قوتها ودورها فى اتخاذ القرار، إلا أن هذا حسم وبسرعة، فقد ذكر لطفى الخولى فيما سماه «إشكالية» تحديد مسؤوليات كل طرف، «أن لقيادات الداخل حرية تقرير القيام بالأعمال الجماهيرية وذلك فى نطاق محلى (قرية، مدينة صغيرة، جامعة...) ولمدة لا تتجاوز ثلاثة أيام، وأن عليها ألا تتورط فى إجراء اتصالات سياسية من أى نوع مع سلطات العدو أو حلفائه «أمريكا بالذات» دون إذن واضح مسبق» (٥).

(١) على الجرباوى، ص ١٣٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ليفران، ص ٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٥) لطفى الخولى، مرجع سابق، ص ٣٦.

وكان أبرز ما أكدته بيانات (ق. و. م) وكررتة دائماً حصرية التمثيل في (م. ت. ف) ، كما بدأت بياناتها منذ البيان الثالث باسم (م. ت. ف) إلى جانب القيادة الموحدة ، وأصبحت تبدأ بياناتها بعبارات : «لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة ، لا صوت يعلو فوق صوت شعب فلسطين - شعب منظمة التحرير الفلسطينية» .

وهكذا بدأت (ق. و. م) منذ النصف الثاني من يناير تعمل بكل قوة ونشاط للسيطرة على فعاليات الانتفاضة وقيادتها وتوجيهها ، ساعدها على ذلك إمكانياتها الكبيرة وخبرتها السياسية العريقة ، وعناصر حركة «فتح» والشبيبة المنتشرون في معظم الأماكن بالإضافة إلى عناصر التنظيمات الأخرى المشاركة في القيادة الموحدة ، ومع أن هذا كله لم يستطع تحييد أو إلغاء دور الحركة الإسلامية الواسع في الانتفاضة أو إضعافه ، إلا أن السند الخارجى الكبير الذى قدمته (م. ت. ف) من إعلام قوى وإذاعات خاصة من بغداد وغيرها ، وتأثير على إذاعات أخرى مثل «إذاعة مونت كارلو» وغيرها ، وانسياق الإعلام العربى وراء ذلك ، جعل الساحات الخارجية تكون انطباعاً أنه لا يوجد سوى «القيادة الوطنية الموحدة» ، خاصة فى ظل عدم وجود إعلام إسلامى ، والواقع أن مساهمة (ق. و. م) وبطولات عناصرها وتنظيمها لكثير من فعاليات الانتفاضة كان واحداً من أهم الأسباب التى أدت إلى قوة الانتفاضة واتساعها واستمرارها .

محاولات التنسيق بين (ق. و. م) وحركة حماس:

كان من أهم أهداف «القيادة الموحدة» عند إنشائها كذراع (م. ت. ف) فى الأرض المحتلة ، الحرص الشديد على تأكيد قيادة (م. ت. ف) للشعب الفلسطينى وتمثيلها لكافة تياراته واتجاهاته وعلى التأكيد أن كل العاملين لخدمة القضية الوطنية : وطنيين أو يساريين أو إسلاميين إنما ينطلقون من أرضية واحدة ومن بيت فلسطينى واحد هو (م. ت. ف) .

واتجهت (ق. و. م) فى البداية إلى حركة الجهاد الإسلامى وذلك لأسباب منها أن العلاقة بين عناصر الطرفين لم تصل إلى الصدام طيلة العشر سنوات التى سبقت الانتفاضة ومنذ تأسيس حركة الجهاد ، لكونها اكتسبت سمعة دولية و جماهيرية فى أعمالها الجهادية . . . ولم تفلح تلك المحاولة ، ومع ذلك أشيع أن حركة الجهاد تعمل فى إطار (ق. و. م) ، لكن الحركة نفت ذلك بشدة.^(١)

(١) (مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين) ، ص ٢٥ .

وبعد أن اتضح دور الإخوان المسلمين الفاعل في الانتفاضة حاولت (ق. و. م) أن تضم حركة «حماس» إليها، يقول د. عبدالعزيز الرنتيسي، إن القيادة الموحدة حاولت في لقاء مع الشيخ أحمد ياسين إقناعه بانضمام حركة «حماس» إليها أو على الأقل التنسيق في مواقف مشتركة وإصدار بيان واحد للانتفاضة، وقد حدد الشيخ أحمد ياسين شروطاً لم تقبلها القيادة الموحدة، منها مثلاً أن البيان المشترك يتم توقيعه من (ق. و. م) وحركة «حماس» معاً بينما كانوا هم يريدون أن يكون التوقيع باسم «القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة»، كان هدفهم إذابة حركة «حماس» واحتواءها^(١). وكانت قيادات حركة «حماس» ترى أن حركة «فتح» على وجه الخصوص، تفهم الوحدة الوطنية وكل مرادفاتها من التنسيق والتعاون والمواقف المشتركة، إنما هو في الحقيقة هيمنة حركة «فتح» وسيادة منهجها، وكانت تدعم نظرتها هذه بتجربة (م. ت. ف) وفصائها الطويلة مع حركة «فتح».

١- الاعتبار الفكري: حيث تختلف «حماس» عن التنظيمات الفلسطينية الأخرى في منطلقاتها الفكرية للتعامل مع القضية الفلسطينية الذي جعل هناك افتراقاً - منذ البداية - في التصور... حيث تعتقد حماس أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية... وأن الحرب مع اليهود إنما هي حرب عقائدية بكل جذورها وأصولها، وذات أبعاد حضارية بكل تفرعاتها^(٢).

ونسب للشيخ أحمد ياسين في نفس الموضوع قوله: «يجب أن تكون هناك أرضية أساسية مشتركة تقوم على الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية وعدم انتهاكها في فترة المقاومة، كما يجب الاتفاق سلفاً على أن يكون نظام الدولة بعد التحرر هو الإسلام... فإذا قبلنا بالإقرار بالدولة العلمانية نكون قد خرجنا عن الإسلام»^(٣).

٢- الاعتبار السياسي: وهو ينطلق تلقائياً من الاعتبار الأول، وهذا يجعل هامش المناورة السياسية لحماس منضبطاً في إطار فهمها الإسلامي وليس منفلتاً من كل الضوابط والثوابت^(٤)، وعليه فإن الحركة ترفض التنازل عن أي جزء من فلسطين، وبالتالي ترفض جميع قرارات الأمم المتحدة، وترفض المفاوضات المحكومة سلفاً بإملاءات العدو نظراً لموازين القوى المختلفة بصورة فاضحة، ولذلك فلا تستطيع الحركة أن تصب جهدها كله من أجل

(١) عبدالعزيز الرنتيسي مقابلة، مرجع سابق.

(٢) خالد عز الدين، ص ١٨٩.

(٣) زياد أبو عمرو، ص ٩٥.

(٤) خالد عز الدين، ص ١٨٩.

الوصول إلى حلول تتعارض كلية مع مبادئها وموقفها السياسى .

٣- الاعتبار الأمنى : وذلك لعدم التجانس التنظيمى فى تركيب (ق.و.م) ، وسرعة انكشاف عناصرها وقياداتها ، فقد «كان واضحاً أن حركة (حماس) أكثر انضباطاً فى هيكليتها من (القيادة الموحدة) ، الأمر الذى يفسر عدم توجيه ضربات قاتلة لحركة «حماس» من أجهزة الأمن الإسرائيلية»^(١) ، فقد كانت حماس حريصة على سرية أعمالها وقياداتها وعناصرها ، يضاف إلى ذلك ما تذكره مصادر الحركة عن ظهور حالات اختراق متعددة فى صفوف التنظيمات الأخرى .

ومع ذلك فقد أظهرت حركة «حماس» حرصها على وحدة الشعب الفلسطينى وتماسك جبهته الداخلية حيث التزمت من جانبها باحترام كل الفعاليات والإضرابات التى دعت لها (ق.و.م) ، كما سارعت إلى تطويق كل حادث أو ممارسة خاطئة وإلى حل كل الإشكالات بالتى هى أحسن^(٢) .

وظلت حركة «حماس» تدعو إلى التنسيق وتوجيه كل القوى ضد الاحتلال طيلة السنوات الثلاث الأولى من الانتفاضة - وما بعدها - وقد ورد هذا فى معظم بيانات الحركة ، وعلى الأخص البيانات ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، حيث طالبت فيها (ق.و.م) ، ترجمة شعاراتها الداعية إلى الوحدة إلى واقع ملموس ، وألا تكون مجرد الاستهلاك الإعلامى وكسب المواقف ، كما أعلنت حماس فى بياناتها هذه أنها قدمت العديد من المذكرات واللوائح الداعية إلى التعاون والتنسيق مع (ق.و.م) ولكنها لم تتلق أى رد حتى الآن مما يشير إلى عدم جدية القيادة الموحدة فى دعوتها للتعاون ، أما بيان حركة حماس رقم (٦٦) فقد طالب الجماهير بالتأكيد على تنفيذ فعاليات القيادة الموحدة الواردة فى بيانها رقم (٦٤)^(٣) .

وأخيراً نجد أنفسنا أمام مفهومين مختلفين متباعدين للوحدة الوطنية ، فالقيادة الوطنية الموحدة ومن خلفها (م.ت.ف) وعلى الأخص حركة «فتح» التى تقود الطرفين ترى فى الوحدة الوطنية ولقاء كافة القوى السياسية أن يكون تحت مظلة فكرها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى .

وفى الجهة الأخرى نرى أن مفهوم الوحدة عند حركة «حماس» يقوم على أساس فكرها

(١) صالح عوض ، ص ٤٢ .

(٢) خالد عز الدين ، ص ١٩٣ .

(٣) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية) ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

وبرنامجها السياسى، مع إعرابها عن استعدادها أن تعمل تحت قيادة (م. ت. ف)، كما جاء فى المادة السابعة والعشرين من ميثاق «حماس»: «ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة فنحن جنودها ووقود نارها التى تحرق الأعداء»^(١).

المناوشات ومحاولات الوقيعة:

وعندما فشلت محاولات التنسيق منذ البداية أو كما تسميها مصادر حركة «حماس» «محاولات الاحتواء»، فقد لجأت عناصر القيادة الموحدة إلى أعمال متعددة لمحاورة دور حركة حماس من طمس لشعاراتها على الجدران، وإلى اتهامها بالعمالة وخدمة الاحتلال، إلى محاولات إفشال فعاليتها، إلى «حالة التمايز التنظيمية التى تمارسها حركة «فتح» فى المناطق المحتلة، حيث تحرم أبناء (حماس) وجماهيرها من حصتهم فى الدعم المادى المخصص للانتفاضة، كما قامت بقطع رواتب العاملين فى الجامعة الإسلامية لأكثر من أربعة شهور دون غيرهم من أبناء الجامعات الأخرى»^(٢).

وقد قام الإعلام الإسرائيلى بمحاولات تضخيم الخلافات مستغلاً حالة عدم الثقة المتبادلة بين الطرفين والتركيز على أن حركة حماس تتمدد على حساب نفوذ (م. ت. ف)، وقد وجهت حركة حماس الدعوة إلى كافة الفصائل التنظيمية إلى عدم الالتفات إلى ما تبثه وسائل الإعلام الإسرائيلية والأجنبية، والذي غالباً ما يقصد به الكذب والدس على الحركة.^(٣)

كما قامت أجهزة الأمن الإسرائيلية بواسطة عملائها بمحاولة إذكاء نار الفتنة وشحن الأجواء بالتوتر، حيث يتلثم العملاء منتحلين اسم حماس مرة و«فتح» مرة أخرى أو الحزب الشيوعى، يطمسون الشعارات على الجدران أو يهاجمون عنصراً من هذا الطرف أو عنصراً من الطرف الآخر، يضاف إلى ذلك ما كانت توزعه السلطات المحتلة من بيانات مزورة تكتبها وتنسبها لطرف يهاجم الطرف الآخر، وطبقاً لما جاء فى مجلة (اليوم السابع) فإن أول هذه البيانات المزورة كان بتاريخ ١٩ / ١ / ١٩٨٨ م، وكان بتوقيع «المرابطون على أرض الإسراء» يهاجم الحزب الشيوعى الفلسطينى ويصفه بالحزب الكافر الملحد الذى أنشأته اليهودية العالمية، وفى يوم ٤ / ٢ / ١٩٨٨ م قذفت إلى الشارع ببيان مزور آخر بتوقيع الحزب الشيوعى

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، السنة الأولى، ص ١٦٠.

(٢) جهاد صالح (إعداد)، (حركة المقاومة الإسلامية، حماس: بين آلام الواقع وآمال المستقبل)، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٩١ م، ص ٣٠.

(٣) خالد عز الدين، ص ٢٠٦.

يهاجم رجال الدين^(١)، وكانت جميع الأطراف تتنبه لذلك وتوزع بيانات توضح حقيقة الأمور، وقد أعلنت حماس أن بيانها الشهري هو المرجع الأساسي لمواقف الحركة. وهكذا كما يقول أحد الكتاب: «ظل الخلاف بين القيادة الموحدة وحركة «حماس» المحسوبة على جماعة الإخوان المسلمين يدور على نار هادئة طيلة أربعة أشهر تقريباً، لم تخل من احتكاكات بين مؤيدي الطرفين إلى أن انفجر في ٢١ آب (أغسطس) ١٩٨٨م^(٢)».

الصدام

كان يوم الحادى والعشرين من آب (أغسطس الساخن) عام ١٩٨٨م نقطة فاصلة في تاريخ العلاقة بين حركة «حماس» و(ق. و. م.)، كما كان يوماً حاسماً في إظهار قوة حماس ونفوذهما في جميع مناطق الأرض المحتلة وذلك للنجاح الكبير الذي حققه الإضراب الشامل في ذلك اليوم بمناسبة الذكرى السنوية لمحاولة إحراق المسجد الأقصى ومنبر صلاح الدين، حيث أغلقت جميع المحلات وتوقفت حركة المرور في جميع مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية بالإضافة إلى قطاع غزة وهو ما اتفق على تسميته «بالإضراب المنفرد» الذي دعت إليه حماس في جميع المصادر التي وصل الباحث إليها، فلسطينية أو عربية أو أجنبية، وكل الكتب والمقالات والبحوث وحتى الأكاديمية منها.

والواقع أن حركة «حماس» قد فرضت إضراباتها المنفردة منذ بداية الانتفاضة في قطاع غزة حيث كان الناس يستجيبون لدعوة الإضراب الصادرة عن حركة «حماس» كما يستجيبون لتلك الصادرة عن (ق. و. م.) أو حركة الجهاد الإسلامي، بل كانت جميع الأطراف تسهم في نجاح الإضراب الذي يدعو إليه أى طرف منفرد.

ولما لم يعد من الممكن إنكار دور حركة «حماس» في الانتفاضة، فقد ركز الإعلام الفلسطيني ومن خلفه الإعلام الأجنبي على أن حركة «حماس» موجودة في قطاع غزة فقط وأن أثرها في الضفة الغربية محدود، ولم يكونوا في ذلك مناقضين لظواهر الأمور، فقد ساعدتهم على تكوين هذا الانطباع ومن ثم ترويجه «أن قيادات حماس في الضفة الغربية ولا اعتبارات متعددة كانوا يحذفون من البيان الذي يصلهم من غزة كلمة «إضراب» ويضعون بدلاً منها كلمة «تصعيد» فيقال لنجح الإضراب في غزة فقط، وكنا نعلن عن الإضرابات التي

(١) مجلة (اليوم السابع)، (باريس) عدد ٢٧٢، ٢٤/٧/١٩٨٩م.

(٢) خالد عايد (الانتفاضة الثورية في فلسطين - الأبعاد الداخلية)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع،

١٩٨٨م، ص ص ٧١-٧٢.

تدعو إليها القيادة الموحدة، وكان الشباب غير راضين عن ذلك^(١). وتحت إلهام الشباب بالتميز لإظهار قوة حماس مع رغبة قيادة الحركة في التأكيد على نفوذها في الضفة الغربية أيضاً، جاء أول إضراب منفرد تعلنه «حماس» في الضفة الغربية وذلك يوم الجمعة ١٩٨٨/٧/٨م وفي منطقة نابلس فقط، وقد نجح الإضراب بصورة كبيرة^(٢).

وفي ١٩٨٨/٨/١٨م تم توزيع ميثاق حركة المقاومة الإسلامية وخاصة في القدس والضفة الغربية، ذلك الميثاق الذي أقام الدنيا ولم يقعد لها، وزاد على ذلك أن وزعت الحركة في نفس اليوم بيانها رقم (٢٨) الذي يدعو إلى الإضراب الشامل يوم الأحد ١٩٨٨/٨/٢١م، وظلت نسخ البيان التي وزعت في الضفة الغربية تحمل هذه الدعوة، واستعد أنصار حركة «حماس» وقياداتها وعناصرها لإنجاح الإضراب، وكان الإضراب المنفرد الأول للحركة في مناطق الضفة الغربية.

أرادت (ق. و. م) وفصائلها أن تؤكد مقولتها أن حماس موجودة في غزة فقط، فبذلت جهوداً كبيرة لإفشال الإضراب، «وحاول شباب «فتح» كسر الإضراب، وإجبار أصحاب المحلات على فتح محلاتهم وكسر أقفال المحلات المغلقة مما اضطر أصحابها للوقوف أمام محلاتهم لحمايتهم من السرقة»^(٣)، وفي مدينة رام الله قامت مجموعة من شباب (ق. و. م) بضرب أحد عناصر حماس بثلاث زجاجات حارقة أدخل المستشفى على إثرها، وقام آخرون برجم شباب حماس بالحجارة كما قاموا بتحريض التجار وأصحاب المحلات التجارية بعدم الالتزام بالإضراب، وكتبوا على الجدران أنه لا يوجد إضراب وأشاعوا بين الناس أنه لا يوجد شيء اسمه حماس، وليس هناك إلا القيادة الموحدة، وفي العديد من المدن والقرى كانوا يهددون التجار ويفتحون المحلات بالقوة»^(٤).

فَمَنْ مِنَ الطرفين الذي يتحمل مسئولية الصدام والتصعيد في الخلافات؟ وهل من حق طرف أن يحتكر لنفسه منطقة ما، خاصة إذا كانت بحجم الضفة الغربية؟ ولماذا لم تتعامل القيادة الموحدة مع الإضراب بنفس الطريقة التي تتعامل بها في قطاع غزة؟ بل ولماذا لم تشارك فيه وتدعو إليه وتعمل على إنجاحه وخاصة أنه بمناسبة تخص الجميع كما تخص المسلمين جميعاً وهي «إحراق المسجد الأقصى ١٩٦٩م».

(١) قادة منطقة نابلس، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) خالد عز الدين، ص ١٩٥.

إن هناك حقيقة يعرفها أهل الأرض المحتلة جميعاً وهي أن نجاح الإضراب الشامل ليس دليلاً كافياً على قوة الجهة الداعية إليه بقدر ما هو دليل على درجة الوعي السياسى لدى الشعب وأصحاب المحلات، وعلى درجة الحماس والرغبة فى التعبير عن رفض الاحتلال، وقد دعت تنظيمات صغيرة إلى إضرابات ونجحت هذه الإضرابات على الرغم من عدم وجود عناصر لهذا التنظيم أو ذاك فى كل المناطق لينفذوا الإضراب، وكان يكفى أن تظهر دعوة للإضراب على الجدران، أو يمر صبي صغير على الشارع التجارى فى أية مدينة ليعلن أن اليوم إضراب.

لكن المهمة تكون صعبة على من يريد كسر الإضراب وإفشاله، وقد قامت بهذا قوات الاحتلال مراراً فى البداية، لكنها يئست من ذلك، وهكذا فإن قيل أن حركة حماس قد فرضت إضرابها بالقوة فى الضفة الغربية، فهذا لا يعنى مطلقاً أنها أجبرت أصحاب المحلات على تنفيذ الإضراب، وإنما يعنى أن عناصر الحركة اضطرت للمواجهة والاشتباك مع العناصر التى تحاول إفشال الإضراب ولعل هذا وليس نجاح الإضراب هو الدليل على قوة الحركة وانتشارها فى كل مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية والتى استطاعت بعناصرها ومؤيديها أن تنجح الإضراب رغم كل محاولات إفشاله.

وفى محاولة يبدو أنها غير مدروسة جيداً، ودون النظر إلى مصلحة الجماهير، والمحافظة على قدرتها وطاقاتها، دعا البيان رقم (٢٤) الصادر عن (ق. و. م) فى يوم ٢٢ / ٨ / ١٩٨٨ م، إلى «إضرابات شاملة لأربعة أيام خلال أسبوع واحد، وكأنا هذه القيادة تريد إثبات سيطرتها على الشارع الفلسطينى»^(١).

وصدر بيان رقم (٢٥) للقيادة الموحدة فى ٦ / ٩ / ١٩٨٨ م، وقد خصص فقرة للهجوم على حماس معتبراً أن «محاولة فرض إضراب ٨ / ٢١، خطوة تتناقض مع البرنامج الوطنى... وأن أى مساس بوحدة الصف معناه تقديم خدمة جليلة للعدو وضرب الانتفاضة»^(٢)، وبدأت القيادة الموحدة تدعو إلى إضرابات وهمية باسم «حماس» لإظهار فشلها وعدم تجاوب الشعب معها^(٣). وكانت المواجهة الثانية بين الطرفين يوم ٢٩ / ١١ / ١٩٨٨ م حيث دعت حركة «حماس» إلى الإضراب الشامل بمناسبة ذكرى قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، حيث اعتبرته حماس بمثابة إقرار شرعى بحق اليهود فى اغتصاب جزء من أرض فلسطين، أما (م. ت. ف) فقد اعترفت بقرار التقسيم، واعترفت بدولة إسرائيل، لذلك قامت (ق. و. م) بمحاولة إفشال إضراب «حماس»

(١) خالد عايد، ص ٣٢.

(٢) جريدة (الوطن) الكويتية، عدد ٤٨٦٦ - ٧ / ٩ / ١٩٨٨ م.

(٣) خالد عز الدين، ص ١٨٨.

لأن نجاح الإضراب يعنى رفض سياسة (م. ت. ف) وقراراتها التي لم يمض عليها أسبوعان بعد، وقد قامت الصحف الإسرائيلية بمحاولة إذكاء الفتنة قبل موعد الإضراب وبعده^(١).

وعلى الرغم من كل المحاولات، نجح الإضراب نجاحاً كبيراً، وذكرت مصادر حركة الجهاد: «أن حماس تمكنت من فرض الإضراب بعد اشتباك بالعصى والخناجر استمر أكثر من ساعتين في مدينة نابلس»^(٢)، وقالت صحيفة دافار الإسرائيلية: «لقد تجاوب سكان المناطق مع المنظمات الإسلامية، وقاموا بإضراب شامل.. تقريباً.. وهذا الأمر بمثابة نجاح لـ «حماس» وفشل لقيادة المنظمة التابع لـ «فتح»^(٣).

ولما لم يعد بالإمكان محاصرة قوة حماس وتجاهلها، كما أن القيادة الموحدة وجدت نفسها أنها هي التي تخسر على النطاق الجماهيري من محاولات إفشال إضرابات «حماس» في الضفة الغربية، فقد أصبح الأمر في الضفة مثلما كان عليه في قطاع غزة.

وبعد أن انتهت معضلة الإضرابات المنفردة، قامت بعض الحوادث المؤسفة هنا أو هناك إلى أن تفجرت مشكلة السجون والمعتقلات بإعلان بيان صادر عن معتقلي «حماس» في أحد عشر سجناً من سجون الاحتلال موجه للرأى العام وإلى الأخ ياسر عرفات وإلى رئيس وأعضاء المجلس الوطنى الفلسطينى وإلى الشعب الفلسطينى وأنصار «حماس» فى العالم وإلى المسلمين فى كل مكان، يتحدثون فيه عن الاعتداءات المتكررة عليهم من معتقلي حركة «فتح» وانتهاك حرمة الإسلام من بعض قياداتهم وعناصرهم وحرمان أفراد حركة «حماس» من كثير من الحقوق^(٤)، وقد ردت حركة «فتح» فى بيان لها على هذه الاتهامات، ووصفتها بأنها جملة افتراءات متعمدة، وطعنت فى الدوافع وراء ذلك^(٥).

أما فى شهر سبتمبر ١٩٩٠م فتظهر بعض الصدامات مع الحزب الشيوعى فى مخيم جباليا وكذلك صدامات أخرى مع حركة «فتح» فى مخيم البريج بقطاع غزة، وصدامات أخرى فى قرية «جبع» بالضفة الغربية، وتقوم المساعى الحميدة بين ممثلى الطرفين فى الأردن حيث يتوصلون إلى عدة نقاط اتفاق يرسلونها للأرض المحتلة حيث تم تعديل وإضافة بعض النقاط إليها، وصدر بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٩٠م اتفاق موقع من حركة حماس وحركة «فتح»

(١) انظر، خالد عز الدين، ص ص ١٩٧ - ٢٠٠.

(٢) صالح عوض، ص ٥٢.

(٣) خالد عز الدين، ص ١٩٩.

(٤) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ٣، ص ١٢٣-١٢٥.

(٥) بيان موقع باسم حركة فتح فى ١٢ / ٤ / ١٩٩٠م، وبيان آخر باسم المعتقلين الفلسطينيين (ق. و. م) بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٩٠م.

أطلق عليه اسم «وثيقة الشرف».

لم يتعرض الاتفاق للمسائل السياسية وإنما ركز على وضع الأسس للعلاقة الحسنة بين الطرفين والتشديد على حق كل فصيل في الاجتهاد الفكرى والسياسى واعتماد الحوار البناء لفض المنازعات وفتح صفحة جديدة واحترام عقيدة الأمة وشعائرها ومساجدها وممتلكات المواطنين، وحق كل فصيل فى أداء فعالياته كاملة دون تعرض أى فصيل آخر له، وحل مشكلة السجون، وصرف مرتبات موظفى الجامعة الإسلامية^(١)، وسوف تكشف الشهور والسنوات التالية مدى الالتزام بهذه الوثيقة.

وأخيراً فإننا نورد هذه الخلافات والصدامات هنا أو هناك لنوضح صورة العلاقة بين الطرفين لكن هذا لا يعنى تجاهل الصورة العامة التى طبعت علاقات كل الأطراف، والتى كانت فى غالبها التعاون والتسابق على مواجهة العدو من الاشتراك فى المظاهرات والصدامات ومساعدة المتضررين وزيارة الجرحى من كل الأطراف وتشجيع الشهداء، فقد كان الفضل الأكبر دائماً للتنظيم الأكبر والأعظم الذى كان يتقدم الجميع، ألا وهو الشعب الفلسطينى الذى تقدم بعطائه غير المحدود واحتضن جميع الفصائل وساندها، وكان يقول للمسيء أسأت ويطالبه بالرجوع عن الخطأ.

المبحث الرابع

جدلية الداخل والخارج فى العمل الفلسطينى

ليس المقصود بهذه القضية أن نفصل بين الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وإخوانهم خارجها فقد كان هذا هدفاً دائماً لأعداء الشعب الفلسطينى، لقد أثبت الفلسطينيون وخلال الأربعين سنة التى سبقت الانتفاضة، وعلى الرغم من اختلاف ظروفهم وتنوع معاناتهم فى كل الأماكن التى تواجدوا فيها، أنهم شعب واحد متكاتف متعاطف متكامل، تربطه آمال واحدة مشتركة، تتلخص فى تحرير فلسطين والعودة إلى الوطن، ولا توجد أسرة فى الأرض المحتلة غير مقسومة بين الداخل والخارج، وكان الشعب كله على استعداد دائم للتضحية وتسطير البطولات، من مقاومة الاحتلال فى الداخل إلى مهاجمة قواعده من الخارج، ولئن اختلفت أشكال المعاناة فإنها جميعاً كانت تدفع باتجاه العمل والأمل بتحرير فلسطين، ولقد

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية) ج ٣ (نص وثيقة الشرف)، ص ص ١٤٢-١٤٤.

وقف أهل الداخل مع إخوانهم في الخارج في كل معاركهم، وفي مآسى الحصار التي عانوها، وتأتى الانتفاضة لتظهر وقوف الفلسطينيين جميعاً مع إخوانهم في الداخل من خلال الدعم والمساندة والتعاطف والتأييد.

ولقد حاول الكيان الصهيونى مراراً وبإصرار أن يلعب لعبة الفصل بين الداخل والخارج، كما قام بخطوات عملية من أجل صنع قيادات بديلة في الداخل، تكون قادرة على التفاوض معه باسم الفلسطينيين في الأرض المحتلة، وتكون قادرة على حماية الاتفاقيات المأمولة لتكريس سيطرتها على فلسطين كاملة، مع منح المناطق المحتلة حكماً ذاتياً تحت الرعاية الإسرائيلية، وكانت (م. ت. ف) دائماً تشجب هذه المحاولات على اعتبار أنها تهدف لفصل الرأس عن الجسد، ودق إسفين الفرقة بين أبناء الشعب الواحد.

وظلت سياسة إسرائيل تعمل جاهدة ولمدة طويلة على تجاهل الفلسطينيين في الخارج، أياً كانوا، متشددين أو معتدلين، ومهما تكن درجة التنازل التي يمكن أن يصلوا إليها، لأن الاعتراف بهم، يعنى الاقتراب من مشاكل لا تريد التعامل معها، مثل مشكلة اللاجئين وحق العودة، وبدلاً من ذلك كانت تصر دائماً ولا تزال على أن الفلسطينيين في الخارج مشكلة عربية، وتوجب على الدول العربية استيعابهم.

أما هذا البحث فإنه يتناول موضوع القيادة الوطنية - علمانية أو اسلامية - ومركز اتخاذ القرار، ومدى توزع حجمه بين الداخل والخارج، فالقيادات بلا شك، ودوافع قراراتها تختلف نظراً لاختلاف الظروف والمكونات الفكرية والثقافية والضغطات التي تواجهها، ونوع المعاناة التي تقاسيها، وحجم الارتباطات بل والارتهان أحياناً لقوة أخرى، فالقيادات في الخارج يمكن أن تجد نفسها معلقة في الهواء، فلا أرض تستند إليها، ولا شعب تحتمي به، أما في الداخل مهما كانت الظروف القاسية والاعتقالات، فإن القيادات تظل تستند إلى أرضها وشعبها.

يقول أحد الكتاب الوطنيين: «الداخل يمثل مجتمعاً إنتاجياً متماسكاً» يعاني على أرضه وطأة الوجود الصهيونى يومياً، في حين أن الخارج مشئت بين البلدان التي تتوزعه... وفي حين تنمو القوى والمؤسسات والكوادر والقطاعات الشعبية الواسعة في مناخ المواجهات الجريئة والصلافة النضالية وروح التمسك بالأرض والوطن، فإنها في الخارج تنمو تحت وطأة الإفساد المعمم، والترهل الفكرى والسياسى والانفلات التنظيمى، وروح «القنص والارتزاق وعقلية الغيتو»^(١).

(١) خالد عايد، مرجع سابق، ص ١٢٨.

الحركات الفلسطينية بين الداخل والخارج:

كان قدر حركة المقاومة الفلسطينية وفصائلها العاملة و(م.ت.ف)، أن يكون ثقلها بمعظمه خارج الأرض المحتلة، وكانت هذه أبرز نقاط ضعفها، وقد حاولت جهدها كله من أجل المحافظة على استقلالية قرارها، حتى أنها خاضت الحروب من أجل ذلك وقدمت الضحايا التي يفوق عددها كثيراً ضحاياها في المعركة الوطنية ضد الاحتلال... كما قامت مضطرة إلى مجاملة ونفاق عدد من الأنظمة. أدى بها إلى تقديم الكثير من التنازلات الشكلية والتي أوصلتها إلى التنازلات الجوهرية في ظل الوضع العربي الذي يزداد سوءاً، والمتغيرات الدولية التي جعلتها مكشوفة في العراق، فلا هي استطاعت المحافظة على استقلالية قرارها، ولا هي استطاعت توجيه الضربات الموجهة للاحتلال والتي تتناسب مع حجمها وإمكانياتها وخبرتها. ولما بدأ البعض يطرح فكرة نقل مركز الثقل إلى الداخل، كانت قيادات العمل المتواجدة في الخارج لا تستطيع ذلك لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

جاءت الانتفاضة - متأخرة - لتعيد مركز الثقل إلى الداخل، جاءت قوية طموحة، في وقت كانت فيه المنظمات في الخارج ضعيفة يائسة تبحث عن حلول الدبلوماسية، نتيجة الإحباط والهزائم والحصار والضغط الذي مارسه الأنظمة العربية، وتجلي ذلك في مؤتمر قمة عمان في نوفمبر ١٩٨٧م الذي جعل حرب العراق وإيران قضية مركزية وفلسطين قضية ثانوية.

لجحت القيادات الوطنية العلمانية في الداخل نجاحاً قليلاً في البداية في تأكيد دورها، إلا أن جهود قيادات الخارج الحثيثة نجحت في السيطرة الكاملة على القرار السياسي، حتى أصبحت «القيادة الوطنية الموحدة» واجهة لمنظمة التحرير، مجهولة الأسماء، تقتصر وظيفتها على إدارة محلية لتنفيذ الإضرابات وتوزيع البيانات.

كان التيار الفلسطيني يختلف عن القوى الوطنية العلمانية، فقد نشأ بالكامل داخل الأرض المحتلة، قراراً وممارسة وقيادة، ولعل ذلك إلى جانب عقيدته الإسلامية هي أبرز نقاط قوته، فحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين نشأت وعملت سياسياً وعسكرياً من داخل الأرض المحتلة، وحتى حينما أبعد الكيان الصهيوني قياداتها الأولى إلى خارج الوطن، فإن هذه القيادات تظل تحمل صفة القيادات الداخلية، لمعرفتها الواسعة بدينامية المجتمع الفلسطيني في الداخل والذي عايشته طويلاً، وخبرتها الدقيقة بالقوى الفلسطينية الأخرى قيادات

ومناهج وتوجهات ، ولعرفتها بأساليب العدو المتنوعة ، وسجونته ، وهى فوق ذلك كله تعرف تنظيمها وعناصرها ، قوة وضعفاً ، وبذلك تكون عند اتخاذها للقرار أو التوجيهات للحركة فى الداخل ، قريبة من شعبها وعناصرها ..

أما حركة المقاومة الإسلامية « حماس » فهى الأخرى ، كان قرار تأسيسها ومشاركتها السياسية والعسكرية قراراً داخلياً صرفاً ، تحمّلت مسؤوليته وقيادته قيادات الإخوان فى قطاع غزة ، ثم فى الضفة الغربية ، وما كان على شعبها وأنصارها فى الخارج وفى مقدمتهم الإخوان المسلمون إلا أن يسيروا خلفها مؤيدين داعمين .

وعلى الرغم من الحملة الضارية التى تعرضت لها حركة « حماس » بجميع الأشكال ومن مختلف الجهات ، من اتهامات وتشويه وتجاهل من الحركات الفلسطينية والأنظمة العربية ، وقمع واعتقالات وملاحقة إسرائيلية ، لم يحدث مثلها لأى فصيل فلسطينى ، إلا أنها ظلت تزداد قوة وانتشاراً ، وتتصاعد جماهيريتها فى الداخل والخارج .

ولم يكن للإخوان الفلسطينيين فى الخارج أى دور فى إنشاء « حماس » ومبادرتها العملية ، سوى الإمداد المالى ، بالإضافة إلى تلقى البيانات والأخبار التى تأتى من الداخل ، ومحاولة نشرها التى لم تتعد التوزيع الداخلى على الأعضاء وبعض الناصرين وخطباء المساجد ، ثم نشرها فى المجلات القليلة التى يصدرها الإسلاميون هنا وهناك ، ولم يستطيعوا أن يخرجوا من هذا الإطار إلا نادراً نظراً لانعدام علاقتهم مع القوى الأخرى ومع وسائل الإعلام ، وكذلك لعدم وجود قيادة علنية فى الخارج يمكن الرجوع إليها .

إدارة حركة « حماس » من الخارج :

عملت قيادات حركة « حماس » فى الأرض المحتلة ، ومنذ بداية الانتفاضة على نقل مركز اتخاذ القرار إلى الخارج ، وأوكلت إلى قيادات الإخوان الفلسطينيين فى الخارج دور قيادة الحركة أو على الأقل إدارتها حسب ما يتوفر لديها من إمكانيات ، وقد تم ذلك بالرضا الكامل ودون أدنى حساسية وذلك لأسباب ودوافع متعددة نذكر منها :

١ - الروح الأخوية التى تربط بين الإخوان جميعاً ، وطبيعة الثقة الكاملة التى يشعر بها الإخوان وخاصة فى الأرض المحتلة ، بإخوانهم فى كل مكان .

٢ - الاعتقالات المتكررة والتى تصل إلى كل قيادة جديدة ، فكان لابد أن تكون هناك مرجعية آمنة من الاعتقال ، تملك حرية الاتصال بجميع المناطق ، فمهما تقطعت الخيوط ، يظل

المركز سليماً حيث يستطيع استئناف ربط الخيوط في كل مرة.

٣- معاناة الحركة في الداخل من الحصار الإعلامي والتعتيم على نشاطاتها وتحريف توجهاتها، كان يتطلب استنفار الإخوان في الخارج، لعلهم يفكون طوق العزلة عن الحركة.

٤- قرب قيادات الخارج من القيادة الدولية للإخوان المسلمين وسهولة اتصالها بالتنظيمات الإسلامية القطرية.

٥- الظروف المتاحة لقيادات الخارج في تمثيل الحركة وشرح مواقفها أو الاتفاق باسمها مع المنظمات الفلسطينية والعربية، بالإضافة إلى الاتصال مع الحكومات والشعوب.

٦- تمويل نشاطات الحركة كله تقريباً يأتي من خارج الأرض المحتلة.

٧- ولعل السبب الخفي والذي أراه في تقديري أهم الأسباب هو خوف قيادات الحركة من اندفاع الحركة وشبابها وقيادات جديدة تأخذ الحركة بعيداً عن الإخوان المسلمين ومنطلقاتهم - وأكثرهم لازلوا يذكرون أن حركة فتح قامت على كوادرمهم - فكان تفويض الإخوان في الخارج ضماناً أساسية لاستمرار إخوانية الحركة.

وهكذا بدأت قيادات العمل الفلسطيني في الخارج تلعب دورها - الموكل إليها من الداخل - شيئاً فشيئاً، وبالتدريج، يدفعها إلى ذلك الحماسة والرغبة، ويؤخرها عنه ويعرقل مسيرتها حذر شديد ورغبة في عدم الظهور، بالإضافة إلى قلة الخبرة السياسية واختلاف المهمات التي أُلقيت على عاتقها بقوة وبسرعة عن تلك المهمات التي كانت تؤديها خلال السنوات الطويلة الماضية، يضاف إلى ذلك عدم استيعاب أكثرية القيادة لما يجري في الداخل، فالكثيرون منهم لا يملكون تصوراً واضحاً وعميقاً عن طبيعة الأرض المحتلة وشرائحها الاجتماعية وقواها السياسية، وسياسة الاحتلال فيها.

وبدأت قيادات الخارج - وأكثرها من الشباب - تكسب الخبرة مع الوقت، ومع الاتصال بالأطراف الأخرى، وبدأت تظهر بعض الأسماء القليلة من الصفين الأول والثاني، والتي قبلت بهذا الدور بعد أزمة الكويت، واستمر عمل قيادات الخارج بصورة هي أقرب إلى «إدارة» العمل من قياداته، فلم تستطع أن تبرز زعامة حركية أو جماهيرية يكون لها أثرها على الشعب أو على الأطراف الأخرى التي تتم اللقاءات معها.

لذلك كانت انطباعات القادة الآخرين والشخصيات السياسية، عند لقائهم بمعظم قيادات «حماس» أو ممثليها في الخارج هي أقرب إلى السلبية، على الرغم مما تمثله حركة «حماس» من قوة كبيرة وأثر واضح في الساحة الفلسطينية، ظل الشيخ أحمد ياسين في

سجنه هو القائد غير المنازع على مستوى الجميع وخاصة عناصر الحركة وقياداتها في الداخل، وبقيت قيادات الداخل هي التي تمثل الوزن الثقيل في التعبير عن الحركة وكانت أوضح ما تكون، في الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي بما يتمتع به من صفات قيادية وتجربة صدامية طويلة مع الاحتلال وتفان منقطع النظير يجعله يعيش قضيته ليلاً نهاراً، وفي الدكتور محمود الزهار بما يتمتع به من ثقافة واسعة، وخبرة سياسية عميقة، وقدرة فائقة على الحوار، وفي الشيخ بسام جرار بما يتصف به من رؤية فكرية عميقة، وقدرة متميزة على التحليل والاستنباط، واستكشاف آفاق المستقبل.

وحتى داخل المعسكر الإسلامي، كان الكثيرون لا يرون في قيادات الحركة وممثليها الكفاءة المناسبة لقيادة حركة بهذا الحجم وهذا الطموح ووسط كل هذه الأخطار، ولعل أبرز مثالين لذلك هما: القيادات الإسلامية السودانية وقيادات الإخوان السوريين وعلى الأخص الأستاذ عدنان سعد الدين، فهؤلاء إلى جانب خبرتهم السياسية العميقة، واحتكاكهم ومعرفتهم بجميع ألوان الطيف السياسي في المنطقة، فإنهم على خلاف مع القيادة الدولية للإخوان المسلمين، مما لا يجعل معيار التقييم عندهم أن تكون أخاً مسلماً وكفى، بالإضافة إلى أنهم على علاقة طيبة مع (م. ت. ف) وخاصة رئيسها السيد ياسر عرفات.

ففي حوار أجرته مجلة «اليوم السابع» مع الأستاذ عدنان سعد الدين في مارس ١٩٩٠م، وبعد أن يؤكد على دور (م. ت. ف) في تمثيل الشعب الفلسطيني ودور حركة حماس كضمير لهذا الشعب يقول: «وشباب حماس الآن، وبعد أن قدموا تضحيات عظيمة، بدأوا يكتسبون خبرة سياسية، وأصبحوا أقرب من ذي قبل إلى الحوار البناء والتعاون حول القضايا المشتركة»^(١).

طريقة التعامل مع بعض القضايا:

طرحت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وفي السنة الأولى من الانتفاضة بعض القضايا المحورية في مسيرتها، ومع أن المسئولين في الخارج لم يشعروا بالرضا عن تلك القضايا لأسباب مختلفة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً سوى الالتزام بما صدر عن الحركة.

ففي يوم ١١ / ٢ / ١٩٨٨م، أي في بداية الشهر الثالث للانتفاضة أعلنت حركة «حماس» في بيانها السادس أنها الساعد القوي لجماعة الإخوان المسلمين^(٢)، وكررت ذلك في البيان

(١) مجلة (اليوم السابع)، عدد ٣٠٤، ٥ / ٣ / ١٩٩٠م.

(٢) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ١، ص ٣١، ٥٧، ١٤٣.

رقم (١٥) الصادر في ١٥ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ م، ثم أكدت عليه في ميثاقها الصادر بتاريخ ١٨/٩/١٩٨٨ م.

فبعد غياب المبرر الأمني الذي فرض عدم الإعلان عن الإخوان المسلمين في البداية، كان الجيل القديم من الإخوان في الأرض المحتلة حريصاً على إظهار اسم «الإخوان المسلمين» ليساهم في طمس الصورة المشوهة عن الإخوان، ولينتصر لماضيه القديم والقريب، كما كان الجيل الجديد - غير المثقل بعقدة الماضي - يحب أن يفتخر بانتمائه إلى حركة الإخوان التي ترفع الراية الإسلامية، وكانت أول من جاهد على أرض فلسطين، ولعلمهم أيضاً يريدون دفع الحركة الإسلامية العالمية برمتها للانخراط في العمل المباشر لقضية فلسطين.

أما في الخارج فلعل معظم قيادات الإخوان - ومنهم الفلسطينيون أيضاً - لم يرحبوا في قرارة أنفسهم بهذا الإعلان، لما يمكن أن يسببه ذلك لهم من متاعب إضافية مع أنظمة الحكم والتي ازدادت حساسيتها تجاه العمل الإسلامي بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، ويجدر بنا هنا أن ننوه على أنه رغم المساندة التي قدمها الإخوان في الخارج لحركة «حماس»، فإن حركة الإخوان المسلمين استفادت أكثر من ذلك بكثير من انطلاقة «حماس»، وجهادها في فلسطين، مما رفع أسهم الإخوان الشعبية في الخارج، وكانت الجماعة في الأردن هي أكثر المستفيدين من ذلك، فلعل نسبة كبيرة من الأصوات التي حصلوا عليها في الانتخابات البرلمانية كانت بسبب حركة «حماس» وفعاليتها.

كانت قيادات العمل الفلسطيني في الخارج ترى أن الإعلان جاء متسرعاً، مما قد يؤثر على العمل التنظيمي في الداخل والخارج كما كانت ترى أن ذلك قد يعوق خطة حركة «حماس» لتكون تنظيم الإسلاميين الفلسطينيين جميعاً.

وفي ١٨/٨/١٩٨٨ م فوجئ الجميع بتطور محوري آخر، حيث صدر في الأرض المحتلة - بصورة سرية طبعاً - ميثاق حركة المقاومة الإسلامية، وتم توزيعه في جميع المناطق وعلى وكالات الأنباء. وقد حظى الميثاق باهتمام كبير من وسائل الإعلام الدولية، وأثار الأجهزة الإسرائيلية، كما أثار أيضاً أجهزة (م. ت. ف) حيث دشّن حركة «حماس» كحركة مقاومة جذرية وذات أهداف بعيدة، تعمل على تحرير كل فلسطين وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

ومع كل هذه الضجة التي أثارها الميثاق، فإن قيادات العمل الفلسطيني في الخارج، حبسته في الأدراج، بحجة أنه جاء متسرعاً ويتصف باللغة العاطفية والإنشائية ويفتقر إلى اللغة القانونية، وقد وزعت نسخ الميثاق على المختصين كي يقترحوا التعديلات المناسبة، لكن

«الميثاق» كان قد فرض نفسه وأصبح مرجعاً للكتابات الصحفية والبحثية عن حركة «حماس» وعلى ذلك فقد تمت طباعته بعد تأخير، وظل توزيعه محدوداً، وبعد ذلك بسنوات تنتهز قيادات الخارج فرصة وجود عدد كبير من قادة الحركة المبعدين في «مرج الزهور» ومن بينهم كاتب الميثاق لتعيد فكرة تعديل الميثاق، إلا أن الفكرة تموت في مهدها.

أما القضية الثالثة فكانت عندما شعر قادة الحركة في الأرض المحتلة، أن (م. ت. ف) تسير بخطى حثيثة في محاولة استثمار الانتفاضة لتحقيق أهدافها السياسية، ولما كانت الحركة في الداخل لا تستطيع مواجهة ذلك إلا بتصعيد الانتفاضة والعمل على الساحة النضالية في الداخل، فقد طلبت من قيادات الحركة في الخارج أن تبذل جهدها في هذا المجال، ولكن قيادات الخارج كانت عاجزة تماماً عن فعل أى شىء في هذا المجال، وذلك لأسباب أهمها، عدم وجود تصور واضح لما يجب عمله، وعدم وجود جماهير للحركة أو أنظمة يمكن الاعتماد عليها، كما أن حالة التجزئة التي تعيشها الأمة العربية وبروز النزعات القطرية قد تركت أثرها على التنظيم الأممي - الإخوان المسلمين - حتى أصبحت التنظيمات القطرية تضع حساباتها - ربما مضطرة - حسب الأحوال الداخلية لكل قطر، فلم تشأ التنظيمات الإخوانية القطرية أن ترمى بثقلها كله في معركة ضخمة وخطيرة، تؤلب عليها الجميع، فقد رأت في قضية فلسطين قضية بعيدة المدى، وأن الانتفاضة مرحلة تتبعها مراحل كثيرة، وهي لا تريد أن تخسر ما تحققه من إنجازات على المستوى القطري، بطرقها المختلفة حسب أوضاع كل قطر.

ولعل أهم تنظيمين في هذا المجال كان يمكن أن يبذلا جهداً ملموساً في مواجهة الاستثمار السياسي للانتفاضة، والحلول السلمية فيما بعد، هما إخوان مصر وإخوان الأردن، لما يمثلها الإخوان في مصر من قوة وعراقة وقيادة للإخوان جميعاً، وما تمثله مصر نفسها من قوة ومكانة وتأثير، وكذلك الإخوان في الأردن بما يمثلون من قوة في الشارع الشعبي، وبما يتميز به الشعب الأردني بأصوله الفلسطينية والأردنية معاً، من تحمله للهم الفلسطيني أكثر من غيره، وكذلك فإن البلدين لهما حدودهما المشتركة مع الأرض المحتلة في قطاع غزة والضفة الغربية.

لكن الإخوان في البلدين كانوا قد اتخذوا منذ زمن سياسة العمل القانوني وعدم إغضاب السلطة، ومحاولة تحقيق الأهداف بصورة مرحلية وتدرجية وسلمية، وعليه فإنهم مستعدون لمساعدة حركة «حماس» وتأييدها إلى حدود لا تجعلهم يصطدمون بالسلطات المحلية.

وأخيراً ماذا يحمل المستقبل بالنسبة لمركز اتخاذ القرار في حركة «حماس»، وما هي

التطورات التي ستحدث على صعيد القيادة فى الخارج، وماذا سيكون أثر التطورات الجوهرية والسريعة على القضية برمتها من مفاوضات سلام إلى حكم ذاتى وانتخابات والدعوة لإنشاء أحزاب سياسية فى مناطق الحكم الذاتى ومعاهدات سلام أخرى مع الدول العربية، وتصعيد محتمل فى العمل المسلح فى مواجهة الدولة الصهيونية.

وهل فى المراحل المهمة ستستعيد القيادة الحقيقة - الداخل - دورها الذى أوكلت منه أجزاء مهمة إلى قيادات الخارج، وهل سيتم ذلك بالرضا الكامل كما حدث أول مرة. لعل السنوات القادمة ستحمل بذوراً غير واضحة لشكل المستقبل، وستظل هذه الأسئلة مفتوحة تبحث عن إجابة ●

الفصل الثاني

حركة «حماس» والإعلام

المبحث الأول

الإعلام الإسرائيلي وحركة «حماس»

تمتلك الدولة في «إسرائيل» مؤسساتى الإذاعة والتليفزيون اللتين يتم توجيههما بذلك لخدمة المخططات الصهيونية، فالإذاعة الإسرائيلية تبث برامجها باللغة العبرية واللغة الإنجليزية، كما تبث «دار الإذاعة الإسرائيلية» برامجها باللغة العربية. أما الصحافة الإسرائيلية فهي «مملوكة للأحزاب والمؤسسات والجمعيات والشركات والأفراد، ويزيد مجموع ما يصدر في (إسرائيل) من صحف ومجلات ودوريات على ٢٦٠ نشرة»^(١)، ويعود السبب إلى وجود هذا الفيض الهائل من الصحف في (إسرائيل) إلى تعدد الأحزاب والاتجاهات السياسية والتجمعات الاستيطانية ذات اللغات والمصادر المختلفة، وإلى سهولة الحصول على تراخيص لإصدار الصحف، بالإضافة إلى ما تتمتع به الصحافة الإسرائيلية من حرية في نطاق الأيديولوجية الصهيونية التي تلتزم بها أغلبية الأحزاب والاتجاهات السياسية.

يعتمد هذا البحث بصورة كبيرة على كثير مما ورد في الصحف العبرية كما جاء في الدراسة القيمة التي وضعها خالد عز الدين بعنوان «الانتفاضة الفلسطينية في الصحافة العبرية»، حيث قام الباحث بجهد كبير في تتبع الصحافة العبرية والتعرف على مواقفها من الانتفاضة ومن حركة المقاومة الإسلامية «حماس».

كما أنه من المفيد الإشارة إلى أهمية الإعلام لدى الحركة الصهيونية ومن بعدها دولة «إسرائيل»، فقد عبّر الحاخام اليهودي «راشورون» عن شدة اهتمام اليهود والحركة الصهيونية بالإعلام، ضمن خطاب ألقاه في مدينة براغ عام ١٩٦٩م فقال: «إذا كان الذهب قوتنا الأولى

(١) (الموسوعة الفلسطينية)، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، دمشق: ١٩٨٤م، ص ١٨.
(٢) زياد أبو غنيم، (السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية)، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط ٢، بدون تاريخ، ص ٣٢.

للسيطرة على العالم، فإن الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية»^(٢)، أما عن دور الإعلام الصهيوني الحاسم في إنشاء الدولة العبرية، فيقول دافيد بن غوريون أول رئيس لوزرائها: «لقد أقام الإعلام دولتنا على الخارطة، واستطاع أن يتحرك للحصول على مشروعاتها الدولية وجدارة وجودها قبل أن تصبح حقيقة واقعة على الأرض...»^(١)

والإعلام الصهيوني يعتمد على العلم والتخطيط، وهو يعتمد على مزيج من الأفكار والنظريات التي أفرزها علم الاجتماع ممزوجة بالتراث الميثولوجي اليهودي القائم على العنصرية وتفوق الشعب اليهودي، ويتغير الخطاب الإعلامي الصهيوني بتغير الجمهور الذي يتوجه إليه، فهو يقوم بدراسة كل حالة على حدة، محلاً خصائصها السيكولوجية والثقافية والسياسية، واضعاً الاستراتيجية المناسبة للتعامل مع كل حالة، فهو في خطابه للغرب الرأسمالي يركز على تأكيد أن مصلحة الغرب الاستراتيجية سياسياً واقتصادياً وثقافياً مرتبطة بدعم المشروع الإسرائيلي الصهيوني، وفي خطابه الموجه لليهود يثير فيهم روح الأخوة اليهودية والتميز عن الشعوب، كما يخوفهم من النزعات اللاسامية وإمكانية تكرار المذابح النازية وخطورة زوال إسرائيل على اليهود جميعاً، أما في خطابه الموجه للعرب، فهو يهدف في الأساس إلى زرع اليأس وتوهين العزائم وإشغال المشاكل بينهم والقضاء على روح المقاومة وإبراز وتضخيم السلبيات معتمداً على الاختلاق والكذب والإشاعة التي يظل يكررها حتى تصبح أمراً مفروغاً منه، «والإعلام الإسرائيلي الموجه للعرب، إعلام مرن وضيع في فن الكلمة والاحتياال على عواطف المستمع، يتلون مع ألوان الواقع السياسي والوضع القائم من غير أن يفقد هدفه، كما أنه يطرح مقولته في تواز مع العمل السياسي والعسكري»^(٢).

وقد استفاد الإعلام الإسرائيلي كثيراً من وضع الإعلام العربي الذي خسر ثقة الجمهور بتمجيده الدائم للحكام وحديثه المسهب عن التطورات الاجتماعية والاقتصادية والديمقراطية التي يكذبها الواقع، فحاول الإعلام الإسرائيلي جاهداً أن يبنى مصداقية نسبية، وأن يسعى للحفاظ على ثقة المستمع والقارئ الفلسطيني في الأرض المحتلة مشدوداً لمتابعة وسائل الإعلام الإسرائيلية.

«ولقد ساعدت الانتفاضة كثيراً على تعرية الإعلام الإسرائيلي وكشف أكاذيبه، فلقد

(١) خالد عز الدين، (الانتفاضة الفلسطينية في الصحافة العبرية)، شيكاغو: المؤسسة المتحدة للدراسات والنشر، ١٩٩١م، ص ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص ص ١٤-١٥.

كانت الجماهير صانعة الأحداث في ساحة المواجهات مع المحتل تلمس وبسهولة البون الشاسع بين حقيقة ما جرى ويجرى على أرض الواقع وبين ما يطرحه الإعلام الإسرائيلي.. وبذلك تهاوى صرح المصادقية المزعومة التي عمل الإعلام الإسرائيلي سنيماً طويلة في سبيل بنائها»^(١).

الحركة الإسلامية في الإعلام الإسرائيلي:

تقوم استراتيجية الدولة العبرية على استبعاد الإسلام من ساحة الصراع، والإبقاء على طبيعة الصراعات القومية أو الوطنية أو الاقتصادية أو السياسية أو نزاع الحدود، والتي تستطيع بذلك مع الوقت ومع الانتصارات المتتالية والاختراق النفسى للجبهة الفلسطينية والعربية، أن تتوصل إلى حلول تضمن لها بقاءها وتطورها ونفوذها، فهي تعلم مدى قوة الإسلام وقدرته على تعبئة العرب والمسلمين بصورة غير قابلة للمهادنة، فهي نفسها قد اعتمدت على بعث الأيديولوجية الدينية اليهودية كعامل محورى في تجميع اليهود وبناء الدولة، كأنها تدرك من درس التاريخ في المنطقة أن الإسلام قادر على هزيمة مخططاتها وإنهاء دولتها كما فعل بالصلبيين من قبلها، وهى بذلك قامت بالعمل على تشويه صورة الصحوة الإسلامية العالمية فى إعلامها العبرى أو فى الإعلام الدولى الغربى الذى تسيطر الصهيونية على معظم وسائله، كما عملت على استعداد الغرب لهذه الصحوة وتحريض الحكومات العربية والإسلامية وكذلك (م. ت. ف) على هذا الإسلام السياسى الذى يمثل خطراً قاتلاً على الجميع وليس على إسرائيل وحدها.

وقد أشارت صحيفة (يديعوت أحرونوت) إلى أبعاد هذه الاستراتيجية فى مقال لها بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٩٨٧م عندما قالت: «إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة، هى جزء من استراتيجية إسرائيل فى حربها مع العرب، هذه الحقيقة هى أننا قد لجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا فى إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً...»^(٢)، وفى تصريح لإسحق رابين يقول: «سأحاول أن أعمل كل ما فى وسعى لفصل المسائل الدينية عن صراعنا مع الفلسطينيين»^(٣)، ويصرح رابين نفسه قبل الانتفاضة بأربعين يوماً «أنه يتعين على

(١) المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) زياد أبو غنيم، (عداء اليهود للحركة الإسلامية)، عمان: بدون ناشر، ١٩٨٣م، ص ٣٢.

(٣) مجلة (العالم)، عدد ٢٤٠، ١٧ / ٩ / ١٩٨٨م.

إسرائيل البحث عن كل سبيل ممكن لإبقاء المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية مقتصرة على المجال السياسى .. فكلما اتخذت هذه المواجهة طابع مواجهة سياسية دينية، فإن إسرائيل ستواجه مشكلات عويصة للغاية»^(١) أما رئيس الأركان الإسرائيلى دان شمرون فيقول: «إن الشرق الأوسط يمر بمسار إضفاء الطابع الإسلامى، وفضلاً عن مخاطر إرهاب من هذا النوع، فإنه يمثل أيضاً تهديداً مباشراً للأنظمة والاستقرار فى الشرق الأوسط»^(٢)، وتمضى صحيفة دافار على نفس النهج من التآليب على الحركة الإسلامية واستعداد الأنظمة العربية عليها فتقول: «إن العدو الخطر والعنيد لإسرائيل ليس هو هذه الحركة (الوطنية) وإنما التعصب الإسلامى ... الذى أوصل الخمينى إلى السلطة فى إيران، وأدى إلى قتل السادات فى القاهرة، وهو من زود الشيعة فى لبنان بالأسلحة القاتلة»^(٣).

وقد نشرت صحيفة (الجروزاليم بوست) الإسرائيلية والتي تصدر بالإنجليزية مقالاً للصحفى الفلسطينى عثمان الحلاق الذى يرأس تحرير صحيفة (النهار) المقدسية قال فيه: «ومع مرور الأيام بدأ الصراع يأخذ شكل حرب بين اليهودية والإسلام، ومادام الصراع بين حركات علمانية قومية فإنه يمكن حله بالتسامح فيه والتوصل إلى وفاق، أما حين يصبح الصراع حرباً دينية فسيكون قدرنا هو الإخفاق .. إن مستقبل المنطقة كلها فى خطر إذا تم التحول إلى مجال الصراع الدينى بين العرب واليهود»^(٤).

ولقد أوضح هذه الاستراتيجية الصهيونية بصورة جلية البروفيسور «يُحزقييل درور»، صاحب كتاب «استراتيجية شمولية لإسرائيل»، فهو يبدى تخوفه من أسلمة الصراع، ويقترح أن تكون إسرائيل حذرة تجاه الإسلام وعلاقتها به ... وينصح بالتعامل مع الإسلام باحترام وتجنب الإساءة إليه».

وفى مقال له فى صحفية (دافار) يحدد أربعة عوامل أساسية للاستراتيجية السياسية والأمنية بالنسبة لإسرائيل أحدها أنه «يجب الامتناع عن التحرش بالإسلام، لأن مثل هذا التحرش قد يساهم فى بلورة اتجاهات دينية فى الشرق الأوسط تعبر عن ذاتها بمعسكر قوى جداً يجمع فى إطاره كافة الطاقات الإسلامية الموجهة ضد إسرائيل»^(٥).

(١) جريدة (القدس) المقدسية، ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٧ م.

(٢) خالد عز الدين، ص ٥٤ عن جريدة «معاريف»، ٩ / ٢ / ١٩٩٠ م.

(٣) خالد عز الدين، ص ٥٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٦-٥٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٥٦.

حركة «حماس» فى الإعلام الإسرائيلى:

يلعب الإعلام الصهيونى دوراً مهماً فى تنفيذ الأهداف السياسية والأمنية، فهو يعمل على تحويل الأفكار والمشاريع السياسية إلى واقع مادى، وهو بذلك عمل جاهداً على إضعاف حركة «حماس» ومنع تمدها واتساعها معتمداً أساليب كثيرة، منها التشويه والافتراء المبرمج والمتكرر بحيث يصبح فكرة صحيحة يتناقلها كثير من الناس ويرددها الكتاب، ومنها محاولاته الدورية لزorc الفرقة والتناحر فى الجانب الفلسطينى، وبث المخاوف لدى الفصائل والتيارات الأخرى وتضخيم هذه المخاوف بصورة تزيد من التباعد بين هذين التيارين.

(أ) العمل على تشويه الحركة:

وكان أبرز هذه المقولات إشاعة الشبهة القديمة الجديدة، وهى أن السلطات الإسرائيلية شجعت التيار الإسلامى، وغضت الطرف عن نشاطاته، وسمحت له بتأسيس الجمعيات والمدارس، بهدف إضعاف نفوذ (م. ت. ف) فى الأراضى المحتلة^(١). ومن الملاحظات المؤسفة أن إعلام التيار الوطنى الفلسطينى قام بدوره فى نشر هذه المزاعم للنيل من حركة «حماس»، ومن الأمثلة الكثيرة على ذلك هو ما قالته صحيفه «عل همشمار» العبرية: «إن رفع - حماس - راية الجهاد ضد إسرائيل كان السبب فى تغير مفاهيم «رابين» حول هذه الحركة... فقد بدأ رابين يفهم بأن - حماس - لن تقوده إلى الحسين بل إلى الخمينية...» كما تورد الصحيفة اعتراف رابين بأخطائه وتقديراته حول - حماس - ... كما تزعم الصحيفة وبصورة فجأة «أن قيادة - حماس - لم تستطع الصمود على وعودها التى قطعتها على نفسها لرابين من أنها لن تشترك فى الكفاح ضد إسرائيل»^(٢).

ولم يقتصر الإعلام الإسرائيلى على هذا فى تشويه حركة «حماس»، بل أضاف إليها أكاذيب أخرى تهدف إلى تشويه دوافع الحركة ومصداقيتها، «فالدافع وراء إنشاء حركة المقاومة الإسلامية «حماس» كان الحرج الذى سببه ظهور حركة الجهاد الإسلامى، وتصعيد عملياتها العسكرية ضد إسرائيل، مما شكل ضغطاً على حركة الإخوان المسلمين للتحرك والصدام مع الاحتلال لتحافظ على قاعدتها الجماهيرية»^(٣)، وهكذا تجرد الصحيفة العبرية

(١) جرت مناقشة هذا الموضوع فى بحث الشبهات حول الحركة الإسلامية.

(٢) جريدة (على همشمار) العبرية، ٢٤ / ٤ / ١٩٨٩م، ص ٨.

(٣) خالد عز الدين، ص ٤٢، عن «دافار» العبرية، ٥ / ٥ / ١٩٨٩م.

أعمال حركة «حماس» من الدوافع الوطنية والإسلامية، بل وفي مواضيع كثيرة تشكك في مصداقية «حماس» وتختلق الأكاذيب، فالصحفي الإسرائيلي (مخيال سيلع) يدعى «أن الحركة قد ظهرت في شتاء ١٩٨٨م وأن رجال «حماس» بدأوا بإصدار منشورات خاصة بهم ابتداء من المنشور رقم (٤) وما بعد لكي لا يكونوا متخلفين عن المنشورات الصادرة عن القيادة الوطنية الموحدة»^(١).

(ب) التبنّي المورط:

وهو اصطلاح أطلقه أحد الباحثين^(٢)، للدلالة على أسلوب الإعلام الإسرائيلي أحياناً في تناوله لأخبار «حماس» بحيث يوحى للقارئ أن السلطات تحاول تكبير حجم «حماس» ودورها، فهذه صحيفة (الجروزاليم بوست) تقول: «إن الدور المركزي لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، مع الجهاد الإسلامي في الانتفاضة واضح ومعترف به منذ زمن طويل»^(٣) ويندرج أيضاً تحت هذا العنوان التصريحات الكثيرة والتي مر بنا بعض منها لكبار المسؤولين في الدولة العبرية عن دور الحركة الإسلامية في إشعال الانتفاضة وقيادتها. وتقول «يديعوت أحرونوت»: إن إسرائيل أخطأت في تقدير القوة الحقيقية لحركة «حماس»، فلا يوجد شك أن «حماس» هي القوة الرئيسية في قطاع غزة، وهي تحتل مركزاً قوياً في الضفة^(٤)، وعند صدور ميثاق «حماس» فإن «الجروزاليم بوست» تصفه قائلة: «إنه دلالة على إحراز تقدم كبير للحركة.. وهو حصيلة العمل المشترك لقادة الحركة الذين يتمتعون بقدر عال من التعليم والثقافة»^(٥).

(ج) استعداد (م. ت. ف):

كان هذا الهدف واحداً من أهم أهداف الاحتلال في الأرض المحتلة، فهو يحاول تضخيم التناقضات داخل الصف الوطني لتنشغل التيارات السياسية ببعضها، بدلاً من أن تتوحد في مواجهة الاحتلال، وقد عملت أجهزة الأمن على تحقيق ذلك على الأرض بواسطة عملائها وبياناتها المزورة، كما عمل الإعلام الإسرائيلي في نفس الوقت على إيفار النفوس وزرع الحساسية والفرقة، فكثيراً ما كانت تشير وسائل الإعلام الصهيوني إلى أن «حماس» تهدد

(١) جريدة (النهار) المقدسية، عدد ٨٢٣ - ٢٨/٦/١٩٨٩م.

(٢) خالد عز الدين، ص ٥٠.

(٣) جريدة (الجروزاليم بوست)، عدد ١٧٠٨٨، ٢/٣/١٩٨٩م.

(٤) خالد عز الدين، ص ٥٩.

(٥) المرجع السابق، ص ١٣٤.

وحدة الجمهور الفلسطيني، وتسعى إلى شق الصف الوطنى وتنافس (م. ت. ف) فى قيادة الشعب الفلسطينى بالإضافة إلى ما كانت تركز عليه فى تناولها لبعض البيانات فى الانتفاضة مثل بيان رقم (٣٤) «لحماس» والذى يهاجم المواقف الخيانية لبعض الفلسطينيين الذين يؤيدون التنازل عن أجزاء من فلسطين.

هذا بالإضافة إلى محاولات الاصطياد فى الماء العكر حيث أجرى التليفزيون الإسرائيلى مقابلتين مع الشيخ أحمد ياسين محاولاً بكل الوسائل الحصول على تصريحات تساعد فى توسيع الفجوة بين الحركة الإسلامية من جهة والفصائل الوطنية من جهة أخرى، لكن الشيخ دائماً بوعيه التام بأهداف الإعلام الإسرائيلى وبحرصه وقلة كلماته، كان يفشل مخططاتهم.

المبحث الثانى

الإعلام الغربى وحركة «حماس»

المرتكزات الفكرية للإعلام الغربى عن العرب والمسلمين:

يعكس الإعلام الغربى (الأوروبى والأمريكى) فى تناوله للقضايا العربية والإسلامية تلك الأفكار القديمة الجديدة عن الشرق، وخاصة الإسلام والعرب، والتى هى مزيج من العداء والخوف والاستعلاء، عداء موروث ضد العرب والمسلمين غذته وأوقدت ناره الحروب الصليبية، وخوف على مصالحهم الاقتصادية فى المنطقة من صحوة العرب والمسلمين، واستعلاء يتأسس على نظرية الرجل الأبيض المتفوق والذى يحمل الحضارة للبدو المتخلفين. فالصورة القائمة التى وضعها بعض المستشرقين للعرب والمسلمين كونت أرضية فكرية للإنسان الغربى فى نظراته المعادية والمتعالية للمنطقة^(١) فالعرب شعب جاهل وبدائى ويؤمن بالخرافات كما أنه شعب مخادع، فولأؤه عبودية، وشجاعته عنف، ودينه خرافات، وحب شهوانى، وتقواه رياء.

وحتى الكتب المدرسية فقد قامت بتعليم الناشئة كل الأكاذيب والافتراءات على العرب والمسلمين، فالعرب مولعون بالقتال، ونشروا دينهم بالسيف، واتخذوا من الهلال رمزاً لأنه يشبه السيف، كما أنهم يقرون بالرق والعبودية واحتقار المرأة، وكتابهم القرآن كتبه محمد، أما الصورة

(١) حلمى خضر سارى، (صورة العرب فى المنطقة فى الصحافة البريطانية) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٨م، ص ٣٩-٥٨.

الثانية للعرب والمسلمين فهي صورة البدوى والجمال والصحراء، أما صورة اليهود فهي صورة الأمة الجديدة التى زرعت الصحراء وجاءت بالحضارة والديمقراطية فى هذا العالم المتخلف^(١). ومن هذه القوالب الجاهزة الطافحة بالعداء والتشويه استمد الإعلام الغربى المعاصر أرضيته الفكرية، بل وساهم فى تعزيز هذه الصور بما يبثه من أخبار وتعليقات وتحليلات تنسجم فى النهاية مع التصور الغربى الموروث، وقد استخدم كل الوسائل الحديثة فى تضخيم السلبات وانتقاء الأحداث الملائمة من بين الكم الهائل من الأخبار.

والعرب فى نظرهم متخلفون ومستبدون ومعادون للديمقراطية، وهم يعادون الغرب وحضارته يتحالفون مع العدو الشيوعى، فعبد الناصر يعادى الغرب خدمة للمصالح السوفيتية، ويعادى دولة إسرائيل لأنها تقوم على القيم الغربية من الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، والمنظمات الفلسطينية المقاتلة وما قامت به من عمليات عسكرية ضد العدوان الصهيونى إنما هى أعمال تخريبية نشأت من الحقد على الغرب وديمقراطيته، وعلى الشعب اليهودى المتفوق الذى جعل الصحراء مزهرة وحمل الحضارة إلى هذا الركن المظلم من العالم، وأخيراً فإن هذا التيار الإسلامى الذى يتسع ويمتد منذ السبعينيات ما هو إلا محاولة للعودة إلى القرون الوسطى وهو خطر يهدد الغرب بأكمله فى حضارته ومصالحه الاقتصادية والسياسية. وبهذا نخلص إلى القول أن هذا التوافق الكبير بين المصالح الغربية والمصالح الصهيونية وتشابه الخطاب الإعلامى للطرفين، ليس سببه فقط لأن الصهيونيين يمتلكون معظم وسائل الإعلام الغربية، وإنما أيضاً لأن الغرب نفسه مهياً ومستعد لتقبل هذه المقولات الجاهزة عن العالم العربى والإسلامى وعن الجهاد الفلسطينى، يساعد على ذلك حالة التخلف والظلم التى تسود العالم العربى.

وهكذا يقيم الإعلام الغربى الدنيا على مقتل جندى إسرائيلى وهو بكامل سلاحه، ويعتبر ذلك عملاً إرهابياً، بينما لا يقيم وزناً لقتل العشرات من المدنيين فى الأرض المحتلة وجنوب لبنان فى كل بضعة أسابيع.

الإعلام الغربى والحركة الإسلامية فى فلسطين؛

قلنا إن الإعلام الغربى فى خطابه الموجه للرأى العام يستند على أحكام مسبقة ومفاهيم راسخة فى الوجدان الأوروبى والأمريكى عن الإسلام والمسلمين، وهو بدوره يركز عليها

(١) المرجع السابق، ص ص ٩٢-٩٣.

ويؤكد لها من حين لآخر فمهاجمة بعض الإسلاميين لبعض المؤسسات العلمانية وحوانيت بيع الخمر وغيرها هي إشارة إلى همجيتهم وإرهابهم وتخلفهم الموروث وعدائهم للديمقراطية، والهجوم بالضرب على النساء المتبرجات إنما هو دليل على احتقار الإسلام للمرأة وعدم الاعتراف بحقوقها الاجتماعية والسياسية، كما أن رفض الحركات الإسلامية للسلام (المطروح)، هو تأكيد لصورة العنف والبداءة والقبائل التي يغزو بعضها بعضاً.

وحينما يحتفل الإعلام الغربي ويركز كثيراً على الشخصيات العلمانية المثقفة والمعتدلة وخصوصاً على النساء اللواتي يقمن بأدوار سياسية إنما يريد أن يؤكد على أن هؤلاء بفهمهم واستعدادهم للسلام توصلوا إلى ذلك بفعل ثقافتهم الغربية وبالتالي تجب مساندتهم لمواجهة تيار التخلف العريض، ومن أجل نشر النموذج الغربي للديمقراطية وحقوق الإنسان.

ومع أن العمل الإسلامي بدأ في فلسطين موازياً للصحة الإسلامية العامة منذ السبعينيات إلا أن الإعلام الغربي الذي ركز على الظاهرة الإسلامية في كل مكان، تجاهل المد الإسلامي في فلسطين، ولعله بذلك ينسجم مع الاستراتيجية الصهيونية والتي هي جزء أساسي ومكمل للاستراتيجية الغربية، في محاولات إبعاد الخطر الإسلامي عن فلسطين حيث يقع المركز العاطفي والتاريخي والجغرافي للأمة الإسلامية، والذي بانفجاره يكون أكثر المراكز الإسلامية تأهيلاً لحشد قوى الإسلام كلها في مواجهة إسرائيل والغرب معاً، ويؤكد الباحث الفرنسي، فرانسوا ليفران، صاحب الدراسات العميقة حول هذا الموضوع، أن «التيار الإسلامي في فلسطين لم يحظ بتغطية إعلامية طيلة السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات» ويقول الكاتب: «إن الصحافة الدولية اهتمت بالمسلمين منذ خريف سنة ١٩٨٦م، بعد سلسلة من العمليات المذهلة التي وقعت ضد الإسرائيليين تحت اسم «الجهاد الإسلامي» وهكذا اكتشفت الصحافة بافتتان وذهول، وجود الإسلاميين في المجتمع الفلسطيني»^(١). ويؤكد الكاتب في المكان نفسه أنه ومنذ ١٩٨٠م لم تظهر إلا مقالات معدودة متفرقة أحصاها في هامش دراسته^(٢)، ولو تفحصنا هذه المقالات والدراسات لوجدنا أنها ومن عناوينها، تخدم الصورة الجاهزة في العقل الأوربي وتعمل على استعداد الدول على الحركة الإسلامية، من التأكيد على عنفها ورفضها للثقافة الغربية وارتباطها بإيران، فمن مقال «الملتحمون دخلوا المدينة» إلى «الخميني في غزة» إلى «فلسطين: التوسع الإسلامي» إلى «الإسلام المقاتل يتحدى إسرائيل»

(١) فرانسوا ليفران، مرجع سابق، ص ٢.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٤١-٤٢.

إلى «صعود الإسلاميين في غزة» وهكذا.

وعند اندلاع الانتفاضة في نهايات عام ١٩٨٧م والتي لم يستطع أحد إنكار شعاراتها الإسلامية ودور المسجد فيها - والأهم من ذلك تلك الصورة الأسيرة لشعب متحد مقاوم انتفض مطالباً بحريته مستخدماً أكثر الأسلحة بدائية - الحجر - في مواجهة احتلال ظالم مدجج بجميع أنواع الأسلحة الغربية الحديثة، يهاجم الأطفال والنساء ويكسر العظام ويهدم البيوت، كانت هذه الصورة الملحمية لهذا الشعب تهدد بكشف زيف تلك الصور المغلوطة عن الشعب الفلسطيني الإرهابي الذي يريد القضاء على اليهود بدوافع الحقد والتخلف.

يقول ليگران أنه «وعند انطلاقة الانتفاضة وفي مرحلة أولى مالت الصحافة العالمية إلى تقدير الدور النشط للإسلاميين فيها، بل المهيمن عليها... وفي فترة ثانية عندما أظهرت (م. ت. ف) سيطرتها على الأحداث، عادت أخبار الإسلاميين إلى الاختفاء مجدداً من التحقيقات الصحفية»^(١).

ويرى الباحث هنا أنه على الرغم مما شعر به بعض الإسلاميين من رضا حول هذه التغطية الإعلامية نظراً للتعتيم الشديد على أخبارهم، ولضعفهم الملحوظ في الناحية الإعلامية، فتكفيهم هذه التغطية، مع ما فيها من دس وتشويهات، على أنها اعتراف بوجودهم الذي يعمل الكثيرون على إنكاره وتجاهله، كما أنه على الرغم من الحساسية الشديدة التي ولدها ذلك عند (م. ت. ف) الساعية دائماً إلى إثبات حصرية تمثيلها للشعب الفلسطيني، وإقناع الغرب وإسرائيل أنها هي القوة الوحيدة التي يتوجب التفاهم معها وإبرام الاتفاقات معها لا مع غيرها، ما جعل (م. ت. ف) بوسائل إعلامها وتصريحات قياداتها تتهم الإعلام الدولي بأنه وراء تضخيم الحركة الإسلامية في فلسطين، على الأخص حركة «حماس» - أقول أنه على الرغم من ذلك كله فإن الهدف الحقيقي من وراء هذا السلوك الإعلامي الغربي في بداية الانتفاضة إنما ينسجم فقط مع المفاهيم الغربية المتفقة مع المفاهيم الصهيونية، وتحاول أن تخدم مصالح الطرفين في التخويف من الإسلام وخطره الذي يهدد الجميع.

فالانتفاضة الشعبية بكل ما فيها من زخم وقوة ورموز ودلالات تقترب من الأسطورة - والتي لم يكن بالاستطاعة تجاهلها - هي فضح وتكذيب لكل ما قام عليه الإعلام الغربي والصهيوني من تحريف لحقيقة الصراع على أرض فلسطين، فالفلسطينيون بانتفاضتهم يجبرون العالم على احترامهم والنظر إلى مطالبهم والتشكك بكل الصور المشوهة التي

(١) المرجع السابق، ص ٢-٣.

نسجت عنهم، لهذا كان التركيز على إشعال الانتفاضة وقيادتها بواسطة الإسلاميين، مع ما يسببه ذلك من رضى نسبي لدى الإسلاميين، وغضب وسخط لدى (م. ت. ف)، كان يهدف في حقيقته وهو الموجه في الأساس إلى الرأي العام الغربي وصناع القرار فيه وأصحاب الأصوات في الانتخابات، كان يهدف إلى امتصاص التعاطف العام المتوقع مع الانتفاضة ومع الشعب الفلسطيني ومطالبه، بربط الانتفاضة بالإسلام حيث يجرى التركيز وتذكير المواطن الغربي على أن الانتفاضة هي موجة عنف أخرى، كغيرها مما يحدث في أنحاء من العالم الإسلامي، يقودها الإسلاميون المعادون للغرب وحضارته، الذين يريدون أن يهدموا كل شيء من مصالح اقتصادية وثقافية وليست انتفاضة شعب محتل قاسى أصناف العذاب تحت نير الاحتلال، ويعمل جاهداً على استعادة حقوقه في الحرية وتقرير المصير.

وكانها أيضاً بذلك تمهد الطريق للترحيب بالقوى العلمانية «المتنورة» التي ستحاول السيطرة على الانتفاضة أو على إعلامها، وتعمل على تشجيعها لاستثمار سياسى مقبول لهذه الانتفاضة يصل إلى مرحلة المفاوضات، كما تساهم في التقريب بين هؤلاء الفلسطينيين المعتدلين من جهة والإسرائيليين من جهة أخرى لتحقيق التسوية التي تقطع الطريق على التيار الإسلامى المتصاعد.

المبحث الثالث

حركة «حماس» فى الإعلام العربى

الإعلام العربى الرسمى

علينا فى البداية أن نشير إلى أن الإعلام العربى يكاد يكون كله إعلاماً رسمياً، فمحطات الإذاعة والتلفزيون كلها مملوكة للدولة، وكذلك الصحف والمجلات، فهى إما مملوكة للدولة أو تعكس وجهة نظرها، اللهم إلا تلك الصحف القليلة التى تتمتع بحرية نسبية كتلك التى تصدر فى الكويت والإمارات - مع محدودية تأثيرها - وتلك التى تصدر من بيروت والتى تراجع تأثيرها كثيراً منذ بداية الحرب الأهلية فى لبنان، فالمواطن العربى عامة أسير الاحتكار الإعلامى الرسمى، والذى يمنع أيضاً دخول أية صحيفة خارجية تتعارض مع سياسته بالإضافة إلى ما يقوم به مقص الرقيب الإعلامى العربى أحياناً على الصحف المسموح بدخولها.

والإعلام العربى بالإضافة إلى ضعفه، وفقدانه للمصداقية بسبب تركيزه على مدح

الحاكم، وإهماله للمشاكل الحقيقية وعمله على تخدير الجماهير، فإنه أيضاً إعلام تابع مثله كمثيل معظم أنظمة الحكم العربية، فهو يقوم بترديد ما يناسبه من وسائل الإعلام الغربية كما يعتمد على المواد الإعلامية المعلقة التي تأتيه من الغرب.

ولعل تعامل الإعلام العربى مع أحداث الانتفاضة، يعبر بصورة جلية عن الحالة التي وصلت إليها الأنظمة العربية، كما يشير بوضوح إلى موقف هذه الأنظمة من قضية الصراع مع الكيان الصهيونى، فبدلاً من تعبئة الجماهير العربية ضد الخطر الصهيونى وجرائمه تجاه الشعب العربى فى فلسطين وتجاه مقدساته الإسلامية، «وبدلاً من وضع خطة إعلامية تخاطب رأى العام العالمى من أجل خلق رأى عام يساند القضية العربية العادلة، وإظهار الوجه القبيح لإسرائيل، والكشف عن ممارساتها الإرهابية ضد الشعب الفلسطينى»^(١)، على افتراض أن هناك استراتيجية عربية لمواجهة إسرائيل ونصرة شعب فلسطين، فإن الإعلام العربى قد تعامل بحذر شديد مع الانتفاضة، فالدول العربية بعضها متصالح مع إسرائيل، وبعضها الآخر فى طريق الصلح، وأكثرها يتعامل مع الصحوة الإسلامية بحذر وخوف، أو متابعة وملاحقة وصدام، يضاف إلى ذلك أن معظم الدول العربية خشيت أن تنتقل عدوى الانتفاضة إلى شعوبها المقهورة، فتتحرك وتنتفض مطالبة بالتغيير وبالحياة الكريمة والعدالة وحرية الرأى الغائبة، كما فعلت الانتفاضة الشعبية الجزائرية فى أكتوبر ١٩٨٨م، والتي واجهها الجيش بالدبابات وأسفرت عن مئات القتلى فى يوم واحد، ولذلك لوحظت التغطية الضعيفة والمجزأة لأحداث انتفاضة فلسطين فى الإعلام الرسمى العربى، أما بخصوص الطابع الإسلامى للانتفاضة ودور الحركة الإسلامية وخاصة دور حركة الجهاد الإسلامى فى التهيئة للانتفاضة والمشاركة فيها ودور حركة «حماس» فى تقويتها وانتشارها، فقد حاولت وسائل الإعلام العربية أن تخفيه بالكامل.

ولم تظهر أخبار الانتفاضة بصورة جيدة إلا فى إذاعة «القدس» التى تتوجه من سوريا إلى الأرض المحتلة بإشراف «الجهة الشعبية - القيادة العامة»، وظهرت بصورة معقولة فى الصحف الأهلية التى تصدر فى الكويت والإمارات ولبنان وبعد ذلك فى الأردن، وكذلك أخبار حركة «حماس» والتى كانت غالباً ما تنقل عن وكالات الأنباء الغربية وترجم عن الصحافة العالمية بما فى ذلك من دس وتشويه وقلب للحقائق واجتزاء لها فى أحيان كثيرة.

(١) محمد سعد أبو عامود، (الإعلام العربى والسياسة الخارجية العربية)، مجلة (المستقبل)، عدد ١٨٢، ١٩٩٤/٤م، ص ٩٠.

وبعد انقضاء عدة شهور على الانتفاضة وشعور الكثير من الأنظمة بالأمان النسبي في عدم انتشار عدوى الانتفاضة، ومحاولة حصارها الكثيف بالمبادرات السلمية بالإضافة إلى نجاح (م. ت. ف) والقيادة الوطنية الموحدة في محاولة السيطرة على الانتفاضة وتوجيهها في المسارات التي تخدم تحرك المنظمة السياسي بما يتفق مع استراتيجية الأنظمة العربية المتجهة إلى إغلاق ملف الصراع مع إسرائيل، بدأت التغطية الإعلامية للانتفاضة وفعاليتها ومطالب (م. ت. ف) السياسية تأخذ حيزاً أكبر من ذي قبل، وسارعت الدول العربية ووسائل إعلامها ماعدا سوريا إلى الترحيب بالقرارات السياسية وإعلان دولة فلسطين وتصوير الموقف للمواطن العربي بأن الشعب الفلسطيني في طريقه لنيل حقوقه.

وعلى الرغم من أن بعض الإعلاميين الغربيين قاموا بتغطية جيدة للممارسات الإسرائيلية غير الإنسانية في الأراضي العربية المحتلة، إما بسبب تقاليد الإعلام الغربي وتنافسه على تحقيق سبق إعلامي للأحداث الساخنة أو بسبب ذكائه ومحاولة إظهار مصادقته لجذب القراء والمستمعين والمشاهدين إلا أنه من الطريف أن هؤلاء الإعلاميين الغربيين، لم يلقوا الاهتمام المناسب من جانب العرب لتشجيعهم على الاستمرار، فكان بعض ما يقدمونه يتعرض لمقص الرقيب الإعلامي العربي، تجنباً لإثارة مشاعر السخط لدى أبناء الأمة العربية^(١)، ويضيف الكاتب في ملاحظة ذكية «أن الإعلام العربي اقتصر على نقل صور ضحايا الاحتلال الإسرائيلي، وصورة الإنسان العربي الفلسطيني الذي يواجه آلة الحرب الإسرائيلية الضخمة بالحجارة، الأمر الذي خلق شعوراً بالضعف والمهانة لدى الإنسان العربي وإحساسه بعدم القدرة على المواجهة مع العدو الصهيوني، بعبارة أخرى: وظف الإعلام العربي الرسمي أحداث الانتفاضة بما يخدم الأسلوب العربي في التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي»^(٢).

وبالنسبة للحركة الإسلامية في فلسطين فإن تعامل الإعلام العربي كان أكثر حذراً، «فالتليفزيون الأردني والإذاعة الأردنية وهما من الوسائل الإعلامية التي يشاهدها ويسمعها الفلسطينيون في الأرض المحتلة بوضوح، لم يذكر اسم «حماس» ولو مرة واحدة فقط طوال سنتين من عمر الانتفاضة، وكانت المرة الأولى التي ذكر فيها اسم «حماس» هي عندما قدم الشيخ أحمد ياسين للمحاكمة بتاريخ ١٢ / ١ / ١٩٨٩م، حيث أشار التليفزيون الأردني

(١) المرجع السابق، ص ٩١.

(٢) المرجع السابق.

للخبر نفسه بشكل سريع ومختصر»^(١)، وفي مصر «صدرت تعليمات مشددة إلى جميع الصحف الحكومية المصرية - يومية وأسبوعية - بعدم الإشارة إلى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الأخبار والتحليلات الخاصة بانتفاضة الشعب الفلسطيني، ومن الغريب أن هذه الصحف تشير إلى جميع الأحداث التي تصنعها «حماس» والإضرابات التي تدعو إليها وتنسبها إلى القيادة الموحدة»^(٢).

ولما صدر ميثاق حركة «حماس» وأثار ضجة كبيرة في الإعلام الصهيوني والدولي، فإن الإعلام العربي تجاهل ذلك كلية، اللهم إلا مجلة «الأسبوع العربي»، اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٨٨ م، وجريدة «الوطن» الكويتية الصادرة يوم ٢٧ / ٩ / ١٩٨٨ م، بغض النظر عن طريقة تناول.

ويبدو موقف الإعلام العربي واضحاً في قضية شيخ الانتفاضة ومرشدها - الشيخ أحمد ياسين - ذلك الرجل الذي كان له الدور الأكبر في قوة الانتفاضة واندفاعها وهو المشلول الجسد بصورة كلية تقريباً، فلم يعره الإعلام العربي أدنى اهتمام لا في دوره ولا اعتقاله ولا تعذيبه ولا محاكمته، فلو لم يكن الرجل إسلامياً، لكان من السهل جعله بطلاً قومياً ولأصبحت قضيته تطرق جميع الأسماع، ولم يكن هذا التجاهل قاصراً على وسائل الإعلام فقط، بل تعداه إلى جميع المؤسسات الرسمية، وللأسف، الشعبية أيضاً التي تسيطر عليها في العادة القوى التقدمية واليسارية والقومية في الوطن العربي، فلم يطرح قضية الشيخ أحمد ياسين السياسيون أو المنظمات النقابية والقانونية أو المحامون ولا حتى مؤسسة الأزهر الشريف.

صحافة الأرض المحتلة؛

لقد سمحت السلطات الإسرائيلية ومنذ بداية الاحتلال بإصدار بعض الصحف العربية في القدس المحتلة والتي يتم توزيعها في الضفة الغربية وقطاع غزة، محاولة بذلك إعطاء إسرائيل صفة الاحتلال المتحضر والذي يسمح بحرية التعبير، «حيث صدرت صحيفة (القدس) بتاريخ ١٩ / ١١ / ١٩٦٨ م ثم (الفجر) في ١١ / ٤ / ١٩٧٢ م فـ (الشعب) في ٢٠ / ٧ / ١٩٧٢ م، و(الطلیعة) في ٢٩ / ١ / ١٩٧٧ م، وهي تنطق باسم الحزب الشيوعي الفلسطيني»^(١) كما

(١) خالد عز الدين، ص ٢٤.

(٢) مجلة (لواء الإسلام)، المصرية ٧ / ٢ / ١٩٧٩ م.

صدرت مجلات وصحف أخرى وآخرها (النهار) التي توصف بأنها تعبر عن وجهة نظر الأردن. وعموماً فإن أكثر هذه الصحف تعبر عن (م. ت. ف) وحركة فتح على وجه الخصوص، ولم توجد صحيفة واحدة إطلاقاً تعبر عن وجهة نظر الحركة الإسلامية.

المبحث الرابع إعلام حركة «حماس»

اتصف إعلام حركة «حماس» في داخل الأرض المحتلة وخارجها على السواء - بالإضافة إلى محدوديته - بالضعف والبساطة كماً وكيفاً، كما اتصف بقلّة تأثيره خاصة خارج أوساط الحركة ومؤيديها، فلم يكن للحركة جريدة أو مجلة تنطق باسمها في الداخل والخارج، اللهم إلا مجلة «فلسطين المسلمة» التي تصدر من لندن، والتي تطورت بالتدريج من مجلة طلابية ضعيفة المستوى التقني والفكري، ركيكة اللغة والأسلوب، بسيطة المحتوى، تنجّه في العادة إلى الأنصار والمؤيدين إلى مجلة تعبر عن الحركة بصورة غير رسمية، وترتقى عن ذى قبل في بعض الأمور في الشكل والمحتوى.

ولم يتح لحركة «حماس» أن يكون معها نظام حكم في الخارج يتبنى أخبارها ونشاطها ويبث إعلامه أفكارها، وسط ذلك الكم الهائل من الإصدارات الإعلامية والتغطية الصحفية المحلية والعالمية، المعادية للحركة.. وقد قام الإعلام الدولي بتغطية جزئية لأخبار الحركة كلما كانت تفرض حضورها على الساحة السياسية والعسكرية، وكانت النتيجة الوحيدة لذلك هي إظهار قوة الحركة ونفوذها داخل الأرض المحتلة، دون أن يتعدى ذلك إلى التعريف بأفكارها وأهدافها، وإن كان قد حدث ذلك أحياناً فإنه يميل إلى التشويه والدس.

أما على الصعيد الذاتي للحركة الإسلامية في الداخل والخارج، فلم تتمتع الحركة بخبرة إعلامية مناسبة، فقد وجدت نفسها مضطرة وبسرعة للتعامل مع قضايا سياسية وجماعية، كانت بعيدة عنها سنوات طويلة، ويصدق هذا أكثر على الحركة في الخارج، لأن الإخوان في الداخل وفي العقد الذي سبق الانتفاضة كانت لهم تجاربهم الشعبية والسياسية، وكان احتكاكهم بالتيارات الأخرى يضيف إلى تجربتهم، أما الإخوان في الخارج، فلم يخرجوا من

(١) على الخليلي، (الانتفاضة والصحافة المحلية)، القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشئون الدولية، ١٩٨٩م، ص ٣٧-٣٨.

عزلتهم إلى العمل العلني والسياسي والجماهيري، اللهم إلا تجارب محدودة في الروابط الطلابية، فالذين أفرزوا للعمل الإعلامي كغيرهم ممن أفرزوا لغيره من الأعمال، كانت تجربتهم الماضية مكرسة للعمل التنظيمي الداخلي، والبرامج التربوية أو أنشطة المساجد وغيرها، ولم تستطع الحركة في الداخل أن تستفيد كما يجب من بعض الخبرات بسبب الظروف الأمنية الصعبة والاعتقالات المتكررة وعدم السماح بأي عمل إعلامي علني للحركة.

أما في الخارج فلم تستطع الحركة أيضاً الاستفادة من بعض الخبرات الإعلامية والسياسية أو غيرها هنا وهناك، لأسباب مختلفة، منها عدم وضوح التصور المستقبلي لدى قيادة الحركة، ومنها أن قيادات الحركة في الخارج عملت على احتكار كل خيوط العمل بين يديها، لدرجة أن كل واحد كان يحمل من الأعباء ما لا يستطيعه عشرة أفراد، فلا هو بالقادر على إنجازها ولا هو بتارك بعضها لغيره، ولما كثرت الأعباء بصورة مستحيلة، اضطرت القيادات لإعطاء بعض أدوارها لآخرين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة من الولاء والطاعة والضعف بحيث لا يكونون قادرين على منافسة القيادة التي وجدت نفسها تدير عملاً أكبر منها في كل المستويات، فهي لم تعش مقدماته ولا أحداثه، يضاف إلى ذلك أن العمل الإعلامي كالعامل السياسي لا تدور عجلته إلا بشخصيات علنية معروفة، بينما كانت قيادات الخارج جميعها وحتى نهاية السنة الثالثة من الانتفاضة - أو بالتحديد أزمة الكويت - تحرص كل الحرص على عدم الظهور.

ولربما تكون أبرز سمات الإعلام الإخواني عامة أنه يتجه عادة إلى الأعضاء والمؤيدين، ولا يحسن إلا خطاباً واحداً يرضيه ويرضى أنصاره، ولعل ذلك بسبب العزلة التي عاشتها الحركة - وخاصة في الخارج - مما ولد عندها نفسية «الغيتو» والشعور بأن جميع الأطراف ضدها، فهي إذن يائسة من إقناع الآخرين لأنهم «معادون للإسلام؟» أو «كفار» أو «مرتبطون بالأجهزة الأجنبية والماسونية العالمية»... فلماذا توجه الخطاب لهم؟ كما أن شعوراً آخر يطبع سلوك الحركة، وهو شعور الاستعلاء - بالإيمان - على الآخرين، واحتكار الصواب، وبالتالي عدم أهمية الأطراف الأخرى، فلماذا أيضاً توجه الخطاب إليهم؟، يضاف إلى ذلك جهل الحركة بقياداتها - وخاصة في الخارج - بحقيقة أفكار الآخرين وبرامجهم وتاريخهم وتجاربهم، فكيف إذن يمكن أن توجه الخطاب إليهم؟

والغريب أن الحركة وهي تشكو من ظلم الآخرين والتعتميم عليها وإغفال دورها فإنها، هي أيضاً تمارس الدور نفسه مع الآخرين حيث تغفل دورهم ونضالهم وتضحياتهم، ولئن كان

ذلك السلوك يمكن للبعض تبريره فيما يخص الحركة الوطنية العلمانية، لكنه لا يمكن تبريره بخصوص الحركة الوطنية الإسلامية.

إعلام «حماس» داخل الأرض المحتلة:

وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يقال عن ضعف ذاتي في الإعلام، وصعوبة الظروف التي عاشتها الحركة في الداخل، فإنها بذلت جهداً كبيراً في محاولة التعريف بها وبأهدافها وفي استقطاب الجماهير لبرنامجها، واستخدمت كل ما يمكن استخدامه من توزيع البيانات الدورية، إلى بيانات أخرى لمناسبات أو قضايا طارئة، كما كان توزيع «الميثاق» في الداخل نجاحاً إعلامياً آخر للتعريف بالحركة ومنطقاتها، وكانت الحركة أول من استخدم النشرات السرية، في الانتفاضة، كما استخدمت كغيرها أسلوب الشعارات التي تكتب على الجدران. أما المسجد فقد كان أهم منبر إعلامي استخدمته الحركة بنجاح على مستوى تعبئة الجماهير وتوضيح مواقف الحركة، يضاف إلى ذلك المقابلات الصحفية التي أجريت مع الشيخ أحمد ياسين وغيره من رموز الحركة.

البيانات:

وزعت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بيانات الانتفاضة الدورية، إلى جانب بيانات أخرى بسبب مناسبات أو لتوجيه نداءات إلى القادة العرب أو المجلس الوطني الفلسطيني أو غير ذلك، وقد أخذت البيانات الدورية وقتاً حتى استقر وضعها في الشكل والترقيم والتاريخ والتوقيع وربما كان مرد ذلك لأن الحركة كجميع الفصائل الأخرى - لم تكن تتوقع لهذه الانتفاضة أن تستمر لسنوات وأن تبلغ ما بلغته من القوة والتأثير، يضاف إلى ذلك قلة الخبرة السياسية بالمقارنة مع غيرها من الفصائل، وإهمال الإخوان المسلمين لموضوع التوثيق، فأكثر بيانات الحركة التي صدرت قبل الانتفاضة كانت بدون تاريخ، حتى أن مجلة (فلسطين المسلمة) ظلت تنشر بيانات حركة «حماس» مكتفية بذكر رقم البيان ولم تنتبه لكتابة تاريخ البيان إلا في النصف الثاني من العام ١٩٩٤م.

بالنسبة لتاريخ البيانات، لم يظهر التاريخ في نهاية البيانات محدداً باليوم والشهر إلا ابتداء من البيان الثامن بتاريخ ٢٣ / ٢ / ١٩٨٨م، وكانت البيانات الأولى والثاني والرابع قد وزعت دون كتابة التاريخ مطلقاً، أما الثالث والخامس والسابع فقد ظهر الشهر والسنة فقط كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨م، وشباط (فبراير) ١٩٨٨م، وحده البيان السادس الذي حمل

تاريخ ١١ / ٢ / ١٩٨٨ م^(١)، أما من ناحية الترقيم فقد خلت البيانات العشرون الأولى من الترقيم، وبدأت الأرقام المتسلسلة تظهر ابتداء من البيان رقم (٢١) بتاريخ ٢٧ / ٥ / ١٩٨٨ م، أما من حيث التوقيع فقد ظهر في البيانين الأول والثاني اسم «حركة المقاومة الإسلامية»، وأضيفت كلمة فلسطين منذ البيان الثالث، كما أضيفت (ح.م.س) في البيانين الرابع والسادس واستقر التوقيع منذ البيان السابع في شباط (فبراير) ١٩٨٨ م ليكون: حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، فلسطين.

«أما شكل البيان فقد استقر ابتداء من رقم (٢٦)، على شكل مميز، يبدأ بالبسملة وآية (هذا بلاغ للناس ولينذروا به)، ورقم البيان على يمين رأس الصفحة مستطيل يبرز منه سهم أسود في اتجاه اليسار»^(٢).

وبالنسبة لمعدل توزيع البيانات الدورية وغير الدورية على الأيام فإنها تظهر في الجدول التالي^(٣):

	عدد البيانات الدورية	معدلها	عدد البيانات الأخرى	معدلها	مجموع البيانات	معدلها
	بيان كل :		بيان كل :			
السنة الأولى	٣٢	١١٤ يوم	٥	٧٣ يوم	٣٧	٩٨٨ يوم
السنة الثانية	١٧	٢١٤ يوم	١٣	٢٨ يوم	٣٠	١٢ يوم
السنة الثالثة	١٧	٢١٤ يوم	٤٣	٨٤ يوم	٦٠	٦ يوم
المجموع	٦٦	١٦٥ يوم	٦١	١٨ يوم	١٢٧	٨٦٦ يوم

ولقد كان صدور البيانات وتوزيعها بصورة مستمرة رغم كل الاعتقالات، دليلاً على قوة الحركة وحضورها المستمر وقد لاحظ أحد الكتاب «أن متابعة بيانات حماس تظهر تقدماً بديلاً على لغة الخطاب الإخواني»^(٤).

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ١، مرجع سابق.

(٢) صالح عبد الجواد، دراسة المصادر الأولية المكتوبة للانتفاضة، (مجلة الدراسات الفلسطينية)،

(بيروت)، عدد (٤) خريف ١٩٩٠ م، ص ١٦١.

(٣) البيانات مستمدة من (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، الأجزاء ١، ٢، ٣.

(٤) صالح عوض، مرجع سابق، ص ٤٢.

كما لاحظ أحد أساتذة جامعة بيرزيت «أن بيانات حركة حماس تتميز عن بيانات (ق. و. م) بأنها صادرة عن قيادة مركزية لأغراض التوزيع على الصعيد الوطني العام، فيما عدا بعض البيانات المحدودة جداً والتي وزعت على صعيد محلي، الأمر الذي يسهل على الباحث مهمته» ويستطرد قائلاً: «إن هذه البيانات المركزية ساهمت في جعل وظيفة البيانات الإسرائيلية التي تنتحل اسم الحركة أكثر صعوبة»^(١).

استطاعت البيانات أن تسد ثغرة كبيرة في الإعلام وخاصة في ساحة الأرض المحتلة، ولهذا لم تكتف البيانات بإدارة الانتفاضة وتحديد أيام الإضرابات والمواجهات، وتوجيه الجماهير وتحذيرها من مخططات العدو، بل قامت بتعبئة الجماهير وتشجيعها وشحنها بالمعاني الإسلامية، وفوق ذلك كله كانت توضح دائماً موقف الحركة من الصراع، ذلك الموقف المبني على التصور الإسلامي الشامل، ومكانة فلسطين كاملة من البحر إلى النهر عند المسلمين جميعاً، وعليه فقد حددت مواقفها السياسية في رفض المشاريع المطروحة والاعتراف بالدولة الصهيونية.

الميثاق:

وزع الميثاق حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بصورة سرية داخل الأرض المحتلة، في ١٨ آب (أغسطس) ١٩٨٨ م، وأرسلت منه نسخ إلى وكالات الأنباء العالمية في القدس، وقد كان بمثابة تصعيد لقوة حماس وبرنامجها في مواجهة الاحتلال، كما كان دافعاً أساسياً في تصعيد الحملة المضادة لحركة حماس، والتي أكدت بميثاقها أنها مصممة على مواصلة الطريق كما أكدت التناقضات الجذرية مع الدولة العبرية ومع الأفكار العلمانية العربية، وكان من الطبيعي أن يشير ذلك (م. ت. ف) والتي تقوم على أساس «الميثاق الوطني الفلسطيني»، وكان ميثاق حركة «حماس» جاء لينسخ الميثاق الوطني ويكون بديلاً عنه.

وجاء الميثاق في ست وثلاثين مادة، موزعة على خمسة أبواب: تُعرف بالحركة ومنطلقاتها الفكرية وصلتها بجماعة الإخوان المسلمين، كما تُعرف بأهدافها ووسائلها وموقفها الداعي إلى تحرير كل فلسطين والرافض لكل الحلول والمؤتمرات الدولية المطروحة كما تبين موقفها من (م. ت. ف) والحكومات العربية والحركات الإسلامية وأهل الديانات الأخرى، كما تتحدث عن دور المرأة والفن الإسلامي. وقد استعان الميثاق في كل مواده بالاستشهاد بالآيات القرآنية التي تؤكد على المعاني الواردة فيه، كما أنه استشهد أحياناً بأبيات من الشعر.

(١) صالح عبد الجواد، مرجع سابق، ص ١٦١.

جاء الميثاق ليرد على تساؤلات كثيرة عن مواقف «حماس» ورؤيتها، وقد استقبل برد فعل كبير في الإعلام الإسرائيلي والإعلام الدولي باعتبار أنه تطور كبير في مسيرة الحركة، يقول الدكتور رافي يسرائيل، المحاضر في الجامعة العبرية والخبير بشؤون الشرق الأوسط: «إنه ميثاق ديني، صدر عن شيوخ وأئمة يقودون «حماس» حسب مبادئ الدين، وهو ليس كالميثاق الوطني قابل للتعديل، ففي كل فقرة توجد أية قرآنية تؤكد ما فيه.. وكان كل شيء قد نزل من السماء»^(١).

لقد تحفظت قيادات الحركة في الخارج في بادئ الأمر على أسلوب صياغة الميثاق، ولغته البيانية وافتقاره إلى اللغة القانونية المناسبة، وقد وصفه أحد أعضاء المجلس المركزي الفلسطيني بأنه «ليس سوى موعظة حسنة... لم أجد فيه برنامجاً للعمل يمكن المحاسبة بموجبه»^(٢)، وهناك كاتب شيوعي لم ير في الميثاق إيجابية واحدة، بل حاول أن يخرج باستنتاجات بعيدة، وصف الميثاق بأنه «جاء في لغة الدراويش، البعيدة، كل البعد عن اللغة السياسية»^(٣).

عموماً وعلى الرغم من كل ما يمكن أن يقال، كان الميثاق عند إصداره، ضرورة إعلامية، بجانب ضرورته السياسية والفكرية وساهم في فك طرق العزلة والتعتيم حول الحركة.

النشرات:

وفي محاولة من الحركة لتعويض عدم وجود إعلام لها مقابل الإذاعات والصحف، ولعدم إمكانية البيانات في نشر كل ما تريده الحركة، فقد بدأت في الداخل في إصدار نشرات سرية يتم توزيعها على الأعضاء والمناصرين، وتعليقها في المساجد. وقد كانت نشرة «حماس» هي أول النشرات السرية في الانتفاضة حيث بدأت في الظهور من آذار (مارس) ١٩٨٨م أي بعد أربعة أشهر من الانتفاضة، ثم لحقتها بعد ذلك نشرات الفصائل والتنظيمات الأخرى^(٤).

وقد أصدرت الحركة في الداخل عدة نشرات سرية عن المكتب الإعلامي والأجهزة الأخرى، مثل: «أنصار حماس» و«الحصاد» و«الثبات» و«صوت الطلبة» و«السواعد الرامية» و«صوت الأقصى» وغيرها مما لم نستطع الاطلاع عليه^(٥).

(١) مجلة (البيادر السياسي) (القدس)، ٧/ ١٠/ ١٩٨٩م، عدد ٣٦٨، ص ٤٤.

(٢) صالح البرغوثي، (جريدة العرب)، ١٤/ ١/ ١٩٩٠م.

(٣) عبدالقادر ياسين، (حماس - حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين)، ص ٥٧.

(٤) صالح عبد الجواد، ص ١٦٩.

(٥) أرشيف الحركة.

وكانت هذه النشرات فى مجموعها تورء تحليلأ سياسياً للأحداث ، وتكتب عن قصص الشهداء وبطولات عناصر الحركة بالإضافة إلى القصائد الشعرية والمقالات الإيمانفة التى تعظم الشهادة والشهداء والصبر والجهاد والتعاون ، كما وزعت الحركة أحياناً نشرات خاصة كتلك التى تقدم النصائح للشباب فى طريقة تصرفهم عند الاعتقال ، وتكشف أساليب التحقيق فى السجون .

الشعارات :

الكتابة على الجدران وسيلة مشهورة فى التعبير عن الموقف السياسى استخدمتها شعوب كثيرة ، كما استخدمتها التنظيمات الوطنية الفلسطينية طيلة العشرين سنة من الاحتلال التى سبقت اندلاع الانتفاضة ، فكانت الشعارات الوطنية تظهر بين حين وآخر على الجدران تندد بالاحتلال وسياسته أو تعلن تأييدها لمنظمة التحرير وقيادتها .

أما فى مرحلة الانتفاضة فقد «أصبحت الجدران فى المدن والقرى والمخيمات لوحة وطنية تزدهم بالشعارات المتنوعة التى تتعايش فى ديمقراطية واضحة على اختلاف توجهاتها فى مساحة واحدة»^(١) ، وقد انضمت حركة «حماس» إلى القوى الوطنية الأخرى فى استخدام هذه الوسيلة التى أثبتت فاعليتها فى التوجيه السريع للجماهير أو الإعلان عن مطلب أو تبنى عملية عسكرية حيث إن توزيع البيان يحتاج إلى مجهود كبير واحتياطات أمنية أكبر .

ولم تكن كتابة الشعارات عملية سهلة ، فقد عمل جنود الاحتلال على ملاحقة كتابة الشعارات وكثير من شهداء الانتفاضة سقطوا وهم يكتبون الشعارات على الجدران ، كما أصبحت عملية إزالة الشعارات إحدى المهمات الرئيسية للدوريات الإسرائيلية التى تجبر السكان على عمل ذلك ، وقد أصدرت أمراً عسكرياً يعاقب بالسجن خمس سنوات أو بغرامة مالية أو بالاثنين معاً ، كل من يرفض الانصياع لأوامر الجنود بمسح الشعارات»^(٢) .

أما عن شعارات حركة «حماس» فتقول مجلة اليوم السابع «ومن ناحية لغوية تبدو شعارات حماس ، القصيرة والمركزة التى تخاطب عواطف الناس ومن خلال استخدام السجع ، الأكثر نجاعة وهى تكتب بشكل من السهل تذكرها وترديدها»^(٣) .

(١) صالح عطا ، (عندما تتكلم الجدران ، الانتفاضة ومعركة الشعار السياسى) مجلة (اليوم السابع) ، ١٩٨٩/٦/٥ م ، ص ص ١٠-١٣ .

(٢) صالح عبد الجواد ، ص ١٦٤ .

(٣) صالح عطار ، مرجع سابق .

- «حماس وفية، للأرض والقضية» .
 - نعم للحجر، لا للمؤتمر» .
 - «أرضنا إسلامية، هذه هي الهوية» .
 - «خير خير يا يهود، جيش محمد بدأ يعود» .
 - «٤٨ + ٦٧ = أرض فلسطين» .
 - «٤٨ + ضفة وقطاع = أرض لن تباع» .
- وهكذا نلاحظ شعارات «حماس» وتأكيداتها الدائم على ثوابتها الإسلامية.

المسجد:

كان المسجد دائماً عرين الحركة الإسلامية وبيتها، وكان منبرها الإعلامي الدائم قبل اندلاع الانتفاضة وبعدها، بما فيه من خطب الجمعة ودروس المسجد وجرائد الحائط، والمهرجانات الدينية التي تقام في المناسبات، ولم يكن من الممكن للاتجاهات الوطنية العلمانية، وأكثرها يسارية، أن تنافس الحركة على المساجد، حيث كان نفوذ الحركة يمتد إلى أكثر المساجد في الضفة الغربية وقطاع غزة، اللهم إلا بعض المساجد التي يسيطر عليها إسلاميون آخرون كالتيار السلفي أو جماعة التبليغ والدعوة أو حركة الجهاد الإسلامي في بعض المساجد في القطاع.

ولم تسلم المساجد من متابعة أجهزة أمن الاحتلال، فقد ظهر فيها ومنذ مرحلة ما قبل الانتفاضة العملاء والخبرون الذين بدأوا يطلقون لحاهم ويتابعون أنشطة المساجد، كما قامت السلطات المحتلة باستدعاء الكثير من الخطباء قبل الانتفاضة وبعدها والتحقيق معهم واعتقال بعضهم وفرض الإقامة الجبرية على البعض الآخر، ومع ذلك كله ظل المسجد أهم المنابر الإعلامية للحركة الإسلامية في الداخل.

المقابلات الصحفية:

كان للمقابلات الصحفية التي أجرتها كثير من الصحف العالمية والعربية والعربية والمحلية مع الشيخ أحمد ياسين، أثر كبير في توضيح موقف الحركة في كثير من القضايا المطروحة، ومع محاولات الصحف وخاصة العبرية منها، ومحاولات التليفزيون الإسرائيلي في استفزاز الشيخ، وتطويره بالأسئلة لغرض واضح وهو تمزيق الصف الفلسطيني وتشويه موقفه، ولدفع الشيخ للهجوم على الأطراف الأخرى، ومع كل ما قامت به هذه الوسائل من تحريف وحذف واجتزاء، إلا أن موقف الشيخ ياسين ظل واضحاً لا غبار عليه، وذلك بسبب حرصه الشديد

وإدراكه لمرامى وسائل الإعلام وإجاباته المحدودة والمختصرة والمحسوبة.

وقد أكد الشيخ ياسين في معظم مقابلاته على إسلامية القضية الفلسطينية، ورفضه الاعتراف بالدولة اليهودية وبقرارات الأمم المتحدة والمؤتمر الدولي، وبالانتخابات في ظل الاحتلال، كما أكد على الوحدة الوطنية وأن المعركة هي مع اليهود، وأنه يحترم رأى غالبية الشعب الفلسطيني التي يعبر عنها في انتخابات حرة ونزيهة بعد زوال الاحتلال، كما أنه يتحفظ على علمانية (م. ت. ف) وتنازلاتها.

ففي تلك المقابلة المشهورة مع التليفزيون الإسرائيلي^(١):

سؤال: هل الجهاد الإسلامي وحماس هما نفس الشيء أم مختلفان؟

جواب: طبعاً لا، فهناك في الشارع منشورات لحماس ومنشورات أخرى للجهاد الإسلامي.

سؤال: من هي القوى المسيطرة في القطاع: الجهات الوطنية أو الجهات الإسلامية؟

جواب: لا تستطيع أن تقول من المسيطر، الكل موجود على الساحة، هذه الجهات جميعاً ليست في مجال صراع، حتى نعرف من المسيطر.

سؤال: يقال إنه كان هناك تنسيق في بداية الانتفاضة بين التيارات الوطنية والتيارات الإسلامية، هل حسب رأيك لازال التنسيق مستمراً؟

جواب: ليس عندي علم.

سؤال: هل هناك خلافات بين التيارات الوطنية في القطاع؟

جواب: لم أشعر أن هناك خلافات.

يتضح لنا من هذا الجزء المحاولات الحثيثة لأخذ تصريحات ضد حركة الجهاد الإسلامي والفصائل الوطنية، لكن الشيخ يرد بإجابات محسوبة لا تحقق للمقابلة أغراضها، كما يلاحظ أن الشيخ يتكلم كشخصية وطنية إسلامية، لا يريد أن يعطى دليلاً على ارتباطه التنظيمي بحركة «حماس». وفي جزء آخر من المقابلة نلاحظ إصرار المقدم على توريط الشيخ ياسين إما بقبول المفاوضات مع إسرائيل أو بتأكيد مقولة إن الإسلاميين متشددون ولا يقبلون بشيء.

سؤال: ما رأيك بالتفاوض مع (إسرائيل)؟

جواب: أصلاً (إسرائيل) لم تعلن موقفها بالنسبة للشعب الفلسطيني، ولم تعلن ماذا تريد أن تعطى الشعب الفلسطيني، الفلسطيني فقد كل شيء، ويتكلم الآن عن أشياء ليست

(١) مجلة (المجتمع) الكويتية، عدد ٨٨٤، ٢٧/٩/١٩٨٨م، ص ٣١.

فى يده، الأجر أن تتكلم الآن (إسرائيل)، لا يتكلم الفلسطينيون الآن.

سؤال: يعنى لازم إسرائيل تتكلم.

جواب: أن تعلن عن موقفها وعن حقوقنا، أما أن يتكلم الفلسطينى وإسرائيل لم تعلن عن موقفها فهذا خطأ كبير جداً.

سؤال: إذا تحدثت إسرائيل عن حقوق الفلسطينيين، فهل حسب رأيك يوجد مجال للحوار مع إسرائيل؟

جواب: لكل حادث حديث.

سؤال: من الناحية المبدئية.. هل الجهات الإسلامية مستعدة للتفاوض مع إسرائيل إذا وافقت على حقوق الشعب الفلسطينى.

جواب: لتعلن هى أولاً، وبعد ذلك يكون الحديث فى هذه المواضع.

ومن هنا تظهر الحنكة السياسية عند الشيخ ياسين الذى رد هجوم مقدم البرنامج الذى أراد أن يصف الحركة الإسلامية بالجمود والسلبية ورفض كل شىء، بهجوم واضح وصريح وعادل، ما هى الحقوق الفلسطينية التى تعترف بها دولة الاحتلال أولاً؟

وفى مقابلة مع جريدة (يديعوت أحرونوت) الصادرة بتاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٨٨م، ورداً على سؤال حول إعلان الاستقلال وإقامة حكومة فى المنفى يرى الشيخ أنه، لا جدوى من اتخاذ خطوات كهذه ما لم تحرر أى جزء من فلسطين، وينبغى على إسرائيل أن تعيد الحقوق المسلوبة للشعب الفلسطينى وبعدها يمكن التحدث معها، أما عن الحكم الذاتى فيقول: إنه أمر سلبى، فالحكم الذاتى يعنى أن اليهود سيحصلون على كل شىء، فيما لا يحصل الفلسطينيون على شىء. وفى رده على سؤال آخر هل يؤيد الجهاد «كوسيلة»؟ قال: ما هو الخيار الآخر المطروح أمام الذين لا يستطيعون استعادة حقوقهم بطرق سلمية ووسائل غير عنيفة؟^(١).

وفى رده على أسئلة جريدة «البشير» التى تصدر من شيكاغو «والإصلاح» الصادرة فى الإمارات، بواسطة التليفون فى ١١ / ٢ / ١٩٨٨م، يوضح الشيخ الكثير من الشبهات والتحريفات، وقد أوضح أنه لا يقابل أية شخصية إسرائيلية، وإنما يستدعى لمقر الحكم العسكرى كأى مواطن تحت الاحتلال، وعن رأيه فى الكونفدرالية مع الأردن. أجاب الإسلام يدعو إلى الوحدة، ونحن لا نرفض أى وحدة، لكن على أساس سليم وأساس صحيح وأساس

(١) مجلة (البيادر السياسى)، ١ / ١٠ / ١٩٨٨م، عدد ٣١٩، ص ٤٧، نقلاً عن (يديعوت أحرونوت) ١٦ / ٩ / ١٩٨٨م.

متكافئ^(١). عموماً قام الشيخ أحمد ياسين بدور إعلامي كبير في محاولة لتعويض النقص في الإعلام الإسلامي وسوف نعود إلى مقابلات الشيخ في الفصل القادم عند تناول المواقف السياسية للحركة.

إعلام «حماس» خارج الأرض المحتلة؛

نشط الإخوان المسلمون في الخارج، وخاصة «الجهاز العام لفلسطين» في دعم ومساندة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» وقد استطاع الجهاز بفروعه ومندوبيه المتواجدين في معظم الساحات نشر بيانات الحركة وتوزيعها على الإخوان والأنصار، كما نشط الجهاز أيضاً بالتعاون مع المؤسسات والروابط الإسلامية في تنظيم المهرجانات الخطابية في العديد من الأمكنة والتي تتبنى وجهة نظر حركة «حماس».

خطب المساجد:

كانت خطب الجمعة في الخارج أيضاً أهم المنابر الإعلامية لحركة «حماس» وذلك لضعف الإعلام الإسلامي عامة والإعلام الإسلامي الفلسطيني بوجه خاص، وقد نشط معظم خطباء الإخوان في تناول الانتفاضة «الإسلامية» المباركة على أرض الإسرائ، وفي الحديث عن دور حركة «حماس» الريادي والقيادي في هذه الانتفاضة.

وقد برز من هؤلاء الشيخ عبد المنعم أبو زنت، والدكتور أحمد نوفل في الأردن، والشيخ محرم العارفي في لبنان، والشيخ أحمد القطان في الكويت، وغيرهم في مختلف الأقطار وقد قام قسم فلسطين بتزويد الخطباء ببيانات «حماس» وقصص الشهداء وبطولات عناصر الحركة وبالقصائد الشعرية الحماسية.

المهرجانات والندوات:

نظم الإخوان المسلمون الكثير من المهرجانات المؤيدة للانتفاضة وحركة «حماس» في الكثير من البلاد العربية والأجنبية عن طريق المؤسسات الإسلامية والاتحادات الطلابية التي يسيطر عليها الإخوان، كما نظموا أيضاً الندوات والأمسيات الشعرية ومهرجانات الأنشودة الإسلامية، حدث ذلك في الأردن ودول الخليج العربي وفي لبنان والجزائر والمغرب والهند وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومعظم الدول الأوروبية، وكانت هذه

(١) أحمد بن يوسف، (أحمد ياسين: الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي) ص ٧٥.

المهرجانات تستقدم الخطباء والمفكرين والشعراء من كل مكان للمشاركة في فعالياتهما. والملاحظ أن جميع المتحدثين عادة ما يكونون من الإخوان أو من القريبين منهم، ولم يحدث إلا في حالات نادرة أن استضاف الإخوان وخاصة في البلاد العربية متحدثاً من خارج الدائرة، كما حدث في مهرجان خطابي أقيم في «جمعية الإصلاح» الكويتية بتاريخ ٢٤ / ٦ / ١٩٨٩م، حيث تحدث فيه أبرز شيوخ التيار السلفي في الكويت الشيخ عبدالرحمن عبدالحالق.

المجلات الإسلامية:

قامت الحركة بتزويد المجلات الإسلامية بأخبارها وبياناتها وأنشطتها وكانت أبرز المجلات المتفاعلة مع الحركة هي «المجتمع» و«البلاغ» الكويتيين، و«الإصلاح» الإماراتية ثم «لواء الإسلام» المصرية، وكان أبرز النشاط الإعلامي يظهر في المجلات الإسلامية التي تصدرها الفلسطينيون مثل المجلات التي تصدرها الروابط الإسلامية في باكستان وبعض الدول الأوروبية بالإضافة إلى مجلتي «البشير» و«إلى فلسطين» اللتين تصدران في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما ظلت مجلة «فلسطين المسلمة» هي أكثر المجلات انتشاراً في صفوف الحركة الإسلامية الفلسطينية في الخارج.

الكتب والإصدارات:

وقامت الحركة في الخارج وبعض من أعضائها أو مؤيديها بإخراج كتب ودراسات عن الانتفاضة وحركة حماس، فقد نشرت وثائقها وبياناتها في سلسلة «من وثائق الانتفاضة المباركة»، كما نشرت الميثاق و«فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين»، إلى جانب بعض الكتب التي صدرت من الكويت وأخرى صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها مما صدر في الأردن.

وقد تميزت أكثر إصدارات السنوات الثلاث الأولى بالتسرع والمباشرة وتوجيه الخطاب إلى المؤيدين والمناصرين، فقد قامت بدور مهم في تعبئة الأنصار وسد الفراغ في مكتباتهم الخاصة، لكنها في أغلب الحالات فشلت للوصول إلى الآخرين في مقابل الإصدارات الكثيفة للاتجاهات الوطنية الأخرى •

الفصل الثالث

مواقف الحركة الفكرية والسياسية

المبحث الأول

الموقف من الدولة الصهيونية في فلسطين

المرتكزات الفكرية لموقف حركة «حماس»:

موقف حركة «حماس» من الدولة الصهيونية في فلسطين موقف ثابت وواضح، باعتبارها دولة مصطنعة، قامت على الظلم والاعتصاف، فلا مكان لها على أرض فلسطين، لأن فلسطين كل لا يتجزأ، من البحر إلى النهر، أرض عربية إسلامية، فوجود الدولة العبرية وجود باطل، ولا بد من اجتثاثه بالكامل، وإقامة الدولة الإسلامية في كل فلسطين، حيث يعيش أهل الديانات جميعاً، ويتمتعون بحقوقهم في ظل دولة الإسلام العادلة، ويتأسس هذا الموقف على مرتكزات دينية وتاريخية وقانونية.

(أ) المرتكزات الدينية:

تعتبر حركة «حماس» أرض فلسطين كلها أرضاً إسلامية، فهي أرض الإسراء، والقبلة الأولى والمسجد الأقصى المبارك، وهي كما جاء في الميثاق: «أرض وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، ولا يصح التفريط بها أو بجزء منها، أو التنازل عنها، أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات وسواء كانت فلسطينية أو عربية»^(١)، ويقول الميثاق في نهاية هذه المادة: «وأي تصرف مخالف لشريعة الإسلام هذه بالنسبة لفلسطين، فهو تصرف باطل مردود على أصحابه».

لقد كانت آخر الكلمات في بيان الحركة الأول بعد الدلاع الانتفاضة واضحة صريحة في تحديد طبيعة الصراع مع الدولة الصهيونية، حيث يتوجه الخطاب إلى الاحتلال ويقول: «معركتنا معكم معركة عقيدة ووجود وحياة»^(٢).

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، الجزء الأول (السنة الأولى للانتفاضة)، ص ١٤٨ (مادة ١١ من الميثاق).

(٢) المرجع السابق، ص ١٨.

(ب) المرتكزات التاريخية:

ترى حركة «حماس» أن أرض فلسطين ظلت ملكاً للعرب وللمسلمين طيلة أكثر من ألفى عام، ولم يكن لليهود شئ فيها، اللهم إلا أقلية يهودية صغيرة تعيش في فلسطين كغيرها من البلدان العربية والأجنبية، كما أن فلسطين كاملة «كل لا يتجزأ شمالها وجنوبها، ساحلها وجبلها، شجرها ونهرها، كل متكامل ذات منزلة باركها الله»^(١)، ولأهمية فلسطين وموقعها، فقد كانت دائماً عرضة للغزوات الأجنبية، التي كان مصيرها الاندحار، «فلسطين صرة الكرة الأرضية وملتقى القارات، ومحل طمع الطامعين منذ فجر التاريخ»^(٢).

فالفوزة الصهيونية الحديثة مثلها كمثل الفوزة الصليبية والمغولية، والتي وإن طال أمدها على أرض فلسطين فنهايتها الزوال والاندحار، «وتنظر حركة المقاومة الإسلامية إلى هزيمة الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي واستخلاص فلسطين منهم، وكذلك هزيمة التتار في عين جالوت على يد قطز وبيبرس، نظرة جادة تستلهم منها الدروس والعبر... فكما واجه المسلمون تلك الغزوات يمكنهم أن يواجهوا الفوزة الصهيونية ويهزموها»^(٣).

(ج) المرتكزات القانونية:

وترى حركة «حماس» أن الدولة الصهيونية لا تستند في قيامها على الحق والعدل، فهي دولة من المهاجرين الذين جاءوا من جميع البلدان ومن مختلف القارات، غزاة محتلين، طردوا أهل الأرض بالقوة والإرهاب، وأخذوا بيوتهم ومزارعهم ومدنهم وقراهم، حيث «اختلت الموازين، وتبدلت القيم، وساد الظلم، واغتصبت الأوطان، وغابت دولة الحق، وقامت دولة الباطل»^(٤).

كما أن قرارات الهيئات الدولية التي تسيطر عليها القوى الكبرى لا تغير هذه الحقيقة، «فالوجود اليهودي على أي جزء من أرضنا الفلسطينية المقدسة - سواء الذي احتل عام ١٩٤٨م أو عام ١٩٦٧م - هو وجود باطل ومرفوض، وأن كل القرارات الدولية أو التنازلات السياسية سوف لن تغير هذه الحقيقة»^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ٤٠ «البيان العاشر».

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٦، (مادة ٣٤ من الميثاق).

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٧، (المادة ٣٥ من الميثاق).

(٤) المرجع السابق، (المادة ٩ من الميثاق).

(٥) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ٢، ص ١٣٢، من «وثيقة للتاريخ... من حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، إلى المؤتمر الخامس لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)»، ٣/٨/١٩٨٩م.

وتتساءل حركة «حماس» عن الحق والعدل والقانون في الاعتراف لليهود بملكيتهم لبيت أو مزرعة أو حركة بينما أصحابها يعيشون في مخيمات اللاجئين هنا وهناك، فقد جاء في بيان الانتفاضة العاشر للحركة «أين العدل وهم لا يملكون شبراً على شاطئ حيفا وعكا؟... وصاحبه في أحد مخيمات اللاجئين في لبنان أو الضفة والقطاع أو الأردن»^(١).

موقف حركة «حماس» من اليهود ودولتهم:

وعلى خلاف القوى الوطنية الفلسطينية الأخرى، فإن الحركة لم تفرق بين اليهود والصهاينة، فاليهود جميعاً - من وجهة نظرها - هم أعداء الله وقتلة الأنبياء، ومصاصو دماء البشر وسبب الفساد والإفساد في كل مكان، واليهود الذين يعيشون على أرض فلسطين كلهم أعداء مهما كانت انتماءاتهم الحزبية والفكرية لأنهم جميعاً يعيشون بالباطل على أرض غيرهم، «واليهودي مهما انتمى لأي حزب هو يهودي، لا يتنازل عن شيء إلى إذا واجه بأساً شديداً»^(٢).

واليهود يقفون وراء التخريب الثقافي والأخلاقي في العالم كله، ويستخدمون في ذلك واجهات «وأسماء وأشكالاً كالماسونية، ونوادي الروتاري، و فرق التجسس وغير ذلك، وكلها أوكار للهدم والهدامين»^(٣). كما أنهم يقفون خلف الحروب والمآسي التي تطحن البشر، «فما من حرب تدور هنا أو هناك، إلا وأصابهم من خلفها»^(٤).

أما الدولة العبرية الصهيونية، فهي تهديد للأمة جميعاً، ولأقطارها جميعاً، فقد «قامت دولة الكيان الصهيوني في قلب أرضنا المباركة، وهدفها البعيد بناء الحضارة العبرانية على أنقاض الحضارة الإسلامية... إننا أمام استعمار استيطاني للأرض، إجلائي للسكان، يهدف إلى تخليص أرض فلسطين لليهود وحدهم»^(٥) وتقول الحركة في موضع آخر: «فاليوم فلسطين وغداً قطر آخر أو أقطار أخرى، والمخطط الصهيوني لا حدود له»^(٦).

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ١، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٨، بيان رقم (٣٢).

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٣، (المادة ١٧ من الميثاق).

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٧، (المادة ٢٢ من الميثاق).

(٥) المرجع السابق، ص ١٨٢، «نداء إلى المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر»، ١٠/١١/١٩٨٨ م.

(٦) المرجع السابق، ص ١٦٤ (المادة ٣٢ من الميثاق).

الحل عند حركة «حماس»:

وبناء على ما تقدم من اعتبار أرض فلسطين كلها أرضاً إسلامية لا يجوز التنازل عن شبر منها، وبالتالي اعتبار الدولة الصهيونية باطلة ديناً وتاريخاً وقانوناً، ومعرفة بطباع اليهود، وطبيعة دولتهم وأهدافها، فإن حركة «حماس» رفضت فكرة التعايش بين دولتين على أرض فلسطين، ورأت أن حل المشكلة هو اقتلاع هذه الدولة من جذورها، وإقامة دولة إسلامية في كل فلسطين يعيش في ظلالها أهل الديانات جميعاً، فقد جاء في البيان رقم (٢٤): «إن فكرة التعايش بين شعبنا الفلسطيني وبين كياناتهم الدخيل، قد أصبحت فكرة ميتة»^(١)، وفي بيان رقم (٣٢) تقول «بددت الانتفاضة كل زعم بإمكانية الحياة المشتركة بين الشعبين أو حسن الجوار»^(٢)، ويرفض الشيخ أحمد ياسين أن يكون الحل دولتين تعيشان جنباً إلى جنب، ويقول «إن هذا الوضع سيكون مؤقتاً، فبعد فترة من الزمن سوف يستأنف الصراع بصورة أشد»^(٣).

فالحل إذن هو الجهاد لاقتلاع الدولة اليهودية من جذورها، فقد كانت أول كلمات الحركة في الانتفاضة «يا جماهيرنا المرابطة المسلمة: أنتم اليوم على موعد مع قدر الله النافذ في اليهود وأعوانهم، بل أنتم جزء من هذا القدر الذي سيقتلع جذور كياناتهم إن آجلاً أو عاجلاً»^(٤). وكررت الحركة ذلك في البيان الخامس، «إنه الطرفان يعم وجه الأرض المحتلة حتى يقتلع الاحتلال اليهودي من جذوره»^(٥). وترى حركة «حماس» أن الدولة الإسلامية تقوم على أنقاض الكيان الصهيوني بالباطل، فالحركة «تعمل على رفع راية الله على كل شبر من فلسطين، ففي ظل الإسلام يمكن أن يتعايش أتباع الديانات جميعاً في أمن وأمان على أنفسهم وأموالهم وحقوقهم»^(٦)، ولهذا فإن حركة حماس رفضت دائماً كل الحلول الدبلوماسية والسياسية وكل القرارات الدولية التي تعترف بالدولة اليهودية.

(١) المرجع السابق، ص ٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٣) أحمد بن يوسف (أحمد ياسين، الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي)، دبي: دار الأمة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ٩٨.

(٤) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ١، مرجع سابق، ص ١٧. (البيان الأول).

(٥) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٦) المرجع السابق، ص ١٤٥، (المادة ٦ من الميثاق).

الموقف من الحلول السلمية:

وعلى أساس ما تقدم، فإن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» ترفض كل الحلول السياسية المطروحة منذ ١٩٤٧م وحتى الآن، لأن هذه الحلول تعطي شرعية للدولة المقتتصة القائمة على الظلم، كما ترفض الحركة كل القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن الدولي والتي تعترف بوجود الدولة الصهيونية، فقد جاء في المادة الثالثة عشرة من الميثاق «أن المبادرات وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية، تتعارض مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين»^(١).

وقد كررت حركة «حماس» رفضها لمعاهدة كامب ديفيد ومشروع الحكم الذاتي، ومشاريع شولتز وبيكر وغيرها في معظم بياناتها وتصريحات الشيخ أحمد ياسين، فال مؤتمر الدولي في رأي الشيخ أحمد ياسين «سراب يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً»^(٢)، ويقول أيضاً: «إن الحكم الذاتي يعنى أن اليهود سيحصلون على كل شيء، فيما لا يحصل الفلسطينيون على شيء»^(٣)، كما ترفض حركة «حماس» أن تكون المعاناة الشديدة سبباً للتنازل عن الحقوق، فقد جاء في بيان رقم (٣٤): «ويشاع أن شعبنا قدم الكفاية وحن دور الحصاد»^(٤). ويقول الشيخ ياسين: «عندما يعجز الإنسان عن الحصول على حقه، لا يتنازل عنه»^(٥).

المبحث الثاني

موقف حركة «حماس» من (م.ت.ف)

لا شك أن الشعب الفلسطيني كان دائماً يحلم بكيان يجسد هويته الوطنية المضیعة، بين احتلال صهيوني لمعظم وطنه، وارتهان قسرى للبقية في يد الدول العربية، تدرجت بين الضم أو الإدارة العسكرية... وكانت «حكومة عموم فلسطين» جزءاً من هذا الحلم، وكانت الروابط الطلابية والنقابات الوليدة خطوات على الطريق، وكانت منظمات تقوم هنا وهناك

(١) المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٢) مجلة (إلى فلسطين)، (واشنطن)، العدد ٣٠، ٢٥/٣/١٩٨٨م، ص ١٣.

(٣) أحمد بن يوسف، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٤) وثائق حركة المقاومة الإسلامية، ج ٣، ص ٢٠.

(٥) أحمد بن يوسف، ص ١١٣.

- أبرزها حركة «فتح» - محاولات أخرى على هذا الطريق^(١). وكانت جميع فئات الشعب الفلسطيني وتياراته السياسية تتطلع إلى إيجاد كيان أو مؤسسة تمثل الفلسطينيين وتتحدث باسمهم بعيداً عن وصاية الأنظمة التي تسببت أصلاً في ضياع فلسطين.

أما (م. ت. ف) فقد كانت من حيث نشأتها والأهداف التي وضعت لها شيئاً مختلفاً.. فقد أنشأها النظام العربى لتخدم سياساته، ولتنفض الأنظمة العربية يدها من تحمل كامل المسؤولية، وتلقيها شكلاً على الفلسطينيين، الذين توجب عليهم أن يباركوا ما تريد الأنظمة باسم شعب فلسطين، ولعل في أدبيات حركة «فتح» وحركة «القوميين العرب» وحزب «البعث العربى الاشتراكى» في تلك الفترة ما فيه الكفاية لتأكيد هذا الأمر^(٢)، ويؤكد هذا الفهم مصدر آخر لحركة «حماس» حينما يقول: «كانت انطلاقة (م. ت. ف) بقرار عربى... فالدول العربية هي الممول الرئيسى لمنظمة التحرير، ولابد لمنظمة التحرير من إرضاء أغلب تلك الأنظمة.. وهذه الأنظمة هي نفسها المسؤولة عن ضياع فلسطين في الماضى، وهي نفسها التي حافظت على أمن إسرائيل في الحاضر، وهي التي تروض شعوبها، ومعها الشعب الفلسطينى لقبول الذل من اليهود وتوقيع اتفاقيات سلام جديدة... ولهذا فنحن نعتقد أن منظمة التحرير هي جزء من التركيبة السياسية لحكومات المنطقة»^(٣).

ولقد قامت الحركات الوطنية الفلسطينية، وكثير من الشخصيات الوطنية الفلسطينية بجهود كبيرة، في محاولة تكريس استقلالية القرار الفلسطينى، وتأكيد الهوية الوطنية الفلسطينية، والعمل على جعل (م. ت. ف) كياناً سياسياً يمثل الفلسطينيين ويعبر عن آمالهم، لكن الاختلال الشديد في موازين القوى بين الشعب الفلسطينى ومثليه من جهة وبين الأنظمة العربية التي تتحكم في الشعب الفلسطينى وفي منظمته، جعل الأمور محسومة لصالح النظام العربى الذى أنشأ المنظمة وحافظ عليها من أجل أن يتصالح مع العدو باسمها، وما يدل على ذلك تلك التراجعات السياسية المتتالية في مسيرة منظمة التحرير حسب ما يتطلبه النظام العربى.

- فمن المطالبة بدولة فلسطين على كامل التراب الفلسطينى، إلى دولة علمانية تتعايش

(١) خالد أبو العمرين، الإسلاميون والعلاقة مع منظمة التحرير، (١ من ٢)، (مجلة فلسطين المسلمة)، (لندن)، حزيران (يونيو) ١٩٩٣م، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أحمد بن يوسف، (حركة المقاومة الإسلامية «حماس»: خلفيات النشأة وآفاق المسير)، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٨٩م، ص ٥٤.

فيها الديانات جميعاً، إلى دولة في الضفة الغربية وقطاع غزة فقط، إلى كونفدرالية مع الأردن، إلى مفاوضات الحكم الذاتي.

- ومن رفض لجميع قرارات الأمم المتحدة، لظلمها وتحيزها، إلى الموافقة على جميع القرارات بما في ذلك قرار ٢٤٢، إلى الموافقة على القرار المذكور، إلى الرضى بما هو أقل منه.

- ومن الكفاح المسلح كطريق وحيد للتحرير، إلى الكفاح المسلح كأهم وسيلة للتحرير، إلى الكفاح المسلح بجانب العمل السياسي، إلى العمل السياسي فقط وهجوم السلام^(١).

نظرت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إلى (م. ت. ف)، نظرة مزدوجة تتراوح بين التقارب والتنافر، فهناك الإيجابيات في عمل المنظمة والتي تقرب حركة «حماس» منها، كالنضال الذي تواصل عدة سنوات وسقط في طريقه آلاف الشهداء، مما أخرج قضية فلسطين من زوايا التجاهل عربياً ودولياً، كما أن المنظمة كإطار يمثل الشعب هي مكسب للجميع يتوجب المحافظة عليه، وكان أبرز عوامل التنافر هو العلمانية التي تتبناها (م. ت. ف) بالإضافة إلى برنامجها السياسي والذي تمثل في الاعتراف بدولة إسرائيل وقبول الحلول السلمية غير المتكافئة وغير العادلة.

عوامل التقارب بين «حماس» والمنظمة:

جاء في المادة السابعة والعشرين من ميثاق «حماس»: «منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية، ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، وهل يجلفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه، فوطننا واحد ومصيرنا واحد وعدونا مشترك».

(أ) المنظمة كإطار يمثل الهوية الفلسطينية:

وأنت حركة «حماس» أن (م. ت. ف) كإطار يجمع الفلسطينيين ويمثلهم، هو مكسب يجب المحافظة عليه، والعمل على إصلاح ما فيه من عيوب ليتمكن من تمثيل الفلسطينيين جميعاً والتعبير عن آمالهم في استعادة حقوقهم، «لقد حرصت «حماس» على الحفاظ على المؤسسة الرسمية، وأحسن القول إلى قاداتها، بل كانت القيادة الإسلامية في كل مكان تنظر باحترام لمنظمة التحرير وتكرم وفادة قياداتها، وتشد من أزرها وتنصح لها»^(٢)، كما أن

(١) خالد أبو العمرين، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

(٢) جهاد صالح (إعداد)، (حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بين آلام الواقع وآمال المستقبل)، شيكاغو: المركز العالمي للبحوث والدراسات، ١٩٩١م، ص ٢٩.

حركة «حماس» قد أكدت للجميع أنها لن تنافس الزعامة السياسية لمنظمة التحرير... «وأن هذا الوعاء سنحافظ عليه جميعاً، ما التزم بالشوابت الوطنية والدينية لهذا الشعب الفلسطيني المسلم»^(١).

والحركة الإسلامية «لا ترفض (م. ت. ف)، ولا ترفض مبدأ المقاومة والتحرير، ولكنها ترفض النهج الذى قيدت منظمة التحرير به نفسها فالمنظمة كإطار وطنى يستوعب كافة أفراد الشعب الفلسطينى بمختلف اتجاهاتهم ويقودهم نحو التحرير الشامل والكامل لفلسطين حسب ما ورد فى الميثاق الوطنى الفلسطينى هى موضع اعتراف الجميع بمن فيهم حركة المقاومة الإسلامية «حماس»^(٢).

(ب) إنجازات (م. ت. ف):

وحركة المقاومة الإسلامية «حماس» لا تذكر تلك الإنجازات الكبيرة التى حققتها (م. ت. ف) والتضحيات والكفاح المتواصل للمنظمة، لكنها ترفض بشدة، أن يكون ذلك كله لتبرير عملية التخلي عن ثوابت المنظمة نفسها: «فمن إنجازاتها الهامة أنها حافظت على بنية وكيان الشعب الفلسطينى، مما فوت على العدو فرصة تحقيق حلمه فى تفتيت وحدة الشعب الفلسطينى الباسلة أمام العدو الصهيونى، وتحويل الشعب الفلسطينى من شعب لاجئ مشرد إلى شعب متمرس فى القتال والمواجهة مما أكسبها تعاطفاً عالمياً كبيراً»^(٣).

وقد عبرت الحركة عن ذلك فى بيانها الحادى عشر حينما احتفلت مع الشعب الفلسطينى كله بذكرى معركة «الكرامة» التى خاضتها فصائل منظمة التحرير الفلسطينية فى مارس (آذار) عام ١٩٦٨ م، قال بيان حماس: «تحتنا هذه نرفها لشعبنا البطل فى ذكرى انتصار من انتصاراته على قوات العدو، ذلك هو يوم ٢١ آذار، يوم الكرامة... وستظل ملحمة الكرامة معلماً بارزاً من معالم شعبنا المقدام»^(٤).

وفى نشرة «أنصار حماس» وفى حديثها عن الانتفاضة فإن الحركة تؤكد على أن «العمر المديد من الكفاح المسلح والنضال الجماهيرى والثقافى والاجتماعى الذى خاضته (م. ت. ف) وكفاحها لبلورة الشخصية الفلسطينية وتجسيدها، كان له أعمق الأثر فى هذا الانفجار

(١) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) خالد عز الدين، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٢.

(٤) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ١، ص ٤٤.

الفلسطيني المبارك والباسل والرافض للاحتلال»^(١)، وتستمر تلك النشرة الصادرة في يوليو (تموز) ١٩٩٠م، لتقول: «إن سلسلة النضالات الطويلة لكوادر فتح وقاداتها وشهداءها، شهداء شعب فلسطين وما لاقاه شعبنا من إبادة ودمار في مخيمات لبنان... وكذلك استشهاد أبو جهاد، وجهاد ياسر عرفات... كل ذلك لا يعتبر ولا يجوز اعتباره مبرراً للمسيرة السياسية الحالية للمنظمة وقيادتها، ولا يصح أن نتخذ من الرصيد الكفاحي الضخم بطاقة دخول إلى مراحل التنازل والاستسلام»^(٢).

عوامل التنافر بين «حماس» والمنظمة:

وتتمحور هذه العوامل حول ثلاث قضايا أساسية هي: علمانية (م. ت. ف) والتنازلات السياسية لـ (م. ت. ف) وهيكلية (م. ت. ف) ومفهوم الديمقراطية في هذه الهياكل.

(أ) علمانية منظمة التحرير:

وجدت حركة «حماس» نفسها ومنذ البداية في افتراق أيديولوجي عن (م. ت. ف) فهم تعلن ومنذ البداية وكما جاء في المادة الأولى من ميثاقها أن «الإسلام منهجها، وإليه تحتكم في كل تصرفاتها»^(٣)، ولأن (م. ت. ف) قد تبنت فكرة الدولة العلمانية، وحركة «حماس» ترى أن «الفكرة العلمانية، مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة، وعلى الأفكار تُبنى المواقف والتصرفات وتتخذ القرارات»^(٤). لذلك وجدت «حماس» نفسها مضطرة للعمل خارج إطار المنظمة، دون تقليل من دور المنظمة لأن «إسلامية فلسطين جزء من ديننا ومن فرط في دينه فقد خسر»، وقد كرر الشيخ أحمد ياسين هذا المفهوم في مرات عديدة، ومثال ذلك تصريحه لصحيفة «النهار» المقدسية، الذي يقول فيه: «إنني لست ضد المنظمة، ولكن ضد خطها الذي لا يتبنى الإسلام فهماً ودستوراً، وكلما اقتربت (م. ت. ف) من الإسلام والتزمت به، كلما ازداد التزامي بها».

(ب) التنازلات السياسية لـ (م. ت. ف):

لقد أبعدت المواقف السياسية الطرفين عن بعضهما كثيراً، فالمنظمة التي اختارت الحلول

(١) جهاد صالح، ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٥.

(٣) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ١، ص ١٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦٠، (المادة ٢٧ من الميثاق).

السلمية، وطالبت بعقد مؤتمر دولي للسلام، ثم أعلنت عن استعدادها للصلح مع إسرائيل والاعتراف بها، ثم فاوضت وصالحت واعترفت، قد ابتعدت كثيراً عن حركة «حماس» التي ظلت ترسل النداءات لمنظمة التحرير وللمجلس الوطني الفلسطيني وحركة «فتح» تطالبها بقطع الحوار مع أمريكا التي تبني سياستها على التنازل التدريجي من طرف واحد، وتطالبها بعدم الاعتراف بقرارات الأمم المتحدة التي تقر بشرعية الدولة اليهودية، وعدم الاشتراك في المبادرات الأمريكية من «شولتز» إلى «بيكر»، ورفض المشاركة في المؤتمر الدولي، فكل الحلول السلمية مرفوضة عند حركة «حماس» لأنها لا تعطي للفلسطينيين شيئاً، طبقاً لما جاء في المادة الثالثة عشرة من «الميثاق» والتي تنص على ما يلي: «تعارض المبادرات، وما يسمى بالحلول السلمية والمؤتمرات الدولية لحل القضية الفلسطينية مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية، فالتفريط في أي جزء من فلسطين تفريط في جزء من الدين، فوطنية حركة المقاومة الإسلامية جزء من دينها»^(١). ويرى الشيخ أحمد ياسين «أن الأخوة في (م. ت. ف) أعطوا الكثير، وفي المقابل لم يأخذوا شيئاً من الجهات المقابلة»^(٢).

ولهذا اعتبرت حركة «حماس» أن (م. ت. ف) هي أول من خرج على الثوابت والمبادئ والقوانين التي رسمت لتوجيه نضال الشعب الفلسطيني ضد دولة الاغتصاب الصهيوني على أرض فلسطين، وتوج هذا الأمر بإلغاء الميثاق الوطني الذي حوى مجموعة من القواسم المشتركة التي يمكن أن يتم الالتقاء عليها»^(٣).

(ج) هيكلية منظمة التحرير:

كان يمكن لحركة «حماس» أن تفكر في دخول مؤسسات المنظمة، لعلها تستطيع مع غيرها من المعارضين إيقاف سلسلة التراجعات السياسية، والعمل على تصليب الموقف الفلسطيني، لكن «حماس» وجدت في تركيبة المؤسسات الفلسطينية، وآلية صنع القرار داخلها، عائقاً كبيراً أمامها، فالمجلس الوطني الفلسطيني الذي لم يتم انتخابه مطلقاً، تتوزع مقاعده بين المنظمات والاتحادات الشعبية وكبار ضباط الجيش والمستقلين، حسب حصص يتفق عليها وتفرضها قيادة المنظمة، بحيث تكون قراراته - وكما أثبتت الوقائع - موافقة لما تريده القيادة، وكذلك أيضاً تركيب اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، والذي لا يسمح

(١) وثائق الحركة، (ج ١)، ص ١٤٩.

(٢) أحمد بن يوسف، أحمد ياسين، ص ٨٨.

(٣) جهاد صالح، ص ٣٧، من نشرة، السواعد الرامية، العدد السادس، أغسطس ١٩٩٠ م.

بقيادة جماعية فعلية، فالكل يشكو من تفرد القيادة في اتخاذ قراراتها ومنذ زمن بعيد، وقد كانت اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في غالب الأحيان لا تتعدى كونها مراسم احتفالية تقر توجهات القيادة، وتعطيها الضوء الأخضر لتوجهات جديدة.

وقد رأت حركة «حماس» أن المنظمة ببنيتها القيادية القائمة، لا تمثل حقيقة القوى الفاعلة في الشعب الفلسطيني، فهناك اتجاهات معينة تمثلها فصائل داخل المنظمة لها تمثيل كبير في مختلف المستويات القيادية، وتوضع تحت تصرفها مخصصات مالية ضخمة في حين ليس لها أى ثقل جماهيري لا داخل فلسطين ولا خارجها، هذا في حين يندم وجود تمثيل للحركة الإسلامية في مختلف المستويات القيادية، ولا تتلقى أية مخصصات مالية مما يرد للمنظمة، رغم الثقل الكبير لهذه الحركة في أوساط الفلسطينيين في الداخل والخارج^(١).

ولما فرضت «حماس» وجودها على الخريطة السياسية، وأصبح لزاماً على قيادة المنظمة، استيعاب وجود حماس لتأكيد تمثيل المنظمة لكل فئات الشعب الفلسطيني واتجاهاته، فقد أرسل الشيخ عبد الحميد السائح - رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ورئيس اللجنة التحضيرية لإعادة تشكيل المجلس الوطني - دعوة إلى حركة حماس للمشاركة في أعمال اللجنة التحضيرية.. التي بدأت أعمالها في ٧ / ٤ / ١٩٩٠م قامت «حماس» بدراسة الدعوة والظروف المحيطة بها، وتمشياً مع موقفها فقد اعتذرت عن المشاركة متمنية للجنة التحضيرية التوفيق في عملها من أجل التمسك بحقوق الشعب وثوابته، كما أكدت حرصها على وحدة الشعب بكل اتجاهاته على أسس وثوابت واضحة، دون تفريط أو تنازل، وأرسلت بذلك مذكرة إلى الشيخ السائح بتاريخ ٦ / ٤ / ١٩٩٠م.

طالبت الحركة في مذكرتها أن يراعى التشكيل الجديد عناصر أساسية هي أن الانتخاب وليس التعيين هو الوسيلة الأساسية لاختيار أعضاء المجلس، وإذا تعذر إجراء الانتخابات فيجب أن يعكس التشكيل أوزان القوى السياسية الموجودة على الساحة، كما طالبت بتخفيض عدد أعضاء المجلس الوطني لاعتبارات سياسية وإدارية وأمنية ومالية، بالإضافة إلى تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني بما ينسجم مع الإسلام، وبالإضافة إلى هذه العناصر فقد وضعت عشرة مبادئ وشروط لدخولها المجلس كان من أهمها رفض التفريط بأى جزء من فلسطين من البحر إلى النهر، ورفض كل القرارات الدولية بما فيها ١٨١، ٢٤٢، ٣٣٨، والتأكيد على الخيار العسكري واستمرار الانتفاضة وتصعيدها والتخلي عن كافة التراجعات

(١) خالد عز الدين، ص ٢٣٠.

والتنازلات وآخرها قرارات الدورة التاسعة عشرة في الجزائر نوفمبر ١٩٨٨ م، كما طالبت بأن يكون تمثيل (حماس) في المجلس بما يكافئ ثقلها في الساحة والذي يتراوح بين ٤٠ - ٥٠٪ من مجموع أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني^(١).

وبذلك عبرت «حماس» عن استعدادها للدخول في المجلس بالصورة التي تمكنها من فرض فكرها وبرنامجهما السياسى، كما أنها بنسبة الأربعين في المائة تستطيع إسقاط أى قرار مخالف لعقيدها وبرنامجهما السياسى، وكان هذا مستحيلاً لدى قيادة المنظمة التي لا يمكن أن تقبل بوجود إسلامى فاعل داخل مؤسساتها، بل إنها تسعى مقابل ذلك لإيجاد تمثيل إسلامى نسبى وشكلى داخل المجلس الوطنى والهيئات الأخرى يحقق لها الأغراض التالية^(٢):

١- تريد أن تثبت للشعب الفلسطينى وللغوى الأخرى أنها تمثل جميع القطاعات الشعبية، وأن القيادة تمثل الأغلبية ولا تضيق بما تسميه بالأقلية.

٢- تريد أن تجعل خيارها الوحيد المستجيب للضغوط العربية والدولية وكأنه خيار شرعى للشعب الفلسطينى.

٣- تريد أن تقول للنظام العربى والنظام الدولى والعدو الصهيونى أنها قادرة على تنفيذ ما تدخل فيه من اتفاقيات وترتيبات.

٤- تريد أن تقول لكل من أدار ظهره لبرامج المنظمة وسياساتها باحثاً عن أمل جديد وبرنامج جديد، ومنهج جديد، أن كل البرامج والمناهج موجودة داخل المؤسسة الرسمية الفلسطينية.

٥- تريد من اقترابها من قوى التغيير الإسلامية أن تتعرف عن قرب عما يجرى داخل هذا الإطار الإسلامى.

وهكذا أضيفت طبيعة تركيب مؤسسات المنظمة إلى عوامل الاختلاف الأيديولوجى، والاختلاف على الخطوات السياسية التي تقوم بها المنظمة لتباعد بين الطرفين.

(م. ت. ف) وتمثيل الشعب الفلسطينى

استطاعت قيادة (م. ت. ف) أن تنتزع اعترافاً عربياً ثم دولياً بأن المنظمة هي الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى، وخاضت من أجل ذلك الحروب، وبذلت الجهود

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ٣، ص ١٢٦ - ١٢٩.

(٢) خالد أبو العمرين، «الإسلاميون ومنظمة التحرير» (٢ من ٢)، (مجلة فلسطين المسلمة)، تموز (يوليو) ١٩٩٣ م، ص ٢٨.

الدبلوماسية المضنية، حتى تحقق لها ذلك، فهناك قوى إقليمية تنافسها على الشعب وعلى الأرض، وأخرى تنافسها على القرار الفلسطيني، يضاف إلى ذلك العدو الصهيوني والقوى الدولية المساندة والتي لا تريد للشعب الفلسطيني وجوداً ولا تمثيلاً.

وعلى مستوى الشعب الفلسطيني فإن قيادة (م. ت. ف) أكدت مراراً أن «بيت (م. ت. ف) هو بيت الوطن والكيان الفلسطيني، ومن هنا فإن أي افتعال خصام مع منظمة التحرير الفلسطينية هو افتعال خصام مع الوطن، فالمنظمة هي الدولة، لا حزباً في الدولة»^(١)، وتستمر مجلة «فلسطين الثورة» في افتتاحيتها لتقول: «إن الاختلاف في الرأي وفي الاتجاه، لا يمكن - مبدئياً - أن يكون مع (م. ت. ف)، أي لا يمكن أن تكون أنت، في جهة، ومنظمة التحرير في الجهة الأخرى، وذلك بالمقدار نفسه أن يكون أي مواطن لأي دولة في جهة ووطنه في الجهة الأخرى، هو أمر غير معقول وغير ممكن، أو حينذاك يكون هذا المواطن قد أسقط عن نفسه هويته وجنسيته... لذا فلا يمكن أن يكون هناك خلاف أو خصام للفلسطيني مع المنظمة - الدولة - وإنما قد يكون الخلاف مشروعاً ومقبولاً في المنظمة، وداخل مؤسساتها»^(٢).

هذه الكلمات والافتتاحية الطويلة كلها كانت موجهة لحركة «حماس»، باعتبارها خارج إطار (م. ت. ف) فهي خارجة على الوطن وتخدم بذلك أعداء الوطن، لكن وكما لاحظت نشرة «السبيل»^(٣) أن كاتب المقال انطلق من اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الكيان والدولة دون إثبات لهذه الفرضية، وترى «السبيل» أن الواقع يعطى للمنظمة صفة الجهة السياسية أو بين الوطن والحكومة.

والمواطن في أية دولة، وكذلك الحزب السياسي، يستطيع أن يرفض دخول البرلمان خصوصاً إذا كان له اعتراضات جوهرية على طريقة التعيين فيه، ويستطيع أن يعارض الحكومة دون أن يتهم أنه أصبح خارجاً على الدولة والكيان، والميثاق الوطني الفلسطيني يعتبر كل فلسطيني عضواً طبيعياً في (م. ت. ف) دون أن يقدم طلباً للعضوية، ودون أن يشترط عليه الموافقة على سياسة اللجنة التنفيذية.

(١) فلسطين الثورة، (المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية)، العدد ٨٠٤، السنة التاسعة عشرة، ٨ تموز (يوليو) ١٩٩٠ م، ص ١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢.

(٣) (السبيل) (شهرية تصدر من النرويج وتعتبر عن اتجاه إسلامي)، العدد ١٧، أغسطس (آب) ١٩٩٠ م.

وحركة «حماس» مع عدم إنكارها لدور (م. ت. ف) «فإنها تؤكد أن المنظمة بفصائلها لم تكن أول من قاتل على أرض فلسطين ولن تكون آخر من يقاتل»^(١)، وهي لا تناقش إطار (م. ت. ف). وإنما تناقش وتختلف وتجادل قيادة المنظمة وسياساتها وتعتبر ذلك حقاً لها ولكل فلسطيني. وتقول حركة «حماس»: «إننا نتحدى منظمة التحرير أن تقدم دليلاً واحداً على أن «حماس» طرحت نفسها بديلاً عن المنظمة وأنها تنازعها التمثيل»^(٢). إن حماس تطرح الإسلام ولا تطرح نفسها، ولقد أعلنت في ميثاقها أنه «يوم تتبنى (م. ت. ف) الإسلام كمنهج حياة، فنحن جنودها ووقود نارها التي تحرق الأعداء»^(٣)، وكيف يتوجب على حركة «حماس» وأنصارها أن يؤدوا واجبهم تجاه المنظمة - الدولة، وهي وأنصارها محرومون من كل الحقوق المادية والمعنوية التي تتمتع بها جميع الفصائل المنضوية تحت لواء (م. ت. ف) الذي لا يذكر «حماس» مطلقاً، وإن ذكرها مرات قليلة فبالطعن والتجريح، وفي قطع رواتب العاملين في الجامعة الإسلامية وفي إيقاف الدعم المالي عن كل نقابة أو مؤسسة يفوز الإسلاميون بإدارتها، وحتى في المنح الجامعية للطلاب في الجامعات العربية والأجنبية وغير ذلك كثير. وترفض حركة «حماس» منطق الهيمنة والوصاية «فليس من حق أحد أن يكره الآخرين على تبني ما يراه هو وما يعتقد، فإن لم يوافق الآخرون ويخضعوا لإرادته فهم إذن يطرحون أنفسهم بديلاً، وهم حلفاء للاستعمار»^(٤)، والشيخ أحمد ياسين يؤكد موقف «حماس» من (م. ت. ف) فيقول: «إنني لست ضد المنظمة، ولكن ضد خطها الذي لا يتبنى الإسلام منهجاً ودستوراً»^(٥)، وعندما سئل هل يعترف بمنظمة التحرير كممثل للشعب الفلسطيني، أجاب «نعترف مع تحفظ - فنحن نريد الدولة المنشودة إسلامية لا علمانية»^(٦). وهكذا فإن حركة حماس «تشتط أساساً تبني (م. ت. ف) للإسلام كمنهج وتطالبها بالتراجع عن التنازلات السياسية التي قدمتها، وحين ذلك فإنها ترتضى أن تكون جنوداً في (م. ت. ف) ولما كانت الدلائل تشير إلى عكس ذلك، فإن المستقبل يحمل في طياته تباعداً كبيراً بين الطرفين.

(١) جهاد صالح، ص ٧٤، عن نشرة «أنصار حماس» أغسطس (آب) ١٩٩٠ م.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٣) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ١، ص ١٦٠ (المادة ٢٧ من الميثاق).

(٤) جهاد صالح، ص ٧٢.

(٥) (النهار) المقدسية، ٣٠ / ٤ / ١٩٨٩ م، عدد ٧٩٧.

(٦) أحمد بن يوسف (أحمد ياسين)، ص ١٢٣.

المبحث الثالث موقف « حماس » من الوحدة الوطنية

حرص حركة « حماس » على الوحدة الوطنية،

لقد عبرت حركة « حماس » في جميع أدبياتها عن حرصها على الوحدة الوطنية التي تجعل الشعب الفلسطيني، صفاً واحداً في مواجهة العدو الصهيوني، واعتبرت أن الاختلاف في الرأي وهذا أمر طبيعي لا يمكن أن يكون مبرراً للتناحر والفرقة التي يستفيد منها العدو، لكنها أكدت في نفس الوقت أن ثوابتها الأساسية ليست مجالاً للمناورة.

وقد وضح ميثاق الحركة رأي حماس في كل من الحركات الإسلامية الأخرى والحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية، فقد جاء في المادة (٢٢) أن حركة المقاومة الإسلامية تنظر إلى الحركات الإسلامية الأخرى نظرة احترام وتقدير، فهي وإن اختلفت معها في جانب أو تصور، اتفقت معها في جوانب وتصورات... وتعتبر تلك الحركات رصيذاً لها، وتسأل الله الهداية والرشاد للجميع، ولا يفوتها أن تبقى رافعة لراية الوحدة، وتسعى جاهدة إلى تحقيقها على الكتاب والسنة^(١).

أما بالنسبة للحركات الوطنية فإنها «تبادلها الاحترام، وتقدر ظروفها، والعوامل المحيطة بها، والمؤثرة فيها، وتشدد على يدها مدامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي... وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية، من أجل تحرير فلسطين، بأنها لها سند وعون، ولن تكون إلا كذلك، قولاً وعملاً، حاضراً ومستقبلاً، تجمع ولا تفرق، تصون ولا تبدد توحد ولا تجزئ... تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية، ولا تصفى للشائعات والأقوال المفرضة، مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس، وكل ما يتعارض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة»^(٢).

وهكذا فقد كانت حركة « حماس » أكثر الحركات الفلسطينية مسارعة إلى كشف زيف البيانات المزورة التي توزعها سلطات الاحتلال من أجل بث الفرقة والانقسام في صفوف الشعب، فقد حذرت من البيانات المدسوسة في بيانها السابع والسادس عشر والسابع عشر ووضعت في بيانها التاسع عشر معايير تلتزم بها وتطالب جميع الاتجاهات والفئات الالتزام بها حيث أكدت أن:

(١) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية) ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٢) (المرجع السابق ، ص ١٥٩ ، (المادة ٢٥ من الميثاق) .

- كل بيان أو شعار على الجدران يهاجم فئة من فئات شعبنا فهو من العدو اليهودي .
 - كل بيان أو شعار يدعو الناس إلى اليأس والتوهين فهو من اليهود .
 - كل بيان أو شعار يحاول خلق الفتن والصدامات بين أبناء شعبنا فهو من اليهود^(١) .
- وأكدت حركة «حماس» في معظم بياناتها على معانى الوحدة الوطنية «فالوحدة ركن من أركان النصر، والخلاف والتمزق تكريس للهزيمة والاستسلام»^(٢) ولا يسعنا استعراض جميع ما جاء في بيانات حماس عن الوحدة وضرورتها وأهميتها، ونختم ذلك بما جاء في البيان رقم (٤٦) حيث تدعو «حماس» أبناء شعبنا إلى رص الصفوف ووحدة الكلمة... وتفصح عن حبها وودها لأبنائها، أبناء هذا الشعب وخاصة العاملين ضد الاحتلال بكافة توجهاتهم^(٣) .
- أما بالنسبة للتنسيق مع (القيادة الوطنية الموحدة) ، فقد أعلنت حماس مراراً أنها مستعدة للتنسيق والتعاون ، فقد جاء في بيانها رقم (٥٣) :
- إن «حماس» تمد يدها لكل الاتجاهات الوطنية للتنسيق من أجل خدمة الانتفاضة .
 - لم تقف الحركة موقف العداء من أى اتجاه وطنى ، ويشهد بذلك جميع بياناتها على الرغم مما كان يوجه لها من تهمة وافتراءات .
 - تؤكد حماس على أنها على استعداد كامل للتنسيق شريطة عدم التنازل عن ثوابتنا الفكرية والعقائدية^(٤) .
- وقد حددت الحركة فهمها للوحدة الوطنية على أنها وحدة جميع الشعب بكافة فئاته وتياراته فى مواجهة العدو ، وليست هيمنة أو سيادة فكر أو توجهاً سياسياً لا يرتضى فكراً آخر أو توجهاً سياسياً مخالفاً . «ويعتمد منهج حماس على محاولة الاستفادة من كل جهد يهدف إلى توظيف كل طاقة حتى لو كان صاحب هذا الجهد أو هذه الطاقة يحمل مبدأ لا يتفق مع مبادئ الحركة الإسلامية، ومن هنا صاغت حماس شعارها : «شعب فلسطينى واحد ، منهج حماس الرائد» ، وهى لا تعتبر أن من يخالف أسلوبها فى التحرير يكون خارجاً على الوحدة الوطنية، كما لا تقبل أن يتهمها أحد بهذه التهمة ، إن رفضت تبني أسلوب الغير فى التعامل مع القضية الفلسطينية»^(٥) .

(١) المرجع السابق، ص ٨٦، (بيان رقم ١٩) .

(٢) المرجع السابق، ص ٩٢، (بيان رقم ٢٨) .

(٣) مرجع سابق، ج ٢، ص ص ٧٢-٧٣ .

(٤) مرجع سابق، ج ٣، ص ٣١ .

(٥) جهاد صالح، ص ١١ .

موقف حركة «حماس» من المسيحيين:

كانت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين علاقة متميزة، منذ أن فتح المسلمون بيت المقدس على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الذي أمن المسيحيين على كنائسهم وممتلكاتهم، وظلوا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية في خير وعدل وأمان، وفي العصر الحديث شارك مسيحيو فلسطين إخوانهم المسلمين في كل نضالاتهم الوطنية جنباً إلى جنب، وانتموا إلى معظم الأحزاب السياسية الفلسطينية ابتداء من حزب المفتي، الحاج أمين الحسيني، الذي كان له مساعده الموثوقون من نصارى فلسطين. ولم يعرف تاريخ فلسطين الحديث أى صدام بين الطرفين، ولعل الفضل في ذلك يعود إلى وطنية المسيحيين في فلسطين وعدائهم للدولة اليهودية، كما أنه يعود أيضاً إلى حقد اليهود على نصارى فلسطين ومهاجمة أملاكهم والاعتداء على مقدساتهم.

والفلسطينيون جميعاً يسجلون في صفحات تاريخ نضالهم المشرق بطولات وأبطال لمسيحيي فلسطين كالمطران «كبوتشي» الذي أمضى سنوات في سجون الاحتلال، وكمال ناصر عضو اللجنة التنفيذية لـ (م. ت. ف) الذي اغتالته الأيدي الصهيونية الآثمة، ولا ينكر فلسطيني واحد وطنية الدكتور جورج حبش وكفاحه الطويل ضد الصهيونية.

وحيثما برزت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» كحركة إسلامية جماهيرية واسعة الانتشار تزداد قوتها يوماً بعد يوم، حاولت القوى المعادية لها - وأولها سلطات الاحتلال - أن تستخدم الدعوة الطائفية من جملة الأساليب الكثيرة التي استخدمتها لإضعاف حماس وتشويه موقفها. وقد قامت المخابرات الإسرائيلية وأجهزة الإعلام الصهيونية بجهود كبيرة، حيث أعلن عن إنشاء «حركة المقاومة المسيحية حمام»، لتكون في مواجهة حركة «حماس»، ورددت الصحف الصهيونية والإذاعة الإسرائيلية هذا الاختلاق، إلا أنه سرعان ما دفن نتيجة لوعي الجماهير ويقظتها، إسلامية كانت أو مسيحية.

وكانت الصحف الإسرائيلية تتناول العلاقة بين المسلمين والمسيحيين تناولاً يدعو إلى الاصطدام، مستخدمة الكذب والتزوير، ولعل مطالعنا على سبيل المثال لعنوان مقال نشرته «هآرتس» العبرية يدلنا على أسلوب تأجيج الصراعات فهو يقول: «بين الطريقة اليهودية والسندان الإسلامي»، ويقصد المسيحيين، أما صحيفة «معاريف» فتعنون أحد مقالاتها بالعنوان التالي: «بيت لحم: النصارى يخافون الإسلام»^(١)، وعندما حاصرت قوات الاحتلال

(١) جريدة «هآرتس» ١١/١١/١٩٨٨م، ص ١٥، (معاريف)، ١٧/٣/١٩٨٩م، ص ٢.

مدينة بيت ساحور بالضفة الغربية - والتي يكثر المسيحيون فيها - في أشهر حملة لجمع الضرائب استمرت ستة عشر يوماً قامت السلطات الإسرائيلية بتوزيع بيان مزور باسم حركة «حماس» يهاجم أهالي بيت ساحور.

لكن كل هذه الأساليب باءت بالفشل، ليقظة الشعب كله وخاصة المسيحيين وحركة «حماس» فبعض المسيحيين في مدينة غزة على سبيل المثال كانوا قد سلموا أنفسهم وسياراتهم للمسجد، ليكونوا تحت تصرف الشباب المسلم في خدمة الناس ونجدتهم^(١)، وقد حذر المطران لطفى لحام، مطران طائفة الروم الأرثوذكس في الديار المقدسة المحتلة الطوائف المسيحية من الأكاذيب والدسائس التي تحاول سلطات الاحتلال الإسرائيلي من خلالها إحداث فتنة طائفية لصرف الشعب الفلسطيني عن مقاومة الاحتلال وضرب وحدته الوطنية^(٢)، أما البطريك ميشيل صباح فقد أكد على انتماء المسيحيين إلى حضارة الإسلام حينما قال: «إن الوجود المسيحي هو جزء لا يتجزأ من العالم العربي المسلم»^(٣).

ولقد عبرت حركة «حماس» عن موقفها بالقول والفعل عدة مرات، فقد جاء في كتيب «حركة حماس بين آلام الواقع وآمال المستقبل»، الذي وزعته الحركة في الأرض المحتلة «أن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» جماهيرية الطرح، فهي حركة تستغرق كافة أبناء الشعب الفلسطيني، نظراً لأن أبناء هذا الشعب جميعهم مسلمون، إما تديناً وإما حضارة، وينسحب هذا المفهوم على غير المسلمين كالنصارى الذين عاشوا على هذه الأرض جنباً إلى جنب مع بقية أبناء الشعب المسلم... ونصارى فلسطين لا ينتمون إلى نصارى الغرب في تاريخهم وأطوار حياتهم، ومعالم حضارتهم، وإن كانوا يشتركون معهم في الدين والمعتقد، فقد تعرض نصارى فلسطين كما تعرض المسلمون إلى مؤامرات الغرب وغزواته»^(٤).

وأكدت الحركة في بيانها رقم (٤٩) «أنها حركة الجماهير الفلسطينية مسلمين ومسيحيين»^(٥)، أما من الناحية العملية فقد ذهب كبار رجال الحركة الإسلامية وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين لزيارة آل الطرزي في غزة لتقديم العزاء حينما قام جنود الاحتلال بإطلاق

(١) خالد عز الدين، ص ٢١٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) (النهار) المقدسية، ٢٨ / ١١ / ١٩٨٨م، عدد ٦٤٢.

(٤) جهاد صالح، ص ٩-١٠.

(٥) (وثائق حركة المقاومة الإسلامية)، ج ٢، ص ١٩٨٦م.

الرصا ص على الشاب المسيحي خضر الطرزي في الشهور الأولى من الانتفاضة . كما أن بعض مسيحيي غزة جاءوا للشيخ أحمد ياسين للقيام بحل نزاعاتهم المالية والعقارية كما يفعل المسلمون .

وقد عبرت حركة « حماس » عن احترامها للمسيحيين وأعيادهم ، ففي بيانها رقم (٦٧) المؤرخ في ١٢ / ٣ / ١٩٩٠م أعلنت اعتبار أيام عيد ميلاد المسيح عليه السلام أياماً تتوافد فيها جموع المسلمين على بيوت المسيحيين مهئين بالعيد مباركين وحدة أبناء شعبنا وتلاحمهم .

وكانت حركة « حماس » قد دعت إلى إضراب شامل يوم ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٩م بمناسبة مرور شهر على اغتيال الدكتور عبدالله عزام . ، ولما صادف موعد الإضراب يوم عيد لبعض الطوائف المسيحية ، قامت « حماس » بنشر وتوزيع استدراك كملحق لبيانها رقم (٥١) أعلنت فيه تأجيل موعد إضرابها إلى إشعار آخر .

و حينما احتل المستوطنون اليهود فندق « مار يوحنا » واعتدوا على أملاك كنيسة الروم الأرثوذكس ، قامت « حماس » باستنكار هذا العدوان ، فقد جاء في بيان المكتب الإعلامي لحركة « حماس » المؤرخ في ١٣ / ٤ / ١٩٩٠م « تستنكر « حماس » هذا العدوان ، الهمجي ضد المسيحيين من أبناء شعبنا الفلسطيني ، وتؤكد للعالم أجمع أن دولة الاحتلال الإسرائيلي دولة عنصرية تعادي العقائد الدينية سواء كانت إسلامية أم مسيحية »^(١) .

وعندما قامت سلطات الاحتلال بعرض البضائع المصادرة من مدينة « بيت ساحور » - وأكثر تجارها من المسيحيين - لبيعها في المزاد العلني بهدف إحداث فتنة بين الناس ، أفتى علماء المسلمين ، وعلماء حركة « حماس » بحرمة شراء هذه البضائع والممتلكات^(٢) .

يتضح لنا من كل ما سبق الحرص الشديد الذي أبدته الحركة الإسلامية على الوحدة الوطنية ، بين كافة الفئات والاتجاهات السياسية ، والمعتقدات الدينية ، وكان هذا - إلى جانب كونه متمشياً مع فكرة الحركة وبرنامجهما السياسي - منسجماً مع طبيعة الشعب الفلسطيني وتاريخه الذي ينفر من كل دعوة للانقسام أو الطائفية .

(١) مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٧٠ .

(٢) خالد عز الدين ، ص ٢٢١ .

المبحث الرابع الموقف من الدول والحكومات والهيئات

موقف حركة « حماس » من الحكومات العربية:

اتسم خطاب حركة « حماس » في السنوات الثلاث الأولى من عمر الانتفاضة بالنقد اللاذع للحكام العرب والأنظمة العربية، وموقفها المتخاذل من قضية فلسطين والانتفاضة، فكانت البيانات الصادرة من الأرض المحتلة تحمل المسؤولية الكبيرة للحكام العرب، فلم تكن للحركة طيلة تلك الفترة أية اتصالات أو لقاءات مع الدول والحكومات، ولم يكن لها أى مكتب سياسى أو إعلامى معلن أو شبه معلن فى أية دولة عربية أو إسلامية، كما لم يكن لها قيادات معلنه فى الخارج. وقد شددت الحركة هجوماتها فى معظم بياناتها على الحكومات العربية مجتمعة وعلى حكومات دول المواجهة، فالحكام العرب - حسب بيانات حماس - هم صنائع للأعداء، سلموا فلسطين لليهود على دفعتين: الأولى عام ١٩٤٨م والثانية عام ١٩٦٧م، وهم متخاذلون، منشغلون بالحلول السلمية لإجهاض الانتفاضة، كما أنهم يبطشون بشعوبهم من أجل المحافظة على كراسى الحكم، إلى آخر ذلك من اتهامات، وفى البيان الثالث تقول حركة « حماس »: « فى غفلة من شعبنا الممزق إلى دويلات متناحرة، نصب الأعداء على عرشوها حكاماً، لهم جنود أوفياء وحراس أمناء... وقد تم تسليم القسم الأول من فلسطين الغالية سنة ١٩٤٨م.. وتم تسليم بقية فلسطين سنة ١٩٦٧م » ثم يصفهم البيان نفسه بأنهم « الحكام الأقزام »^(١)، ويعود البيان نفسه ليخاطب الحكام بقوله: « أيها الحكام العرب المنشغلون ببذل الجهود من أجل تحقيق السلام المزعوم.. تتظاهرون بالتصفيق للانتفاضة وأنتم فى النوم غارقون » ويتهم البيان العاشر الإعلام العربى بأنه « يستمتع بعرض أشرطة جراحنا وجنازاتنا وكسر عظامنا ومطاردة نساءنا وأطفالنا.. على أيدي الصهاينة وهم بهم يجتمعون ولهم يخلصون وحولهم يحرسون »^(٢)، أما البيان العشرون فيتهمهم بالتواطؤ، والبيان الحادى والعشرون يتهمهم بالتخاذل وفى البيان الثانى والعشرين هم: « أصنام عربية تسخر الدنيا منهم لأنهم أقزام مهازيل أو أطفال مجاهيل »^(٣)، وفى البيان رقم (٤٩) يتهم الأنظمة العربية

(١) (وثائق حركة المقاومة)، ج ١، ص ٢١-٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٤١.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٩-٧٤.

بالعمالة: «الجيش (الإسرائيلي) الذي هزم الأنظمة العميلة كلها في ست ساعات لا ستة أيام»^(١).

واتهمت بيانات الحركة الدول العربية بأنها عملت على حماية إسرائيل، فقد جاء في البيان رقم (٢٢) أن «الأنظمة العربية التي كانت سوراً أمنياً على إسرائيل، فأعطتها الفرصة لتعزيز قوتها، والحكام مشغولون بتوافه الأمور، وإلقاء الخطب الرنانة»^(٢)، ويؤكد البيان رقم (٢٨) أن الحكام العرب منعوا المجاهدين من القتال، وظلت (دول المواجهة) عشرين عاماً تحرس الكيان الصهيوني حتى كانت المؤامرة الأخرى سنة ١٩٦٧م على بقية فلسطين، ولم تكتف بيانات الحركة بهذا، بل تحدثت عن دكتاتورية الحكومات وقمعها للشعوب العربية وطالبت الجماهير العربية بإسقاطها، ففي البيان رقم (٢٧) تتحدث عن «الأمة العربية، التي يستأسد حكامها على شعوبهم قتلاً وتشريداً وبطشاً»، والبيان رقم (٣٢) يتحدث عن محاربة الحكام للإسلام لأنه الوحيد الكفيل بفضح الأنظمة وسحب البساط من تحت أرجل الظالمين^(٣). أما بيان رقم (٥١) فإنه يدعو الجماهير العربية والإسلامية لكسر قيد الذل، والاستفادة من الانتفاضة، فقد تحركت شعوب المعسكر الشرقي نحو الحرية^(٤).

وفي نهاية تلك الفترة أى الشهور الأخيرة من السنة الثالثة للانتفاضة، نلاحظ تعديلات على لغة الخطاب السياسى للحركة الموجه للدول والحكومات العربية، فقد أصبح الخطاب يتخذ أسلوباً أكثر دبلوماسية، وبدأت الحركة توجه الرسائل إلى الرؤساء والملوك والأمراء أنفسهم وإلى مؤتمر القمة العربى، ولعل ذلك كان تمهيداً لخطة الحركة فى التحرك السياسى فى الخارج، وترتيب لقاءات مع بعض الأنظمة، وافتتاح المكاتب فى الدول التى توافق على ذلك.

يضاف إلى ذلك أن الحركة وخلال السنوات الثلاث الأولى من الانتفاضة ومن عمر الحركة، تحققت لها المكانة السياسية فى أوساط الشعب الفلسطينى فى الداخل والخارج، وألقيت عليها مسئوليات كبيرة، تجعلها تحسب خطراتها وكلماتها وعلاقاتها، فلم تعد كما كانت فى البداية، ذلك الصوت المثالى الذى يهيم فقط أن يقول الحقيقة ويحكم على السياسات والمواقف معبراً عن ضمير الأمة، إنما أصبحت الحركة بالإضافة إلى ذلك تأخذ دور

(١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٣.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٩، و ص ١٠٨.

(٤) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢١.

المشارك في قيادة الشعب، وتحمل مسئوليته، وبالتالي تعمل على استمرار وجودها، ودراسة التوازنات السياسية في المنطقة، مستفيدة من تجربة الحركة الوطنية الفلسطينية بإيجابياتها وسلبياتها وبالتالي اتخذت منهجاً ثابتاً بتركيز عدوانها على العدو الصهيوني فقط عاملة على توحيد كل من يمكن تحييده.

وبدأت اللهجة تعتدل تدريجياً ابتداء من الرسالة التي وجهتها الحركة إلى مؤتمر القمة العربي الطارئ الذي عقد في بغداد في مايو سنة ١٩٨٩م: «إننا إذ نخاطب فيكم بصيرة القائد، ونخوة العربي الأبي، وغيره المسلم، نحب أن نذكركم أن أرض فلسطين من البحر إلى النهر هي أرض عربية إسلامية، لا تقبل التقسيم ولا التجزئة»، كما طالبت المؤتمرين بتعبئة الأمة وفتح الحدود أمام المجاهدين، ودعم الانتفاضة، ورفض التنازل أو التفريط بأي جزء من فلسطين، ورفض كافة مشاريع التسوية^(١).

وبعد سنة كاملة من ذلك التاريخ وجهت الحركة رسائل إلى كل الزعماء والقادة العرب طالبتهم فيها بالعمل على الاستقلال الاقتصادي عبر التكامل الاقتصادي العربي، والاستقلال العسكري، عبر تطوير التصنيع الحربي الحديث والاستقلال السياسي أيضاً، كما طالبتهم بمقاطعة البضائع الأمريكية^(٢). وفي ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٩م وجهت الحركة رسالة إلى الرئيس صدام حسين تهنئه فيها بإطلاق الصاروخ الفضائي «العابد»^(٣).

وكانت أبرز دلالات ذلك التحول التدريجي في خطاب «حماس» تلك الرسالة التي وجهتها الحركة للشيخ جابر الأحمد - أمير دولة الكويت - بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ١٩٨٩م بوصفه رئيساً لمنظمة المؤتمر الإسلامي حينئذ حيث نكتطف منها ما يلي: «ولاتزال ترون في آذاننا كلماتكم الطيبة التي تحدثم بها عن انتفاضتنا وثورتنا الإسلامية المظفرة في وجه العدو الصهيوني.. وإننا وثقة منا بصدق مشاعركم وقناعتكم، نبعث لكم بهذا النداء الأخوي من قلوب أخوة لكم...» وطالب النداء أن تتبنى «منظمة المؤتمر الإسلامي» قضية المعتقلين. وخاصة الشيخ أحمد ياسين، وتقديم العون العاجل لأسر الشهداء والجرحى والمعتقلين.. واختتم النداء كلماته بالتنويه بدور الكويت الخير والعطاء قائلاً: «إننا ونحن نتابع مواقفكم الشجاعة من قضيتنا، ليحدونا أمل كبير بالاستجابة العاجلة لمطالبنا هذه»^(٤).

(١) المرجع السابق، ج ٢ ص ١٤٢-١٤٦.

(٢) المرجع السابق، ج ٣، ص ١٤٦، رسالة بتاريخ ١٩ / ٥ / ١٩٩٠م.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٤) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٥٦.

وهكذا بدأت «حماس» سياستها في التعامل مع الحكومات العربية على اعتبار أنها لا تهدد أى نظام، ولن تكون طرفاً فى محور ضد محور آخر، وأنها ستتركز جهودها كلها ضد العدو الصهيونى داخل فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨م أو التى احتلت سنة ١٩٦٧م، وأن وجودها فى الدول العربية أو غيرها لن يتعدى الوجود السياسى والإعلامى المساند للعمل فى الأرض المحتلة، وكان من الطبيعى أن تركز الحركة على الكويت ودول الخليج الأخرى، وذلك لتواجد أكثر قيادات الخارج فيها من جهة، ولحصولها على تبرعات شعبية جيدة فى هذه الدول من جهة أخرى.

الموقف من الدول الكبرى:

لم تميز حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى موقفها من الدول الكبرى الثلاث: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا، فالدول الثلاث تصطف فى معسكر الأعداء، فهى التى ساعدت الكيان الصهيونى من إنشائه إلى دعمه وتقويته بالعتاد والمال والرجال، ويختلف هذا الموقف عن نظرة (م. ت. ف) والفصائل الوطنية واليسارية التى اعتبرت الاتحاد السوفيتى دائماً صديقاً للشعب الفلسطينى وحليفاً استراتيجياً لقواه المناضلة، وكما جاء فى المادة الثانية والعشرين من الميثاق فإن «القوى الاستعمارية فى الغرب الرأسمالى والشرق الشيوعى، تدعم العدو بكل ما أوتيت من قوة، مادياً وبشرىاً، وهى تتبادل الأدوار، ويوم يظهر الإسلام تتحد فى مواجهته قوى الكفر، فملة الكفر واحدة»^(١).

ولعل الولايات المتحدة الأمريكية تحظى بالنصيب الأكبر من موقف «حماس» العدائى، وذلك لدورها الأكبر فى مساندة إسرائيل والعمل على تركيع الأنظمة والمنظمات من أجل حل سلمى يضمن للكيان الصهيونى شرعيته وتفوقه، فقد طالبت الحركة (م. ت. ف) عدة مرات بإيقاف الحوار مع أمريكا، كما طالبت فى بيانها الثامن بالإضراب الشامل فى وجه المؤامرة الأمريكية الجديدة (مشروع شولتز)، فأمريكا حسب البيان «تمد إسرائيل بالمال والسلاح وضدنا فى كل شىء»، كما طالب البيان «بالوقوف معاً» يداً واحدة ضد السياسة الأمريكية فى المنطقة»^(٢)، أما البيان الثانى عشر فهو يتحدث عن دعم اليهود فى فلسطين «من الدول الصليبية وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا بالرعاية الاقتصادية والسياسية

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٧ (المادة ٢٢ من الميثاق).

(٢) المرجع السابق، ص ص ٣٥-٣٦.

والعسكرية، ودول الإلحاد وفي مقدمتها روسيا الحمراء التي تغذى (إسرائيل) بالمهاجرين اليهود^(١)، ويعتبر البيان رقم (٤٩) أمريكا وبريطانيا شريكين كاملين للكيان الصهيوني في كل جرائمه، وبالتالي فهما عند حركة حماس في درجة واحدة من العداء^(٢).

الموقف من الهيئات العربية والدولية:

وقد توجهت حركة «حماس» في نداءاتها أيضاً إلى الأمة العربية والأمة الإسلامية والحركة الإسلامية في العالم، كما وجهت نداءاتها إلى المنظمات الإنسانية والهيئات الدولية.

الهيئات العربية والإسلامية وجموع المسلمين:

وإيماناً من الحركة بأن قضية فلسطين هي قضية كل مسلم وأن على كل مسلم أن يقوم بدوره في مواجهة اليهود، فإنها تتوجه بالتهنئة بالعيد باسم المسجد الأقصى الأسير إلى جميع المسلمين في العالم الإسلامي كما جاء في البيان السابع عشر^(٣)، كما تحث المسلمين والعرب جميعاً على مساندة الانتفاضة حيث تتوجه بالتحية «لكل صوت يعين على استمرار الانتفاضة في الداخل والخارج»^(٤). كما أنها في بيان رقم (٣٠) تطالب أنصار الإسلام في أرجاء البلاد وفي الخارج ليكونوا ألسنة «حماس» الإعلامية تكفيراً عن التعتيم الإعلامي محلياً وعالمياً، وفي مناسبة الإسراء والمعراج يطالب البيان رقم (٣٧) بإلقاء الخطب والندوات في العالم كله عن أرض الإسراء والمعراج وإفساد اليهود فيها.

وتبدأ بيانات الحركة ابتداء من البيان رقم (٣٩) الصادر بتاريخ ٥ / ٤ / ١٩٨٩م بتحديد مطالبها على الصعيد الخارجي، مثلما تحدد مطالبها على الصعيد الداخلي، وهي في البيان نفسه تدعو الحركة الإسلامية العالمية إلى تكثيف جهودها الإعلامية عن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في الخارج لكسر حاجز التعتيم الإعلامي، وعلى سبيل المثال فإن الحركة تطالب المسلمين في الخارج أيضاً بصوم يوم الاثنين ٣ / ٧ / ١٩٨٩م وتنظيم الإفطارات الجماعية وشرح القضية الفلسطينية^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٥.

(٣) (وثائق حركة المقاومة)، ج ١، ص ٦٤.

(٤) المرجع السابق، ج ١، ص ٧٦، البيان رقم (٢١).

(٥) المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٠، بيان (٤٣).

كما قامت الحركة بإرسال تهنئة للشيخ عباس مدني بمناسبة فوز «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» في الانتخابات البلدية الجزائرية بتاريخ ١٨ / ٦ / ١٩٩٠ م^(١)، كما أرسلت برسالة تعزية إلى رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية بضحايا الزلزال، ودعت المسلمين في جميع أنحاء العالم لأداء صلاة الغائب على أرواح الشعب الإيراني وذلك في يوم الجمعة ٢٩ / ٦ / ١٩٩٠ م^(٢)، كما طالبت المسلمين بترتيبات عملية لنصرة قضية فلسطين، ففي البيان رقم (٥٠) ومع بداية العام الثالث للانتفاضة دعت، «حماس» الاتجاهات الإسلامية في كل بلد عربي أو إسلامي، وكل تجمع إسلامي في الخارج إلى تشكيل جهاز خاص لدعم الانتفاضة والوقوف مع أهلها^(٣).

الهيئات والمنظمات الدولية:

أما بالنسبة للمنظمات الإنسانية والهيئات الدولية فإن حركة «حماس» - على عكس القيادة الوطنية الموحدة - ظلت حوالي عشرين شهراً لا توجه أية كلمة إلى هذه المنظمات، وربما كان ذلك بسبب قناعات الحركة في الداخل بعدم جدوى هذه الهيئات الغربية. وقد ظهر ذلك لأول مرة في البيان رقم (٤٤) حيث ناشدت الحركة العالم أجمع ومنظماته الإنسانية وهيئاته الدولية، أن تتخذ خطوات عملية لرفع المعاناة عن الشعب الفلسطيني، وقد تكررت هذه المناشدة في بيان رقم (٤٦) وبيان رقم (٤٨) وبيان رقم (٥١) حيث طالبتها أيضاً للتدخل من أجل المعتقلين، ويبدو أن هذا التوجه الجديد جاء بناء على اقتراحات من قيادات الحركة في الخارج، والتي كان يعيش جزء مهم منها في دول الغرب، وبالتالي فهم يدركون لغته وطرق تفكيره •

(١) المرجع السابق، ج٣، ص ١٦٠.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص ١٦٣-١٦٤.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص ١٦.

الفصل الرابع الهيكل التنظيمي

المبحث الأول تطور الهياكل التنظيمية

تطور الهيكل التنظيمي داخل الأرض المحتلة:

ورثت حركة «حماس» الهياكل التنظيمية للإخوان المسلمين والتي تتميز بالسرية والتماسك والتنظيم الهرمي، كما أضافت ومنذ البداية بعض الأطر الجديدة التي تتناسب مع المرحلة الجديدة، فأنشأت جهازاً خاصاً بفعاليات الانتفاضة، ثم أعادت ترتيب العمل الإعلامي على مستوى يشمل الضفة الغربية وقطاع غزة^(١).

كان على الحركة أن تستجيب وبسرعة للمتغيرات السريعة والمتلاحقة، فأحداث الانتفاضة تتسارع وتتسع، والمناصرون يتزايدون ولا بد من استيعابهم، وحملات الاعتقالات الضخمة تفصل بين كل واحدة وأخرى عدة شهور، بالإضافة إلى الاعتقالات المستمرة لبعض العناصر أو القيادات أو المؤيدين، في محاولات جادة من أجهزة الأمن لهدم كل ما تبنيه الحركة من هياكل وأطر.

كانت الحركة مضطرة إلى أن توائم بين نشاطاتها وأهدافها من جهة، وبين الأسلوب التنظيمي الذي يخدم هذه الأنشطة والأهداف من جهة أخرى، مستفيدة من أخطاء التجربة والظروف الصعبة التي تعمل فيها، ومن هنا فقد تم تعديل الهيكل التنظيمي أكثر من مرة، وفي كل تعديل تجرى التحسينات هنا وهناك.

وعموماً فإننا نستطيع تقسيم تطور الهيكل التنظيمي للحركة إلى أربع مراحل أساسية مستندين في ذلك إلى ما كشفته ملفات التحقيق الصهيونية مع بعض المعتقلين، بالإضافة إلى إيضاحات بعض المسؤولين عبر المقابلات الشخصية.

(١) المعلومات مستمدة من مجموع اللقاءات مع قيادات الحركة من المبعدين في «مرج الزهور» بجنوب لبنان في العشرة أيام الأولى من شهر يونيو (حزيران)، ١٩٩٣ م.

المرحلة الأولى - هياكل الإخوان المسلمين:

قلنا إن حركة «حماس» ورثت هياكل الإخوان المسلمين، وتتصف تنظيمات الإخوان المسلمين عادة بالسرية الشديدة في كل الساحات وفي جميع الأحوال مهما تدرجت أحوال الرخاء أو الشدة، فالتنظيم وأعماله وأخباره مغلقة تماماً على من هم خارج التنظيم، أما أعضاء التنظيم فلا يعرفون ولا يتحدثون إلا في الدائرة التي يعملون فيها، فالأخ المسلم يمكن أن يعرف فلاناً من الإخوان المسلمين بسبب مشاركته في الأنشطة الاجتماعية والدعوية أو المهرجانات أو غير ذلك، لكنه لا يعرف موقعه التنظيمي أو طبيعة عمله، فقط القيادة العليا هي التي تعرف مواقع الجميع وطبيعة أعمالهم، حيث اتخذ الإخوان لهيكلهم شكل التنظيم الهرمي.

وحيثما اندلعت الانتفاضة وتأسست حركة «حماس»، فإن الهيئة القيادية للتنظيم في قطاع غزة «مكتب غزة» والمكونة من سبعة قادة، بعدد المناطق التي كان يقسم إليها القطاع، أصبحوا هم القادة السبعة المؤسسين للحركة وظلت الأطر التنظيمية السابقة التي للإخوان المسلمين كما هي، من هيئات للمناطق ومجالس شورى ومسئولى قطاعات، وأصبحت الهيئات الإدارية في كل مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية هي القيادات لحركة حماس، وظلت أعمال الإخوان الدعوية والتربوية تسير جنباً إلى جنب مع الأعمال السياسية والإعلامية دون فصل بين الإخوان و«حماس»^(١).

تم استخدام جهاز خاص بفعاليات الانتفاضة منذ أيامها الأولى سمي في غزة بجهاز «الأحداث» وفي الضفة الغربية جهاز «الطوارئ»، وكان هذا الجهاز يقوم بتوزيع المنشورات وتنظيم المظاهرات والإضرابات وكتابة الشعارات وإغلاق الطرق ومنع العمال من التوجه إلى المصانع اليهودية، وكان أوائل المصابين والشهداء في الحركة من عناصر هذا الجهاز، كما كانوا أول المعتقلين على خلفية أعمال شعبية يشارك الشعب كله فيها، وبالتالي ينكرون صلتهم بأي تنظيم، ويؤكدون للمحقق أنهم يفعلون ذلك بمبادرة شخصية.

وكان من أبرز إضافات هذه المرحلة إنشاء المكتب الإعلامي الذي يمثل جميع مناطق الأرض المحتلة، «فقد تأسس المكتب الإعلامي في نيسان «أبريل» ١٩٨٨م في الضفة الغربية عندما اتصل الشيخ جميل الحمامي المنسق بين الضفة وغزة، بمحمود محمد مصلح في رام الله وكلفه بمسئولية المكتب، وطلب منه إصدار نشرة «حماس»^(٢) وذلك كان بطلب من الشيخ

(١) قيادات نابلس، مقابلة شخصية، مخيم مرج الزهور، ٤/٦/١٩٩٣م.

(٢) محمود محمد مصلح، محاضر التحقيق مع بعض معتقلي حماس، سجن «جنين»، ٣١/١٢/١٩٩٠م.

أحمد ياسين الذى وجد فى الضفة الغربية ظروفاً أفضل للعمل الإعلامى لسهولة اتصالها بالخارج وبالقدس ووكالات الأنباء من جهة، ولتخفيف العبء عن قطاع غزة المحاصر، والذى تدهمه الاعتقالات يوماً بعد يوم، «فقد كانت بيانات الانتفاضة فى البداية تكتب فى غزة وترسل إلى جميع الجهات ثم فى فترة لاحقة بدأ يتم التشاور فى مادتها بين القطاع والضفة»^(١)، ثم بعد ذلك أصبحت البيانات تكتب فى الضفة الغربية حيث يقوم المكتب الإعلامى بصياغتها بناء على ما يصله من توجيهات من قطاع غزة أو من نشيطى «حماس» فى الولايات المتحدة»^(٢). وقد تأسس المكتب الإعلامى منذ البداية على أسس مناسبة للظروف الأمنية، فتكون من أربعة أعضاء يمثلون المناطق الرئيسية فى الأرض المحتلة: من نابلس ورام الله والخليل وغزة ومن بينهم المسئول الأول.

المرحلة الثانية - تعديل الهياكل:

بعد حملة الاعتقالات الأولى والثانية وضرب هيكلة التنظيم، واعتقالات القادة فى الضربة الأولى، ثم اعتقال الشيخ أحمد ياسين فى الضربة الثانية - مايو ١٩٨٩ م - كان لابد من إعادة النظر فى الهيكل التنظيمى ليصبح أكثر متانة «فقد أبعاد هيكل التنظيم معظم الشخصيات العامة المعروفة، واتخذ التنظيم عدة ترتيبات للمحافظة على سرية، وبدأ استخدام النقاط الميتة فى الاتصالات، وفى قطاع غزة قسم القطاع إلى أربع مناطق تنظيمية بدلاً من سبعة وأصبحت كما يلى:

- ١- مدينة غزة بجميع أحيائها ومعها مخيم الشاطئ للاجئين.
 - ٢- المنطقة الشمالية وتضم القرى والمخيمات الواقعة شمالى مدينة غزة، وهى جباليا وبيت حانون وبيت لاهيا.
 - ٣- المنطقة الوسطى، وتضم دير البلح والزوايدة ومخيمات النصيرات والبريج والمغزى.
 - ٤- المنطقة الجنوبية، وتضم مدينتى خان يونس ورفح ومخيماتها وقرى خان يونس الشرقية.
- وأصبحت قيادة الحركة فى قطاع غزة تتكون من خمسة أعضاء، المسئول الأول والمسئولين عن المناطق الأربعة، ويرتبط بهذه القيادة ثلاثة أجهزة رئيسية هى:

- جهاز الأمن.

- الجهاز العسكرى.

(١) د. عبدالعزيز الرنتيسى، مرجع سابق.

(٢) محمود محمد مصلح، مرجع سابق.

بالإضافة إلى لجان أخرى تتبع القيادة مباشرة وهى: «لجنة الدعوة، لجنة التعليم، واللجنة الاجتماعية، واللجنة المسئولة عن أسر المعتقلين»^(١).

أما الضفة الغربية فقد قسمت إلى ثلاث مناطق رئيسية كما يلى:

١- مكتب الشمال: ويضم مناطق نابلس وجنين وطولكرم وقراها ومخيماتها.

٢- مكتب الوسط: ويضم مناطق القدس وبيت لحم ورام الله وقراها ومخيماتها.

٣- مكتب الجنوب: ويضم منطقة الخليل وقراها ومخيماتها^(٢).

أصبح منذ بداية عام ١٩٨٩م هناك هيئة قيادية واحدة لجميع الضفة الغربية تكونت من ثلاثة أفراد يمثلون المكاتب الثلاثة ومن بينهم المسئول الأول.

المرحلة الثالثة - مرحلة فصل الأجهزة:

استفادت الحركة من نتائج الضربات السابقة، وكان من أهم الدروس المستفادة أن تداخل الأجهزة كان من أهم أسباب اتساع رقعة الاعتقالات، فكان الكثير من الأعضاء، وخاصة المسئولين منهم، فى عدة لجان أو أجهزة أو مسئولين لبعض المناطق، فكان مثل هؤلاء عرضة للاعتقال من عدة طرق، إذا تم اعتقال العاملين معهم فى لجنة أو جهاز أو إدارة، كما أن اعتقال مثل هذا العضو يهدد فى نفس الوقت لجاناً وأجهزة وإدارات لم يكشف عن عملها بعد، وهذا ما تم فعلاً فى حالات متعددة.

ولذلك توصلت الحركة إلى نظام يفصل فصلاً تاماً بين الأجهزة واللجان والإدارات، بحيث يصبح كل إطار تنظيمى قائماً بذاته وليس له أية صلة بالأجهزة الأخرى لا فى النشاطات ولا فى الأعضاء، وكان كل جهاز على حدة يرتبط بالقيادة المركزية فى قطاع غزة أو الضفة الغربية، وهذا جعل الخطورة كلها تتركز عند القيادة المركزية أو المسئول الأول بالتحديد، ولهذا وعندما كشف أمر المسئول الأول للحركة فى الضفة الغربية كلها - محمد كاظم - بسبب اعتقالات شملت بعض العاملين معه، استطاع أن يتخفى عن الأنظار قبل أن يتمكن من مغادرة الأرض المحتلة، محتفظاً بجميع الأسرار بعيداً عن متناول أجهزة الاحتلال الأمنية.

المرحلة الرابعة - فصل الأجهزة تماماً واتصالها بقيادات الخارج:

فى هذه المرحلة الأخيرة واستفادة من جميع الضربات التى وجهت للحركة وآخرها كان فى تلك الفترة ضربة ١٩٩٠م، توصلت الحركة إلى أسلوب جديد، يجعل الخيوط التنظيمية

(١) ملفات التحقيق، معتقلون من غزة.

(٢) ملفات التحقيق، معتقلون من الضفة.

المركزية في منأى عن الملاحقة والضرب، حيث أصبح كل جهاز من أجهزة الحركة السياسية والإعلامية والمالية وغيرها، يتصل بلجنة مشابهة موجودة خارج الأرض المحتلة، تعمل على ترتيب عمله، ويتم التنسيق الأعلى بين عمل الأجهزة في الخارج أيضاً. وبالإضافة إلى الفوائد الأمنية لهذه الطريقة فإنها جاءت أيضاً في مرحلة صعدت فيها إلى قيادة العمل في الداخل عناصر شابة، لعل بعضها تنقصه الخبرة والبعض الآخر لم يختبر، فكان الاتصال بالخارج يعرض أحياناً مثل هذا النقص، ومع ذلك فقد أثبت الكثيرون من القيادات الشابة الجديدة نجاحاً متميزاً في العمل.

وقد كشف عن هذا الترتيب في لقاء تليفزيوني أجراه التليفزيون الإسرائيلي من السجن مع أحد المعتقلين من القيادات الشابة في قطاع غزة في برنامج «حماس ٩١»، حيث قال: «إنه بعد الضربة الأخيرة وتفكك الخيوط التنظيمية، وصل إلى الأرض المحتلة أحد نشطاء حركة «حماس» في الخارج وقام بتوصيل الخيوط التي انقطعت، وعمل على إعادة هيكلة التنظيم بحيث يتصل كل جهاز في الداخل بجهاز نظير له في الخارج»^(١).

يقول الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي إنه ليس له علم بذلك، فقد سمع ذلك لأول مرة في اللقاء التليفزيوني المذكور، وربما كان ذلك صحيحاً، وربما أخذت هذه الأقوال من ذلك الشاب بالقوة، وربما لا أساس لها من الصحة، ويظل المصدر تليفزيون العدو الذي لا بد أنه يرمى إلى أهداف معينة من مثل هذا اللقاء^(٢). والواقع أن تلك المقابلة التليفزيونية حددت الأردن كمكان لهذه القيادات، ذكرت أسماء وهياكل، ولعل السلطات الصهيونية فعلت هذا من قبيل الضغط على الحكومة الأردنية.

عموماً استفادت الحركة كثيراً من تجاربها في السنوات الثلاث الأولى للانتفاضة في ابتداع أشكال تنظيمية، قللت من حجم الاعتقالات والخسائر، ولعل الحركة لم تتلق بعد عام ١٩٩٠م ضربات موجهة كثيرة، لأن معظم الاعتقالات بعد ذلك - وإن كثرت أعداد المعتقلين - جاءت في الأغلب استناداً على كشوف مسبقة بأسماء نشيطي «حماس» بناء على الاعتقالات السابقة والاعترافات القديمة، ولم تكن في أكثرها بناء على معلومات جديدة.

(١) عماد الفالوجي، التليفزيون الإسرائيلي، «برنامج» حماس ١٩٩١م، (الشريط موجود في أرشيف الحركة).

(٢) الرنتيسي، مرجع سابق.

العمل العسكري: من المجاهدين إلى كتائب القسام:

تأسس الجهاز العسكري لحركة «حماس» قبل تأسيس الحركة نفسها بخمسة سنوات، حيث أسس الشيخ أحمد ياسين هذا الجهاز عام ١٩٨٢م تحت اسم «المجاهدون الفلسطينيون».

(أ) المجاهدون الفلسطينيون:

اعتمد العمل العسكري منذ بدايته على السرية التامة، فبعد أن خرج الشيخ أحمد ياسين من السجن عام ١٩٨٥م، في عملية تبادل للأسرى، عمل على إعادة تكوين الجهاز العسكري وأوكل مهمة قيادته للأخ صلاح شحادة من قيادات الجيل الثاني في الإخوان المسلمين، ومن مواليد ١٩٥١م وهو واحد من أقرب المقربين للشيخ، اعتقل مع الشيخ عام ١٩٨٤م وأبدي صلابه منقطعة النظير، وهو مسئول المنطقة الشمالية في قطاع غزة ويمتاز بالدمائة والقوة والصلابة والسرية.

بدأ صلاح شحادة مع بداية ١٩٨٦م في تشكيل المجموعات العسكرية وبإشراف مباشر من الشيخ أحمد ياسين دون علم باقي القيادات بذلك العمل، واعتمد الجهاز من بداية عمله نظام النقاط الميثة في الاتصالات واستخدام الأرقام لأعضائه بدلاً من الأسماء الحقيقية أو الأسماء المستعارة، وقد كان مفصلاً تماماً عن الجسم التنظيمي وبقية الأجهزة. «كون الجهاز بعد بداية الانتفاضة، أربع مجموعات عسكرية، اثنان منها في الشمال واثنان في الجنوب وواحدة في خان يونس والأخرى في رفح»^(١).

وكانت تنتقى لهذه المجموعات العناصر المناسبة من حيث الخبرة والصلابة والسرية التامة، والتمويه حتى على الإخوان، لدرجة أن الإخوان في بعض المناطق تحفظوا في علاقاتهم مع بعض أعضاء هذه المجموعات العسكرية ظناً منهم أنهم تركوا الحركة، ولعل من أبرز درجات التمويه التي استخدمت هو ما فعله «محمد نصار» حيث تخصص في سرقة السيارات الإسرائيلية داخل فلسطين المحتلة، واعتقل عدة مرات على قضايا مدنية، مما أبعد عنه الشكوك من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية خاصة وأنه واحد من المحررين في تبادل الأسرى عام ١٩٨٥م^(٢).

وفي اعتقالات ١٩٨٨م، اعتقل صلاح شحادة قائد الجهاز العسكري «المجاهدون

(١) (ف. خ)، أحد أعضاء الجهاز، مقابلة شخصية، «مرج الزهور»، ٦/٦/١٩٩٣م.

(٢) محمد نصار، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

الفلسطينيون» على قضايا غير عسكرية مع باقى القيادات المؤسسة لحركة (حماس)، وفى اعتقالات مايو ١٩٨٩م، اعتقل الشيخ أحمد ياسين، والشيخ نزار عوض الله القائد الثانى للجهاز العسكرى، كما اعتقل محمد يوسف الشرايحة مسئول واحدة من المجموعتين العسكريتين فى منطقة الشمال، تلك المجموعة التى اختطفت الجنديين الإسرائيليين، واعتقل بعض أعضاء الجهاز العسكرى الذى انكشف فى تحقيقات ١٩٨٩م، واستطاعت مجموعة نصار - المبحوح - أبو خوصة مغادرة الأراضى المحتلة بعد فترة ثلاثة أشهر من الاختفاء عن العيون.

جاء منتصف عام ١٩٨٩م، والجهاز العسكرى لحماس «المجاهدون»، يكاد يكون مشلولاً، ولم تبق منه إلا مجموعة خان يونس ومجموعة رفح، التى لم تصلها الاعتقالات، وبقيت تراقب الأوضاع تنتظر ما تسفر عنه الأحداث وما قد يجيئها من تعليمات.

(ب) كتائب عز الدين القسام:

فى بداية عام ١٩٩٠م، قررت الحركة إنشاء الجهاز العسكرى من جديد وتفعيل دوره، كما قررت إنشاءه على أسس جديدة مستفيدة من تجارب الماضى، كما قررت أيضاً تغيير اسم الجهاز لأسباب أمنية وأخرى سياسية وفكرية.

اعتمد الجهاز الجديد فى البداية على مجموعتى خان يونس ورفح، اللتين استطاعتا الاحتفاظ بسرية العمل طيلة الشهور الماضية، وكان من أبرز رجال هاتين المجموعتين «ياسر النمروطى» من مخيم خان يونس للاجئين، الذى قاد الجهاز الجديد بكفاءة وحنكة إلى أن استشهد فى معركة كبيرة مع عدد كبير من جنود الاحتلال.

استطاع النمروطى أن ينتقى عناصر جديدة من منطقتى خان يونس ورفح، كما امتد الجهاز الجديد إلى منطقة المخيمات الوسطى التى لم يسبق لها أن شاركت فى الجهاز العسكرى السابق، ليضم إلى الجهاز عدداً مناسباً من الشباب المجاهد مثل الشهيد طارق عبدالفتاح دخان، وياسر حماد الحسنات، أبناء أبرز قيادات الإخوان فى المنطقة الوسطى، كما نظمت مجموعات عسكرية فى منطقة غزة والمنطقة الشمالية كان منها الشهيد عماد عقل^(١).

أطلقت الحركة على الجهاز الجديد الذى تكون فى الشهور الأولى من عام ١٩٩٠م اسم «كتائب عز الدين القسام»، وكانت الحركة وخاصة فى بداية تأسيس الجهاز، تريد أن تسبب إرباكاً للأجهزة الأمنية الصهيونية، فالشيخ عز الدين القسام، تلك الشخصية العظيمة فى

(١) (ف.خ)، مرجع سابق،

تاريخ الكفاح الفلسطيني، تجتمع عليه كل الفصائل الفلسطينية، إسلامية وغير إسلامية، ولا يمكن للمخابرات الإسرائيلية أن تتوقع أن الكتائب هذه تتبع أى تنظيم فلسطيني، وكان أبرز من تبنى الشيخ القسام هي حركة «الجهاد الإسلامى فى فلسطين»، جاعلة منه الرمز لامتزاج الإسلام بالوطنية، وأطلقت اسم القسام على المسجد الذى يخطب فيه مرشد الحركة الروحي - الشيخ عبدالعزيز عودة.

كما أن حركة حماس أرادت أن تقول إنها الوريث الشرعى لجهاد شعب فلسطين، وخاصة لجهاد القسام وإخوانه، وأنها الضمانة لاستمرار هذا الجهاد، وكما أن كتائب القسام برزت فى الفترة التى بدأت تضعف فيها حركة الجهاد الإسلامى لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

بدأت كتائب القسام - دون أن تعلن عن نفسها - بملاحقة العملاء والجواسيس، على اعتبار أن تنظيف الساحة منهم هو أهم ضمانة لاستمرار العمل ضد اليهود والحفاظ على سريته، وازداد عدد العملاء القتلى، دون أن تعلن الكتائب عن اسمها ومسئوليتها. فقد كانت أول مرة تعلن الكتائب عن اسمها ومسئوليتها فى بداية ١٩٩١م عندما ذهبت مجموعة لتصفية أحد أكبر العملاء، فى اعتقالها، فى منطقة جباليا، وكان مسلحاً ومحصناً، فأطلق النار على المجموعة حيث أصاب «غسان أبو ندى» إصابات بليغة، استشهد على إثرها فى المستشفى الأهلى العربى، فقد ظهرت شعارات كتائب القسام على الجدران تحيى شهيدها أبو ندى^(١).

ثم بدأت كتائب «عزالدين القسام» عملها فى مهاجمة الجنود والمستوطنين، وقد اتخذت أساليب عدة فى المحافظة على سرية العمل، أهمها عدم السماح باعتقال أعضائها، فقد تبين من تجربة سنتين من الانتفاضة، أن الحديث عن صلابة وإصرار وعناد المعتقل، وعدم اعترافه بأى معلومات، هو حديث مثالى، كذبه الواقع، فالعدد القليل جداً هو القادر على ذلك، أما أكثر الناس، فلا يستطيعون مقاومة التعذيب الجسدى العنيف، والتهديدات النفسية، وغير ذلك.

لذلك كانت عناصر «كتائب القسام» إذا اشتبكت مع جنود الاحتلال، إما أن تضرب ضربتها وتنسحب بسلام، أو تقاوم حتى الموت إذا أحكم الحصار حولها فلا تستلم أبداً، وفى حالة انكشاف أحد العناصر أو أكثر لسبب أو لآخر، فإنهم يصبحون مطاردين ينامون فى أماكن سرية، ويعيشون حياة صعبة للغاية، ويمارسون الأعمال العسكرية من حين لآخر، وقد

(١) المرجع السابق.

يفادر البعض الأراضي المحتلة، مما قلل حجم المعلومات التي تمتلكها سلطات الاحتلال عن «كتائب القسام»، وجعل ضرباتها للأهداف الصهيونية أكثر إيلاماً، وجعل وجودها أكثر قوة، وعناصرها تزداد ولا تنقص. ولهذا سيكون لـ «كتائب القسام»، في السنوات المقبلة دور مهم وخطير في مجمل الصراع مع الاحتلال.

الهيكل في الخارج

أعلنت قيادات الحركة في الخارج، وفي مناسبات كثيرة، أن تنظيم حركة «حماس» وقيادته وجسمه ونشاطه كله موجود في داخل الأرض المحتلة، وأن ممثلي الحركة في الخارج يقومون بالأدوار السياسية والإعلامية للتعبير عن الحركة في الداخل وتوضيح مواقفها، ونسج علاقاتها السياسية مع الأطراف الأخرى من دول أو تنظيمات وغيرها، أي أنه لا يوجد في خارج الأرض المحتلة تنظيم لحركة حماس، ولا هيكل تنظيمية تكون امتداداً للتنظيم في الداخل.

وكان من أهم ما أكدته الحركة والتزمت به، أنها لا تعمل في الساحات العربية والأجنبية، ولا تنوى ذلك، وبالتالي فهي لا تهدد الأمن والاستقرار في أي مكان، فعملها كله منصب داخل الأرض المحتلة وضد العدو الصهيوني، وأنها ستركز هجماتها العسكرية في الداخل فقط مستهدفة العسكريين والمستوطنين. وهي مستفيدة من تجربة الثورة الفلسطينية الطويلة، لا تريد أن تستعدى أطرافاً أخرى غير العدو، وخاصة أنها تمثل حركة إسلامية في مرحلة ترى معظم الحكومات العربية والغربية في الحركات الإسلامية عدواً وخطراً يهددها جميعاً.

كان «الجهاز العام لفلسطين»، قد بدأ عمله قبل الانتفاضة بسنتين، مثلاً في لجنة قيادية، وبعض اللجان الأساسية الأخرى كالإعلامية والسياسية والمالية ولجنة الأرض المحتلة وغيرها، ومع اندلاع الانتفاضة وتأسيس حركة «حماس»، ثم تنامي قوتها ودورها لتسبق الجهاز العام الذي أصبح يركض خلفها، وتصبح الحركة أكبر من الجهاز بكثير، فلم يعد من الممكن أو من المعقول أن تظل حركة حماس وفعاليتها تتبع إحدى لجان الجهاز العام - لجنة الأرض المحتلة -.

كانت الأحداث وتسارعها تفرض على قيادات الخارج إعادة النظر في هيكلها وأسلوبها، إلا أن هذا التطور لم يحدث بالصورة المناسبة ولا بالسرعة المناسبة لأسباب متعددة، منها أن القيادات في الخارج لم تواجه الخطر، ولم تتعرض للملاحقة أو الاعتقال، وكانت تبذل أقصى الجهود للمحافظة على سريتها، فلم تحدث تغييرات إجبارية في الهيكل القيادية، اللهم إلا

تعديلات طفيفة لا تكاد تذكر في استعفاء البعض أو دخول البعض الآخر إلى المواقع القيادية بصورة طبيعية.

لم تتعرض الحركة في الخارج إلا لملاحقات هامشية، شملت عدداً قليلاً لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة في إحدى دول الخليج العربي^(١)، ولم تؤثر مطلقاً على هيكلية القيادة فلم يكن يقيم في هذه الدولة الخليجية أى عضو من أعضاء الهيئة القيادية للجهاز، ولعل الخسارة الوحيدة هي ما يحتمل أن تكون الاعترافات قد كشفت عن بعض القيادات وأسمائها والتي ظلت سرية وغير معروفة، كما حدثت بعض الاعتقالات في صفوف الحركة في إحدى الدول العربية المحيطة بفلسطين، كانت أكثر عدداً وأبعد أثراً، واستهدفت جهازاً واحداً بصورة أساسية، ولعل هذه الاعتقالات وتحقيقات أخرى جرت مع البعض الآخر، أدت إلى تكشف معلومات إضافية ومهمة عن تركيب الحركة وقياداتها في الخارج، ظلت في ملفات الأجهزة المختصة ولاستعمالهما الخاص، وكانت هذه المعلومات التي تكتشف لبعض أجهزة المخابرات في المنطقة العربية دافعاً أساسياً إلى جانب دوافع سياسية أخرى إلا إعلان الحركة في الخارج عن أسماء بعض قياداتها وممثليها.

ولم يبرز من قيادات الحركة في الخارج إلا الناطق الرسمي إبراهيم غوشة ثم بعض الممثلين في بعض الدول التي سمحت بذلك، وكان أكثرهم محمد نزال ممثل الحركة في الأردن، وأخيراً أعلن عن وجود مكتب سياسى للحركة، كضرورة ملحة لتسهيل الاتصال بالآخرين وتمثيل الحركة مع الدول والمنظمات، ولم يعرف سوى اسم رئيس المكتب السياسى موسى أبو مرزوق الذى اعتقل في الولايات المتحدة عام ١٩٩٥م وعين بدلاً منه خالد مشعل، وأصبح المكتب السياسى يتكون من ستة أعضاء، أربعة منهم كانوا من الإخوان الفلسطينيين في الكويت وعماد العلمى المبعد من قطاع غزة بالإضافة إلى أبو مرزوق من الإخوان المسلمين في الولايات المتحدة والذى كان من تنظيم الطلاب في الجامعات المصرية في فترة السبعينيات. كما عرف للحركة فيما بعد ممثلين في كل من الأردن وإيران وسوريا ولبنان والسودان واليمن في النصف الأول من التسعينيات، أربعة منهم أيضاً من التنظيم الإخوانى في الكويت بالإضافة إلى ممثلى الحركة في كل من سوريا ولبنان : مصطفى القانون ومصطفى اللداوى المبعدين من قطاع غزة.

(١) لقاء مع أحد المعتقلين في هذه الدولة الخليجية، الخرطوم، ٢٠/٥/١٩٩٢م.

المبحث الثانى القيادات

القيادات فى الأرض المحتلة:

استطاعت الحركة الإسلامية فى الأرض المحتلة أن تبرز قيادات سياسية وجماهيرية لها وزن ومشهود لها بالقيادة والكفاءة، وذلك من خلال عمل متواصل فى فترة ما قبل الانتفاضة تمثل فى المؤسسات والجمعيات والانتخابات النقابية، وجاءت الانتفاضة لتكرس ذلك وتضيف أبعاداً جديدة لتلك الشخصيات القيادية، تمثلت فى تضحياتها وصمودها وصلابتها، ويمكننا تصنيف قيادات حركة «حماس» فى الداخل إلى ثلاث مستويات:

القيادات الأولى - المؤسسون:

تحملت قيادة الإخوان المسلمين فى قطاع غزة مسؤولية إنشاء حركة «حماس» وشاركهم قياديو الإخوان فى الضفة الغربية فى رعاية الحركة ووضع خططها واستراتيجيتها وتعبيد الطريق لها، ودفعت هذه القيادات ثمناً لذلك بالتعرض للاعتقال والتعذيب القاسى والإبعاد. ولما أشيع عن موت الشيخ أحمد ياسين فى السجن اضطرت السلطات الصهيونية، لإجراء لقاء تليفزيونى مع الشيخ فى سجنه لتدحض هذه الإشاعات وتستبق الغضب الجماهيرية المتوقعة، وانتهز الشيخ أحمد ياسين هذا اللقاء ليعلن أسماء مؤسسى الحركة وقادتها والذين كانوا معه فى السجون، ليربط الشعب بهم فى المستقبل، وقد برز من هؤلاء المؤسسين ومن غيرهم قيادات أولى تملك المؤهلات القيادية والقدرة على تمثيل الحركة.

القيادات الثانية:

بعد حملتى الاعتقالات الأولى والثانية سنتى ١٩٨٨م و١٩٨٩م، واعتقال قيادات الحركة، بدأ صف جديد من القيادات يتسلم المسؤولية ويدير أعمال الحركة. واستطاعت هذه القيادات الجديدة أن تدير العمل التنظيمى بصورة أفضل من سبقها نظراً للاستفادة من التجارب الماضية، ولأن الكثيرين منهم لم يكونوا شخصيات عامة ومعروفة، وبالتالي استطاعوا أن يبتعدوا عن أعين المخابرات بصورة أفضل، وقد كان المسئول فى هذه الفترة «سيد أبو مسامح» فى قطاع غزة و«محمد كاظم» فى الضفة الغربية.

القيادات الشابة :

وفى المرحلة الثالثة برزت قيادات شبابية للتنظيم، نظراً لكثرة الاعتقالات فى صفوف الحركة، ولحرص الحركة على إبعاد الشخصيات القيادية المعروفة عن الأطر التنظيمية حفاظاً على سرية التنظيم، وحفاظاً على هذه القيادات التاريخية فى نفس الوقت، وفى هذه الفترة تعمقت اتصالات الداخل بقيادات الخارج، مما ساعد أحياناً فى استدراك نقص الخبرة لدى بعض هذه القيادات، عموماً كانت تجربة مفيدة وناجحة حيث ساهمت فى إبراز القدرات القيادية لدى بعض الشباب والذين يمكن أن يكون لهم دور جوهري فى المستقبل.

ومع قسوة ظروف العمل وكثافة الاعتقالات فقد ظلت القيادات التنظيمية فى حالة تغير، وتلك القيادات التى تشرف على تنفيذ أعمال الحركة، أما القيادات التاريخية للحركة فى السجون أو خارجها فقد ظل أكثرها بعيداً عن إدارة العمل وتفاصيله، ولكنها ظلت دائماً وفى مختلف الظروف هى القيادات المعبرة عن مواقف الحركة وعلاقاتها مع الأطراف الأخرى وظل الشيخ أحمد ياسين - فى سجنه - هو القائد الأول للحركة دون منازع، يعبر عنها ويحظى بولاء واحترام وطاعة الجميع، حتى أن السلطات الصهيونية اعترفت بذلك وتعاملت مع الشيخ على هذا الأساس، حيث كانت تتوجه للشيخ فى سجنه فى كل الحالات الصعبة التى تواجهها مثل اختطاف جندي إسرائيلي، طالبة من الشيخ توجيه كلمة للخاطفين، أو عندما تريد أن تتعرف على رأى الحركة وخياراتها فى بعض المسائل المطروحة مثل الانتخابات أو المفاوضات أو غير ذلك.

كما برزت للحركة قيادات أخرى بعد الشيخ أحمد ياسين، قيادات معترف بها ولها احترامها ومكانها محفوظ وذلك بفضل قدراتها وتضحياتها وتجاربها، بالإضافة إلى اعتراف جميع عناصر الحركة وقياداتها بدورها وسابقتها، وكان من أبرز القيادات التى ظهرت للحركة الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى والدكتور محمود الزهار، اللذان كانا يمثلان الحركة فى لقاءات المصالحة مع حركة فتح فى قطاع غزة فى موضوع المشاكل والصدامات بين الطرفين.

كما برز للحركة أيضاً قائد عسكري وسياسي معترف به هو الشيخ «صلاح شحادة» الموجود فى السجن منذ بداية الانتفاضة، وبرز ممثل آخر للحركة فى الضفة الغربية هو الشيخ جميل الحمamy، كما برز مفكر للحركة يعبر عنها أحسن تعبير وهو الأستاذ بسام جرار والذى لعله لم يرتبط مطلقاً بأية أطر تنظيمية، كما برز من قادة الحركة الشيخ إبراهيم أبو سالم وجمال سليم وأحمد بحر وإسماعيل هنية وجمال منصور.

القيادات خارج الأرض المحتلة:

لم تستطع تجربة الخارج - نسبياً - إبراز شخصيات قيادية تلتف الجماهير من حولها، نظراً لاختلاف الظروف، وحرص هذه القيادات على عدم الظهور العلني، ولغياب المعاناة والنضال والسجون وبالتالي غياب معيار الامتحان والتجربة.

وكان أبرز من ظهر من قيادات الحركة في الخارج، بل أول من ظهر، هو المهندس إبراهيم غوشة، المولود في مدينة القدس، والذي قام بالدور وحيداً لفترة ليست قصيرة، كناطق رسمي باسم الحركة، وهو من الجيل الأول الذي عايش تجربة الإخوان المسلمين لعشرات السنين، كما عايش تجربة «رابطة طلاب فلسطين» في القاهرة وفي نفس الفترة التي كان فيها ياسر عرفات وصلاح خلف وكمال عدوان وغيرهم، وهو من الجيل العقائدي الذي يحسب حساباً كبيراً للمبادئ والقيم والتشدد في الإخلاص للفكرة التي يحملها.

كما برز من الأسماء المعلنة محمد نزال ممثل الحركة في الأردن، والذي استطاع في فترة زمنية وجيزة أن يصبح معبراً عن مواقف الحركة بصورة جيدة، نظراً لامتعه بخلفية سياسية جيدة، ثم برز فيما بعد د. موسى أبو مرزوق والذي أعلن كرئيس للمكتب السياسي للحركة، وهو من جيل التنظيم الطلابي في القاهرة في السبعينيات، ثم عمل في الإمارات العربية ثم في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يمتلك تجربة في القيادة التنظيمية في الساحات الثلاث.

وبرز عماد العلمي كممثل للحركة في طهران، وهو من الجيل الذي تربى على يد الشيخ أحمد ياسين في غزة، وشارك في فعاليات الانتفاضة وعاش تجربة الاعتقال داخل الأرض المحتلة، وقد أبعده السلطات المحتلة إلى خارج الأرض المحتلة.

كما برز فيما بعد اسم خالد مشعل كعضو المكتب السياسي ثم نائب الرئيس إلى أن تسلم رئاسة المكتب السياسي بعد اعتقال موسى أبو مرزوق، ومشعل الذي تعرض لمحاولة اغتيال في وسط مدينة عمان في صيف ١٩٩٧م، كانت هي المحاولة الأولى التي استهدفت فيها الأجهزة الإسرائيلية أحد قيادات حماس في الخارج - وهو رئيس التنظيم الطلابي في الكويت وأكثر أعضاء الجهاز العام لفلسطين نفوذاً ونشاطاً.

عموماً، لم تستطع القيادات في الخارج أن تتبوأ مكانة جماهيرية وحضوراً سياسياً إذا قورنت بالقيادات داخل الأرض المحتلة، اللهم سوى ذلك الحضور الإعلامي الذي مثله كل من إبراهيم غوشة ومحمد نزال.

المبحث الثالث الاعتقالات وأثرها على الهيكل التنظيمي

على الرغم من قسوة الضربات وكثرتها، التي تلقىتها حركة «حماس» من أجهزة الاحتلال الأمنية، وما سببه ذلك من انعكاسات سلبية وقتية على مسار العمل، حيث كانت حملات الاعتقال تحصد المئات من عناصر الحركة وقياداتها، وتتعدى الألف معتقل في مرات أخرى، مما يربك الهيكل التنظيمي للحركة، إلا أن الفوائد والدروس المستفادة من هذه التجارب كانت أكثر بكثير من الخسائر وأبعد أثراً، وأعمق نتيجة، لما يضيفه ذلك كله من تجربة تنفع الحركة وتهيئها لمسيرة طويلة، ويمكننا أن نقول - بناء على الوقائع - أنه حتى هذه الانعكاسات السلبية الوقتية، لم توقف العمل، ولم تضعفه، وظل حضور حركة «حماس» في ساحة الانتفاضة حضوراً قوياً متزايداً مع الأيام.

وكانت أهم العوامل التي ساهمت في قوة الحركة، وتجاوزها للضربات القاسية، أن الشعب الفلسطيني كعادته دائماً إذا لمس الصدق والإخلاص في العمل لمواجهة العدو الفاصب، فإنه يرفد الحركة المقاتلة بأفضل الشباب، فإذا ما ضرب العشرات من عناصر الحركة، تقدم لنصرتها المئات، وإذا ضرب المئات، تقدم لنصرتها الألوف، فلم تعد الحركة، حركة دينية مصطفاة، وإنما أصبحت حركة الشعب ترفع شعاراته في التحرير والعودة. ونستطيع أن نورد هنا أهم الدروس والفوائد التي اكتسبتها الحركة من هذه الاعتقالات:

(أ) المحن والابتلاء والمعاناة أمر لا بد منه لأية حركة مجاهدة:

إن المحن والسجون والتعذيب تكشف كلها عن معادن الرجال، فيصمد الصادقون والأقوياء وتزداد صلابتهم، ويتخلصون من أسباب الخوف، كما تزداد أهلية وصلابة البعض الآخر بينما يسقط الضعفاء وغير المؤهلين لهذه الأدوار، وفي المحن لا يتقدم للحركة إلا المؤمنون بمبادئها والمستعدون للتضحية، فلا يتقدم لصفوفها ذو المصالح ومحبو السلطة والجاه... والحركة التي تعيش في أمان وفي منأى عن احتمالات السجون والتعذيب والقتل، لا تستطيع أن تتخلص بالكامل من ذوى النفوس الضعيفة والانتهازيين ومحبي السلطة أو المال، مهما كانت دقة برامجها التربوية.

(ب) المحن والابتلاء تساعد في اتساع جماهيرية الحركة وشعبيتها:

فالمحن والابتلاءات دليل واضح لمصادقية الحركة وقياداتها وعناصرها وهي تدحض كل الافتراءات والشبهات التي يشير بها أعداء الحركة أو خصومها، ولعل ما حدث مع الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي في المعتقل يظهر هذه الحقيقة عندما اعترف له بعض عناصر منظمة يسارية أنهم حاولوا اغتياله في السابق، وعبروا عن ندمهم الشديد واستحالة التشكيك في وطنيته ووطنية حركته^(١).

(ج) السجن دورة تدريبية في مدرسة سيدنا «يوسف»:

أطلق معتقلو حركة «حماس» على السجن «مدرسة يوسف» عليه السلام، لما مثله السجن لقياداتها وعناصرها من استراحة المحارب وإعادة تأهيله، فقد كان شباب الحركة ومناصروها يدخلون السجن شباباً عاديين، ويخرجون منه بعد شهور أو أكثر كوادرن تنظيمية متقدمة، يحسنون فنون الاستقطاب، ويجيدون التعبير عن فكرتهم للآخرين، ويجادلون بالتي هي أحسن، تعلموا من تجاربهم وتجارب من حولهم أساليب العدو عامة، واستخلصوا من تجاربهم وتجارب غيرهم أفضل الأساليب في الاتصالات وسرية العمل، وعقدوا العزم في نفوسهم على مواصلة الطريق بصورة أفضل، وأضاف الشباب إلى حصيلتهم حفظ الكثير من سور القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة والأصول الفقهية وخاصة في الجهاد، وكثيرون منهم أكملوا حفظ القرآن الكريم داخل السجن، كما تعرفوا على تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ حركتهم ومبادئها وأفكارها، ولقد كان السجن فرصة للقاء خبرات وقيادات لم يكن اللقاء معها ممكناً في مكان آخر.

أما بالنسبة للقيادات فكان السجن فرصة لاسترجاع التجربة والتعرف على سلبياتها وإيجابياتها، والتفكير في وسائل وطرق جديدة للعمل بها بعد الخروج من السجن، أو لعمل بها بعض من يخرج قبلهم من الأعضاء، كما كان السجن فرصة أفضل للاحتكاك بأفراد وقيادات التنظيمات الأخرى والتعرف على أفكارها ومنطلقاتها والبحث عن جسور يمكن أن تصل الحركة بغيرها من التنظيمات، وقد أصدرت قيادات الحركة في السجن دراسات متعددة في مختلف الموضوعات الفكرية والسياسية والتنظيمية والأمنية شكلت منهجاً متكاملماً للأعضاء داخل السجن كما استطاعوا تهريبها خارج السجن لتتم الاستفادة منها، وقد حصل الباحث على كثير منها.

(١) د. عبدالعزيز الرنتيسي، مرجع سابق.

(د) كانت الاعتقالات حافزاً لتطوير الهياكل التنظيمية:

فقد كان أعضاء الحركة المعتقلون أو الذين سلموا من الاعتقال، يضعون أيديهم في كل مرة على أسباب الاعتقال، ونقاط الضعف في الهيكل التنظيمي التي أدت إلى كشف البعض، أو أدت إلى كشف أعداد أكثر من اللازم، وكانوا يقومون في كل مرة بمحاولة سد الثغرات وتغيير الهياكل.

فالاعتقالات كانت سبباً في تقليص القيادة من سباعية إلى خماسية إلى رباعية إلى ثلاثية، وكانت سبباً في تطوير الاتصالات التنظيمية من اتصالات عادية إلى اتصالات بالأسماء المستعارة، ثم اتصالات عبر النقاط المينة، كما كانت أيضاً سبباً في تغيير أسلوب العضوية في اللجان والأجهزة العاملة، حيث منع نهائياً أن يعمل العنصر أو المسئول في أكثر من لجنة أو هيئة أو جهاز كما كان في البداية.

(هـ) دروس المعتقل:

اكتشفت الحركة وخاصة بعد الضربة الثالثة عام ١٩٩٠م أنها لم تستفد كما يجب من الاعتقالات السابقة، فقليل من الذين اعتقلوا سابقاً كتبوا تجربتهم، وقليل مما كتب وجد طريقه للتوزيع على الآخرين، فبدأت الحركة محاولتها الجادة لتسطير تجربة الاعتقال والتحقيق والتعذيب، ووسائل المحققين وطريقة التخلص من حيلهم وألاعيبهم، وتوزيع ذلك على العاملين معها، حتى يكونوا على بينة بما قد يحدث معهم.

كما اكتشفت الحركة أن تربية الأعضاء على مبدأ عدم الاعتراف بأي شيء مهما كان الثمن لا يكون مفيداً في جميع الأحوال، وعلى العاملين أن يتفوقوا مسبقاً على أشياء بسيطة ومحددة ليغلقوا الدائرة أمام المحقق، بحيث لا تضر الهيكل التنظيمي وتحافظ على سرية الأعمال الأخرى.

كما وجدت الحركة أنها في حاجة ماسة «لأسلمة» التجارب الأخرى، للاستفادة من تجارب التنظيمات الأخرى في المعتقل، والتي عايشت هذه التجربة منذ بداية الاحتلال ولأكثر من عشرين عاماً^(١).

(١) المعلومات مأخوذة من بعض مخطوطات السجون، (أرشيف الحركة).

المبحث الرابع التمويل

أهمية التمويل

أدركت حركة «حماس» ومنذ وقت مبكر، أهمية التمويل وحساسيته في وقت واحد، ونظرت إلى تجربة (م. ت. ف) والفصائل الفلسطينية كلها نظرة جادة، حتى تستفيد منها، وتتجاوز السلبيات قبل وقوعها، وكان الأمر ملحاً في نقطتين أساسيتين:

الأولى: إن توفر الأموال أمر ضروري جداً، لقيام الحركة بدورها وواجباتها، وأن هذا الدور وهذه الواجبات تتزايد يوماً بعد يوم، وبالتالي تتزايد المصروفات معها، كما أن الحركة يصعب عليها التراجع عن أى مستوى من الالتزامات المالية تصل إليه، وخاصة أنها تقوم غالباً بالتمويل في الحد الأدنى.

الثانية: أن مصادر التمويل أمر في غاية الأهمية، ولا بد أن تكون هذه المصادر مأمونة حتى لا تؤثر في قرار الحركة السياسى، كما حدث لغيرها، ومع الأخذ في الاعتبار أنه لا يوجد أى نظام حكم عربى أو غير عربى مستعد لتمويل الحركة بصورة مبدئية لخالفاتها للأنظمة السائدة، فإنه يمكن الافتراض أن نظاماً ما يمكن أن يعمل على تمويل جزئى للحركة فى مرحلة ما من أجل أن يسلبها قرارها المستقل.

قلة مصروفات الحركة نسبة إلى غيرها،

وعلى الرغم من الإشاعات الكثيرة والمتكررة عن كثرة أموال الحركة، بقصد الغمز في مصادرها، والظعن في استقلالية قرارها، إلا أن الذى يبدو لنا أن أموال الحركة قليلة نسبياً، لكن الذى أفادها هو قلة مصروفاتها، وذلك بسبب جملة من العوامل أهمها:

١- أن جميع العاملين للحركة فى الأرض المحتلة متطوعون ولا يتقاضى أى واحد منهم راتباً شهرياً أو مخصصات مالية، بل إن له وظيفته أو حرفته أو أملاكه التى يعيش منها، وكثير منهم يدفعون من أموالهم الشخصية لتمويل أعمال الحركة فوق ما يدفعونه من اشتراكات إلزامية، وبالتالي فإن الأموال التى ترسل للأرض المحتلة من الحركة تكون عادة لتمويل تكاليف العمل من مواصلات واتصالات وطباعة وأسلحة وغير ذلك^(١).

٢- عندما اضطرت الحركة لإعانة من فقدوا وظائفهم بسبب الاعتقال أو الاستشهاد أو

(١) قيادات الداخل، مجموعة مقابلات، «مرج الزهور»، يونيو ١٩٩٣م.

الطرد من الوظيفة، أو مطاردى كتائب عز الدين القسام، فقد كانت هذه الإعانات تذهب للمحتاجين فقط، أما الكثيرون ممن يستطيعون الاعتماد على أنفسهم فإنهم كانوا يرفضون هذه الإعانات، يضاف إلى ذلك أن أكثر هذه الإعانات تقدم عن طريق الجمعيات الخيرية، في الداخل والخارج وليس من ميزانية الحركة.

٣- لم تكن على حركة «حماس» التزامات مالية كتلك الالتزامات الضخمة على (م. ت. ف) أو الفصائل الوطنية الأخرى، فالمنظمة تتلقى الأموال الكثيرة من الحكومات العربية وغير العربية ومن الفلسطينيين العاملين في الخارج لتصرف على متطلبات كثيرة داخل الأرض المحتلة وخارجها، كرواتب جيش التحرير الفلسطيني ورواتب جيش كبير من المدنيين والإداريين العاملين في أجهزة المنظمة المختلفة، بالإضافة إلى المكاتب والسفارات الكثيرة ووسائل الإعلام وغيرها.

٤- إن جميع العاملين للحركة تقريباً في الخارج، وحتى نهاية العام الثالث للانتفاضة، هم متطوعون أيضاً، يعتمدون في تمويلهم الشخصي على وظائفهم الجيدة التي لم يفرطوا فيها، أو تجارتهم، أو ممتلكاتهم، بل ويقدمون من أموالهم التبرعات الجيدة للحركة، فعندما قامت العراق باحتلال الكويت في آب (أغسطس) ١٩٩٠م، كان عدد المتفرغين للحركة في الخارج، والذين يتقاضون رواتبهم من ميزانية الحركة، لا يزيدون بأية حال عن عشرة أفراد في جميع البلاد العربية والأجنبية.

٥- وتجدر الإشارة هنا إلى ما أكده زياد أبو عمرو: «حركة حماس قيادة وأعضاء، تنسم بالتواضع في أساليب إنفاقها، وهي أبعد ما تكون عن مظاهر البذخ أو الإسراف أو الفساد المالي»^(١) وهذا ما لاحظته داخل الأرض المحتلة.

بعد أزمة الكويت ازدادت مصاريف الحركة بصورة كبيرة بازدياد أعداد المتفرغين وبافتتاح المكاتب في الخارج، لكن دخل الحركة أيضاً تزايد بتضخم التبرعات والمعونات من أطراف جديدة، كما بدأت محاولات أولية للتدقيق في الميزانيات والمخصصات المالية.

مصادر التمويل

- ١- الأموال التي تجمعها الحركة من أعضائها في الداخل والخارج، كاشتراكات تنظيمية شهرية ملزمة، تجمع من الأعضاء بما يتناسب مع دخل كل منهم.
- ٢- التبرعات والصدقات التي يدفعها الأعضاء بصورة اعتيادية وأحياناً عند الطلب.

(١) زياد أبو عمرو، «حماس: خلفية تاريخية سياسية»، (مجلة الدراسات الفلسطينية)، عدد ١٣، ص ٩٧.

٣- الأموال التي تجمعها الحركة من الأنصار والمؤيدين والمتعاطفين معها من الموسرين داخل الأرض المحتلة وخارجها وفي جميع أنحاء العالم من فلسطينيين أو عرب مسلمين.

٤- الدعم المالي الذي تقدمه الحركة الإسلامية (الأم) في جميع أنحاء العالم وخاصة تلك التي تمتلك ميزانيات معقولة.

٥- الأموال التي تتلقاها الحركة من مصادر غير رسمية خارج فلسطين في بعض الدول العربية والإسلامية وفي الدول الغربية، كما تقوم مؤسسات وهيئات وصناديق إسلامية في دول عدة بتقديم أشكال من الدعم المادي للمسلمين في فلسطين عبر حركة «حماس»^(١)، وتشير بعض المصادر إلى تلقي الحركة مساعدات مالية من بعض الأنظمة العربية والإسلامية إلا أن شيئاً من هذا لم يثبت، كما أن الحركة نفت ذلك أكثر من مرة.

عموماً فإن مصادر التمويل هذه فيها كثير من المصادر غير الثابتة، ومصادر أخرى يمكن التضيق عليها في الدول العربية والأجنبية، كما أن المتغيرات السياسية يمكن أن تؤثر فيها إلى حد بعيد، فأزمة الكويت أغلقت واحداً من أهم مصادر التمويل، وهي التبرعات الشعبية الكويتية وتبرعات الفلسطينيين الذين كانوا يقيمون في الكويت قبل طردهم، حيث كانوا أربعمائة ألف فلسطيني يتمتع معظمهم بأحوال مالية جيدة، كما أضعفت الأزمة المصادر الأخرى في السعودية ودول الخليج.

وفي حالات نادرة جداً أعربت دولة أو دولتان عن استعدادها لمساعدة الحركة مالياً، فكانت الحركة تقدم لها كشفاً بأسماء الشهداء أو المعتقلين أو الذين تهدمت بيوتهم، أو بعض المؤسسات الدينية في الداخل كدور تحفيظ القرآن الكريم والجمعيات الخيرية والجامعة الإسلامية.. أردت الحركة من ذلك أن تكون المساعدات للشعب ومؤسساته وضحاياه حتى لا يستطيع النظام أن يمين على الحركة أو يؤثر في سياستها. وكانت هذه الاستعدادات في أغلب الأحيان وعوداً معسولة لم تعرف أكثرها طريقها للتنفيذ^(٢). عموماً فإن تمويل الحركة هو من أكثر الموضوعات سرية وهو محصور في عدد قليل جداً من قيادات الخارج.

وهكذا فإن هذا الموضوع مهم وخطير وهو واحد من العوامل التي تحدد قوة الحركة ومستقبلها ولا بد للحركة من البحث عن وسائل أفضل تكون مضمونة ومستقرة، وقد طرح موضوع الاستثمارات في مناقشات الحركة منذ زمن بعيد، لكن يبدو أن مشروعات كهذه لم تأخذ طريقها للوجود بسبب كثير من العوامل الذاتية والموضوعية.

(١) المرجع السابق.

(٢) أحد أعضاء المكتب السياسي لحماس، مقابلة، الخرطوم، ٢٠/٨/١٩٩٣م.

الخاتمة

ملخص البحث

تناول البحث الحركة الإسلامية في فلسطين منذ إرهاباتها الأولى عام ١٩٣٥م وحتى عام ١٩٩٠م، وحاول الباحث أن يغطي أحداث المرحلة كلها، في أول عمل من نوعه موثقاً ذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية وخاصة المقابلات العديدة مع صناع الحدث، وقد كشف البحث النقاب عن مراحل كثيرة لم يكتب عنها من قبل، كما قام بدراسة وتحليل كثير من القضايا والمشكلات التي لم تعالج من قبل.

عالج البحث نشأة الإخوان المسلمين في فلسطين وتأسيس شعبهم، ومشاركتهم في القتال في حرب ١٩٤٨م، ثم مسيرة التنظيم في كل من قطاع غزة والضفة الغربية والأردن، وبين أسباب قوة الإخوان المسلمين في تلك الفترة (١٩٤٧ - ١٩٥٧) وأوضح اختلاف التجربتين في قطاع غزة، والضفة الغربية، وركز على أسباب عدم اصطدام الإخوان المسلمين بالحكم في الأردن، كما تناول التجربة الغنية للإخوان في قطاع غزة في تلك الفترة من العمل العلني إلى العمل السري، ومن العمل الاجتماعي والسياسي والنقابي إلى العمل العسكري، وناقش البحث علاقة الإخوان المسلمين بالأطراف الأخرى.

أما في تناوله للفترة من (١٩٥٧ - ١٩٦٧) والتي كانت أسوأ الفترات التي مرت على الإخوان المسلمين، فقد بين البحث أسباب هذا الضعف والتي كان أهمها قوة المد القومي وشعبية عبدالناصر، ثم إنشاء حركة «فتح» التي أخذت غالبية قياداتها من الإخوان المسلمين، ثم إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية والتي لم نسمع للإخوان فيها رأياً أو بياناً.

وجاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧م لتضع نفوذ عبدالناصر، وتشير إلى فشل المشروع القومي الاشتراكي في مواجهة (إسرائيل)، مما يمهّد الطريق للإخوان المسلمين، ليستعيدوا نشاطهم وعافيتهم، إلا أنهم ظلوا يعانون من الضعف طيلة العقد الأول من الاحتلال بسبب التفاف الجماهير الفلسطينية حول المقاومة الفدائية ومنظمة التحرير الفلسطينية، ولأنهم لم يطرحوا الموضوع الفلسطيني واقتصروا على العمل التربوي والديني، ويأتي العقد الثاني لتنتعش الحركة الإسلامية بسبب الصحوة الإسلامية التي شملت العالم الإسلامي كله.

يلقى الباحث الضوء ولأول مرة على عمل الإخوان الفلسطينيين في الخارج ويركز على الساحة الطلابية في مصر (١٩٧٠ - ١٩٨٠) وتنظيم الطلاب في الكويت (١٩٧٣ - ١٩٨٤)، حيث سيصبح هؤلاء الشباب في المستقبل مسئولى حماس في الخارج، كما يتابع

بدايات العمل السياسى لفلسطين المثلثة بتأسيس «الجهاز العام لفلسطين» عام ١٩٨٦م خارج الأرض المحتلة والذي وضع خطة من عشرة أعوام لنقل الجماعة إلى العمل السياسى لفلسطين. ويركز البحث كثيراً على ساحة الأرض المحتلة للتجربة الغنية التى عاشها الإخوان المسلمون وخاصة فى الفترة (١٩٧٧ - ١٩٨٧) وهى مرحلة المؤسسات والجمعيات والعمل الاجتماعى والدعوة العلنية والكتل الطلابية فى الجامعات، كما أن هذه التجربة كانت الأساس لانطلاقة حركة «حماس» مع بداية الانتفاضة، وليختصر إخوان الداخل العشرة أعوام التى افترضها «الجهاز العام لفلسطين» إلى عشرة شهور.

ويستعرض البحث علاقات الإخوان فى الداخل مع القوى السياسية الأخرى والتى اتسمت بالصراع والصدامات فى فترة ما قبل الانتفاضة ويثبت أن جميع الأطراف تتحمل مسئولية هذه الصراعات. وتدخل حركة حماس الانتفاضة منذ بدايتها، ويحلل البحث كثيراً من القضايا المطروحة عن مشاركة حماس فى الانتفاضة وعلاقتها بقوى منظمة التحرير الفلسطينية وموقفها من الدولة اليهودية والحكومات العربية.

نتائج البحث

توصل الباحث إلى عدة نتائج من أهمها :

١- أن مسيرة الحركة الإسلامية فى فلسطين تراوحت بين مراحل الضعف والقوة، وأن أهم العوامل المؤثرة فى ذلك كان دائماً هو المدى الذى تنخرط فيه الحركة الإسلامية فى العمل لقضية فلسطين، وفى مواجهة العدوان الصهيونى على الأرض والهوية، فكلما ساهمت الحركة بجهدا ونضالها وتضحياتها قويت وازدادت شعبيتها، وكلما ابتعدت وانزوت عن العمل الوطنى الفلسطينى ضعفت وانعزلت عن الجماهير، وأثيرت حولها الشبهات، ويؤكد ذلك مشاركتها فى حرب ١٩٤٨م والتى جعلتها لعشر سنوات أكبر قوة سياسية فى قطاع غزة والأردن، وعزز ذلك مشاركتها فى الأعمال الفدائية فى النصف الأول من الخمسينيات، وقيادتها للعمل السياسى فى مواجهة مشاريع التوطين عام ١٩٥٥م، ولعل غيابهما عن ساحة العمل الفلسطينى فى الفترة (١٩٥٧ - ١٩٦٧)، كان من أهم أسباب ضعفها وابتعاد الجماهير عنها، كما ظلت تعاني من الضعف طيلة العقد الذى أعقب هزيمة يونيو (١٩٦٧ - ١٩٧٧)، أما قوتها ونشاطها فى العقد الذى يليه (١٩٧٧ - ١٩٨٧) فكانت بسبب الصحوة الإسلامية التى عمّت العالم الإسلامى بالإضافة إلى الأسباب الخاصة بقضية فلسطين والتعصب الدينى وانتهاك الأماكن المقدسة، لكنها ظلت قوة محدودة بجمهورها المتدين إذا ما قيست بقوتها بعد الانتفاضة والتى اكتسبتها من مواجهة الاحتلال، فأصبحت قوة سياسية

كبيرة تتخطى جمهور المتدينين إلى جماهير الشعب عامة.

٢- وأن العمل العلني والتوجه إلى الشعب عن طريق المؤسسات والنقابات والكتل الطلابية في الجامعات يساهم في جعل الحركة الإسلامية جزءاً من الشعب، لا طائفة منعزلة عنه، وأن ذلك يعود بفوائد كبيرة على الحركة من حيث الجماهيرية والنفوذ، كما يعود بالفائدة الجوهرية على بنائها الداخلي من حيث تجنب الكثير من الأمراض التنظيمية التي تنمو في عتمة السرية والغرف المغلقة، ومن حيث توظيف طاقات شبابها، واستقطاب المؤيدين، واختبار الكفاءات والقيادات، وقد اكتشف البحث نظرية الشيخ أحمد ياسين في العمل التنظيمي، «الماء الراكد والماء الجاري»، فالحركة التي تشارك في الأحداث تكون كالماء الجاري متجددة تلفظ أمراضها، أما التنظيم الجامد يكون كالماء الراكد يأسن ويتعفن وتكثر فيه الأمراض.

٣- وأن حركة المقاومة الإسلامية «حماس» نتاج لتغيرات جوهرية في تركيب الحركة الإسلامية داخل الأرض المحتلة، فقد انضمت للحركة أجيال جديدة من الشباب، الذي يمثل الاحتلال بالنسبة لهم المؤثر الأكبر على فكرهم وموقفهم، والذين لا يحملون عقدة «عبد الناصر» وتآمر القوى الأخرى، والذين هم وطيون إسلاميون، فقد أثبت الباحث أن انطلاقاً حماس كانت بقرار تنظيمي داخلي، وبالتحديد في «مكتب غزة»، ومن ثم لحق بهم الإخوان في الضفة الغربية ثم في الخارج، ومع تزايد التضحيات ودخول العمل العسكري واندفاع الجماهير حول حماس ودخول شباب جدد، أصبحت حركة «حماس» في جوهرها حركة مقاومة إسلامية وليست حركة إخوانية، فإذا ما تطورت الأوضاع السياسية سيكون صعباً تأطير هذه الحركة داخل المنهجية الإخوانية.

٤- وأن علاقة الحركة الإسلامية كانت دائماً سيئة مع جميع الأطراف والقوى السياسية الفلسطينية، مما جعل جميع القوى السياسية على الرغم من تنافسها تتحد في حالات كثيرة لمواجهة الإخوان المسلمين في الانتخابات أو غيرها، ولم يجرب الإخوان المسلمون التحالف مع الأطراف الأخرى إلا في حالات معدودة وقصيرة العمر، حيث تحالفوا مع الشيوعيين عام ١٩٥٥م في المظاهرات العارمة التي شملت قطاع غزة لإسقاط مشروع توطين اللاجئين في سيناء، كما تحالفوا مع البعثيين لتأسيس «جبهة المقاومة الشعبية» في فترة الاحتلال الإسرائيلي لقطاع غزة في أعقاب العدوان الثلاثي لعام ١٩٥٦م وتحالفوا مع حركة «فتح» في انتخابات الهلال الأحمر الفلسطيني في غزة عام ١٩٧٩م، وكلها كانت تحالفات مؤقتة سرعان ما انقلبت إلى عداوة وخصام، لتأتي تجربة تحالف التسعينيات مع القوى الرافضة للصالح مع إسرائيل والتي سميت «تحالف الفصائل العشرة».

٥- وأن تجربة الإخوان المسلمين الفلسطينيين خارج الأرض المحتلة تختلف في أمور جوهرية عن تجربة إخوانهم داخل الأرض المحتلة، من حيث الخبرة والمعاناة والمؤثرات، فالإخوان المسلمون عموماً إذا عملوا بمنهجهم التقليدي من الاهتمام بالعمل التربوي والتثقيف الديني والارتقاء بالمستوى الروحي للأفراد والتكافل الاجتماعي وغير ذلك، فإنه سيتشابه ومواجهة النظام الدولي والعلاقات مع الأطراف الأخرى، والذي تمثله الآن حركة «حماس» فإن النظرة ستختلف بسبب اختلاف الظروف والمؤثرات، وطالما أن الحركة لا تواجه مفترق طرق رئيسي، فستظل الأخوة في الله عن بُعد هي التي تحكم العلاقة بين الفريقين، وطالما أنه لا يوجد احتكاك فعلى وعملي بين الفريقين بسبب الظروف، فستظل الأمور تسير بصورة طبيعية، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية التصادم الجزئي كلما احتك البعض القليل من فريق بالفريق الآخر، ولعل الباحث هنا ينبه إلى ضرورة تفهم هذا الإشكال ووضع الحلول له قبل أن يقع خصوصاً إذا جعلت الظروف السياسية المستقبلية الداخل كله يحتك بالخارج كله.

٦- وأن من أكبر عيوب الحركة الإسلامية الفلسطينية، أنها لم تكن حركة واحدة مستقلة، إلا في الفترة (١٩٦٣ - ١٩٧٨)، أي في أكثر مراحلها ضعفاً، وهي الآن تحتاج إلى هذه الوحدة وهذا الاستقلال، كما تحتاج إلى تقوية صفها الداخلي بإيجاد الهياكل والمؤسسات الشورية وتوسيع دائرة صنع القرار والمشاركة فيه، فإنه من التناقضات غير المقبولة لحركة مهمة ومؤثرة وتعمل في ساحة من أخطر الساحات، أنها لم تعقد مؤتمراً تنظيمياً واحداً، ولم تنتخب لها قيادة، فقد نقلت وسائل الإعلام أن هناك مكتباً سياسياً، لكننا لم نعثر على أية إشارة إلى وجود مجلس شوري أو انتخابات أو غير ذلك.

وبعد هذه الدراسة الشاملة لجذور الحركة ونشأتها وأفكارها وعلاقاتها، هذه الدراسة التي تكشف الكثير من المعلومات التي تظهر لأول مرة فإن الكتاب القادم سيتوسع في الدور السياسي لحركة حماس وعلاقاتها الفلسطينية مع فصائل المعارضة ومع السلطة الوطنية الفلسطينية، وعلاقاتها مع الدول العربية وخصوصاً الأردن والسودان وسوريا، وليبيا ومصر والعراق ودول الخليج، وعلاقاتها مع القوى الدولية وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية.

كما سيتوسع الكتاب في العمل العسكري لحماس وأطره وهياكله وفلسفته وآثاره على الحركة من جهة والقضية الفلسطينية من جهة أخرى.

كما سيعطى الكتاب صورة دقيقة وعميقة لإشكالية الداخل والخارج في قيادات حماس وآلية صنع القرار وما يمكن أن يؤدي إليه.

وبناء على ذلك كله وغيره ستحاول الدراسة القادمة أن تتنبأ بمستقبل الحركة وعلاقاتها بالسلطة

الوطنية الفلسطينية من جهة وعلاقتها التنظيمية والفكرية بالإخوان المسلمين في العالم •

قائمة المراجع

أولاً - المراجع العربية:

(١) الوثائق:

- ١- البعث والقضية الفلسطينية: بيانات ومواقف ١٩٤٥م - ١٩٦٥م، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥م.
- ٢- «تقرير أبو جهاد - نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية - إلى المجلس المركزي الفلسطيني المنعقد في بغداد، يناير ١٩٨٨م» - (أرشيف حماس).
- ٣- «تقرير من حركة فتح في سجن «جنيد» الصهيوني إلى جهاز الوطن المحتل في عمان» بتاريخ ١/١/١٩٩١م، (أرشيف حركة حماس).
- ٤- الجامعة الإسلامية - رسالة ومسيره، غزة: بدون ناشر وبدون تاريخ.
- ٥- الجمعية الإسلامية في عامها العاشر، غزة: بدون ناشر، ١٩٨٦م.
- ٦- حرب فلسطين ١٩٤٧م - ١٩٤٨م، الرواية الرسمية الإسرائيلية، ترجمة: أحمد خليفة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١م.
- ٧- «شبهات وردود»، إصدار الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية، نابلس: تموز ١٩٩٢م.
- ٨- فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أى جزء من فلسطين، عمان: دار الفرقان، ط ٣، ١٩٩٠م.
- ٩- لوائح اتهام النيابة العسكرية الإسرائيلية ضد معتقلين من حركة حماس، (أرشيف الحركة):
 - أحمد إسماعيل حسن ياسين، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٥٢٥، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
 - إسماعيل حسن محمد أبو شنب، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٥٢٦، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
 - إسماعيل عبدالسميع هنية، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٤٩٣، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
 - عز الدين عبدالرحمن عطية المصرى، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٤٨٦، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
 - فرج محمود حسين الغول، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٤٩٣، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
 - نزار محمد محمود عوض الله، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٥٢٦، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
 - مجدى محمد حسن عقيل، ملف المحكمة ٨٩ / ١٢٤٢، ملف الادعاء ٨٨ / ١٢٧٨.
 - عماد خالد نامق العلمى، ملف المحكمة ٨٩ / ١٢٤٢، ملف الادعاء ٨٨ / ١٢٧٨.
 - محمد يوسف حسن شرايحة، ملف المحكمة ٨٩ / ١١٤٨٤، ملف الادعاء ٨٩ / ١٩٩٦.
- ١٠- المجمع الإسلامى فى قطاع غزة، غزة: مطبعة النصر، بدون تاريخ.
- ١١- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، بيروت: المؤسسة الإسلامية للطباعة، ط ٢، بدون تاريخ.
- ١٢- «محاضر تحقيق مع بعض معتقلي حماس»، (أرشيف الحركة).
 - تيسير عمران، نابلس.
 - جميل عبدالرحيم حمادى، سجن جنين ٧ / ١ / ١٩٩١م.

- حسنى محمد أحمد البورىنى، سجن جنين ٢٧ / ١٢ / ١٩٩١ م.
- عنان عبدالقادر عبدالرازق غزال، سجن غزة ٢ / ١ / ١٩٩١ م.
- محمد حسن خليل شمعة، سجن غزة ٣٠ / ٩ / ١٩٩١ م.
- محمد تحسين عبدالرحيم ناجى شاور، سجن الخليل.
- محمود محمد مصلح، سجن جنين، ٣١ / ١٢ / ١٩٩٠ م.
- ١٣- ميثاق حركة المقاومة الإسلامية - حماس، بدون ناشر وبدون تاريخ.
- ١٤- وثائق حركة المقاومة الإسلامية، أربعة أجزاء، إصدار المكتب الإعلامى للحركة، بدون ناشر أو تاريخ.
- (٢) الوثائق غير المنشورة:
- ١٥- أبو العز القترى وآخرون، «تجربة السجون وتاريخ الجماعة الإسلامية»، مرجع الزهور، يونيو ١٩٩٣ م.
- ١٦- إسماعيل هنية، «الجامعة الإسلامية فى غزة».
- ١٧- «التجربة الاعتقالية»، كتبه معتقلو حماس، سجن النقب، ١٩٩٠ م.
- ١٨- تقارير عن بعض المناطق، كتبها قيادات لكثير من المناطق: رام الله، نابلس والخليل وعدد من القرى - مرجع الزهور.
- ١٩- «تقرير سجن جنيد»، كتبه قيادات حماس فى السجن عن تجارب الاعتقال والتحقيق.
- ٢٠- «جامعة بيرزيت»، كتبه أحد قادة الكتلة الإسلامية فى الجامعة، مرجع الزهور، يونيو ١٩٩٣ م.
- ٢١- جمال منصور، «جامعة النجاح الوطنية»، مرجع الزهور، يونيو ١٩٩٣ م.
- ٢٢- «الجمعية الخيرية الإسلامية بالخليل»، قادة الخليل.
- ٢٣- حسن يوسف داود، «دور القرآن الكريم فى الضفة الغربية»، مرجع الزهور.
- ٢٤- حماد الحسنات، «الإخوان المسلمون من ١٩٤٨ - ١٩٨٧ م»، مرجع الزهور، ١٩٩٣ م.
- ٢٥- «حماس بين الحقيقة والوجود»، حركة حماس - سجن عسقلان، ١ / ٤ / ١٩٩٠ م.
- ٢٦- «ظاهرة العملاء»، حركة حماس، سجن غزة المركزى، ١٨ / ١١ / ١٩٩١ م.
- (٣) المذكرات واليوميات:
- ٢٧- أحمد الشقيرى. أربعون عاماً فى الحياة العربية والدولية، بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٦٩ م.
- ٢٨- حسن البنا. مذكرات الدعوة والداعية، بيروت المكتب الإسلامى، ١٩٨٣ م.
- ٢٩- صلاح خلف. فلسطينى بلا هوية، الكويت: شركة كاظمة، بدون تاريخ.
- ٣٠- صلاح شادى. صفحات من التاريخ، حصاد العمر، الكويت: شركة الشعاع، ١٩٨٠ م.
- ٣١- عباس السيسى. فى قافلة الإخوان المسلمين، الإسكندرية: دار اقرأ، ط٢، ١٩٨٧ م.
- ٣٢- د. عبدالله أبو عزة. مع الحركة الإسلامية فى الدول العربية، الكويت: دار القلم، ١٩٨٦ م.
- ٣٣- غسان حمدان. الانتفاضة المباركة وقائع وأبعاد، الكويت: مكتبة الفلاح ١٩٨٨ م.
- ٣٤- د. محمد يوسف. أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله، صفاقس (تونس: المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٩ م).

(٤) المقابلات الشخصية:

- ٣٥- إبراهيم أبو سالم (أحد قادة الإخوان المسلمين في الضفة الغربية، من أبرز شيوخ رام الله، وأحد مبعدي مرج الزهور) مقابلة، مرج الزهور، جنوب لبنان، ٥/٦/١٩٩٣ م.
- ٣٦- أبو العز القترى (من مؤسسى الجماعة الإسلامية في السجون)، مرج الزهور، ٩/٦/١٩٩٣ م.
- ٣٧- أحمد الحاج على (أحد قادة الإخوان في نابلس). مقابلتان، مرج الزهور، ٤/٦/١٩٩٣ م.
- ٣٨- إسماعيل هنية (أحد مسئولى حماس الإسلامية في غزة وأحد الناطقين بلسانها)، مرج الزهور، ٥/٦/١٩٩٣ م.
- ٣٩- بسام جرار (من أهم الشخصيات الإسلامية في الأرض المحتلة، مفكر، محاضر، كاتب) مرج الزهور، ٨/١١/١٩٩١ م.
- ٤٠- جبر عمار (عميد في جيش التحرير الفلسطيني، مؤسس وقائد الجماعة الإسلامية في السجون)، الخرطوم، ٧/١١/١٩٩٣ م.
- ٤١- جمال سليم (من قيادات نابلس)، مرج الزهور، ٤/٦/١٩٩٣ م.
- ٤٢- جمال منصور (من قيادات نابلس ومن مؤسسى الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية)، مرج الزهور، ٤/٦/١٩٩٣ م.
- ٤٣- جميل الدلو (أحد مؤسسى الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت)، مقابلتان، هيوستن (الولايات المتحدة)، ٣/٧/١٩٩٠ م.
- ٤٤- حسين الثوابتة (من قيادات الإخوان في قطاع غزة ١٩٥٠م - ١٩٥٤م)، الكويت، ٢٠/٥/١٩٨٤ م.
- ٤٥- حماد الحسنات (من قادة الإخوان في قطاع غزة ١٩٥٠م - ١٩٨٧م)، مرج الزهور، ٤/٦/١٩٩٣ م.
- ٤٦- خليل الخالدي (عمل في صفوف الإخوان في القطاع منذ الخمسينيات، وعاش تجربة «رابطة طلبة فلسطين» في القاهرة في النصف الثانى من الخمسينيات)، صنعاء، ١٧/٤/١٩٩٤ م.
- ٤٧- خليل القوقا (أول معتقل من قيادات حماس وأول مبعدي الحركة، شغل منصب الأمين العام للجمعية الإسلامية في غزة قبل إبعاده)، الكويت، ١١/٨/١٩٨٨ م.
- ٤٨- سليمان حمد (مسئول تنظيم الإخوان المسلمين الفلسطينيين في الكويت ١٩٧٥م - ١٩٩٠م)، عدة مقابلات، الكويت في فبراير ١٩٨٣م، ٢٦/٦/١٩٩٣ م.
- ٤٩- د. عبدالعزيز الرنتيسى (أحد أبرز قادة حماس، وأحد السبعة المؤسسين، الناطق الرسمى للمبعدين في مرج الزهور)، مرج الزهور ٩/٦/١٩٩٣ م.
- ٥٠- عبدالعزيز على (مصرى، شارك مع الإخوان في حرب ١٩٤٨، وكان من قادة ومدربى الإخوان في معسكرات الشيوخ التابعة لحركة فتح في أغوار الأردن ١٩٦٩م - ١٩٧٠م) الخرطوم، مارس ١٩٩٢ م.
- ٥١- عبدالفتاح دخان (أحد السبعة المؤسسين لحركة حماس وكاتب ميثاق الحركة)، مرج الزهور ٣/٦/١٩٩٣ م.
- ٥٢- د. على مفلح (من قدامى الإخوان في الضفة الغربية، ومن مؤسسى جبهة تحرير فلسطين)، لندن، ١٦/٣/١٩٩٣ م.

- ٥٣- فوزى جبر (من قدامى الإخوان فى قطاع غزة، وعمل مع خليل الوزير فى العمل العسكرى للإخوان)، الكويت، ١٤/١٠/١٩٨٥م.
- ٥٤- ف. خ. (من أعضاء الجهاز العسكرى «المجاهدون الفلسطينيون»)، مرج الزهور، ٦/٦/١٩٩٣م.
- ٥٥- محمد أبو دية (من قدامى الإخوان فى غزة، اعتقل أيام احتلال غزة ١٩٥٦)، الكويت، ١٢/٣/١٩٨٤م.
- ٥٦- محمد أبو سيدو (من أوائل من انضموا إلى الإخوان فى قطاع غزة عام ١٩٤٨م وعمل مسئولاً للجهاز العسكرى)، الكويت، ١٢/٤/١٩٨٥م.
- ٥٧- محمد الحانوتى (من قدامى الإخوان الفلسطينيين فى العراق، صديق مقرب لصالح سرية وقد أسسا معاً (م. ت. ف)، واشنطن، ١/٧/١٩٨٩م.
- ٥٨- محمد حسن شمعة (أحد السبعة المؤسسين لحركة حماس)، مرج الزهور، ٣/٦/١٩٩٣م.
- ٥٩- محمد نصار (مختطف الجنديين الإسرائيليين فى سبورتاس وإيلان سعدون)، ٧/٣/١٩٩١م، الخرطوم.
- ٦٠- ف. (من مسئولى التنظيم الطلابى فى الكويت)، صنعاء، ٢٢/٥/١٩٩٤م.
- ٦١- م. أ. (أحد قادة الإخوان الفلسطينيين فى الكويت حتى عام ١٩٩٠م)، صنعاء ٩/٦/١٩٩٤م.
- ٦٢- د. م. م. (من التنظيم الطلابى الفلسطينى للإخوان فى مصر ١٩٧٤ - ١٩٨٠م)، لندن، ١٢/٧/١٩٨٩م.
- ٦٣- د. محمود الزهار (أحد أبرز قادة حماس)، مرج الزهور، ٥/٦/١٩٩٣م.
- ٦٤- نبيل البشتاوى (مسئول الإخوان المسلمين فى نابلس حتى ١٩٨٨م)، مرج الزهور ٤/٦/١٩٩٣م.
- (٥) الرسائل العلمية:
- ٦٥- أمين حسن عمر، الصراع بين العلمانية والإسلام فى الشرق الأوسط (ماجستير)، ترجمة أسامة حسن عمر، الخرطوم: بيت المعرفة، ١٩٩٠م.
- ٦٦- بيان نويهض الحوت. القيادات والمؤسسات السياسية فى فلسطين ١٩١٧م - ١٩٤٨م. (دكتوراه) بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١م.
- ٦٧- حلما خضر سارى. صورة العرب فى الصحافة البريطانية (دكتوراه)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨م.
- ٦٨- فلاح خالد على. الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨م - ١٩٤٩م وتأسيس إسرائيل، (دكتوراه) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بدون تاريخ.
- ٦٩- كامل خلة. فلسطين والانتداب البريطانى ١٩٢٢م - ١٩٣٩م (دكتوراه)، طرابلس (ليبيا): المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٢م.
- ٧٠- ماهر الشريف. الأمية الشيوعية وفلسطين ١٩١٩ - ١٩٢٩م (دكتوراه)، بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨٠م.
- ٧١- محسن محمد صالح. التيار الإسلامى فى فلسطين وأثره فى حركة الجهاد ١٩١٧ - ١٩٤٨م، (ماجستير)، الكويت: دار الفلاح، ١٩٨٨م.

(٦) المراجع (الكتب):

- ٧٢- إبراهيم سربل . حركة الجهاد الإسلامى، عمان: دار النسر للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
- ٧٣- إبراهيم محمد . الأذان الحزين: المسجد فى ظل الانتفاضة والاعتداءات الصهيونية، لندن: مركز الدراسات المعاصرة، ١٩٩٠م.
- ٧٤- أحمد الشقيرى . من القمة إلى الهزيمة، بيروت: دار العودة، ١٩٧١م.
- ٧٥- أحمد عادل كمال . النقاط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام الخاص، القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٩٨٧م.
- ٧٦- أحمد كمال أبو النجد . حوار لا مواجهة: دراسة حول الإسلام والعصر، الكويت: كتاب العربى، العدد السابع، ١٩٨٥م.
- ٧٧- أحمد بن يوسف . حركة المقاومة الإسلامية - حماس - حدث عابر أم بديل دائم، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٨٩م.
- ٧٩- أحمد بن يوسف . حركة المقاومة الإسلامية - حماس - خلفيات النشأة وآفاق المسير، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٨٩م.
- ٨٠- الإسلام والمستقبل . الكويت: إصدار اللجنة التحضيرية العليا لمؤتمر القمة الإسلامية الخامس، ١٩٨٧م.
- ٨١- الانتفاضة: فجر الإسلام فى فلسطين، بيروت: من منشورات حركة الجهاد الإسلامى، ١٩٨٨م.
- ٨٢- أنور الجندى . المد الإسلامى فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى، القاهرة: دار الاعتصام، بدون تاريخ.
- ٨٣- إباد برغوثى . الأسلمة والسياسة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث والنشر، ١٩٩٠م.
- ٨٤- بيان نويهض الحوت . الشيخ المجاهد عز الدين القسام فى تاريخ فلسطين، بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.
- ٨٥- توماس ماير . صحوة المسلمين فى إسرائيل، ترجمة عبدالفتاح زحالة، الناصرة: المطبعة الشعبية، ١٩٨٦م.
- ٨٦- جان فرانسوا ليگران . الإسلاميون الفلسطينيون، ترجمة مركز التخطيط (م. ت. ف.)، تونس: ١٩٨٩م.
- ٨٧- جهاد صالح (إعداد) . حركة المقاومة الإسلامية - بين آلام الواقع وآمال المستقبل، شيكاغو: المركز العالمى للبحوث والدراسات، ١٩٩١م.
- ٨٨- جهاد محمد جهاد . الانتفاضة المباركة ومستقبلها، الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.
- ٨٩- الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧م.
- ٩٠- حسين أدهم جرار . الحاج أمين الحسينى، رائد جهاد وبطل قضية، عمان: دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
- ٩١- حسن أبو النمل . قطاع غزة ١٩٤٨م - ١٩٦٧م، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف.) ١٩٧٩م.
- ٩٢- حسن محمد أحمد حمودة . أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون، القاهرة: الزهراء للطباعة والنشر، ط ٣. ١٩٨٩م.
- ٩٣- حلمى محمد قاعود . ثورة المساجد، القاهرة: دار الاعتصام، بدون تاريخ.
- ٩٤- الحوار القومى الدينى، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م.

- ٩٥- خالد حسن . الانتفاضة الفلسطينية : الثورة الشعبية ، متى ولماذا ؟ إلى أين ؟ ، سلسلة دراسات صامد - الاقتصادي ، أوراق سياسية رقم (١٢) ، بدون تاريخ .
- ٩٦- خالد عايد . الانتفاضة الثورية في فلسطين - الأبعاد الداخلية ، عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع والدراسات ، ١٩٩١ م .
- ٩٧- خالد عز الدين . الانتفاضة الفلسطينية في الصحافة العبرية ، شيكاغو : المؤسسة المتحدة للبحوث والدراسات ، ١٩٩١ م .
- ٩٨- راشد الغنوشي . محاور إسلامية ، الخرطوم : بيت المعرفة ، ١٩٨٩ م .
- ٩٩- روجيه جارودي . الأصوليات المعاصرة : أسبابها وظواهرها ، تعريب د . خليل أحمد خليل ، باريس : دار عام ألفين ، ١٩٩٢ م .
- ١٠٠- رودولف بيزرز . الإسلام والاستعمار : عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث ، القاهرة : دار شهادي للنشر ، ١٩٨٥ م .
- ١٠١- رونالد نيتلر . تجارب الماضي ومحن الحاضر ، نظرة الإسلام الأصولي لليهود ، ترجمة ماهر عبدالله ، وجمال جاد الله ، لندن : مركز الدراسات المعاصرة ، ١٩٩١ م .
- ١٠٢- ريتشارد ميتشل . الإخوان المسلمون ، ترجمة د . محمد أبو السعود ، انديانا بوليس (الولايات المتحدة) : دار النشر الأمريكية ، ١٩٨٠ م .
- ١٠٣- زكي نجيب محمود . تجديد الفكر العربي ، بيروت : دار الشروق ، ط ٧ ، ١٩٨٢ م .
- ١٠٤- زئيف شيف وأهود ميعاري . الانتفاضة الفلسطينية الجبهة الإسرائيلية الثالثة ، ترجمة دافيد شجيف ، القدس : دار شوكن ، ١٩٩٠ م .
- ١٠٥- زياد أبو عمرو . أصول الحركات السياسية في قطاع غزة ١٩٤٨ - ١٩٦٧ م عكا : دار الأسوار ، ١٩٨٧ م .
- ١٠٦- الحركة الإسلامية في الضفة العربية وقطاع غزة ، عكا ، دار الأسوار ، ١٩٨٩ م .
- ١٠٧- زياد أبو غنيم . الحركة الإسلامية وقضية فلسطين ، عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٩ م .
- ١٠٨- سليمان موسى . أيام لا تنسى : الأردن في حرب ١٩٤٨ م ، عمان : مطبعة القوات المسلحة الأردنية ، ١٩٨٢ م .
- ١٠٩- سميح حمودة . الوعي والثورة : دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام ، عمان : دار الشروق للنشر ، والتوزيع ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م .
- ١١٠- صادق جلال العظم . النقد الذاتي بعد الهزيمة ، بيروت : دار الطليعة ، بدون تاريخ .
- ١١١- صالح عوض . الانتفاضة الثورية : دراسة من الداخل ، تونس : الزيتونة للإعلام والنشر ١٩٨٩ م .
- ١١٢- صبحي ياسين . الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ م ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م .
- ١١٣- حرب العصابات في فلسطين ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .
- ١١٤- عارف العارف . النكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ، (جزآن) ، صيدا : المكتبة العصرية ١٩٥٤ م .
- ١١٥- عباس مراد . الدور السياسي للجيش الأردني ١٩٢١ - ١٩٧٣ م ، بيروت : مركز الأبحاث (م . ت . ف) ١٩٧٣ م .
- ١١٦- عبدالستار قاسم . الشيخ المجاهد عز الدين القسام ، بيروت : دار الأمة ، ١٩٨٤ م .
- ١١٧- عبدالقادر ياسين . أزمة فتح ، جذورها ، أبعادها ومستقبلها ، دمشق : دار الجرمق ، ط ٣ . ١٩٨٥ م .

- ١١٨- حماس - حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين، القاهرة: دار سينما، ١٩٩٠م.
- ١١٩- شبهات حول الثورة الفلسطينية، بيروت: دار ابن رشد، بدون تاريخ.
- ١٢٠- عبدالله التل. كارثة فلسطين، القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٩٥م.
- ١٢١- عبدالله عزام. حماس: الجدور التاريخية والميثاق، بيشاور، ١٩٩٠م.
- ١٢٢- عبدالله النفيسى (تحرير وتقديم). الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية - أوراق من النقد الذاتى، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٩م.
- ١٢٣- عبدالوهاب الكيالى. تاريخ فلسطين الحديث، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣م.
- ١٢٤- عجاج نويهض. رجال من فلسطين، بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، ١٩٨١م.
- ١٢٥- على الجرباوى. الانتفاضة والقيادات السياسية فى الضفة الغربية وقطاع غزة - بحث فى النخبة السياسية، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
- ١٢٦- على حسين خلف. تجربة الشيخ عز الدين القسام، عمان: دار ابن رشد، ١٩٨٤م.
- ١٢٧- على الخليلي. الانتفاضة والصحافة المحلية، القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشئون الدولية، ١٩٨٩م.
- ١٢٨- على محافظة. الفكر السياسى فى فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م، عمان: مركز الكتاب الأردنى، ١٩٨٩م.
- ١٢٩- عواطف عبدالرحمن. مصر وفلسطين، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ط٢، ١٩٨٥م.
- ١٣٠- عونى جدوع العبيدى. جماعة الإخوان المسلمين فى الأردن وفلسطين ١٩٤٥م - ١٩٧٠م، عمان: بدون ناشر، ١٩٩١م.
- ١٣١- ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها فى الكفاح الفلسطينى، الزرقاء (الأردن): مكتبة المنار، بدون تاريخ.
- ١٣٢- عيسى الشعيبي. الكيانية الفلسطينية، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف) ١٩٧٩م.
- ١٣٣- فتحى عبدالعزيز (فتحى إبراهيم الشقاقى). الخمينى: الحل الإسلامى والبديل، القاهرة، مختار الإسلامى، ١٩٧٩م.
- ١٣٤- فتحى إبراهيم (الشقاقى). مقدمة حول مركزية فلسطين والمشروع الإسلامى المعاصر المنهج، بيروت: دار الفكر العربى، ١٩٨٩م.
- ١٣٥- فؤاد زكريا. الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٦م.
- ١٣٦- فؤاد مطر. حكيم الثورة. قصة حياة الدكتور جورج حبش، لندن: هانى لايت، ١٩٨٤م.
- ١٣٧- كامل الشريف. الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين، القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٩٨٧م.
- ١٣٨- كمال عدوان. فتح: الميلاد والمسيرة، دمشق: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٤م.
- ١٣٩- لطفى الخولى. الانتفاضة والدولة الفلسطينية، القاهرة: مركز الأهرام، ١٩٨٩م.
- ١٤٠- محمد أحمد سليمان محافظة. العلاقات الأردنية الفلسطينية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٩٣٩ - ١٩٥١م، عمان الفرقان ودار عمار، ١٩٨٣م.
- ١٤١- محمد الحسن. الإخوان المسلمون فى سطور، عمان: دار الفرقان، ١٩٩٠م.
- ١٤٢- محمد عزة دروزة. القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها، (جزآن)، دمشق: دار الجاحظ للطباعة، ط٣، ١٩٨٤م.

- ١٤٣- مسيرة الجهاد الإسلامى فى فلسطين، بيروت: بيت المقدس للطباعة والنشر، ١٩٨٩م.
- ١٤٤- مصطفى السباعى. الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين، القاهرة. دار النذير، ١٩٨٥م.
- ١٤٥- معركة بيروت: التجربة الفلسطينية من منظور إسلامى، سلسلة الدراسات الفلسطينية، رقم (٣) الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٣م.
- ١٤٦- معين بيسو. دفاتر فلسطينية، بيروت: دار الفارابى، ١٩٧٨م.
- ١٤٧- منير شفيق. الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ط ٢، منشورات المكتبة العصرية، ١٩٧٥م.
- ١٤٩- هارون هاشم رشيد. غزة، صادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بدون تاريخ.
- ١٥٠- يوسف رضى. ثورة ١٩٣٦ فى فلسطين: دراسة عسكرية، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٢م.
- ١٥١- يوسف القرضاوى. أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة، بدون ناشر، ١٩٩٠م.
- ١٥٢- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، الدوحة: كتاب الأمة، بدون تاريخ.
- (٧) الدوريات:
- ١٥٣- إبراهيم الشيخ خليل. «رسالة من مجاهد قديم»، شئون فلسطينية، العدد ٧، فبراير ١٩٧٢م.
- ١٥٤- «الإخوان فى الداخل - ممارسات مشبوهة ودعم متعدد الجهات»، مجلة الطليعة الكويتية، عدد ٧٩٩، ١٩٨٣/٦/٢٩م.
- ١٥٥- جاد الكريم الجبائى «القومية العربية والإسلام السياسى»، الوحدة، السنة الخامسة، العدد ٥٣، يناير، ١٩٨٩م.
- ١٥٦- جمال الدين عطية. «نظرة إلى الإنجازات الإيجابية للحركة الإسلامية المعاصرة»، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١١، يوليو، أغسطس، سبتمبر ١٩٧٧م.
- ١٥٧- جمال الراشد. «الحركة الإسلامية تشق طريقها واليساريون يكشفون أوراقهم»، مجلة المجتمع الكويتية، عدد ٦٣٧، ١٣/٩/١٩٨٣م.
- ١٥٨- جيل كيبيل (أبرز المختصين الفرنسيين فى الحركات الأصولية). مقابلة، مجلة معلومات، ملف خاص بالأصولية فى العالم العربى، بيروت: المركز العربى للمعلومات، عدد ٣، مايو / أيار ١٩٩٣م.
- ١٥٩- حسن البنا. «الإسلام سياسة وحكم»، جريدة الإخوان المسلمون، ١٦/٤/١٩٤٦م.
- ١٦٠- خليل الوزير. «مذكرات أبو جهاد»، مجلة المجلة السعودية، الحلقة الرابعة ٢٥/٥/٩٩ و ٨٨.
- ١٦١- راشد الغنوشى. «أية حادثة؟ ليس مشكلنا مع الحداثة»، قراءات سياسية، فلوريدا، السنة الثانية - العدد الرابع، خريف ١٩٩٢م.
- ١٦٢- ربيع المدهون. «الحركة الإسلامية فى فلسطين ١٩٢٨م - ١٩٨٧م»، شئون فلسطينية، العدد ١٧٨، أكتوبر ١٩٨٧م.
- ١٦٣- «سنة شهور فى الاتجاه الصحيح»، شئون فلسطينية، عدد ١٨٤، تموز/ يوليو ١٩٨٨م.
- ١٦٤- رضوان السيد «البيئات الأيديولوجية والاجتماعية لحركات الإسلام السياسى المعاصرة»، مجلة معلومات.
- ١٦٥- زكريا محمد. «الانتفاضة والإصلاح التنظيمى فى م. ت. ف»، مجلة الفكر الديمقراطى (نيقوسيا) عدد ٥، شتاء ١٩٨٩م.

- ١٦٦- زياد أبو عمرو. «حماس : خلفية تاريخية سياسية»، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عدد ١٣، شتاء ١٩٩٣م.
- ١٦٧- سعيد الغزالي. «الحركة الإسلامية في مواجهة حركة التحرير الوطني : تعاون أم حالة حرب»، الفجر المقدسية ١٩٨٧/٨/٦م.
- ١٦٨- سلامة أمين. «الاتجاهات الدينية ودورها في العمل الوطني الفلسطيني»، طريق الانتصار، العدد ١١٩، ١٩٨٨/٥/١.
- ١٦٩- صالح البرغوثي (عضو المجلس المركزي الفلسطيني). «حركة حماس ومنظمة التحرير الفلسطينية»، العرب، ١٩٩٠/١/٤م.
- ١٧٠- صالح عبد الجواد. «دراسة للمصادر الأولية المكتوبة للانتفاضة»، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عدد ٤، خريف ١٩٩٠م.
- ١٧١- صالح عطا. «عندما تتكلم الجدران، الانتفاضة ومعركة الشعار السياسي»، اليوم السابع (باريس)، ١٩٨٩/٧/٥م.
- ١٧٢- صلاح خلف. مقابلة، الأسبوع العربي، عدد ١٥٤٠، ١٩٨٩/٤/١٧م.
- ١٧٣- مقابلة، المصور المصرية، ١٩٨٩/٢/١٧م.
- ١٧٤- مقابلة، الوطن العربي، ١٩٨٨/١٢/٢م.
- ١٧٥- مقابلة، الوطن العربي، ١٩٨٩/٤/٢١م.
- ١٧٦- فايز سارة. «الحركة الإسلامية في فلسطين: وحدة الأيديولوجيا وانقسامات السياسة»، المستقبل العربي، عدد ١٢٤ - ١٩٨٩/٦م.
- ١٧٧- فرد هاليداي. «نحو تصحيح المفاهيم التاريخية عن الإسلام والحركات السياسية»، مجلة المعلومات، ملف الأصولية.
- ١٧٨- فهمي هويدي. «الهستيريا تتفاعل : بيان تنصيب العدو الأصولي»، مجلة معلومات.
- ١٧٩- عبد القادر ياسين. «عز الدين القسام بين جمهورية فرحات وبؤرة جيفارا»، مجلة قضايا عربية، السنة السادسة، العدد السابع، تشرين ثاني / نوفمبر ١٩٨٩م.
- ١٨٠- علي الجرباوي. «حماس - مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية»، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ١٣.
- ١٨١- عوزي محناي. «جهاد الآن»، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، العدد ١١، السنة ١٤، نوفمبر ١٩٨٧م.
- ١٨٢- «لكي لا تضيع الحقيقة: ردنا على الحماسيين»، فلسطين الثورة (المجلة المركزية لـ (م. ت. ف.)، الافتتاحية، السنة ١٩ / العدد ٨٠٤، ١٩٩٠/٧/٨.
- ١٨٣- لماذا تأخرت؟ ولماذا تحاول تقدم الصفوف؟ .. حركة «حماس» فكراً وممارسة، الاستقلال (نيقوسيا)، عدد صفر، ١٩٨٩/٢/٢٢م.
- ١٨٤- لويس كانتوري. «الحفاظة والتقدم في مصر: الإحياء الإسلامي»، قراءات سياسية، السنة الثالثة، العدد الثاني، ربيع ١٩٩٣م.

- ١٨٥- «م. ت. ف. من محنة إلى محنة»، المنطلق، عدد ١٦، تشرين ثانى / نوفمبر ١٩٨٦م.
- ١٨٦- محمد الحداد. «التراث العربى فى السياسة»، الوحدة، عدد ٥٢، يناير ١٩٨٩م.
- ١٨٧- محمد حسين فضل الله. مقابلة مجلة معلومات.
- ١٨٨- مقابلة، مجلة اليسار العربى (باريس)، عدد ٧١، أبريل ١٩٨٥م.
- ١٨٩- محمد سعد أبو عامود. «الإعلام العربى والسياسة الخارجية العربية»، المستقبل العربى، عدد ١٨٢، ١٩٩٤/٤م.
- ١٩٠- محمد عابد الجابرى. «الإعلام العربى والسياسة الخارجية العربية»، المستقبل العربى، عدد ١٧٤، ١٩٩٣/٨م.
- ١٩١- محمود الزهار. «الحركة الإسلامية - حقائق وأرقام»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣.
- ١٩٢- مغيل سيلع. «إرهاب إسلامى - رعاية إسرائيلية»، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية العدد ١١، لسنة ١٤، نوفمبر ١٩٨٧م.
- ١٩٣- ناصيف نصار. «إشارات تمهيدية فى نقد الأصولية»، مجلة معلومات، ص ١٢ - ١٣.
- ١٩٤- هانى الحسن. مقابلة، جريدة الحياة اللندنية، ١٣/١٢/١٩٨٩م.
- ١٩٥- مقابلة، مجلة اليوم السابع (باريس)، عدد ٢٩٦، ٨/١/١٩٩٠.

ثانياً - المراجع الأجنبية:

1. Ayubi Nazih. Political Islam: Religion and Politics in the Arab world, London: Routledge, 1991.
2. Cohem, Amnon. Political Parties in the West Bank Under The Jordanian Regime 1949-1967. London: Cornal University Press, 1982.
3. Cohen. S. Khomenism in Gaza, New Outlook, March 1980. 1. p.p.6-9.
4. Haddad, Y. Yazbak., Contemporary Islam and the Challenge of History, New York: State University Press, 1982.
5. Hart, Alan, ARAFAT, Terrorist or Peacemaker? London: Sidgwick & Jackson, 1987.
6. Hunter, Robert F. The Palestinian Uprising: A War bgy Other Means. Berkley University of California Press, 1991.
7. Lockman, Zachary and Jad Beinin, eds. Intifada: The Palestinian Uprising Against Israel Occupation. Boston: South End Press, 1989.
8. McDowall, Darid, Palestine and Israel: The Uprising and Beyond, London: B.B. Tauris, 1990.
9. Sahiyeh, Emile. In Search of leadership. West Bank Politiecs since 1967, Washington D.C., The Brookings Instiution, 1988.
10. Shadid, Mohammed, The Muslim Brotherhood Movement in the West Bankn and Gaza, Third Workd Quarterly, Vol. 10, No. 2, April 1988. pp.658-682.

فهرس الكتاب

مقدمة	١١
تمهيد: مراجعة نقدية لأدب الصحوة الإسلامية	١٤
المبحث الأول: مدخل لدراسة الظاهرة	١٤
موضوعية البحث	١٤
دراسة المصطلح	١٦
تعريف الظاهرة	١٨
مفاهيم "العلمانية" و "الحداثة"	١٩
المبحث الثاني: المد الإسلامي والعمل السياسي	٢٢
الأسباب العامة للمد الإسلامي	٢٢
الأسباب الخاصة بالمد الإسلامي في فلسطين	٢٥
الحركة الإسلامية والعمل السياسي	٣٢
المبحث الثالث: الإسلاميون وفلسطين	٣٥
أهمية فلسطين ومكانتها	٣٥
التطبيق العملي	٣٦
مركزية القضية الفلسطينية	٣٦
النظرية الإسلامية لتحرير فلسطين	٣٨
الباب الأول: الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٢٥ - ١٩٦٧ م - «الجزء»	٤٣
الفصل الأول: الإخوان المسلمون حتى نهاية حرب ١٩٤٨ م	٤٧
المبحث الأول: الإخوان المسلمون في مصر	٤٧
صلة الإخوان المسلمين بفلسطين	٥٠
مواقف سياسية للإخوان	٥٣
فعاليات الإخوان وأنشطتهم	٥٦
المبحث الثاني: الإخوان المسلمون في فلسطين	٥٦
البداية	٥٦
تأسيس الشعب الإخوانية	٥٧
قيادة الإخوان في فلسطين	٥٩
أنشطة الإخوان ومؤتمراتهم	٦٠
المبحث الثالث: الإخوان المسلمون وحرب ١٩٤٨	٦١
حرب ١٩٤٨	٦١

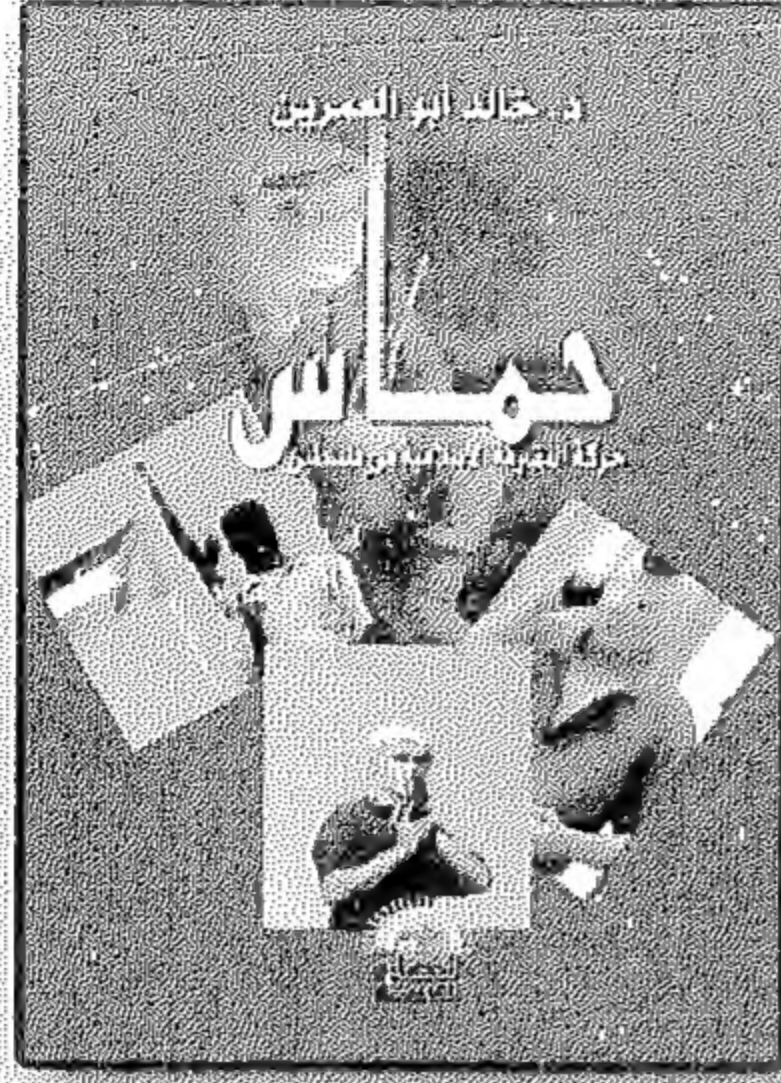
٦٧	الإخوان المصريون
٧٠	الإخوان الأردنيون
٧١	الإخوان السوريون
٧١	الإخوان الفلسطينيون
٧٣	الفصل الثاني : الإخوان المسلمون في الضفة الغربية وقطاع غزة (١٩٤٨ - ١٩٥٧)
٧٣	آثار النكبة
٧٩	الوضع السياسي لكل من قطاع غزة والضفة الغربية
٨١	المبحث الأول : الإخوان المسلمون في الضفة الغربية والأردن
٨١	قانونية الجماعة
٨٢	نشاطات الجماعة
٨٥	ضعف الحركة وانحسارها
٨٨	العلاقة مع السلطات الأردنية والقوى الأخرى
٩٧	المبحث الثاني : التنظيم في قطاع غزة
٩٩	أسباب قوة الإخوان
١٠١	التنظيم في الفترة العلنية
١٠٥	الخفنة والعمل السري
١٠٦	العمل العسكري
١١٠	المبحث الثالث : التنظيم والعمل السياسي
١١٠	العمل النقابي
١١٢	المظاهرات ضد مشروع التوطين
١١٧	العدوان الثلاثي وفشل تدويل القطاع
١٢٣	الفصل الثالث : ضعف الحركة الإسلامية وقوة المد القومي (١٩٥٧ - ١٩٦٧)
١٢٣	المبحث الأول : ضعف الحركة الإسلامية
١٢٣	عوامل الضعف
١٢٦	القوى السياسية الأخرى
١٣٠	المبحث الثاني : حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)
١٣٠	الأصول الإخوانية للحركة
١٣٢	العوامل الفلسطينية في نشأة الحركة
١٣٣	نشأة الحركة
١٣٦	العلاقة بين فتح والإخوان المسلمين
١٣٩	المبحث الثالث : تنظيم الإخوان المسلمين
١٤٠	ضعف عام وانحسار جماهيري

١٤٢	تأسيس التنظيم ومؤسساته
١٤٤	العمل الإخواني في الساحات المختلفة
١٤٥	المبحث الرابع: منظمة التحرير الفلسطينية
١٤٥	تأسيس المنظمة
١٤٧	مواقف القوى الفلسطينية من المنظمة
١٤٨	موقف الإخوان المسلمين
١٤٩	الباب الثاني: الإخوان المسلمون من ١٩٦٧ إلى ١٩٨٧ م.. «البناء»
١٥١	الفصل الأول: الإخوان المسلمون خارج الأرض المحتلة
١٥١	المبحث الأول: الساحات الإخوانية
١٥٢	الساحة الطلابية في مصر
١٥٣	ساحة الكويت
١٥٧	صراع الأجيال
١٦١	المبحث الثاني: الهياكل التنظيمية
١٦١	المؤسسات التنظيمية
١٦٢	المكتب الإداري
١٦٤	تطور الهيكل التنظيمي
١٦٦	الشورى والانتخابات
١٦٧	المبحث الثالث: العمل لقضية فلسطين
١٦٨	معسكرات الشيوخ
١٧٠	الجهاز العام لفلسطين
١٧٤	الفصل الثاني: الإخوان المسلمون داخل الأرض المحتلة
١٧٤	المبحث الأول: مراحل العمل
١٧٤	بداية العمل
١٧٦	مراحل العمل
١٨٠	المبحث الثاني: المؤسسات والجامعات
١٨٠	المؤسسات
١٨٣	الكتل الطلابية
١٨٩	المبحث الثالث: تجربة السجون «الجماعة الإسلامية»
١٩٤	المبحث الرابع: الهيكل التنظيمي واستكمال الأجهزة
١٩٤	الهيكل التنظيمي
١٩٥	الأجهزة
١٩٧	المبحث الخامس: مقارنة بين العمل في الداخل والعمل في الخارج

١٩٩	تجربة المؤسسات وآثارها
٢٠٤	الفصل الثالث : العلاقات مع القوى الأخرى
٢٠٥	المبحث الأول : العلاقة مع المنظمات اليسارية
٢٠٥	الخلافات الفكرية
٢٠٦	انتخابات الهلال الأحمر الفلسطيني
٢٠٧	الصدام
٢١٠	المبحث الثاني : العلاقة مع «فتح» ومنظمة التحرير الفلسطينية
٢١٠	الخلافات الفكرية والتنافس على النفوذ
٢١٢	محاولات التقارب بين «فتح» و«الإخوان»
٢١٤	الصدام
٢١٨	المبحث الثالث : العلاقة مع «الجهاد الإسلامي»
٢١٨	نشأة حركة الجهاد
٢٢٠	الاختلاف في الفكر والأسلوب
٢٢٣	التنافس والصدام
٢٢٥	المبحث الرابع : شبهات حول الإخوان المسلمين
٢٢٦	إسرائيل ساعدت الإخوان المسلمين
٢٣١	السعودية والأردن ودول الخليج تدعم الإخوان المسلمين
٢٣٣	عدم الاعتراف بـ (م. ت. ف) والخروج عن الوحدة الوطنية
٢٣٧	التأخر عن الجهاد وتأجيله وإهمال العمل السياسي
٢٣٨	العنف والإرهاب
٢٣٩	تضخيم الإعلام الغربي للظاهرة الإسلامية
٢٤٠	ملاحظات ختامية
٢٤٣	الباب الثالث : حركة المقاومة الإسلامية «حماس»
٢٤٥	الفصل الأول : الانتفاضة وانطلاقة «حماس»
٢٤٥	المبحث الأول : الانتفاضة
٢٤٥	أسباب الانتفاضة
٢٤٩	الانفجار
٢٥١	التسابق على تبني الانتفاضة
٢٥٦	المبحث الثاني : تأسيس حماس ودورها في الانتفاضة
٢٥٦	تأسيس حماس
٢٦٣	دورها في الانتفاضة وتنامي قوتها
٢٧١	دور الإخوان في الخارج

٢٧٥	المبحث الثالث : حركة «حماس» والقيادة الوطنية الموحدة
٢٧٥	تأسيس القيادة الوطنية الموحدة ودورها
٢٧٨	محاولات التنسيق بين (ق.و.م) وحركة حماس
٢٨١	المناوشات ومحاولات الوقعة
٢٨٢	الصدام
٢٨٦	المبحث الرابع : جدلية الداخل والخارج في العمل الفلسطيني
٢٨٨	الحركات الفلسطينية بين الداخل والخارج
٢٨٩	إدارة حركة «حماس» من الخارج
٢٩١	طريقة التعامل مع بعض القضايا
٢٩٥	الفصل الثاني : حركة حماس والإعلام
٢٩٥	المبحث الأول : الإعلام الإسرائيلي وحركة حماس
٢٩٧	الحركة الإسلامية في الإعلام الإسرائيلي
٢٩٩	حركة حماس في الإعلام الإسرائيلي
٣٠١	المبحث الثاني : الإعلام الغربي وحركة «حماس»
٣٠١	المرتكزات الفكرية للإعلام الغربي
٣٠٢	الإعلام الغربي والحركة الإسلامية في فلسطين
٣٠٥	المبحث الثالث : حركة «حماس» في الإعلام العربي
٣٠٥	الإعلام العربي الرسمي
٣٠٨	صحافة الأرض المحتلة
٣٠٩	المبحث الرابع : إعلام حركة حماس
٣١١	إعلام «حماس» داخل الأرض المحتلة
٣١٩	إعلام «حماس» خارج الأرض المحتلة
٣٢١	الفصل الثالث : مواقف الحركة الفكرية والسياسية
٣٢١	المبحث الأول : الموقف من الدولة اليهودية في فلسطين
٣٢١	المرتكزات الفكرية لموقف حركة «حماس»
٣٢٣	موقف حركة «حماس» من اليهود ودولتهم
٣٢٤	الحل عند حركة «حماس»
٣٢٥	لموقف من الحلول السياسية
٣٢٥	المبحث الثاني : موقف حركة «حماس» من (م.ت.ف)
٣٢٧	عوامل التقارب بين «حماس» والمنظمة
٣٢٩	عوامل التنافر بين «حماس» والمنظمة
٣٣٢	(م.ت.ف) وتمثيل الشعب الفلسطيني

٣٣٥	المبحث الثالث : موقف «حماس» من الوحدة الوطنية
٣٣٥	حرص حركة «حماس» على الوحدة الوطنية
٣٣٧	موقف حركة «حماس» من المسيحيين
٣٤٠	المبحث الرابع : الموقف من الدول والحكومات والهيئات
٣٤٠	الموقف من الحكام العرب
٣٤٣	الموقف من الدول الكبرى
٣٤٤	الموقف من الهيئات العربية والدولية
٣٤٦	الفصل الرابع : الهيكل التنظيمي
٣٤٦	المبحث الأول : تطور الهياكل التنظيمية
٣٤٦	تطور الهياكل التنظيمية داخل الأرض المحتلة
٣٥١	العمل العسكري : من «المجاهدون» إلى «كتائب القسام»
٣٥٤	الهياكل في الخارج
٣٥٦	المبحث الثاني : القيادات
٣٥٦	القيادات في الأرض المحتلة
٣٥٨	القيادات خارج الأرض المحتلة
٣٥٩	المبحث الثالث : الاعتقالات وأثرها على الهيكل التنظيمي
٣٦٢	المبحث الرابع : التمويل
٣٦٢	أهمية التمويل
٣٦٢	قلة مصروفات الحركة
٣٦٣	مصادر التمويل
٣٦٥	الخاتمة
٣٦٥	ملخص البحث
٣٦٦	نتائج البحث
٣٦٩	قائمة المراجع
٣٦٩	١- الوثائق
٣٧٠	٢- الوثائق غير المنشورة
٣٧٠	٣- المذكرات واليوميات
٣٧١	٤- المقابلات الشخصية
٣٧٢	٥- الرسائل العلمية
٣٧٣	٦- الكتب
٣٧٦	٧- الدوريات
٣٧٨	٨- المراجع الأجنبية



برزت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بعد اندلاع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، ولم تمض سنة واحدة من عمرها وعمر الانتفاضة حتى ازدادت قوتها وظهر تأثيرها واكتسبت شعبية واسعة بين الفلسطينيين في الأرض المحتلة وفي المنافي والمهاجر، وكذلك بين العرب والمسلمين. وكان لنضالها الإسلامي ضد الاحتلال الصهيوني ودفاعاً عن الأرض والمقدسات أثره البالغ في إعطاء صورة متميزة للعمل الإسلامي الذي يحظى بالقبول والإجماع، بخلاف العمل الإسلامي المنتشر في كثير من البلاد العربية الإسلامية، كما أبرزت هذه المواجهة للعدوان الصهيوني قادة ورموزاً يحظون بالاحترام والتقدير حتى عند من يختلف معهم في الرأي، وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين الذي يتمتع بصفات قلما يجتمع بعضها لكثير من القادة الإسلاميين أو غيرهم، فهو إلى جانب وعيه العميق وحنكته السياسية يتصف بالإصرار والتجرد وبالحس الوطني الذي يعلو على كل انتماء، شديد على الأعداء، رحيم بأبناء شعبه وأمته، وأبرزت هذه المواجهة أيضاً الشهيد يحيى عياش الذي خرجت فلسطين كلها في جنازته.

وكان للعمليات العسكرية التي نفذتها «كتائب عز الدين القسام» الجناح العسكري لحماس من خطف للجنود أو تفجيرات في القدس وتل أبيب، أثرها الحاسم في ازدياد أهمية الحركة.

إن دراسة حركة حماس تأخذ أهميتها القصوى من حيث إنها تعالج الظاهرة في أكثر مواقعها سخونة، ففي فلسطين يبدو الصراع صريحاً بين الشرق كله والغرب كله، صراعاً حضارياً وثقافياً واقتصادياً وعسكرياً شاملاً.

وتأتي أهمية هذا الكتاب لكونه أول دراسة شاملة للإخوان الفلسطينيين في مختلف المراحل التاريخية والأماكن الجغرافية التي تواجد فيها الفلسطينيون، كما يسلط الضوء على جوانب كثيرة ظلت خافية وغير منشورة، معتمداً على التوثيق العلمي وعلى مقابلات مع صناع الحدث، كما يبرز الكتاب ولأول مرة نشاط الإخوان في الخارج وتأسيس «الجهاز العام لفلسطين» الذي أصبح يعرف باسم قيادات حماس في الخارج، عموماً فإن الكتاب يزخر بالمعلومات الجديدة والموثقة.

وكان أكثر ما ساعد المؤلف على إعطاء الصورة الشاملة والمتكاملة والموضوعية هو تجربته الشخصية في صفوف الإخوان المسلمين ابتداء من عام ١٩٨٠، وتدرجه في مختلف المستويات التنظيمية.

